صحيفة

صحيفة

(تمت)

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء الذي [illegible] بالرؤيا [illegible] (يجتبيك ربك) يصطفيك [illegible]
[illegible] (ويعلمك) الكلام [illegible] (من تأويل الاحاديث) أي
تأويل الرؤيا [illegible] (٥) [illegible]

الانبياء وكتب الله [illegible]
[illegible] وايضاح
[illegible] (ويتم نعمته عليك
وعلى آل يعقوب) بأن
وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة أي جعلهم أنبياء
في الدنيا وملوكا ونقلهم
عنها الى الدرجات العلى
في الجنة وآل يعقوب أهله
وهم نسله وغيرهم وأصل
آل أهل بدليل تصغيره على
أهيل [illegible]
[illegible] (فالواللئن
أكله الذئب) اللام موطئة
للقسم والقسم محذوف
تقديره والله لئن أكله الذئب
والواو في (ونحن عصبة)
أي ونحن جماعة مقتدرة على
الدفع للحال (انا اذا
لخاسرون) جواب القسم
مجزئ عن جزاء الشرط أي
ان لم نقدر على حفظ [illegible]
فقد هلكت مواشينا اذا
وخسرناها وأجابوا عن
عذره الثاني دون الاول
لان ذلك كان يغيظهم

[illegible] (واخوته) أي في
قصتهم وحديثهم (آيات)
علامات ودلالات على قدرة
الله وحكمته في كل شيء [illegible]
[illegible] (للسائلين) لمن سأل
عن قصتهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ان الله تعالى يجعل هذه الاشياء [illegible] وكما جعل [illegible] وغيرهم من الملائكة
والله أعلم ﴿ قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليهما الصلاة والسلام أي وكما رفع
منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة الدالة على شرف وعز كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد
تخصيصه اياه بفيض الهي تحصل له منه أنواع المكرمات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض
من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني به تعبير الرؤيا سمي
تأويلا لانه يؤول أمره الى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف
عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب
المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب
النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق
دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من
اتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بأن جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام
النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بأن خلصه الله من النار [illegible]
والمراد من اتمام النعمة على اسحق بأن خلصه الله من الذبح [illegible] فقال يعقوب الى الجزع
وليس بشيء والقول الاول هو الاصح بأن تمام النعمة عليهما بالنبوة (ان ربك عليم) يعني بمن يصطفيه
أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعني بخلقه (حكيم) [illegible] والاصل في الرؤيا أن كل الهام
انه تعالى حكيم ووضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم [illegible] الكثير (ولعب) [illegible] قال الراجب
يوسف وبين بعضهم [illegible] سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء
الحسن البصري كان [illegible] بالعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر
[illegible] حتى [illegible] قوله عز وجل (لقد كان في يوسف واخوته) [illegible] كان الاسباط
وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي [illegible] الى الحرب بدليل قوله [illegible]
[illegible] يعقوب [illegible] (وانا له لحافظون) يعني [illegible]
[illegible] ليوسف عليه الصلاة والسلام (الى الجري)
[illegible] الاسباط وعددهم اثنا عشر (آيات للسائلين) الآية انما نزلت [illegible] أرسل
[illegible] الله عليه وسلم عن قصة يوسف [illegible] أحدهما [illegible]
[illegible] أن يأكله الذئب وأنتم عنه
[illegible] على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب [illegible] كان أجنبيا [illegible]
ولم [illegible] أحد منهم [illegible] على ان ما أتى به وحي سماوي [illegible] أوحاه الله [illegible]
[illegible] آيات للسائلين أي عبرة [illegible] على أنواع [illegible]
[illegible] ما آل اليه أمرهم من [illegible]
يوسف على اخوته [illegible] وما آل اليه أمره [illegible]
[illegible] وما آل اليه أمره من [illegible]
من الآيات التي [illegible] (اذ قالوا) يعني اخوة يوسف (ليوسف) اللام
[illegible] لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين [illegible] (أحب الى أبينا

[illegible] من أحد [illegible] وبنيامين [illegible]
[illegible] (اذ قالوا) [illegible]
[illegible]
[illegible] المغفرة

[illegible] ( ) (ونحن عصبة) الحال أي أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية لهما ونحن عشرة

(ونحن عصبة) انما قالوا هذه المقالة حسدا لهم ثم أنهم ... أجمعوا أمرهم على التفريق بينه وبين ... عليهم والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الأصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر (ان أبانا لفي ضلال مبين) يعني لفي خطأ بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا ينفع ... بنفعه بقوم بما يصلحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال في الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه ... ولانا أكبر منه ... فنحن أولى ... المقصود الأعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما فضل يوسف ... لانه ... ماتت وهو صغير أو لانه رأى فيه من آثار الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف ... هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض ... وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت ... والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة ... فلا ... ولا ... عليهم فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة ... (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) ... الا أرض يحصل الناس من احتماعها ... والعلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أبيكم ... ذلك ... يقبل بوجهه عليكم ويصرف محبته لكم ... (وتكونوا من بعده قوما صالحين) ... التائبين ... الذنوب الكبائر قالوا ... الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم ... هذه الافعال منهم ... فما الجواب ... هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء ... أشار بقتل يوسف كان أحد ... (قال قائل منهم) ... قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته ... وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا (وألقوه في غيابت الجب) يعني ألقوه في أسفل الجب ... كل ... شيء ... عن النظر والجب البئر الكبيرة غير المطوية ... أراد ... ان ... أشار بطرحه في موضع من الجب ... واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض ... الاردن ... وانما ... الجب ... (يلتقطه بعض السيارة) ... كان ... السائرين ...

... (وتكونوا من بعده قوما صالحين) ... (ان أبانا لفي ضلال مبين) ... (ونحن عصبة) ... (اقتلوا يوسف) ... (قال قائل منهم) ...

(إن كنتم فاعلين) به شيئا (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون) أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير [illegible]
[illegible] وأعلى كد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم [illegible] أنه أحس منهم [illegible] (أرسله
معنا غدا نرتع) [illegible] أكل الفواكه ونحوها والرتعة [illegible] (ونلعب) [illegible] والركض بالنون فيهما [illegible]
وبالنون فيهما المكي وشامي وأبو عمرو بكسر العين [illegible] [illegible] الرعي (وإنا له لحافظون) من أن

الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة أحد بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية
أخرى [illegible] (إن كنتم فاعلين) ما أشار إليه من ترك القتل كأنه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وإن
عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر [illegible] قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء
[illegible] لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا ونكون من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبانا
استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن إسحاق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة
من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب
مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله
وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله وأجمعوا على التفريق
بين يوسف وبين والده [illegible] (قالوا) أي قال إخوة يوسف ليعقوب (يا أبانا ما لك لا تأمنا على
يوسف) بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرسال يوسف معهم كأنهم قالوا [illegible] إذا أرسلته معنا (وإنا له
لناصحون) المراد بالنصح [illegible] على البر والعطف والمعنى وإنا لعاطفون عليه [illegible]
ويحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله [illegible]
[illegible] قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون (أرسله معنا غدا) يعني إلى الصحراء
(يرتع) الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله إذا أنفق في شهواته والأصل في الرتع أكل البهائم
في الخصب من الربيع [illegible] (ويلعب) [illegible]
[illegible] إذا كان [illegible] فاسدا [illegible]
[illegible] لم يكونوا [illegible] أن يكون [illegible]
[illegible] صلى الله [illegible] رضي الله عنه [illegible] والصحابة [illegible]
[illegible] المباح لمصلحة [illegible] على الأقدام [illegible]
لأنه في صورة اللعب [illegible] (وإنا له لحافظون) [illegible]
[illegible] (قال) أي قال لهم يعقوب [illegible] (إني ليحزنني
أن تذهبوا به) أي ذهابكم به [illegible]
[illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] يوسف عليه الصلاة والسلام [illegible]
[illegible] لأنه كان لا يقدر [illegible] (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه
غافلون) [illegible]
[illegible] يوسف عليه الصلاة والسلام وكان [illegible]
(قالوا) [illegible] (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) [illegible]
إنا إذا لخاسرون) [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب) [illegible]

بيانه مكروه (قال إني ليحزنني
أن تذهبوا به) أي ذهابكم
به [illegible] الإمام
الأسداء (وأخاف أن
يأكله الذئب وأنتم عنه
غافلون) [illegible]
[illegible] لأنه
كان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (قالوا لئن
أكله الذئب) اللام موطئة
للقسم [illegible]
[illegible]
والواو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الأدب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

﴿ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام﴾

قال وهب وغيره من أهل السير والأخبار إن إخوة يوسف قالوا له أما تشتاق أن تخرج معنا إلى مواشينا فنصيد
ونستبق قال بلى قالوا له أتسأل أباك أن يرسلك معنا قال يوسف أفعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا
يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبت إني أرى من
إخوتي اللين واللطف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وأرسله معهم
فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر إليهم فلما بعدوا عنه وصاروا إلى
الصحراء ألقوه على الأرض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل
كلما جاء إلى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا أبتاه يا يعقوب لو
رأيت يوسف وما نزل به من إخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك
وجعل يبكي بكاء شديداً فأخذه روبيل وجلد به الأرض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلاً يا أخي
لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الأحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف
بيهوذا وقال له اتق الله فيّ وحُل بيني وبين من يريد قتلي فأدركته رحمة الأخوة ورق له فقال يهوذا يا إخوتي
ما على هذا عاهدتموني ألا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب إما أن
يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به إلى بئر هناك على غير الطريق واسع الأسفل ضيق الرأس فجعلوا
يدلونه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أستتر به في الجب
فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال إني لم أر شيئاً فألقوه فيها ثم قال لهم يا إخوتاه
أتدعوني فيها فريداً وحيداً وقيل فدلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر
ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل إليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من
البئر فأجلسه عليها وقيل إنهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن
يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل إن يعقوب لما بعثه مع إخوته أخرج له قميص إبراهيم
الذي كساه الله إياه من الجنة حين ألقي في النار فجعله يعقوب في قصبة من فضة وجعلها في عنق يوسف فألبسه
الملك إياه حين ألقي في الجب فأضاء له الجب وقال الحسن لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن
الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له إنك إذا خرجت
استوحشت فقال له إذا رهبت شيئاً فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين
قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب
وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقي يوسف في الجب قال يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير
مغلوب اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقي في الجب فقال الضحاك ست
سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة وقيل مكث في
الجب ثلاثة أيام وكان إخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا إليه لتنبئنهم
بأمرهم هذا) يعني أوحينا إلى يوسف قال أكثر المفسرين إن الله أوحى إليه وبعث إليه جبريل يؤنسه ويبشره
بالخروج ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين
القائلين بهذا القول إنه كان بالغاً في ذلك الوقت أو كان صغيراً إلا أن الله تعالى أكمل عقله وجعله صالحاً
لقبول الوحي والنبوة كما في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فإن قلت كيف جعله نبياً في ذلك الوقت ولم يكن
أحد يبلغه الرسالة قلت لا يمتنع أن الله شرفه بالوحي
وكرمه بالنبوة في ذلك الوقت وفائدته أن يطمئن قلبه ويزول عنه الهم والحزن ثم بعد ذلك
أمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل إن المراد من قوله وأوحينا إليه وحي إلهام كما في قوله تعالى وأوحينا إلى

(وأوحينا إليه) قيل أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان إذ ذاك مدركاً (لتنبئنهم بأمرهم هذا) أي لتحدثن إخوتك بما فعلوا بك

الى الفصل واوحينا الى أمرهم والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني باعلامنا اياه بذلك
وانت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد
حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون
بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من
المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره ﴿ قوله تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يبكون) قال
المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة ليجترؤا على الاعتذار
بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم
فلما رآهم قال بالله سألتكم هل أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا
ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعني ننتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي وأصل السبق في الرمي
بالسهم وهو النضال [illegible] وكذا المراماة بذلك [illegible] أيهما أبعد سهما
وقال السدي يعني نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام [illegible] أيهم أسرع عدوا وأخف حركة وقال
مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعني عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعني
في حال اشتغالنا بالاستباق (وما أنت بمؤمن لنا) يعني وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعني في قولنا
والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدقنا لانك لا تتهمنا في يوسف لشدة محبتك له [illegible] وقيل معناه
انا وان كنا صادقين فانك لا تصدقنا لانه لم تظهر لك أمارة تدل على صدقنا (وجاؤا على قميصه) يعني قميص
يوسف (بدم كذب) أي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا
أباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه
فاتهمهم بذلك وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي
فأنطقه الله عز وجل فقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب
فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني وأتوا بي اليك فاطلقه يعقوب
ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل
سولت لكم أنفسكم أمرا) يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع
الطمع في اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم
أمرا عظيما ركبتموه من يوسف هونتموه في أعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد لقولهم فأكله
الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر
جميل) أي فشأني صبر جميل أو فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع ولا
من الصبر لانه لا يعرف الا بعد الشكوى والجزع (والله المستعان على ما تصفون) يعني من القول الكذب
وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون ﴿ قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون
سموا سيارة لمسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب

(وهم لا يشعرون) انه يوسف لعلو شأنه وكبرياء سلطانه وبعد حاله عن أوهامهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون فدعا بالصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وانكم ألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه أكله الذئب
وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك (وجاؤا أباهم عشاء)
للاستتار والتجسر على الاعتذار (يبكون) حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل
أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أي (٩) نتسابق في العدو أو في الرمي والافتعال
والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم [illegible] وألقاه على وجهه

(٣ — (خازن) — ثالث) [illegible] على الطريق كأنه [illegible]
جاؤا فوق قميصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت وسهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) خبر أو
مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو الذي لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أي أستعينه (على احتمال
ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر [illegible]
[illegible] وأخطؤا الطريق [illegible] الى الجب [illegible]

التي كان فيها يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحاً فلما ألقي يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر ودلوتها إذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبل وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بسنده متصل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطي يوسف شطر الحسن ويقال إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن إسحق ذهب يوسف وأمه بثلثي الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الأحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور من ضواحكه وإذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصوره قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كأحسن ما يكون من الغلمان (قال) يعني الوارد وهو مالك بن ذعر (يا بشراي) يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشرى بغير إضافة ومعناه أن الوارد نادى رجلاً من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال إن جدار البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء إلى مصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل إن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعني أنهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا أبق وصدقهم يوسف على ذلك لأنهم توعدوه بالقتل سراً من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الأول أصح لأن مالك بن ذعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه (والله عليم بما يعملون) يعني من إرادة إهلاك يوسف فجعل ذلك سبباً لنجاته وتمكينه في الأرض وأراد أن يصير ملك مصر بعد أن كان عبداً قال أصحاب الأخبار إن يهودا كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده في الجب فأخبر إخوته بذلك فطلبوه فإذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولاً قريباً من البئر فأتوهم فإذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد لنا أبق منا ويقال إنهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم إنهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أي باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع لأن الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع إلى شيء واحد وذلك أن إخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل إن الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بثمن بخس) قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بخس أي حرام لأن ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخساً لأنه مبخوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس أي زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه إذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس أي قليل وعلى الأقوال كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه إشارة إلى قلة تلك الدراهم لأنهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهماً إنما كانوا يأخذون ما دونها عدداً فإذا بلغت أربعين درهماً وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهماً فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئاً منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهماً فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لأنهم كانوا أحد عشر أخاً وقال عكرمة كانت أربعين درهماً (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا إذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين إن قلنا إنه يرجع إلى إخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه أنهم حسدوه وأرادوا إبعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن

يقول تعالى مهنئاً أو نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا أوانك [illegible] بشرهم بشراي على إضافتها إلى نفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافاً إلى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لإخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) حال أي أخفوه متاعاً للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع (والله عليم بما يعملون) بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً أو زيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عداً ولا توزن لأنهم كانوا يعدون ما دون الأوقية ويزنون الأوقية وهي الأربعون [illegible] وكانت عشرين درهماً (وكانوا فيه من الزاهدين) عن ابن عباس [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] وكانوا فيه من الزاهدين أي [illegible]

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في
حياته واشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن
ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (11) (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام
متعلقة بقال لا باشتراه (أكرمي مثواه) اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله إنه ربي أحسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطء فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) إشارة إلى ما تقدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف (مكنا) أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (في الأرض) أي أرض مصر [illegible] (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) [illegible] الأحاديث والأشياء (والله غالب على أمره) [illegible] (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [illegible]

وإن قلنا إن قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع إلى معنى واحد وهو أن الذين شروه كانوا فيه من
الزاهدين فكان سبب زهدهم فيه إظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال إن إخوته
لما قالوا إنه عبد لنا أبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الأخبار إن مالك بن دعر
وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به إلى مصر وتبعهم إخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به
حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على
خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن روان وكان من العماليق
وقيل إن هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن
عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن دعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين
وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه
حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل وكان عمر يوسف يومئذ ثلاث
عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني
قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمي مثواه) يعني أكرمي منزله ومقامه
عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أكرميه في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني إن أردنا بيعه
بعناه بربح أو يكفينا إذا بلغ أمورنا ومصالحنا إذا قوي وبلغ (أو نتخذه ولدا) يعني نتبناه وكان حصورا ليس
له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا
أو نتخذه ولدا وابنة شعيب حيث قالت لأبيها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين وأبو بكر
في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) يعني كما أنعمنا على يوسف بأن أنقذناه من القتل
وأخرجناه من الجب كذلك مكنا له في الأرض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل
الأحاديث) أي مكناه في الأرض لكي نعلمه من تأويل الأحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب
على أمره) قيل الكناية في أمره راجعة إلى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا دافع لأمره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة إلى يوسف ومعناه أن الله مستول على أمر يوسف
بالتدبير والإحاطة لا يكله إلى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني
ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثا وثلاثين
سنة وقال الضحاك عشرين سنة قال السدي ثلاثين سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى
ستين سنة وسئل مالك عن الأشد فقال هو الحلم (آتيناه حكما وعلما) يعني آتينا يوسف بعد بلوغه الأشد
النبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني إصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم أن
العالم هو الذي يعلم الأشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس
عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك
(نجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين
على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) يعني أن امرأة العزيز طلبت من يوسف
الفعل القبيح ودعته إلى نفسها ليواقعها (وغلقت الأبواب) أي أطبقتها وكانت سبعة [illegible] الفعل
للتكثير [illegible] (وقالت هيت لك) أي هلم وأقبل وقال أبو [illegible]

(ولما بلغ أشده) [illegible] (آتيناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل [illegible]
(وكذلك نجزي المحسنين) [illegible] (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) [illegible]
[illegible]

هو اسم [illegible] وهو مبني على الفتح [illegible] على السمع [illegible] والإثبات [illegible]

(قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (إنه) أي إن الشأن والحديث (ربي) سيدي ومالكي يريد قطفير (أحسن مثواي) حين قال لها أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخونه في أهله (إنه لا يفلح الظالمون) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله إنه ربي الله تعالى لأنه مسبب الأسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع (١٢) الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين [illegible] (لولا أن رأى برهان ربه) [illegible]

الكسائي يقول هي لغة لأهل حوران رفعت إلى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بحوران بمعنى هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث وإقبال على الشيء [illegible] هي بالعبرانية وأصلها هيتا لج أي تعال [illegible] أصحاب هذه اللغة [illegible] على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في التنور ولغة العرب الترك في الغساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فإن العرب إذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك (قال) يعني يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ إليه فيما دعوتني إليه (إنه ربي) يعني أن العزيز قطفير سيدي (أحسن مثواي) أي أكرم منزلي فلا أخونه وقيل إن الهاء في إنه ربي راجعة إلى الله تعالى والمعنى يقول إن الله ربي أحسن مثواي أي [illegible] آواني [illegible] (إنه لا يفلح الظالمون) يعني إن فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه إنه لا يسعد الزناة ۞ قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها [illegible] والكلام عليها في مقامين الأول في ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه [illegible] همهمت بالشيء إذا أردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به أي أرادته وقصدته وكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

وقوله [illegible] وهم بها [illegible] لولا أن رأى برهان ربه جوابها محذوف [illegible] قال البغوي [illegible] وقال مجاهد [illegible] وقال الضحاك [illegible]

[illegible]

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى إذا هم
عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له
حسنة فإن عملها فاكتبوها له عشرا لفظ مسلم والبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن
هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة
ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هو هم بها فعملها كتبها الله
له سيئة واحدة وزاد في رواية أو محاها ولا يهلك على الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء وعلى
مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليس بسيئة [illegible] ذكرناه من الحديث فلا معصية
في همه يوسف إذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس كان سيئة
وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع
والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه الصلاة
والسلام لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى
حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى
وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها
أي غمها امتناعه وقيل هم بها أي بنظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من
رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الإمام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا
مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الإمام فخر الدين الرازي إن يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا
من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فإن
الدلائل تدل على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأما ما ذهب إليه بعض المفسرين من الأئمة
المتقدمين فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها وأتبعوها بإظهار
الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال عن داود
عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيء من
ذلك في هذه الواقعة فلو صدرت منه لأتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى ذلك عنه في كتابه
كما حكى عن غيره من الأنبياء وحيث لم يحك عنه شيء من ذلك علمنا أنه لم يصدر عنه [illegible]
[illegible] ويدل على ذلك أن كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءته [illegible]
واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة [illegible] المرأة وزوجها والنسوة اللاتي [illegible]
الذي شهد على المرأة [illegible] والله تعالى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

جالس منها مجلس الخائن فهذا ابن عباس أن يقوله بل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام وأمثاله من بعض أصحاب القصص وأصحاب الأخبار وصحوه على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره أيضا فإنه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما نسبوه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فإن قلت فعلى هذا القول فلا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فائدة قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين أحدهما أنه تعالى أعلم يوسف أنه لو هم بدفعها لقتلته أو لكانت تأمره فأعلمه البرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثاني أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن وإذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فأعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فأثبت بذلك الشاهد حجته لا علمه وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين إن يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الأنبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتواقعها إنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه وإن مثلك إن واقعتها مثله إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك إن واقعتها مثله إذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل إنه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد لهمه فرأى عليه مكتوب ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدي يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الأنبياء وقيل إنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فرأى كتابا في حائط ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا وفي رواية عن ابن عباس أنه رأى مثل الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يراني على معصية فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فأنا أحق أن أستحيي من ربي فهو المراد بقوله لولا أن رأى برهان ربه وأما المحققون المفسرون فقد فسروا البرهان بوجوه الأول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي أودعها الله تعالى في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث أن الله عز وجل طهر نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأخلاق الذميمة والأفعال الرذيلة وجبلهم على الأخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الأخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله وقوله (كذلك) يعني كما أريناه البرهان كذلك (لنصرف عنه السوء والفحشاء) يعني الإثم (والفحشاء) يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح [illegible] (إنه) يعني يوسف (من عبادنا المخلصين) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ويدل على ذلك قوله تعالى (واستبقا الباب) [illegible] الصلاة والسلام [illegible] [illegible] [illegible]

(ولقد) [illegible] ذلك [illegible] أي الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (إنه من عبادنا المخلصين) في قراءة بفتح اللام أي المختارين وفي أخرى بكسرها أي الذين أخلصوا دينهم لله [illegible] (واستبقا الباب) بادرا إليه [illegible] [illegible] [illegible]

(قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا لأنها قصدت العموم أي كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها [illegible] (إن كان قميصه قد من قبل) [illegible] والتقدير وشهد شاهد [illegible]

يعني فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) يعني الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت (إلا أن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وإنما بدأت بذكر السجن دون العذاب لأن المحب لا يشتهي إيلام المحبوب وإنما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها أرادت أن تبرئ نفسها (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفحشاء فأبيت وفررت وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي (وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة [illegible] الشاهد فقال [illegible] والصفة التي كان [illegible] في المهد فأنطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة [illegible] في الصحيح وقيل كان هذا الصبي شاهدا [illegible] ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكن كان رجلا حكيما ذا رأي وقال السدي هو ابن عم المرأة فحكم فقال (إن كان قميصه قد من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) فإن قلت كان هذا الشاهد من أهل المرأة [illegible] والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدقه [illegible] والسلام [illegible] أنه كان في الظاهر [illegible] لا يستطيع [illegible] والطالب [illegible] مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه [illegible] أي [illegible] رأى قطفير زوج المرأة [illegible] يوسف عليه الصلاة والسلام [illegible] الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها (إنه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) [illegible] (إن كيدكن عظيم) فإن قلت [illegible] الإنسان [illegible] [illegible]

[illegible]

إنك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا وإنما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرأة العزيز) يريد قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي (عن نفسه) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تمييز أي قد شغفها حبه يعني خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (إنا لنراها في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت إليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت) وهيأت افتعلت من العتاد (لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها ... (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكانوا لا يأكلون في مجالسهم إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه ودهشن عند رؤية ذلك الجمال الرائع ... وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء ... [illegible]

الشاهد يقول للمرأة استغفري زوجك أي اطلبي منه أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (إنك كنت من الخاطئين) يعني من المذنبين حين شغفت يوسف وراودته ورميت يوسف بالتهمة وهو بريء وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل إنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره إنك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله عز وجل (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعني وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشراف مصر امرأة العزيز يعني زليخا تراود عبدها الكنعاني عن نفسه لأنها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعني قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى أن حبه قد دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل إن حبه قد أحاط بقلبها كإحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه (إنا لنراها في ضلال مبين) يعني في خطأ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعني فلما سمعت راعيل قولهن وما اغتبنها به وإنما سمي قولهن ذلك مكرا لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله فقصدن أن يرينه وقيل إن امرأة العزيز أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا (أرسلت إليهن) يعني أنها لما سمعت أنهن يلمنها على محبتها يوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مأدبة يعني ضيافة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عيرنها (وأعتدت لهن متكأ) يعني ووضعت لهن نمارق ووسائد يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعني طعاما وإنما سمي الطعام متكأ لأن كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة يجلس ويتكئ عليها فسمي الطعام متكأ على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده وقال ... المتكأ ... الطعام ... ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الأترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحز بها ... ألوان الفاكهة والأطعمة ووضعت ... النسوة اللاتي عيرنها بيوسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعني وأعطت كل واحدة من النسوة سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفاكهة بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت ليوسف اخرج على النسوة وكانت قد أجلسته في مكان آخر (فلما رأينه) يعني النسوة (أكبرنه) يعني أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله

... إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فلما رأينه) ... (أكبرنه) أعظمنه ودهشن عند رؤية ذلك الجمال الرائع ... وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء ... أكبرن ... إذا حاضت ... [illegible]

[illegible]

(وقطعن أيديهن) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد فهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبي عمرو حاشا لله كقولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الألف الأخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وإثباته الملكية وتسليم الحكم لما ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه لكن لم تصورنه بحق صورته [illegible] الا [illegible] (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) الاستعصام بناء المبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها [illegible] على أن يوسف عليه السلام [illegible] أراد [illegible] والبرهان [illegible] ولا [illegible] (ولئن لم يفعل ما آمره) الضمير راجع إلى الموصول [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] أي ولئن لم يفعل أمري [illegible]

صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال إسحق بن أبي فروة كان يوسف إذا سار في أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هالهن أمره وبهتن إليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبرنه تمنع من هذا لأنه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول قال الأزهري إن صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار إلى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فإن صحت الرواية عن ابن عباس سلمناها له وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية وقيل إن المرأة إذا خافت أو فزعت [illegible] وبعض [illegible] كان [illegible] ما كان من فزعهن وما هالهن من أمر يوسف حين رأينه قال الإمام فخر الدين الرازي وعندي أنه يحتمل وجها آخر وهو أنهن إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والإخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعني وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ولم يجدن الألم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما أحسسن إلا بالدم وقال قتادة أبن أيديهن حتى ألقينها والأصح أنه كان قطعا من غير إبانة وقال وهب ماتت جماعة منهن (وقلن) يعني النسوة (حاش لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا (إن هذا إلا ملك كريم) يعني على الله والمقصود من هذا إثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لأنه قد ركز في الطباع أن لا شيء أحسن من الملك [illegible] لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله تعالى (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) يعني قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي لمتنني فيه [illegible] عندهن [illegible] امرأة العزيز [illegible] الكنعاني [illegible] فالسبب [illegible] [illegible] [illegible] والمعنى [illegible] الذي صورتن في أنفسكن [illegible] امرأة العزيز [illegible] (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعني فامتنع [illegible] [illegible] [illegible] العزيز وقالت (ولئن لم يفعل ما آمره) يعني وإن لم يطاوعني فيما دعوته إليه (ليسجنن) [illegible] (وليكونا من الصاغرين) يعني من الأذلاء [illegible] [illegible] يوسف [illegible] (قال رب) أي يا رب (السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) [illegible] [illegible] [illegible]

(٣ - (حاشية) [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] (والكبر [illegible]
(من الصاغرين) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

وهو قال رب السجن أحب الي ... (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أمل إليهن ... (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون
والصبوة الميل إلى الهوى ... لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء فلما كان في قوله وإلا تصرف عني كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء

قال (فاستجاب له ربه) أي أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع) لدعوات الملتجئين إليه (العليم) بحاله وبحالهم (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجننه) لإبداء عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعا لها ... ولولا زمامه في يدها وقد طمعت أن يذلله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وطعنت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس والوجل من اليأس إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب ... (حتى حين) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن فتيان) ...

وقيل إنما ابتلي يوسف بالسجن لأنه دعا به على نفسه وقيل إنه لما قال ... ولأجل ذلك أصابه البلاء الذي ... أولا لأنه كان مضطرا فإن قال بعضهم لو لم يقل السجن أحب الي لم يبتل بالسجن والأولى بالعبد أن يسأل الله العافية (وإلا تصرف عني كيدهن) يعني ما أردنني به (أصب إليهن) أي أمل إليهن يقال صبا فلان إلى كذا إذا مال إليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا إنما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فأجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أطلعه الله على كيد النساء ومطالبتهن إياه بما لا يليق بحاله لجأ إلى الله وفزع إلى الدعاء رغبة إلى الله أن يكشف عنه ما نزل به من ذلك الأمر مع الاعتراف بأنه إن لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية إلا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل (ثم بدا لهم) يعني للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الإعراض وكتم الحال وذلك أن المرأة قالت لزوجها إن ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم بأني قد راودته عن نفسه فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إلى الناس وإما أن تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رأوا الآيات) يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) أي ليحبسن يوسف في السجن (حتى حين) يعني إلى مدة يرون فيها رأيهم وقال عطاء إلى أن ينقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين قال السدي فجعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن ريان العمليقي ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم إلى ذلك ثم إن الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر الملك بحبسهما فاتفق أنهما دخلا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول إني أعبر الأحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قاله ابن مسعود وقال ابن ... لما رأيا يوسف قالا والله لقد أحببناك ... وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا غمتهما فقال يوسف قصا علي ما رأيتما فقصا عليه فذلك قوله تعالى (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (إني أراني أعصر خمرا) يعني عنبا ... يقال بلغة عمان ... أي قطف العنب يسمى خمرا ... ودليله أنه قال إني أراني في بستان وإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وذلك أنه قال إني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير ينهشن منها (نبئنا بتأويله) أي أخبرنا بتفسيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا (إنا نراك من المحسنين)

... فقال ما رأيتما ... إخبار بتأويل يوسف لأن مع يدل على معنى الصحبة ...
... ... (قال أحدهما) أي شرابيه (إني أراني) أي في المنام وهي حكاية حال
... ... (وقال الآخر) أي خبازه (إني أراني أحمل فوق رأسي
... ... الرؤيا وهو ... ... أي

النفس قال أني رأيت كأني في بستان فإذا أنا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الخباز إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش منها

يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والإحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان إحسانه فقال كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه وإذا ضاق على أحد وسع عليه وإذا احتاج أحد جمع له شيئاً وكان مع هذا يجتهد في العبادة ويصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل إنه لما دخل السجن وجد فيه قوماً اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت خليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أي بيوت السجن شئت وقيل إن الفتيين لما رأيا يوسف قالا إنا قد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من ذلك بلاء وأحبني أبي فألقيت في الجب وأحبتني امرأة العزيز فسجنت فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لأحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من إظهار المعجزة والنبوة والدعاء إلى التوحيد وقيل إنه عليه السلام أراد أن يبين لهما أن درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقدا فيه وذلك أنهما طلبا منه علم التعبير ولا شك أن هذا العلم مبني على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الإخبار عن الغيب على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه وإذا قدر على الإخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الأولى وقيل إنما عدل عن تعبير رؤياهما إلى إظهار المعجزة لأنه علم أن أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الإسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) قيل أراده في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما إلا أخبرتكما به في اليقظة وقيل أراده في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بتأويله يعني أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل إليكما فيه (قبل أن يأتيكما) يعني قبل أن يصل إليكما وأي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وإنما ذلك إشارة إلى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به (ذلكما مما علمني ربي) يعني أن هذا الذي أخبرتكما به وحي من الله أوحاه إلي وعلم علمنيه (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فإن قلت ظاهر قوله إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان داخلاً في هذه الملة ثم تركها وليس الأمر كذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا إلى الوجود هم على التوحيد قلت الجواب عن هذا الإشكال في قوله تركت ملة من وجهين الوجه الأول أن الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات إليه بالكلية وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلاً فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الأقرب أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من هناك من العبيد كانوا يعبدون غير الله ترك يوسف ملة الوثنية والإيمان الصحيح فصح قوله إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) يعني لم يؤمنوا بها وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظ هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتأكيد لشدة إنكارهم المعاد وقوله (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهر أنه من أهل بيت النبوة وأن آباءه كلهم كانوا أنبياء وهو إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ... وإنما لزمه ... الإخبار بذلك حتى يعلم الرائيان ... ما لأنهم ... الأمر ... يوسف عليه الصلاة والسلام أنه من أولاده وأنه من أهل بيت النبوة أسمعوا قوله وأطاعوا

رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) أي بيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك وفي هذا دليل على أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذلكما) إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجيم (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ وأن يكون تعليلاً لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) ... وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة ... وتكرير هم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة ...

(ما كان لنا) ما صح لنا معشر الأنبياء (أن نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صنماً أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا يتنبهون (يا صاحبي السجن) يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق في العدد والتكاثر (خير أم الله الواحد القهار) أي أن تكونوا أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مسميات لها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) من حجة (إن الحكم) في أمر العبادة والدين (إلا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [illegible]

أمرهم ثم دعاهم إلى الإيمان والتوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) معناه أن الله سبحانه وتعالى لما اختارنا للنبوة واصطفانا بالرسالة وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله من شيء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الإشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية إليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني أن أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لأنهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما إلى الإسلام فقال (يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة لأن الليلة مسروق فيها غير مسروقة وهو كقوله يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباين في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعني أن هذه الأصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الإلهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة لأن ذلك قد يكثر بانضمام بعضها إلى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شيء من خلقه والقهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلله فاستسلم وانقاد وذل له ومعنى الآية أن هذه الأصنام التي تعبدونها أذلة مقهورة إذا أراد الإنسان كسرها وإهانتها قدر عليها والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الأصنام وأنها لا شيء البتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعني من دون الله وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للاثنين لأنه أراد جميع من في السجن من المشركين (إلا أسماء سميتموها) يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي جمادات خالية عن المعنى لا حقيقة لها (أنتم وآباؤكم) يعني من قبلكم سميتموها آلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني أن تسميتكم الأصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا أمر الله بها وذلك أنهم كانوا يقولون إن الأصنام آلهة وإن الله أمرنا بعبادتها فكذبهم الله بقوله ما أنزل الله بها من سلطان (إن الحكم إلا لله) يعني إن الحكم والقضاء والأمر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) لأنه هو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التي سميتموها آلهة (ذلك الدين القيم) يعني ذلك الذي أدعوكم إليه هو الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [illegible] (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا) [illegible]

[illegible]

(وقال للذي ظن أنه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام لأنه كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي [illegible]
أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) يعني عند الملك يعني وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة (فأنساه
الشيطان) فأنسى الشرابي (ذكر ربه) أن يذكره لربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين (42) وكل أمره إلى غيره [illegible]

الله عليكما الذي أمر بكتابه رأيتماه أم لم تريا (وقال) يعني يوسف (للذي ظن) يعني علم وتيقن فالظن بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعني ساقي الملك (اذكرني عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الأكبر وقل له إن في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) في هاء الكناية في فأنساه قولان أحدهما أنها ترجع إلى الساقي وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام وإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه قلت بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة فإنه قد صح في الحديث أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالة المعنى عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه [illegible] قوله تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) [illegible] ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع [illegible] سبع سنين وكان يوسف [illegible] في السجن [illegible]
[illegible]

رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا (فلبث في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث إلى التسع (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) [illegible]

[illegible]

[illegible] كانوا [illegible] من [illegible] لأن [illegible] على [illegible] [illegible]
[illegible] الرؤيا [illegible] تعبيرها [illegible] يكون [illegible] كان [illegible] لهذا الأمر اذا كان [illegible]
ومنه قفت عبرت الرؤيا اذا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت
مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والعبر (قالوا أضغاث
أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط
النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والاحلام جمع وهو حلم واحد تزايدا في
وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون (١٢) فنقص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام

يسمون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير يختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني أخلاط مشتبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في نومه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف استولى على القوي الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فأعمى الله قلوبهم جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا منهما) يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وادكر بعد أمة) يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك بعد أمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمي الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنبئكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا (فأرسلون) فيه اختصار تقديره فأرسلني أيها الملك اليه فأرسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن في المدينة (يوسف) أي يا يوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلي أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني تأويل هذه الرؤيا ولعلهم يعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فما حصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الطعام في سنبله لانه لا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة [illegible]

الباطل الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الاحلام بعارفين (وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من صاحبي السجن (وادكر) بالدال هو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت التاء دالا والذال دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين ومن الحسن واذكر وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (أنا أنبئكم بتأويله) أنا [illegible]

[illegible] (يوسف أيها الصديق) أيها [illegible]
[illegible] (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن [illegible]
[illegible] (لعلهم يعلمون) [illegible]
[illegible] (قال تزرعون سبع سنين) [illegible]
[illegible] (دأبا) [illegible]
[illegible] (الا قليلا مما تأكلون) [illegible]

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن) يعني السنين المجدبة (ما قدمتم لهن) أي يؤكل فيهن ما أعددتم لهن (إلا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبئون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي يغاثون مستغيثهم أو من الغيث أي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان يعصرون خمرة تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر سنين مخاصيب والعجاف واليابسات سنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول) ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) أي الملك (فاسأله ما بال النسوة) أي حال النسوة (٣٣) (اللاتي قطعن أيديهن) انما تثبت يوسف

المجدبة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس (يأكلن) يعني يفنين (ما قدمتم لهن) يعني يؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (الا قليلا مما تحصنون) يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو القاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب ۞ قوله عز وجل (وقال الملك ائتوني به) وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة فقال ائتوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وأرسل الى الملك في كشف أمره الذي حبس بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء ۞ وقوله (ان ربي بكيدهن عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و (قال) لهن (ما خطبكن) أي ما شأنكن وأمركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعني النسوة جميعا مجيبات للملك (حاش لله) يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانة في شيء من الأشياء (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز يقررنها فلما رأت ذلك أقرت على نفسها فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتني عن نفسي وانما قالت

وتأبى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمي به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لأمر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الاجابة وبادرت الباب ... العفو ان كان حليما ذا أناة ... [illegible]

من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن (ان ربي بكيدهن عليم) ... [illegible] ... فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات ايديهن وامرأة العزيز (قال) لهن (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي ... ولا تقدر على شهادة النسوة والبراءة ... فلم يكتمها ... [illegible]
[illegible]

في قوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما أنه من قول المرأة ووجه هذا القول أن هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وإن كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم إن المرأة تأكد هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني أني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم أني افتضحت لأن الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني أنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الأكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة عليه وعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه ليعلم يعني العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لأنه ذكر كلام إنسان ثم أتبعه بكلام إنسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم فهذا من قول الملأ فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله تعالى تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما رجع إليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس * قال [illegible] على هذا القول كيف خاطبهم بلفظ الغائب مع حضوره [illegible] قال ابن الأنباري قال الفراء [illegible] هذا الموضع أقرب [illegible] من أصحابه [illegible] كالشاهد الذي يشار إليه [illegible] فيقول [illegible] الذي فعلت من ردي الرسول ليعلم أني لم أخنه [illegible] أي لم أخن العزيز في [illegible] ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني [illegible] الخائنين [illegible] وأن الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين [illegible] قوله (وما أبرئ نفسي) من قولين على قولين أيضا أحدهما أنه من قول المرأة وهذا [illegible] على قول من قال إن قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب من قول المرأة وعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الأصح وعليه أكثر المفسرين أنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت [illegible] فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي [illegible] رواه [illegible] عن ابن عباس وهو قول الأكثرين وقال الحسن [illegible] يوسف لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب [illegible] أن يكون [illegible] فقال وما أبرئ نفسي لأن الله تعالى [illegible] وما أبرئ نفسي [illegible] في مقام [illegible] (إن النفس لأمارة بالسوء) [illegible]

[illegible]

وإن العبد من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ليعلم الملك أني لم أخن العزيز (وأن الله) أي وليعلم أن الله (لا يهدي كيد الخائنين) لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين أن ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها في عموم الأحوال أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم (إن النفس لأمارة بالسوء) أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات (إلا ما رحم ربي) إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز أن يكون ما رحم في معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت العصمة [illegible] [illegible]

وأودعته السجن [illegible] الاعتذار [illegible] الا [illegible] الا بعصمة الله [illegible] (ان ربي
غفور رحيم) استغفر [illegible] (٢٥) علته ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا

من تقديم القرآن وتأخيره
أي قوله ذلك ليعلم متصل
بقوله فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن أيديهن (وقال
الملك ائتوني به أستخلصه
لنفسي) أجعله خالصا
لنفسي (فلما كلمه) وشاهد
منه ما لم يحتسب (قال) الملك
ليوسف (انك اليوم لدينا
مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة
أمين مؤتمن على كل شيء
روي أن الرسول جاءه فقال
[illegible] او [illegible]
[illegible] الملوك فقال أجب الملك
فخرج من السجن ودعا
لاهله اللهم عطف عليهم
قلوب الاخيار ولا تعم عليهم
الاخبار فهم أعلم الناس
بالاخبار في الواقعات وكتب
على باب السجن هذه اول
[illegible] وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس
[illegible] فلما دخل على
الملك قال اللهم اني أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ
[illegible] وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال
لسان [illegible] وكان الملك
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ان ربي فيكون ما أعني من نفسي [illegible] ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه
لكن من رحم ربي فعصمه من مطاوعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده
(رحيم) بهم قوله تعالى (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف
وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف أستخلصه لنفسي أي أجعله خالصا لنفسي
والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه
لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك
لما علم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه
وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيأ أسبابه فالهم الملك ذلك فقال
ائتوني به أستخلصه لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك
الآن بلا معاودة فاجابه روي أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب
الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا
بيت البلوى وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل [illegible] من درن السجن ولبس ثيابا
[illegible] ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره
وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر الى الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان
قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان قال يوسف هذا لسان آبائي قال وهب
وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف
وزاد عليه العربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك اعجبه ما رأى مع حداثة سن يوسف عليه السلام
وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف
لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما
كلم يوسف الملك قال الساقي أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه
الملك و(قال انك اليوم لدينا مكين أمين) قال ابن عباس ولان [illegible] فلان بمكانة أي منزلة وهي الحالة التي
يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفنا أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك
مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في امر الدين والدنيا
روي أن الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها
الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه
[illegible] ثم نظرت اليهن وتعجبت من حسنهن اذ نضب النيل [illegible] فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر [illegible] البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف لهن أنياب
واضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان
كافتراس السبع [illegible] واكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن [illegible]
[illegible] ولا زاد سمنهن [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا يعقد سنبلات خضر [illegible]
والماء [illegible] السنابل السود على الخضر [illegible]

(٤ – (خازن) – ثالث) [illegible]
[illegible]
[illegible]

فقال له الملك أيها الصديق ... فما شأن هذه الرؤيا ... قال يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فإنه أبقى له ويكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعوا الخمس من زروعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والأموال ما لا يجتمع لأحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني العمل فيه فعند ذلك (قال) يعني يوسف (اجعلني على خزائن الأرض) يعني على خزائن الطعام والأموال وأراد بالأرض أرض مصر أي اجعلني على خزائن أرض مصر التي تحت يدك وقال الربيع بن أنس اجعلني على خراج مصر ودخلها (إني حفيظ عليم) أي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه إني حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم بالألسن أعلم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك ومن أحق بذلك منك فولاه ذلك ... وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكن أخر ذلك سنة فإن قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الإمارة والولاية مع ما ورد من النهي عنها وكراهة طلبها من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها أخرجاه في الصحيحين قلت إنما يكره طلب الإمارة إذا لم يتعين على الطالب فإذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه فأما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الإمارة لأنه مرسل من الله تعالى والرسول أعلم بمصالح الأمة من غيره فإذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك إلا بطلب الإمارة وجب عليه طلبها وقيل إنه لما علم أنه سيحصل قحط وشدة ... إلى الخلق وكان في طلب الإمارة إيصال الخير والراحة إلى المستحقين وجب عليه طلب الإمارة لهذا السبب فإن قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله إني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم قلت إنما يكره تزكية النفس إذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به إلى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس أما إذا قصد به إيصال الخير والنفع إلى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك ... [illegible] ... (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) ... [illegible]

(قال) يوسف (اجعلني على خزائن الأرض) ولني على خزائن أرضك يعني مصر (إني حفيظ) أمين أحفظ ما تستحفظه (عليم) عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفي الحديث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به ... [illegible]

(نصيب برحمتنا من نشاء) أعطاه ما أعطى الله تعالى من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان ابن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية وروي أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال (٢٧) أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج [illegible]

أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت له أيها الصديق لا تلمني فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فأصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم ومنشا وهما ابنا يوسف بها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيهم العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل إنه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط فهلك في السنة الاولى من أول سني القحط كل ما أعدوه في السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد إلا صار عبدا له [illegible] الصلاة والسلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف لملك مصر كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء فقال الملك الرأي رأيك [illegible] فإني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم [illegible] إن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع وأمر يوسف طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع [illegible] ثم نصف النهار [illegible] لم يزل يوسف [illegible] الملك وكان [illegible] وكذلك مكنا ليوسف في الارض [illegible]

[illegible] (نصيب برحمتنا من نشاء) [illegible] (ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس يعني الصابرين (ولأجر الآخرة خير) [illegible] (للذين آمنوا وكانوا يتقون) [illegible]

[illegible]

فأدبر به أمرك وأما التاج فلبس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره [illegible]

[illegible]

والسلام وقال بلغني أن عزيز مصر يبيع الطعام فتجهزوا واذهبوا إليه واشتروا منه ما تحتاجون إليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد بأول نظرة نظر إليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه (وهم له منكرون) يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين أن قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لأنه كان بزي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الأسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت وقيل إن العرفان إنما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقاً لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فإني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة وقد أصابنا الجهد ما أصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله قال وكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عند أبينا لأنه أخو الذي هلك لأمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق قالوا أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا بها أحد قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فأنا أرضى بذلك منكم قالوا إن أبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزاً إذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون إليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الأكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعيراً من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين (ألا ترون أني أوفي الكيل) يعني أتمه ولا أبخسه وأزيدكم حمل بعير آخر لأجل أخيكم أكرمكم بذلك (وأنا خير المنزلين) يعني خير المضيفين لأنه كان قد أحسن إليهم في ضيافتهم قال الإمام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين إنه اتهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام لا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين وأيضاً يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بالصديق (فإن لم تأتوني به) يعني بأخيكم (فلا كيل لكم عندي) يعني فليس لكم عندي طعام (ولا تقربون) يعني ولا ترجعوا إلي ولا تقربوا بلادي وهذا نهاية التخويف [illegible] لأنهم كانوا محتاجين إلى الطعام ولا يمكنهم [illegible] إلا من عنده [illegible] (قالوا) يعني إخوة يوسف (سنراود عنه أباه) يعني سنطلبه [illegible] (وإنا لفاعلون) يعني ما أمرتنا به [illegible] (وقال لفتيانه) [illegible] (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) [illegible] من الطعام [illegible] (لعلهم يعرفونها) [illegible] (إذا انقلبوا إلى أهلهم) [illegible] (لعلهم يرجعون) [illegible]

[illegible]

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذاً (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل) أتمه (وأنا خير المنزلين) كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم وحثهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا أبيعكم طعاماً (ولا تقربون) أي فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهي (قالوا سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده (وإنا لفاعلون) ذلك لا نفرط فيه ولا نتوانى [illegible] (وقال لفتيانه) [illegible] [illegible] (اجعلوا بضاعتهم) [illegible] (في رحالهم) [illegible] (لعلهم يعرفونها) [illegible] (إذا انقلبوا إلى أهلهم) [illegible]

من أبيه أخبروه بذلك (فلما رجعوا إلى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا أبانا منع منا الكيل) أي يمنع يوسف فإنه قال فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه يكتل حمزة وعلي أي يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا (وإنا له لحافظون) من أن يناله (٢٩) مكروه (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعني أنكم قلتم في يوسف أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يأمنني من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظاً) [illegible] فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وهو حال أو تمييز ومن قرأ حفظاً فهو تمييز لا غير (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن يرحم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظاً قال الله تعالى وعزتي لأردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) ما للنفي أي ما نبغي في القول ولا نتجاوز الحق أو ما نبغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان [illegible] البضاعة أخرى أو للاستفهام أي أي شيء نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت إلينا) [illegible] [illegible] [illegible] (ونمير أهلنا) [illegible] طعام نحمل [illegible] (ونحفظ أخانا) فيما نخاف (ونزداد كيل بعير) [illegible] (ذلك كيل يسير) [illegible] (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكي (موثقاً) عهداً (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما أتوثق به [illegible] [illegible] [illegible]

وقيل إنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل إنه رأى أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤماً لشدة حاجتهم إليه وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم كرمه وإحسانه إليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى العود إليه وقيل إنما فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها في رحالهم لأنهم أنبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد برد البضاعة إليهم أن يكون ذلك عوناً لأبيه ولإخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا) إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلاً من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا رجعتم إلى ملك مصر فاقرؤوا عليه مني السلام وقولوا له إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبانا (منع منا الكيل) وفيه قولان أحدهما أنهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لأبيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل إشارة إليه وأراد بالكيل الطعام لأنه يكال والقول الثاني أنه منع منا الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن منع منا الكيل إن لم تحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى إخباراً عنهم (فأرسل معنا أخانا) يعني بنيامين (نكتل) قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعاً وإياه معنا (وإنا له لحافظون) يعني نرده إليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعني كما أمنتكم على ولدي يوسف من قبل وقد فعلتم به ما فعلتم وإنكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه فلم تحفظوه وإنا له لحافظون فما حفظتم وإنما لم يحصل الأمان والحفظ [illegible] [illegible] ثم قال (فالله خير حافظاً) يعني أن حفظ الله خير من حفظكم له فيه تفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على أنه أرسله معهم وإنما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لأنه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف وأن يعقوب شاهد فيهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم وأن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه إلى ذلك

قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي حملوه من مصر ويحتمل أن يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) يعني أنهم وجدوا في أوعية الطعام ثمن الطعام الذي كانوا أعطوه ليوسف وقد رد عليهم ودس في أمتعتهم (قالوا يا أبانا ما نبغي) يعني ماذا نبغي وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم وحثوا يعقوب على إرسال بنيامين معهم فلما فتحوا أمتعتهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الإحسان والإكرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا) يقال مار أهله يمير ميراً إذا حمل إليهم الطعام وجلبه من بلد آخر إليهم والمعنى إذا رجعنا إلى الملك اشترينا لهم الطعام وحملناه إليهم (ونحفظ أخانا) يعني بنيامين مما تخاف عليه (ونزداد كيل بعير) يعني ونزداد لأجل أخينا حمل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني أن ذلك الحمل الذي نزداده من الطعام هين على الملك لأنه قد أحسن إلينا وأكرمنا بأكثر من ذلك وقيل معناه أن الذي جئنا به كيل يسير لا يكفينا وأهلنا (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله) يعني لن أرسل أخاكم بنيامين معكم حتى تؤتون عهداً من الله وهو الحلف بالله والعهد المؤكد باليمين وقيل هو أن يحلفوا بالله [illegible] (لتأتنني به)

(ونحفظ أخانا) فيما نخاف عليه (ونزداد كيل بعير) [illegible] (ذلك كيل يسير) [illegible]
[illegible] (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكي (موثقاً) عهداً (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما أتوثق به
من عند الله أراد أن تحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود

دخلت اللام هنا لأجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتنني به (إلا أن يحاط بكم) قال مجاهد إلا أن تهلكوا جميعاً فيكون عذراً لكم عندي لأن العرب تقول أحيط بفلان إذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة إلا أن تغلبوا جميعاً فلا تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعني فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما نقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لأن الشاهد وكيل بمعنى أنه موكول إليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الأحبار لما قال يعقوب فالله خير حافظاً قال الله تعالى وعزتي وجلالي لأردن عليك ابنيك كليهما بعدما توكلت علي وفوضت أمرك إلي وذلك أنه لما اشتد بهم الأمر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بداً من إرسال بنيامين معهم فأرسله معهم متوكلاً على الله ومفوضاً أمره إليه ﴿ قوله عز وجل إخباراً عن يعقوب (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك أنهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الأبواب يعني من طرق متفرقة وإنما أمرهم بذلك لأنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا قد أعطوا جمالاً وقوة وامتداد قامة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فإن العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين أخرجه أبو داود قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى قال المازري أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم أن كل معنى ليس مخالفاً في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل فإنه من مجوزات العقول وإذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وإنكاره وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين أن العائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الأفعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وإن كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري وهذا غير مسلم لأنا بينا في كتب علم الكلام أنه لا فاعل إلا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا أن المحدث لا يفعل في غيره شيئاً وإذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين إما جوهر وإما عرض فباطل أن يكون عرضاً لأنه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهراً لأن الجواهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون مفسداً لبعضها بأولى من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقة قالها من ينتحل الإسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من العائن فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورة بل [illegible] الفعل إليها قال ومذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر وهل ثم جواهر أم لا فهذا أمر من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الأمرين وإنما يقطع بنفي الفعل عنها وإضافته إلى الله تعالى فمن قطع من أطباء الإسلام بانبعاث الجواهر فقد أخطأ في قطعه وإنما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الأصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فإن الشرع ورد بالوضوء لهذا الأمر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله فرواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن [illegible] ... [illegible] والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة [illegible] ... [illegible] مصر [illegible] يوسف عليه السلام [illegible]

[illegible] حتى تحلفوا [illegible] لتأتنني به (إلا أن يحاط بكم) إلا أن تغلبوا [illegible]
الإتيان به وهو قوله لتأتنني به
في تأويل النفي أي لا تمتنعوا
من الإتيان به إلا للإحاطة
بكم يعني لا تمتنعوا منه لعلة
من العلل إلا لعلة واحدة
وهي أن يحاط بكم فهو استثناء
من أعم العام في المفعول له
والاستثناء من أعم العام
لا يكون إلا في النفي فلا بد
من تأويله بالنفي (فلما
آتوه موثقهم) قد حلفوا
بالله رب محمد عليه السلام
(قال) بعضهم سكت
حتى يقال الله ثم قال يعقوب
(الله على ما نقول) من
طلب الموثق وإعطائه
(وكيل) رقيب مطلع عن
ابن السكيت فصل بين القول
والمقول [illegible] والأولى
أن يفرق بينهما بالسكوت
ويفصل بقوله الله ثم
يبتدئ (وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا
من أبواب متفرقة) الجمهور
على أنه خاف عليهم العين
لجمالهم وجلالة أمرهم ولم
يأمرهم بالتفرق في الكرة
الأولى لأنهم كانوا مجهولين
في الكرة الأولى [illegible]
[illegible]

(وما أغني عنكم من الله من شيء) أي إن كان الله أراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي (٢١) شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (إلا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) [illegible] عليهم (وإنه لذو علم) يعني قوله وما أغني عنكم [illegible] وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) [illegible] (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) ضم إليه [illegible] وروي أنهم قالوا [illegible] هذا أخونا قد جئناك به [illegible] فأجلس كل اثنين على مائدة [illegible] على مائدة [illegible] يوسف [illegible] وحد [illegible] (قال إني أنا أخوك فلا تبتئس) [illegible]

الله تعالى لم يأذن له في إظهاره فلما بعث أبناءه إليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه أن يصل بنيامين إلى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل إخوته والقول الأول أصح أنه خاف عليهم من العين ثم رجع إلى علمه وفوض أمره إلى الله تعالى بقوله (وما أغني عنكم من الله من شيء) يعني إن كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فإن المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (إن الحكم إلا لله) يعني وما الحكم إلا لله وحده لا شريك له فهو هذا تفويض من يعقوب في أموره كلها إلى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من الأبواب المتفرقة وكان لمدينة مصر [illegible] أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغني عنكم من الله من شيء (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الأول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم إشفاق الآباء على الأبناء وذلك أنه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فقضى من هذا كله أو بعضه (وإنه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعليمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وإنه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى إنا لما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وإنه لذو حفظ لما علمناه وقيل إنه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل إنه لذو عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما علم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لأنهم لم يسلكوا طريق إصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه

قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) قال المفسرون لما دخل إخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم إنه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحيدا قالوا كان له أخ فهلك قال لهم فأنا أجلسه معي فأخذه فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه [illegible] حتى أصبح فلما أصبح قال لهم إني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فسأضمه إلي فيكون معي في منزلي ثم أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام قال [illegible] فلما رأى [illegible] قوله آوى إليه أخاه [illegible] فلما خلا به قال [illegible] ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن الثكل وذلك أنه لما ولد هلكت أمه قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لأمك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عند ذلك وقام إليه فعانقه (قال) له (إني أنا أخوك) يعني يوسف (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن [illegible] وهو الحزن [illegible] (بما كانوا يعملون) يعني [illegible] من [illegible] فإن الله قد أحسن إلينا [illegible]

[illegible] (بما كانوا يعملون) [illegible] فإن الله قد أحسن [illegible] ولا تعلمهم بما أعلمتك [illegible]

[illegible]

[illegible]

أكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف إني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي علي فإذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فإني لا أفارقك قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن إسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب منها والسقاية والصواع اسم لإناء واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين إلى بلادهم وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعني نادى مناد وأعلم معلم والأذان في اللغة الإعلام (أيتها العير) وهي القافلة التي فيها الأحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهي عير وقول من قال إنها الإبل خاصة باطل وقيل العير الإبل التي تحمل عليها الأحمال سميت بذلك لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد أصحاب العير (إنكم لسارقون) فقفوا وانسبوا السرقة أحدهم الرسول له أشد في حقه فإن قيل هل كان هذا النداء بأمر يوسف أم لا فإن كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشرف رتبته من النبوة والرسالة أن يتهم أقواما وينسبهم إلى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وإن كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة الباطلة وقد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها أن يوسف لما أظهر لأخيه أنه أخوه قال لا أفارقك قال لا سبيل إلى ذلك إلا بعد تشهيرك أنسبك إلى ما لا يليق فقال رضيت بذلك فعلى هذا القول لم يتألم قلبه بسماع هذا الكلام بل قد رضي به ولا يكون ذلك إلا أن يكون المعنى إنكم لسارقون ليوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادي ربما قال ذلك القول على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الأقرب إلى ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الأخبار لما وصل الرسول إليهم قال لهم ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوف لكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أي عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أي ما الذي تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعني المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الإناء الذي يكال به وجمعه صوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعني بالصواع (حمل بعير) يعني من الطعام (وأنا به زعيم) أي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في قوله الزعيم غارم [illegible] الكفالة [illegible] في هذه الكفالة [illegible] السارق لا [illegible] فلما لم يكونوا [illegible] يحمل ذلك على رد الصاع [illegible] الجعالة [illegible] جائز [illegible] (قالوا) يعني إخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل إلا على اسم الله في اليمين خاصة تعظيما لله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) قال المفسرين إن إخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما أنهم ما جاءوا لأجل الفساد في الأرض والثاني أنهم ما جاءوا سارقين وإنما قالوا هذه المقالة لأنه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الطاعة والعبادة حتى قيل إنهم [illegible] لا يؤذون زرع أحد من الناس [illegible]

[illegible] (أكنا ذلك) [illegible]

(فلما جهزهم بجهازهم) حملنا أبعرتهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) السقاية هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد آذنه أي أعلمه وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أيتها العير) هي الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب العير (إنكم لسارقون) كناية عن سرقتهم إياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب [illegible] (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) [illegible] شهدوا لهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أهل [illegible]

صفته الفساد في الأرض وأما الثاني فهو قولهم وما كنا سارقين فلأنهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها فمن كانت هذه صفته فليس بسارق فلأجل ذلك قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين فلما ثبتت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعني أصحاب يوسف وهو المنادي وأصحابه (فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) يعني فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين (قالوا) يعني إخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم إليهم والمعنى أن جزاء السارق أن يسترق [illegible] جزاءه على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) يعني مثل هذا الجزاء وهو أن يسترق السارق نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام إخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف يعني هذا أن إخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسترق [illegible] قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين ﴿ قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير إن إخوة يوسف لما أقروا أن جزاء السارق أن يسترق [illegible] قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم إلى يوسف فأمر [illegible] فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه [illegible] أوعيتهم واحدا واحدا [illegible] لأنه كان لا يتهمهم [illegible] إلا فتش [illegible] لم يبق في الرحل شيء [illegible] فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقال إخوته والله لا نبرح حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا [illegible] وجدوا الصواع فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) [illegible] أنث الكناية [illegible] إلى السقاية [illegible] الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل [illegible] نكس إخوة يوسف رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على [illegible] يلومونه ويقولون له [illegible] وجوهنا [illegible] لا [illegible] كم [illegible] الصواع فقال بنيامين [illegible] في [illegible] لكم لا [illegible] فأهلكه [illegible] الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع [illegible] رحالكم فلما [illegible] أن المنادي وأصحابه هم الذين تولوا [illegible] رحالهم [illegible] استخرجوا الصواع من رحل [illegible] فأخذوه [illegible] وردوه إلى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني [illegible] ذلك الكيد كدنا ليوسف [illegible] إلى الحكم [illegible] إخوة يوسف [illegible] السارق [illegible] ذلك الحكم الذي ذكره إخوة يوسف حكم [illegible] وقد [illegible] ولأجل [illegible] وقد قال [illegible] الله [illegible] عز وجل [illegible] قول [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] يعني كاد لإخوة يوسف في [illegible] الخلق [illegible] ومن [illegible] والمعنى [illegible] إخوة يوسف أن يحكموا أن جزاء السارق أن يسترق كذلك [illegible] الصواع في رحل أخيه [illegible] على ما حكم به إخوته وقال ابن الأعرابي الكيد [illegible] وقال ابن [illegible] كذلك [illegible] يوسف [illegible] وقال ابن [illegible] كدنا [illegible] الله [illegible] على [illegible] أوصاف المخلوقين [illegible] إذا أخبر به عن مخلوق [illegible] الله [illegible] [illegible] المذموم [illegible] [illegible] الله [illegible] الذي يكون [illegible] المخلوق [illegible] من الكيد فهو من الله تعالى [illegible] الله [illegible] يوسف [illegible] [illegible] الأمر [illegible] [illegible] وكل ذلك [illegible] هذا [illegible] [illegible] الله عز وجل [illegible] يوسف [illegible] [illegible] على [illegible]

(قالوا فما جزاؤه) أي السارق للصواع أي فما جزاء سرقته (إن كنتم كاذبين) في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة [illegible] ثم أكد بقوله (فهو جزاؤه) [illegible] أي فأخذ السارق [illegible] جزاؤه لا غير [illegible] (كذلك نجزي الظالمين) أي السارقين بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) [illegible] أوعيتهم قبل وعاء أخيه [illegible] وعاءه وقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله [illegible] (ثم استخرجها) أي الصواع (من وعاء أخيه) [illegible] الصواع [illegible] إلى السقاية [illegible] الصواع [illegible] (كذلك) [illegible] أي [illegible] (كدنا ليوسف) [illegible]

(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لأن الحكم في دين الملك أي في سيرته أن السارق يغرم مثلي ما أخذ لا أن يستعبد (إلا أن يشاء الله) أي ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه (نرفع درجات) بالتنوين كوفي (من نشاء) أي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وفوق كل ذي علم عليم) فوقه أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت منطقة لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت [illegible]

إخوته من غير أن يشعروا بذلك ﴿ وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لأنه كان في حكم الملك أن السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وسياسته فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك (إلا أن يشاء الله) يعني أن ذلك الأمر كان بمشيئة الله وتدبيره لأن ذلك كله كان إلهاما من الله ليوسف وإخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته وفي هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على إخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الأمور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لأنه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على أن إخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال العلماء والذي يجب أن يتهم العالم نفسه ويستعمل التواضع لما أنعم به تعالى ولا يطمع نفسه في العلم لأنه لا يخلو عالم من عالم فوقه ﴿ قوله تعالى (قالوا) يعني إخوة يوسف (إن يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي أن إخوة يوسف قالوا للملك إن هذا الأمر ليس بغريب منه فإن أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام أنا لسنا على طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السرقة لأنهما من أم أخرى غيرنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذه يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد إن يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناوله وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبئ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن إسحق أن يوسف كان عند عمته ابنة إسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها فقال يا أختاه سلمي إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال إنا والله ما أنا بتاركه فقالت دعه عندي أياما أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت إلى منطقة لإسحق كانوا يتوارثونها بالكبر وكانت عند أكبر أولاده حتى كانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقتي فتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت إنه لسلم لي [illegible] يوسف فقال يعقوب إن كان فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت [illegible] إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل [illegible] في هذه السرقة قال ابن الأنباري وليس في هذه الأقوال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) في هاء الكناية [illegible] أحدها أن الضمير يرجع إلى الكلمة التي ذكرها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم شر مكانا) [illegible] والمعنى عن ابن عباس [illegible] الثاني أن الضمير يرجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل [illegible] السؤال [illegible] يوسف [illegible] الكلمة التي قالوها في حقه [illegible] الضمير يرجع إلى [illegible] يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة [illegible] قال لهم [illegible] (الله أعلم بما تصفون) يعني بما تقولون ﴿ قوله عز وجل (قالوا) يعني إخوة يوسف (يا أيها العزيز) [illegible] (إن له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الأخبار [illegible] يوسف

[illegible] الصواع في رحل الذي [illegible] (أنتم شر مكانا) [illegible] (قالوا) [illegible]

(فخذ أحدنا مكانه) بدله [illegible] (إنا نراك من المحسنين) [illegible]
أو من عادتك الإحسان [illegible] (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا [illegible] متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذا من

عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه إلى أذنه ثم قال إن صواعي
هذا يخبرني أنكم اثنا عشر رجلا لأب واحد وأنكم انطلقتم بأخ لكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أيها
الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال إن صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن
صاحبي وقد رأيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان
روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان إذا صاح ألقت كل حامل حملها إذا سمعت صوته وكان مع هذا إذا
مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه وكان أقوى الإخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن
يعقوب وقيل إنه قال لإخوته كم عدد الأسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الأسواق وأنا أكفيكم
الملك أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا
أخانا أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى
خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم إلى جنب هذا فمسه [illegible]
[illegible]

[illegible]

أي نأخذ فأضيف المصدر
إلى المفعول به وحذف من
(إنا إذا لظالمون) إن أخذنا
[illegible]

[illegible]

حتى يأذن لي أبي (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل والإنصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء إلى
الله تعالى في إقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا إلى أبيكم) يعني يقول الأخ الكبير
الذي عزم على الإقامة بمصر لإخوته الباقين ارجعوا إلى أبيكم يعقوب (فقولوا) له (يا أبانا إن ابنك سرق) إنما
قالوا هذه المقالة ونسبوه إلى السرقة لأنهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه
سرق فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم
(وما شهدنا إلا بما علمنا) يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا إخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه
ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق
بزعمهم ويكون المعنى إن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأنا ما شهدنا عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك
سُرِّق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أي نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تأويل
مع أن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن هذه القراءة ليست بمشهورة ولا يقوم بها حجة والقراءة الصحيحة
المشهورة هي الأولى وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني وما أخبرنا إلا بما علمنا لأنا رأينا إخراج الصواع من
متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا وليست هذه شهادة وإنما هو خبر عن صنيع
ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب أنه سرق فما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم
قالوا ما شهدنا عنده أن السارق يسترق إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الأنبياء قبل يعقوب
[illegible] وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب أن ينكر هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب بأنه
يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصاً بما إذا كان المسروق منه مسلماً فلهذا أنكر عليهم إعلام الملك هذا
الحكم لعلمه بأنه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ويصير أمرنا
إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا
لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه [illegible] فلعل
الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني واسأل أهل القرية إلا أنه حذف
المضاف للاختصار ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي
قرية من قرى مصر كان فيها [illegible] (والعير التي أقبلنا فيها) يعني واسأل القافلة
التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وإنا لصادقون) يعني فيما أخبرناك فرجعوا إلى أبيهم
أخوهم الذي أقام بمصر [illegible] لأنهم كانوا متهمين عنده
بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما
جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت
يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم إلى ما آل
[illegible] أنفسكم أنه سرق وما سرق (فصبر جميل) قد تقدم تفسيره في أول السورة ۞ وقوله (عسى
الله أن يأتيني بهم جميعا) يعني يوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر إنما قال يعقوب هذه المقالة
لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً عن قريب فقال ذلك على حسن
الظن بالله عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج [illegible]
[illegible] (إنه هو العليم) يعني بحزني ووجدي عليهم (الحكيم) [illegible]
[illegible] (وتولى عنهم) أي وأعرض يعقوب عن بنيه [illegible]
[illegible] (وقال يا أسفى على يوسف) الأسف
[illegible]

(وما شهدنا) عليه بالسرقة (إلا بما علمنا) من تيقننا وتيقنا أن الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (والعير التي أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وإنا لصادقون) في قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (إنه هو العليم) بحالي في الحزن والأسف (الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به (وقال يا أسفى على يوسف) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين الأسف ويوسف [illegible]

أو تشيع القلب وأعظم الهموم أن الحزن الأول [illegible] حزنه على أخيه مالك

يقول أتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى * فدعني فهذا كله قبر مالك

فالمعنى أن الحزن الجديد يجدد الحزن القديم وقيل إن يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه وجدد حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بمثله وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله لا منه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يا رب ارحم أسفي على يوسف وقد ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال نداء يعقوب بالأسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا إلهي ارحم أسفي أو أنت راء أسفي أو هذا أسفي فنادى الأسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لأنه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى إلى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل إن يعقوب لما عظمت مصيبته [illegible] قال يا أسفا على يوسف أي أشكو إلى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشكه إلى أحد من الخلق بدليل قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله (وابيضت عيناه من الحزن) أي عمي من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين وقيل إنه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك أن الدمع يكثر عند البكاء فيصير العين كأنها ابيضت من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أي مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقائه ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البناني [illegible] والسدي أن جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال أنا رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر الأرض بطهر النبيين وأن الأرض التي تدخلونها هي أطهر الأرضين وأن الله قد طهر بك الأرض والسجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال إنه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال يوسف هل لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم وهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الأجر قال أجر مائة شهيد قال أفتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالي بما لقيت إن رأيته قوله عز وجل (قالوا) يعني إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لأبيهم (تالله تفتأ تذكر يوسف) يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر عن حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أي ما زال [illegible] في جواب القسم لأن موضعه [illegible] ومنه قول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح قاعدا قوله (حتى تكون حرضا) [illegible] يعني قريبا من الموت [illegible] والحرض الذي [illegible] أصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن والهم [illegible] (أو تكون من الهالكين) يعني من الأموات فإن قلت كيف حلفوا على شيء لم يعلموا حقيقته [illegible] الأمر على الظاهر أي [illegible] (قال) يعني يعقوب [illegible] (إنما أشكو)

(وابيضت عيناه) إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا (من الحزن) لأن الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب [illegible] (فهو كظيم) [illegible] (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) [illegible]

(وحزني إلى الله) أصل البث إثارة الشيء وتفريقه فبث النفس ما انطوت عليه من الغم والسر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه كان همّا فإذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى إنما أشكو حزني العظيم وحزني القليل إلى الله لا إليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكوني إلى غيري فقال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل إنه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب ما لي أراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك إذا سئل يقول إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقيل إن الله أوحى إليه وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ثم قال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي أشمهما شمة قبل أن أموت ثم اصنع بي ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك أتدري لم وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئا وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع إليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك إذا تغدى أمر مناديا فنادى من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب وإذا أفطر أمر أن ينادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال لأنك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه [illegible] هذه الروايات [illegible]

(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره أي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي فإنه الذي تنفع الشكوى إليه [illegible] وروي أنه أوحى إلى يعقوب [illegible] (وأعلم من الله ما لا تعلمون) [illegible]

يعقوب (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس
بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب
الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا وقال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من
فلان وقال ههنا من يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى
تحسسوا خبراً من أخبار يوسف وأخيه وروي عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى
يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في
النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا
فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد
أكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت
انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه لم يتمالك البكاء وعيل صبره وأظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى
فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تيأسوا) أي ولا تقنطوا (من روح الله)
يعني من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعني
ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء ويحمده عند الرخاء والكافر
بضد ذلك * قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه محذوف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر
فلما دخلوا عليه يعني على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان
العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم
ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في الطعام الا بتجوز
من البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه
قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعني غير يسيرة يمكن دفعها وانسياقها لقلتها [illegible]
[illegible] للبضاعة أنها مزجاة [illegible] واختلفوا في تلك البضاعة ما كانت [illegible]
[illegible] هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة [illegible] كانت [illegible] الغرائر
والحبال وقيل كانت متاعا من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت الحبة الخضراء وقيل
كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج [illegible] البضاعة المزجاة [illegible]
قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة [illegible] الزمان
وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة [illegible] قوله تعالى اخبارا عنهم
(فأوف لنا الكيل) يعني أعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى أنا نريد أن تقيم لنا الزائد
مقام الناقص والجيد مقام الرديء (وتصدق علينا) يعني تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا
[illegible] هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به
[illegible] العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل [illegible] الاعمال [illegible]
[illegible] الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] بهذه الآية [illegible] جمهور العلماء وقالوا ان
الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لان [illegible] الخضوع [illegible]
[illegible] الناس [illegible] لهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما واطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه) ان الامر والشأن (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في نعمته [illegible] (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها [illegible] كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة [illegible] (فأوف لنا الكيل) [illegible] (وتصدق علينا) [illegible]

يعني الثواب فقال لهم اخوتي وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا بفي رد أخينا الينا
(ان الله يجزي المتصدقين) يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه
مؤمن (قال) يعني قال يوسف لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا في السبب الذي من
أجله حمل يوسف وهجمه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لنا انهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة على
اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعهم من مالك وفي آخره وكتبه
يهودا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا انه الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال
انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد
واحد منا فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمتعتنا الى أبينا فانه بمكان
كذا وكذا فذلك حين أدركته الرحمة عليهم والرقة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه
[illegible] فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة
ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتضييعه من أبيه وهذا كما
يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا محض الاستفهام ولكنه أراد
تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله اياهما
من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان
قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم
يسعوا في حبسه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه
كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا (اذ أنتم
جاهلون) هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم
جاهلين وهو وقت الصبي وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف ﷺ فلما قال لهم ذلك (قالوا أئنك لأنت
يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام وقرئ على الخبر قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وأخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف ومن قرئ
على الخبر وعقبهما قال ابن عباس في رواية أخرى ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه
وكانت له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها فلما عرفوها قالوا أئنك
لأنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم في
قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من الظفر والنصر والملك
فكأنه قال أنا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بأن ألقيتموني في الجب ثم بعتموني بأبخس
الاثمان ثم صرت الى ما ترون وكان تحت هذا القول كل هذه المعاني ولهذا قال (وهذا أخي) وهم يعرفونه
لانه قصد به انه أيضا أخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت أنا وهو الى ما ترون وهو قوله (قد من الله علينا)
بأن جمع بيننا وقيل بكل عز في الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا (انه
من يتق ويصبر) يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقال ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على
السجن وقيل يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أجر من كان
هذا حاله (قالوا) يعني قال اخوة يوسف معتذرين مما صدر منهم في حقه (تالله لقد آثرك الله علينا) أي
[illegible] وفضلك علينا بالملك [illegible] أي [illegible] بالفضل والملك والعلم [illegible]
[illegible] بالعلم والعقل [illegible] وقال الضحاك عن ابن عباس [illegible] وقال أبو صالح [illegible]
والصحيح [illegible] الى اعطاه الله من [illegible]
بال [illegible] وأورد على هذا القول بأن اخوته كانوا أنبياء [illegible] عليهم في [illegible] وان يوسف
[illegible] هذا الاعتذار [illegible]

(ان الله يجزي المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم بنفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه أو اذ أنتم في حد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن أخيه لابيه وأمه وايذاؤهم له بأنواع الاذى (قالوا أئنك) بهمزتين كوفي وشامي (لأنت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان (قال أنا يوسف وهذا أخي) وانما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قد من الله علينا) بالالفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة (انه من يتق) الفحشاء (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين [illegible] على [illegible] (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) [illegible] [illegible]

(وإن كنا لخاطئين) وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح وقال لقريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب (٤١) عليكم اليوم وروي أن إخوته لما عرفوه

لتسليم قال له الناس إذا [illegible] رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروي أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم [illegible] [illegible] بالعين الأولى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولقد شرفت الآن بكم [illegible] [illegible] إبراهيم (وهو أرحم الراحمين) أي [illegible] [illegible] [illegible] (قال أبوهم) [illegible] [illegible] (اذهبوا بقميصي [illegible]) [illegible] [illegible] (فالقوه على وجه أبي)

نحو حصن بالسويقة (وإن كنا لخاطئين) يعني وما كنا [illegible] [illegible] الخاطئ من الخطأ والمخطئ [illegible] الخاطئ على الحافظ والفرق بينهما أن يقال خطئ يخطأ إذا تعمد وأخطأ إذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون [illegible] خاطئين على مخطئين لموافقة رؤوس الآي لأن خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تثريب عليكم) يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها أي لا يعيرها بالزنا بعد إقامة الحد عليها وفي محل قوله (اليوم) قولان أحدهما أنه يرجع إلى ما قبله فيكون الوقف عليه والمعنى لا تثريب عليكم اليوم والمعنى أن هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثاني أن اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدأ اليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال المفسرون كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمر جبريل أن يرسل إليه [illegible] وكان ذلك القميص من [illegible] إبراهيم وذلك أنه لما جرد من ثيابه وألقي في النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات ورثه إسحاق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة فضة وسد رأسها وجعلها في عنق يوسف [illegible] [illegible] لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي يوسف في البئر عريانا أتاه جبريل فأخرج له ذلك القميص [illegible] [illegible] فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل [illegible] [illegible] أرسل هذا القميص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القميص [illegible] يوسف [illegible] [illegible] [illegible] قميصي هذا (فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) قال المحققون [illegible] أن علم يوسف أن إلقاء ذلك القميص [illegible] [illegible] يعقوب [illegible] (وأتوني بأهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (ولما فصلت العير) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (قال أبوهم) يعني قال يعقوب لولد ولده (إني لأجد ريح يوسف) [illegible] يوسف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (لولا أن تفندون) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٦ - خازن) [illegible] (يأت بصيرا) [illegible] بصيرا [illegible] (وأتوني بأهلكم أجمعين) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (ولما فصلت العير) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (قال أبوهم) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (لولا أن تفندون) [illegible]

يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعني قوله اني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (اني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) اي سل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم في صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا [illegible]

الاساري أصل الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفند والمفند فيكون المعنى لولا أن تفندوني أي تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تجهلوني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعني أولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لأن أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك لفي ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لأنه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم يعني في ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فأفرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا [illegible] فلم يستوف أكلها حتى أتاه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعني فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ﴿ قوله تعالى (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) يعني قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأخبروه بخبر يوسف واعترفوا بذنوبهم يا أبانا استغفر لنا أي اطلب لنا غفران ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعني في صنيعنا (قال سوف أستغفر لكم ربي) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لأنه أشرف الأوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فأستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة ووجه الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لأولادي ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لأنها أشرف الأوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة ووافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف أستغفر لكم ربي قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي (انه هو الغفور) يعني لذنوب عباده (الرحيم) بخلقه وقال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقال يعقوب سوف أستغفر لكم ربي قال أصحاب الأخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة وجهازا [illegible] ليأتيه بيعقوب وأهله الى مصر فلما أتوه تهيأ يعقوب للخروج الى مصر فخرج مع أهله وهم يومئذ [illegible] من رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين [illegible] فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر [illegible] يعني في [illegible] وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم [illegible] يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن [illegible] يعقوب بالسلام فقيل له ليس لك ذلك حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وبكى [illegible] وبكيا جميعا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده [illegible] قال لا يا أبت [illegible] على [illegible] فلم أعلم ان لها [illegible] قال لي ولكن [illegible] قال [illegible] قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه) يعني ضم اليه أبويه (اذ [illegible]) قال أكثر المفسرين [illegible]

وأبوه يعقوب وخالته ليا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وأمه وكانت حية بعد
وقيل إن الله أحياها ونشرها من قبرها حتى سجدت له تحقيقا لرؤياه والأول أصح (وقال ادخلوا مصر)
قيل المراد بالدخول الأول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر
يعني البلد وقيل إنه أراد بالدخول الأول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا
مصر مستوطنين فيها (إن شاء الله آمنين) قيل إن هذا الاستثناء عائد إلى الأمن لا إلى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين إن شاء الله وقيل إنه عائد إلى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل أن يدخلوا مصر وقيل
إن هذا الاستثناء يرجع إلى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر
لكم ربي إن شاء الله وقيل إن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد إلا بجوازهم فقال لهم
يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم إن شاء الله فعلى هذا يكون قوله إن شاء الله للتبرك فهو كقوله
صلى الله عليه وسلم وإنا إن شاء الله بكم لاحقون مع علمه أنه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعني على
السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل إلى العلو (وخروا له سجدا) يعني يعقوب وخالته
وإخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يريدوا به حقيقة السجود وهو وضع الجبهة
على الأرض على سبيل العبادة فإن قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه
وأعلى منه في الحق والنبوة قلت يحتمل أن الله تعالى أمره بذلك [illegible] وللعلماء في معنى هذا السجود
قولان أحدهما أنه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم ولا [illegible] والقول الثاني أنه كان سجودا حقيقة
السجود وهو وضع الجبهة على الأرض وهو مشكل لأن السجود في هذه الصورة لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى
وأجيب عن هذا الإشكال بأن السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر وإنما كان يوسف
كالقبلة كما سجدت الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا
وظاهر هذا يدل على أنهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان السجود ليوسف لكان السجود
قبل الصعود لأن ذلك أبلغ في التواضع فإن قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فإن
الضمير يرجع إلى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام فإن يحمل أن يكون المعنى وخروا
له سجدا لأجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل أن الله أمر يعقوب بذلك السجود لحكمة خفية وهي أن
إخوة يوسف ربما حملهم الأنفة [illegible] عن السجود ليوسف فلما رأوا أن أباهم قد سجد له سجدوا أيضا
فيكون هذا السجود على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء
الإسلام نسخ هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (وقال) يعني وقال يوسف لما رأى ذلك (يا أبت
هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تعبير الرؤيا التي رأيتها من قبل الصغر (قد جعلها ربي حقا) يعني
في المنام [illegible] رؤياه تأويلها [illegible] بين رؤيا يوسف وتأويلها [illegible] فقال
أبو صالح عن ابن عباس أربعون سنة [illegible] وقال [illegible] عكرمة والسدي [illegible] ثمانون سنة وقال
[illegible] لا يوسف [illegible] فقال الفضيل بن عياض [illegible]
الأقوال كلها [illegible] أن يوسف كان [illegible]
[illegible]
[illegible] (وقد أحسن بي) [illegible]
[illegible] (إذ أخرجني من السجن) [illegible] في إخراجه من السجن [illegible]
[illegible]
[illegible]

(وجاء بكم من البدو) أي من البادية وكانوا أهل بادية [illegible] (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) [illegible] (إن ربي لطيف لما يشاء) [illegible]

(إن شاء الله آمنين) من ملوك مصر وكانوا لا يدخلونها إلا بجوازهم [illegible] قال يوسف [illegible] حتى ذهب [illegible] الحمد لله [illegible] وقيل [illegible] فقال يعقوب ولد [illegible] دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى [illegible] ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه ورفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة [illegible] والأرض سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى [illegible] كالقيام والمصافحة [illegible] وقال الزجاج [illegible] التعظيم في ذلك الوقت أن [illegible] المعظم [illegible] كان [illegible] فخروا [illegible] وقيل [illegible] (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) أي صادقة [illegible] (وقد أحسن بي) [illegible]

(وجاء بكم من البدو) من البادية لأنهم كانوا أصحاب مواشي ينتقلون في المياه والمناجع (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي)
أي أفسد بيننا وأغرى (إن ربي لطيف لما يشاء) أي لطيف التدبير (إنه هو العليم الحكيم) يتأخر الآمال

في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سبب الوصول إلى الملك وقيل إن دخوله الجب كان بحسد إخوته
ودخوله السجن كان لزوال التهمة وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية
وأصل البدو هو البسيط من الأرض يبدو الشخص فيه من بعيد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية
خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين
إخوتي) يعني أفسد ما بيننا بالحسد وأصل النزغ دخول في أمر لإفساده واستدل بهذه الآية من يرى
بطلان الجبر من القدرية قالوا لأن يوسف أضاف الإحسان إلى الله وأضاف النزغ إلى الشيطان ولو كان من
فعل الله لوجب أن ينسب إليه كما في الإحسان والجواب عن هذا الاستدلال أن إضافة الفعل إلى
الشيطان وإضافته إليه على سبيل المجاز وإن كان ظاهر اللفظ يقتضي إضافة الفعل إلى الشيطان لا على
الحقيقة لأن الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة [illegible] آلهة إلا الله لفسدتا [illegible]
أن الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل إلا بإلقاء الوسوسة والتحريش لإفساد ذات
البين وذلك بأمر الله [illegible] على ذلك (إن ربي لطيف لما يشاء) يعني أنه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الأمور
وحقائقها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما لا تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على
هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله إن ربي لطيف لما
يشاء أي حسن الاستخراج [illegible] على ما وصل إلى يوسف [illegible] في الحبس [illegible] إن اجتماع يوسف
بأبيه وإخوته بعد طول الفرقة وحسد إخوته له [illegible] كان من لطف الله
[illegible] ذلك [illegible] إن الله تعالى إذا أراد أمرا [illegible] (إنه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم)
في جميع أفعاله قال أصحاب الأخبار [illegible] يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام [illegible] يوسف [illegible]
[illegible] وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده
[illegible] في الأرض المقدسة بالشام [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible]
يوسف [illegible] في تابوت [illegible] إلى الشام [illegible] ذلك [illegible] العيص أخي يعقوب
وكان [illegible] واحد وكان عمرهما [illegible]
[illegible] إلى مصر [illegible] يوسف عليه الصلاة والسلام [illegible] وإخوته [illegible]
[illegible] فسأل الله حسن العاقبة [illegible] فقال (رب) أي يا رب (قد آتيتني من الملك)
[illegible] يعني ملك مصر [illegible] (وعلمتني من تأويل الأحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات
والأرض) أي خالقهما [illegible] وأصل الفطر [illegible]
[illegible] (أنت وليي) [illegible] (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) أي
[illegible]
[illegible]
[illegible] الوفاة [illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible] على الإسلام [illegible]
[illegible] طلب الوفاة [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وقوله (وألحقني بالصالحين) [illegible]

إلى الآجال أو حكم
بالأمر لأن بعد الإختلاف
(رب قد آتيتني من الملك)
ملك مصر (وعلمتني من
تأويل الأحاديث) تفسير
كتب الله أو تعبير الرؤيا
ومن فيهما للتبعيض لأنه لم
يؤت إلا بعض ملك الدنيا
أو بعض التأويل (فاطر
السموات والأرض) [illegible]
على النداء (أنت وليي في
الدنيا والآخرة) أنت الذي
تتولاني بالنعمة في الدارين
[illegible] الملك الفاني بالملك
الباقي (توفني مسلما) طلب
الوفاة على حال الإسلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(وألحقني بالصالحين) من
آبائي أو على العموم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فسد أبيه لا نموع عشر ... ثم أمره طلبت نفسه الملك الدائم ... [illegible]
أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال ثم رأوا أن يعملوا له صندوقاً من مرمر ... [illegible]
مكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ... كانهم فيه شرعاً سواء ... حتى نقل موسى عليه السلام بعد ... إلى بيت المقدس وولد له
إفراثيم ومنشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ... العماليق ... مصر ... [illegible]
ما بين يوسف وآبائه (ذلك) إشارة إلى ما قص من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء

(٤٥)

مدرجه ... إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء الأخبار عاش يوسف مائة
وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد ... أولاد إفرائيم ومنشا ...
امرأة العزيز ... عاش بعد أبيه ... لما مات يوسف عليه الصلاة والسلام ... إلى
... يوسف ... أهل محلة أن يدفن
في محلتهم ... أن يعملوا ... الماء عليه ...
... وقال عكرمة ... الجانب الأيمن من النيل ... الجانب ... وأخصب الجانب
الآخر ... إلى الجانب الأيسر ... وأخصب الجانب الأيمن ... وسط النيل ...
... موسى عليه الصلاة والسلام ... بالشام
في الأرض المقدسة ﴿ قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع إخوته
ثم إنه صار إلى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه إليك) يعني الذي أخبرناك به من
[illegible]

[illegible]

يعني عقوبة مجللة تغشاهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلي) يعني طريقي التي (أدعو) إليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الإسلام وسمي الدين سبيلا لأنه الطريق المؤدي إلى الله عز وجل وإلى الثواب والجنة (إلى الله) يعني إلى توحيد الله والإيمان به (على بصيرة) يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي تميز بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعني) يعني ومن آمن بي وصدقني أيضا يدعو إلى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قالا حق على من اتبعه وآمن به أن يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعو إلى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن اتبعني يعني أنا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس إن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ❁ وقوله (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله يعني تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والأضداد والأنداد (وما أنا من المشركين) يعني وقل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ❁ قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحي إليهم) نزلت جوابا لأهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبون من إرسالنا إياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك (من أهل القرى) يعني من أهل الأمصار والمدن لا من أهل البوادي لأن أهل الأمصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل إنما لم يبعث الله نبيا من أهل البادية لغلظهم وجفائهم (أفلم يسيروا في الأرض) يعني هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني كيف كان عاقبة [illegible] (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني [illegible] الآخرة [illegible] (أفلا تعقلون) [illegible]

[illegible]

(أو تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) بإتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعو إلى الله على بصيرة) أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر في أدعو (ومن اتبعني) عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أنا [illegible] (وسبحان الله) [illegible] (وما أنا من المشركين) [illegible] (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) [illegible]

الإجابة وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم وإهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل
أنهم قد كذبوا في وعد قومهم إياهم الإيمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا
أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم لا ينصرون أو رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء
كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت
حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن
عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فإن صح هذا عن ابن عباس فقد
أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية
وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل
الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الأنباري أنه قال
هذا غير معوّل عليه من جهتين إحداهما أن المفسر ليس عن ابن عباس لكنه من متأوّل تأوّله عليه
والأخرى أن قوله جاءهم نصرنا دال على أن أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله وأنهم ظنوا رسل الله ونصر الله
للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا [illegible]
وتطهيرهم واختصاصهم بالذي وحّد بالتوحيد [illegible] وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
وظنوا أنهم قد كذّبوا بالتشديد فوجهه ظاهر وهو أن معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا
يعني وأيقنوا يعني الرسل أن الأمم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده إيمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى
قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا أن من
قد آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتابوا [illegible] لشدة المحنة والبلاء عليهم [illegible] النصر وعلى
هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم [illegible] وأما الرسل فلن يحسبوا
أن ربهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لإبطائه وتأخره عنهم وطول البلاء بهم لأنهم كانوا في [illegible]
وهذا أولى لأن هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل لكان نوع كفر [illegible] الرسل
[illegible] وعلى هذا القول الظن بمعنى [illegible] الكفار وعلى
القول الثاني [illegible] في ظن الرسل (خ) عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى إذا
استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا أن قومهم
كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عرية لقد استيقنوا بذلك فقلت فلعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله
لم تكن الرسل تظن ذلك بربها فقلت فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال
عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم
جاءهم نصر الله عند ذلك [illegible]
الرسل [illegible] فقالت معاذ الله [illegible]
الله إلا أن نصر الله [illegible]
الله ورسله [illegible]
قومهم من يكذبهم [illegible] (جاءهم نصرنا) يعني جاء
نصر الله [illegible] (فنجي من نشاء) [illegible]
(ولا يرد بأسنا) يعني عذابنا (عن القوم المجرمين) يعني المشركين [illegible] قوله تعالى (لقد كان في قصصهم) أي
في خبر يوسف وإخوته (عبرة) أي موعظة (لأولي الألباب) [illegible]
[illegible]
[illegible]

الرسل أن قومهم كذبوهم
وبالتخفيف كسرة أي
وظن المرسل إليهم
أن الرسل قد كذبوا
أي أخلفوا أو وظن المرسل
إليهم أنهم كذبوا من جهة
الرسل أي كذبهم الرسل
في أنهم ينصرون عليهم
ولم يصدقوهم (جاءهم
نصرنا) للأنبياء والمؤمنين
[illegible]
(فنجي) بنون واحدة
[illegible]
[illegible]
الماضي المبني للمفعول
[illegible]
[illegible] (من نشاء)
أي النجاة [illegible] (ولا
يرد بأسنا) [illegible]
القوم المجرمين) [illegible]
(لقد كان في [illegible])
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته
(وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب
(لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة

يوسف فأيما عبد تلاها
وعلمها أهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات
الموت وأعطاه القوة أن
لا يحسد مسلما قال الشيخ
أبو منصور رحمه الله في ذكر
قصة يوسف عليه السلام
واخوته تصبير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على أذى
قريش كأنه يقول ان اخوة
يوسف [illegible] بهم ما في
الدين [illegible] الاخوة [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible] على أذاهم
وقال وهب ان الله تعالى لم
ينزل كتابا الا وفيه سورة
يوسف عليه السلام تامة
كما هي في القرآن العظيم
والله أعلم

*(سورة الرعد مكية وهي
ثلاث وأربعون آية كوفي
وخمس وأربعون آية
[illegible])*

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(المر) أنا الله أعلم وأرى
[illegible] عن ابن عباس رضي الله
عنهما (تلك) اشارة الى آيات
السورة (آيات الكتاب)
[illegible] الكتاب السورة وأي
[illegible] آيات السورة
الكاملة [illegible]
(والذي أنزل اليك [illegible])

واخراجه من السجن وجعله ملكا بمصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه واخوته بعد المدة الطويلة والاياس من
الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة
جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه
السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب فدل على
ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعني ما كان هذا
القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتريه
أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس
بمفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من
السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر
قصة يوسف (وتفصيل كل شئ) يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شئ تحتاج اليه من
الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر
دينهم ودنياهم (وهدى) يعني الى كل خير (ورحمة) يعني أنزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين
ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه *(تفسير سورة الرعد)*

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما أنها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال
الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما قوله
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول
الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس انها مدنية
الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو
الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة
وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان
معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة [illegible] المراد بالكتاب
السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة [illegible] ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني
القرآن كله هو الحق الذي لا مرية فيه [illegible] والقصص أي الاخبار
والقصص التي قصصنا عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية المتقدمة المنزلة والذي أنزل
اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق [illegible] قال ابن عباس يريد
ان [illegible] آيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك
الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه (ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون) [illegible] الآية في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه [illegible]
[illegible] فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها)
[illegible] الى [illegible] في قوله (بغير عمد) [illegible]
[illegible] الى [illegible] ليس [illegible]
[illegible] والمراد في [illegible] على الارض [illegible]

[illegible] القرآن [illegible] (لا يؤمنون) [illegible]
[illegible]
[illegible]

العمد وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الرؤية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها ثم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح ﴿ قوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد (كل يجري لاجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة فهذا دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره [illegible] عجيب قهره وصانعه وقدرته (يفصل الآيات) يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات والارض وما بينهما من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا القسم تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعني انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا [illegible] من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده [illegible] دون امره [illegible] ﴿ قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها على وجه الماء [illegible] ان الارض [illegible] عظمة كل قطعة [illegible] مد الارض [illegible] (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة [illegible] على الارض (وانهارا) [illegible] (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني [illegible] (يغشي الليل النهار) يعني [illegible] (ان في ذلك) [illegible] (لآيات) [illegible] (لقوم يتفكرون) يعني [illegible] على الصانع [illegible] صاحب [illegible] للعقل [illegible] للانسان [illegible] ولا يشكر [illegible] وقال بعض [illegible] (وفي الارض قطع متجاورات) يعني [illegible] (وجنات) يعني [illegible]

عجلي أنه صفة لعمد آي بغير عمد مرئية (ثم استوى على العرش) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان (وسخر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كل يجري لاجل مسمى) وهو انقضاء الدنيا (يدبر الامر) امر ملكوته (يفصل الآيات) من آيات في كتبه المنزلة (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه (وهو الذي مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت (وانهارا) جارية (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي الاسود والابيض [illegible] دلائل (يغشي الليل النهار) [illegible] (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [illegible] (وفي الارض قطع متجاورات) [illegible]

وأعناب وغير ذلك سمي حرثا لأنه يستر بأشجاره الأرض والحرث الإثارة وقوله (من أعناب وزرع ونخيل
صنوان) جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم
الرجل صنو أبيه يعني أنهما من أصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة بأصلها فالصنوان المجتمع
وغير الصنوان المتفرق (يسقى بماء واحد) يعني أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل
نام وقيل في حده هو جوهر سيال به قوام الأرواح (ونفضل بعضها على بعض في الأكل) يعني في الطعم ما بين الحلو
والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ونفضل بعضها على بعض في الأكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل
ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل
على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها وتخرج هذه سبختها وملحها
وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا لقيل إنما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم
فنزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال
الحسن والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴿ وقوله تعالى (إن في ذلك) يعني الذي ذكر (لآيات
لقوم يعقلون) يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته ﴿ قوله تعالى (وإن تعجب فعجب
قولهم) العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب
ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لأنه تعالى علام الغيوب
لا يخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك
بعد أن كنت عندهم تعرف بالصادق الأمين فعجب أمرهم وقيل معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين
ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السموات والأرض وهو يضر وينفع
وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الأمثال ما رأوا فعجب قولهم وقيل إن تعجب من إنكارهم النشأة
الآخرة والبعث بعد الموت مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك أن المشركين كانوا
ينكرون البعث بعد الموت مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من
الابتداء فهذا موضع العجب وهو قولهم (أئذا كنا ترابا) يعني بعد الموت (أئنا لفي خلق جديد) يعني نعاد
خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ﴿ ثم إن الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل
على أن كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لأن من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة
وأن الله على كل شيء قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الأغلال في أعناقهم) يعني يوم القيامة والأغلال
جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد الأغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الأسير
ذليلا بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني أنهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون
(ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته والمراد بالسيئة هنا
العقوبة وبالحسنة العافية وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو
قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت
من قبلهم المثلات) يعني وقد مضت في الأمم المكذبة العقوبات بتكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم
الثاء العقوبة التي تنزل بالإنسان فتجعله مثالا لغيره يرتدع به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها
مع ضم الثاء فيهما (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه إنه لذو تجاوز عن

وتخيل (ونفضل بعضها على بعض) بالياء حمزة وعلي (في الأكل) في الثمر بسكون الكاف نافع ومكي (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها (وإن تعجب) يا محمد من قولهم في إنكار البعث (فعجب قولهم) حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم [illegible] كل واحد [illegible] (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكافرون المتمادون في كفرهم (وأولئك الأغلال في أعناقهم) وصف لهم بالإصرار أو من جملة الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الأمر [illegible] (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية [illegible] وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب

[illegible] (قبل الحسنة) [illegible] المشركين
[illegible]

مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب وعلى الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع
الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها (وإن ربك لشديد العقاب) على الكافرين أو هما جميعاً في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة
فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم عناداً فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما

المشركين إذا آمنوا (وإن ربك لشديد العقاب) يعني لمن أصر على الشرك الذي مات عليه وقال مجاهد إنه
لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وإنه لشديد العقاب إذا عاقب ﴿ قوله تعالى (ويقول الذين
كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه)
يعني مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لأنهم لم يعتدوا بما نزل من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه
وسلم (إنما أنت منذر) أي ليس عليك يا محمد غير الإنذار والتخويف وليس لك من الآيات شيء (ولكل قوم
هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى
إنما عليك الإنذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى
الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى إنما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وأبو صالح وابن زيد يعني
ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد إلى الخير
لا إلى الشر ﴿ قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات
أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وأنه عالم بما تحمل كل أنثى يعني من ذكر أو أنثى سوي الخلق
أو ناقص الخلق واحداً أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعني وما تنقص (الأرحام وما تزداد) قال أهل التفسير
غيض الأرحام الحيض على الحمل فإذا حاضت الحامل كان ذلك نقصاناً في الولد لأن دم الحيض هو غذاء الولد في
الرحم فإذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد
بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل إذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد
مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهراً فإن رأت خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام
فالنقصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها
نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة
ويعيش وأما أكثر مدة الحمل فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل إن
الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين وإليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سليمان إنما سمي
هرم بن حيان هرماً لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين [illegible] أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده
بمقدار) يعني بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه [illegible] على أكمل الوجوه
[illegible] وأنه تعالى خصص كل حادث من الحوادث بوقت معين وحالة معينة [illegible] بالإرادة
وقدره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه
وقيل الغيب هو المعدوم والشهادة هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر
الحس (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل شيء بالإضافة إليه [illegible]
[illegible] قدرته [illegible] (المتعال) [illegible]
[illegible] الكامل [illegible] ﴿ قوله
تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي يستوي في علم الله من أخفى القول وكتمه ومن أظهره وأعلنه
والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى السر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر
بظلمة (وسارب بالنهار) أي ذاهب بالنهار في سربه ظاهراً والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق

أنت منذر) إنما أنت رجل أرسلت منذراً مخوفاً لهم من سوء العاقبة وناصحاً كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى (ولكل قوم هاد) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد) ما في [illegible] الواسع [illegible] قوله [illegible] على ما تحمله من الولد أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر [illegible] وما تغيض الأرحام أي [illegible] عاص [illegible] وما تزداد [illegible] الولد [illegible] الولادة [illegible] أقل من تسعة أشهر [illegible] إلى [illegible] والى [illegible]
والحسن [illegible] أي يعلم حمل كل أنثى [illegible] من الأرحام [illegible] (وكل شيء عنده بمقدار) [illegible] لا يجاوزه ولا ينقص
[illegible] (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم [illegible]
(المتعال) [illegible] (سواء منكم من أسر القول
[illegible] (ومن هو مستخف بالليل) [illegible] (وسارب بالنهار) [illegible]

وقال الفراء السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف
بالليل وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت
الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار داخل في السرب مستخفيا ومعنى
الآية سواء ما أضمرته القلوب أو نطقت به الألسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل
أو أتى بها ظاهرا في النهار فإن علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار
فإذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار [illegible] وإنما ذكر بلفظ التأنيث
وإن كان الملائكة ذكورا لأن واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل أبناوات سعد
ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم
وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل إن مع كل واحد
من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب
الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل العبد حسنة كتبها له عشرا وإذا عمل سيئة
قال صاحب الشمال لصاحب اليمين أكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث
مرات فإن هو تاب منها وإلا قال اكتبها عليه [illegible] وملك موكل بناصيته فإذا تواضع العبد لله
عز وجل رفعه وإن تكبر على الله عز وجل وضعه وملكان [illegible] يحفظانها من الأذى وملك
[illegible] من الهوام ودبه فهؤلاء [illegible] موكلون بالعبد [illegible]
[illegible] في نهاره فانظر إلى عظمة الله تعالى [illegible] وهو قوله تعالى
(يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من
أمر الله بأمر الله وإذنه ما لم يجئ القدر فإذا جاء القدر خلوا عنه وقيل معناه يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له
قال مجاهد ما من عبد إلا وله ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما من شيء يأتيه
يريده إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الأحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة
يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون
عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول إن الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال
يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الأمراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم
والضمير في له راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه
وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن
ابن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن صعصعة وكانت قصتهما على
ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر يريدان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس
لجمال عامر وكان رجلا جميلا وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك
فقال دعه فإن يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما لي إن أسلمت
قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الأمر من بعدك قال ليس ذلك إلي إنما ذلك إلى الله تعالى
يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو
عليها قال أوليس ذلك إلي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أومأ
إلى أربد إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويراجعه فدار أربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

في الأرض مرئي أو سارب
عطف على من هو مستخف
لا على مستخف أو على
مستخف على أن من في معنى
الاثنين والضمير في (له)
مردود على من كأنه قيل
لمن أسر ومن جهر ومن
استخفى ومن سرب
(معقبات) جماعات من
الملائكة تعتقب في حفظه
والأصل معتقبات فأدغمت
التاء في القاف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (من بين يديه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من أمر الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه خرج له خراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاستند عليها فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي فأرسل الله إليه ملكا فلطمه فأرداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقيل إن تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ﴿ وقوله (إن الله لا يغير ما بقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى (وإذا أراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي أمرهم ويمنع عنهم العذاب ﴿ قوله عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه والعذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعني هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الأول أن عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه فإن من البلاد ما إذا مطرت قحطت وإذا لم تمطر أخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحب الجر ومنه السحاب إما لجر الريح له أو لجره الماء أو لانجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وورد على هذا القول ما يقال وهو قوله (والملائكة من خيفته) وإذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه بأن [illegible] الرعد [illegible] من الملائكة وإنما أفرد بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله [illegible] وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر قالوا صدقت [illegible] المخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف يضرب به الصبيان بعضهم بعضا [illegible] الملائكة السحاب [illegible] عنه [illegible] إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديته وكان [illegible] إذا سمع الرعد [illegible] الملائكة [illegible] الأرض [illegible]

[illegible]

العاقبة [illegible] (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحالة الجميلة بكثرة المعاصي (وإذا أراد الله بقوم سوءا) عذابا (فلا مرد له) ولا دافع منه شيء (وما لهم من دونه من وال) من دون الله من يلي أمرهم ويدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) أي صاعقة على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق ويطمع في الغيث [illegible] قال [illegible] [illegible]

يقول لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر وإن بحور الماء في نقرة إبهامه وإنه يسبح الله فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل إن الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فإن صوت الرعد يسبح الله عز وجل لأن التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وإن لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح إليه قوله والملائكة من خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته وقيل المراد بهؤلاء الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فتحرق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الأشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلكه بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المناوصة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أمن در أم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وقال الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية قال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله وإلى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي يدعوني إليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا إليه فرجعوا إليه فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئا بل قال أخبث أجيب محمدا إلى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الأولى إلا أخبث فقال ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبيناهم عنده ينازعونه ويدعونه وهو لا يزيدهم على مقالته إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك أن أربد لما جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل إنها واو الاستئناف فيكون المعنى أنه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) أي شديد الأخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا إذا أراد به سوءا وقيل هو من قولهم محل به إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى شديد المحال لأعدائه يعني أنه يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحال من الحول والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الحقد وذلك أنه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه شديد الانتقام ﴿ قوله تعالى (له دعوة الحق) أي لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وقال صاحب

ما يعقبه من القدرة على البعث وإعادة الأشياء وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ... ببعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جداله ... أربد ... العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... عامر بن الطفيل ... رضي الله ... فأرسل على أربد صاعقة ... (وهو شديد المحال) أي ... المكايد ... المحال ... الذي هو ... دعوة الحق ...

الكشاف ... الجدري ... بالصاعقة ... الله

الكشاف دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل وأخذهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الأصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشيء) يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر إن دعوهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني إلا كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل إن القابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الأصنام لا ينفعه ولا يضره وقيل معناه كالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد فهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى البئر فلا هو يبلغ قعر البئر ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسطه الكف إلى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان إذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الأصنام فلا ينفعهم البتة ثم قال تعالى (وما دعاء الكافرين) يعني أصنامهم (إلا في ضلال) يعني يضل عنهم إذا احتاجوا إليه وقال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به السجود على الجبهة وهو وضع الجبهة على الأرض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الأرض من الإنس يعني المؤمنين طوعاً وكرهاً يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعاً وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرهاً يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فإن سجودهم لله على كره منهم لأنهم لا يرجون على سجودهم ثواباً ولا يخافون على تركه عقاباً بل سجودهم خوف من المؤمنين والوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ إشكال وهو أن جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والإنس يسجدون لله طوعاً ومنهم من يسجد له كرهاً كالمنافقين وأما الكفار من الجن والإنس لا يسجدون لله فهذا وجه الإشكال والجواب عنه أن المعنى أنه يجب على كل من في السموات ومن في الأرض أن يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية فكل من في السموات من ملك ومن في الأرض من إنس وجن فإنهم يقرون لله بالعبودية ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد

فهما تكون الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إن دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه) إلا استجابة كاستجابة المصدر أي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لأن الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضمير على الفاعل والحال ... باسط كفيه إلى الماء ... كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ... والماء ... (وما هو ببالغه) والماء ... (وما دعاء الكافرين إلا ...)

والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿ وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصيل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفاتخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم أنصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوي الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكاري أي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له لا يخلقون شيئا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا فقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خالق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني ان الله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته ﴿ قوله

(وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل ظرف لسجد أي يسجد بالغدو والآصال ظل المؤمن يسجد طوعا وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أي فان لم يجيبوا لقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم (قل هل يستوي الاعمى والبصير) أي الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوي الظلمات والنور) ملل الكفر والايمان يستوي كوفي غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء أي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عن أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء)
أي الخالق ... لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق ولا يكون له شريك في العبادة ... قال ان الله خالق
... (وهو الواحد) ... (القهار) ...

عز وجل (أنزل من السماء ماء) الآية لما شبه الله عز وجل الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جري الماء في النهر فحذف لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وإنما نكر أودية لأن المطر إذا نزل لا يعم جميع الأرض ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد ولهذا السبب جاء بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لأن المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية لأن الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الإيمان والعرفان ببركة نزول القرآن فهذا خاص بالمؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب فهو بالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الأرض التي لا تنبت كلأ جمع جدب على غير قياس وقيل جمع أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي إخاذات بالخاء والذال المعجمتين جمع إخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله وزرعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بالزاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الأرض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه فهم الأحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالأرض التي أصابها المطر قال العلماء والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لأنهم منها خلقوا فالنوع الأول من أنواع الأرض الطيبة التي ينتفع بالمطر فتنبت العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحفظه فيحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره [illegible] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم كالأجادب لأن قلوبهم كانت أوعية فصارت أوعية للعلوم [illegible] المفهوم والنوع الثاني من أنواع الأرض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة [illegible] عندهم من العلم حتى يأتي الطالب المحتاج المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره والنوع الثالث من أنواع الأرض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثاقبة فإذا سمعوا شيئا من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم ۞ وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما علا على وجه الماء [illegible] وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك المطر زبدا (رابيا) يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وهنا تم المثل الأول ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما يوقدون عليه في النار) الإيقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء الذي يذوب (ابتغاء حلية) يعني لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وإن لم يكونا مذكورين لأن الحلية لا تطلب إلا منهما (أو متاع) يعني

(أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة وإنما نكر لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار (فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رابيا) منتفخا مرتفعا على وجه السيل (ومما يوقدون عليه) وبالياء كوفي غير أبي بكر ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أولا [illegible] أي ومن الذي يوقدون عليه (في النار) حال من الضمير في عليه أي ومما يوقدون عليه ثابتا في النار (ابتغاء حلية) مفعول له [illegible] فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص تتخذ منها الأواني وما يتخذ منه في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة

(زبد) بحث وهو مبتدأ (مثله) نعته وخبره الجار والمجرور قبله أي ولهذه الفلزات اذا أذيبت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي مثل لا يلتفت إليه وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفاء الرمي وجفت الرجل صرعته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلي والأواني (فيمكث في الأرض) فينتفع الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) لإظهار الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه (٥٨) واتخاذ الأواني والآلات المختلفات ولذلك مكث في الأرض باقية ظاهرا يثبت الماء في منابعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي تطفو فوقه إذا أذيب وقال المفسرون وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل والله أعلم قال (للذين استجابوا) أي أجابوا خلقه ضربنا كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) مفعول استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي والكافرين الذين لم يستجيبوا أي مثلهم كالزبد ثم قوله (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين أي لو ملكوا ما في الأرض وأرادوا أن يفتدوا من عذاب الله به لم يقبل منهم ... [illegible]

أو طلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوها مما تتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به وقال الكلبي ما ينتفع به في البيت كالطاس والقدر ونحو ذلك من الأواني متاع (زبد مثله) يعني أن ذلك الذي يوقدون عليه في النار إذا أذيب له زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضائعا باطلا والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد إلى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم إذا فرقته والمعنى أن الباطل وإن علا وقت فإنه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الأجسام التي تذاب (فيمكث في الأرض) يعني يبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وإن علا على الحق في بعض الأوقات والأحوال فإن الله تعالى يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب الغثاء الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يداخل من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل فالباطل وإن علا وقتا فإنه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل المؤمن واعتقاده وإخلاصه بالإيمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به وقيل هذا مثل ضربه الله والذي يحصل في قلوب العباد من الشكوك والشبهات لأن الوادي إذا سال كنس كل شيء من القاذورات والمستقذرات كذلك إذا سال الوادي في القلب من النور والذي يحمله على قدر سعته فيكنس كل ظلمة وغفلة وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الأخلاق المذمومة في الخلق وهي الأخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الأمثال

قوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قال الأزهري الذين مقطعة مما قبلها كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوا إلى ما دعاهم الله من توحيده والإيمان به وبرسوله والكافرين الذين لم يستجيبوا له فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الأمثال يعني من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال ثم ابتدأ بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب الضرر والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين أصروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعني لبذلوا ذلك كله فداء لأنفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا والرجوع (لهم سوء الحساب)

(ومأواهم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم ودخلت همزة الإنكار على الفاء في (أفمن يعلم) لإنكار أن تقع شبهة بعدما ضرب من المثل في أن حال من علم (أنما أنزل إليك من ربك الحق) فاستجاب

قال إبراهيم النخعي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء (ومأواهم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش المفرش لهم في جهنم ﴿قوله تعالى﴾ (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالأول هو حمزة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (إنما يتذكر أولو الألباب) يعني إنما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والأذكار ﴿قوله عز وجل﴾ (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذه على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) لا ينقضون ما وثقوه فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الإيمان بجميع الكتب والرسل يعني يصلون بينهم بالإيمان ولا يفرقون بين أحد منهم والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه صلة الرحم بر الأهل والأقارب والإحسان إليهم وضده القطع قوله وأن ينسأ له في أثره أي يؤخر له في الأجل يعني الأجل وإنما سمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر والمعنى يؤخر والمراد به تأخير الأجل وهو على وجهين أحدهما أن يبارك الله في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني أن يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر أخرجه الترمذي ﴿وقوله تعالى﴾ (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وقيامهم بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف مشوب بتعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وحاصله أن الصبر على فعل ما ... الصبر على ... والطاعات والصبر عن ... المعاصي من الحسد والحقد ... والصبر على ما نزل به من الأمراض والمصائب ... أو الشرع ... فالصبر ... (ابتغاء وجه ربهم) لأن الذي ... الأول ... ما أكمل

كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز (إنما يتذكر أولو الألباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغير ذلك من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلقا فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره

صبره وأشد قوته على ما يحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلاً تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لأنها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو أن يكون الإنسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طالباً في ذلك الصبر ثواب الله محتسباً الأجر على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلباً لرضوانه (وأقاموا الصلاة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بإقامتها إتمام أركانها وقيل إتيانها (وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فإن لم يتهم بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها سراً وإن كان متهماً بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها علانية وقيل إن المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه إلى الإمام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله إن الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج إلى الأرض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه إذا سفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم رداً معروفاً وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت إنما هي تسع خلال فيحتمل أنه عدهما بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الأعمال (لهم عقبى الدار) يعني الجنة والمعنى أن عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعني بساتين إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج بين أن الأنساب لا تنفع إذا لم يحصل معها أعمال صالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشر بدخولهم الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به إذ كل من كان صالحاً في عمله فهو يدخل الجنة قال الإمام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوج وزوج ولعل الأولى من مات عنها أو مات عنه ويروى أن سودة لما كبرت أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فقالت أمسكني حتى أحشر في جملة أزواجك فهو كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس بالتحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) أي يقولون سلام عليكم فأضمر القول هنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم الجنة بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل إن السلام قول والله فعل ولا يكون القول إلا والله فعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل إن الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروي [illegible] عن أبي

وإن كان الحرام رزقاً فعنده ما (سراً وعلانية) يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفياً للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم أو إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وإذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أنابوا وإذا رأوا منكراً أمروا بتغييره فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلاً وأجاز الزجاج أن يكون مفعولاً معه ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لا تنفع بنفسها والمراد أبو كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) في قدر كل يوم ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) أي [illegible] فالمعنى سلام عليكم [illegible] (بما صبرتم) [illegible]
[illegible]

أمامه موقوفا عليه قال إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند
طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا بالملك
يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول
أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له
فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم
فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات
والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لأنهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره
ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)
يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة (ويفسدون في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك)
يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لأن منقلب
الناس في العرف إلى دورهم وهو ... فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي
النار ﴿ قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله
ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحياة الدنيا)
يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه
دليل على أن الفرح بالدنيا والركون إليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة إلى الآخرة (إلا
متاع) أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها ثم تذهب كذلك
الحياة الدنيا إذا انتهت فلا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه)
يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (إن الله يضل من يشاء)
فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات إن لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدي إليه من أناب) يعني ويرشد
إلى دينه والإيمان به من أناب بقلبه ورجع إليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن
قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لأنه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة
والسكون إنما يكون بقوة اليقين والاضطراب إنما يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره
تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك أن المسلم إذا حلف بالله على شيء
سكنت قلوب المؤمنين إليه فإن قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال إنما المؤمنون الذين
إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف
وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت إنما يكون الوجل عند ذكر الوعيد
والعقاب والطمأنينة إنما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه
وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف
العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي
رواية أخرى عنه أن هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال إبراهيم
النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه
هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الأزهري تقول طوبى لك
وطوباك بالإضافة لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي
عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء أن طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير
هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله

ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الإبعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار وأن يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحياة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يعجله من تميرات أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل إن الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي إليه من أناب) ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين ارتضاه ... بدل من من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن بذكره قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو
مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك ...

لؤلؤ ولا زهرة إلا وفيها منه إلا السواد ولم يخلق الله لونا إلا وفيها منه ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروي عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده موقوفا عن أبي هريرة قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرؤوا إن شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الأحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود ﴿ وقوله تعالى (وحسن مآب) يعني لهم حسن منقلب ومرجع [illegible] والمعنى الآخرة وهي الجنة ﴿ قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم) يعني كما أرسلنا الرسل أرسلناك يا محمد إلى هذه الأمة كذلك أرسلنا الأنبياء إلى أمم قد خلت من قبلك (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) يعني لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك من القرآن وشرائع الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني أنهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن يا رحيم فرجع أبو جهل إلى المشركين وقال إن محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها (وإليه متاب) يعني وإليه توبتي ومرجعي ﴿ قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة ثم أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم وهم جالسون فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفسح فإنها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حين سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح نركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع [illegible] [illegible] فإنك [illegible] على ربك من سليمان [illegible]

[illegible]

في أهم الأسباب مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضم ما قبلها كموقن والقراءة في (وحسن مآب) بالرفع والنصب تدلك على حالها (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (في أمة قد خلت من قبلها أمم) أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء (قل هو ربي) وربكم (لا إله إلا هو) [illegible] (عليه توكلت) [illegible]

الله هذه الآية ولو أن قرآناً سيرت به الجبال فذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعني شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً (أو كلم به الموتى) فأحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وإنما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره لو أن قرآناً فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فأقسم لو شيء أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شيء أتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا قرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو مقدم تقديره وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق في علم الله فيهم كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا فقال تعالى (بل لله الأمر جميعاً) يعني في هذه الأشياء وفي غيرها إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن وأنكر أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الأكثرون [illegible] أفلم ييأس أفلم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني * ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

يعني ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضاً بقول شاعر آخر

ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه * وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

يعني ألم يعلم الأقوام وقال قطرب يعني علم في لغة العرب فالواو [illegible] هذه اللفظة إنما وقع اليأس في مكان العلم لأن علمك بالشيء وتيقنك به يئسك من غيره وقيل لم ترد اليأس في هذه من كلام العرب العلم وإنما معناه أن ييأس الذين آمنوا من ذلك فمعنى أن يحصل العلم بانتفائه فإذا حصل [illegible] في حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذه الحرفة [illegible] من المعروف لا من العلم وذلك أن المشركين لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات تمنى المسلمون ذلك وأرادوا أن تظهر لهم ليجتمعوا على الإيمان فقال الله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء ويعلموا علماً يقيناً (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) [illegible] قال الزجاج القول عندي أن معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء لأن الله لو شاء لهدى الناس جميعاً وحاصله أن في معنى الآية قولين أحدهما أن يئس بمعنى علم والقول الثاني أنه من اليأس المعروف والقول ما قدمنا وتفسيره [illegible] وقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على أن الله لم يشأ [illegible] الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والأعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تقرعهم بأنواع البلايا إما الجدب وإما القتل والسلب والأسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها إليهم (أو تحل) يعني السرايا أو القارعة (قريباً من دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريباً من دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني الفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حل بالحديبية يوم الحديبية [illegible] وعاقبتهم (إن الله لا يخلف الميعاد) والمراد منه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه [illegible] أن الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزأ بك كفار مكة [illegible] على [illegible] الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية [illegible] صلى الله عليه وسلم وإعلامه أن الأمم الخالية والرسل السالفة [illegible] الاستهزاء [illegible] (فأمليت للذين كفروا) يعني فأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) [illegible]

آمنوا به ولما تمنوا [illegible] كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية (بل لله الأمر جميعاً) بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع [illegible] الذين آمنوا مع علمهم [illegible] لا يكون [illegible] [illegible] (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) [illegible] (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) [illegible] (أو تحل قريباً من دارهم) [illegible] (حتى يأتي وعد الله) [illegible] (ولقد استهزئ برسل من قبلك) [illegible]

[illegible] (إن الله لا يخلف الميعاد) [illegible]

والقتل والأسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعني فكيف كان عقابي لهم (أفمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت) يعني أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير أو شر ويجازيها بما
كسبت فيثيبها إن أحسنت ويعاقبها إن أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن
نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الأصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء)
يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التي جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعني له وقيل صفوهم بما
يستحقون ثم انظروا هل هي أهل لأن تعبد (أم تنبئونه) يعني أم تخبرون الله (بما لا يعلم في الأرض) يعني أنه
لا يعلم أن له شريكا في الأرض فكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والأرض ولو
كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بأن يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعني أنهم يتعلقون بظاهر
من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل بباطل من القول لا يعلمون حقيقته (بل
زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وإنما فسر المكر بالكفر لأن مكرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لأنه هو الفاعل المختار على
الإطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود إلا بإذنه فتزيين الشيطان إلقاء الوسوسة فقط ولا يقدر على
إضلال أحد وهدايته إلا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد
۞ وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا
من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم
أي عن الإيمان (ومن يضلل الله فما له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر
القراء (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والأسر وذلك بما نعطيهم (ولعذاب الآخرة أشق)
يعني أشد وأغلظ لأن المشقة غلظ الأمر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق
الذي هو الصدع (وما لهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه ۞ قوله
تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم)
لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني أنه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود
لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم وأصحابه فإنهم يقولون إن نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية
دليل على أن حركات أهل الجنة لا تنتهي إلى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار
المعتزلي بهذه الآية على أن الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل أنها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وتنقطع
أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني
لا ينقطع قال ولا ينكر أن يكون في السموات جنات كثيرة تتنعم بها الملائكة ومن ينتقل إليها من الأنبياء
والشهداء وغيرهم على ما روي إلا أن الذي نذهب إليه أن جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل
دليلهم مركب من آيتين إحداهما قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه والأخرى قوله أكلها دائم وظلها فإذا
أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على أن الجنة
مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ۞ وقوله تعالى (تلك عقبى الذين
اتقوا) يعني أن عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعني في الآخرة ۞ قوله عز وجل
(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) في المراد بالكتاب قولان أحدهما أنه القرآن والذين
أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الأحكام
والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا

(فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في
إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو (قائم) رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن
ليس كذلك ثم استأنف
فقال (وجعلوا لله شركاء)
أي الأصنام (قل سموهم)
أي سموهم له من هم ونبئوه
بأسمائهم ثم قال (أم تنبئونه
بما لا يعلم في الأرض) على
أم المنقطعة أي بل أتنبئونه
بشركاء لا يعلمهم في الأرض
وهو العالم بما في السموات
والأرض فإذا لم يعلمهم علم
أنهم ليسوا بشيء والمراد
نفي أن يكون له شركاء (أم
بظاهر من القول) بل
أتسمونهم شركاء بظاهر من
القول من غير أن يكون
لذلك حقيقة كقوله ذلك
قولهم بأفواههم ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها
(بل زين للذين كفروا
مكرهم) كيدهم للإسلام
بشركهم (وصدوا عن
السبيل) عن سبيل الله بضم
الصاد كوفي وبفتحها غيرهم
ومعناه وصدوا المسلمين عن
سبيل الله (ومن يضلل الله
فما له من هاد) من أحد
يقدر على هدايته (لهم
عذاب في الحياة الدنيا)
بالقتل والأسر وأنواع المحن
(ولعذاب الآخرة أشق)
أشد لدوامه (وما لهم من
الله من واق) من حافظ من
عذابه (مثل الجنة التي
وعد المتقون) صفتها التي
هي في غرابة المثل وارتفاعه
مبتدأ والخبر محذوف أي
فيما قصصنا عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) على
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقبى الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين
[illegible] النار [illegible] الجنة [illegible]

أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكرين أي قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (إليه أدعو) خصوصا لا أدعو إلى غيره (وإليه) لا إلى غيره (مآب) مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يشاركهم فيها فقيل (ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم) أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (ما لك من الله من ولي ولا واق) أي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة قال فإن قلت إن الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه قلت إن الأحزاب لا ينكرون القرآن جميعا لأنه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله وإثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني أن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وإنما قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أي قل يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) شيئا (إليه أدعو) أي إلى الله وإلى الإيمان به أدعو الناس (وإليه مآب) يعني مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وإنما سمى القرآن حكما لأنه يجمع التكاليف والأحكام والحلال والحرام والنقض والإبرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل إن الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين إن المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به اتباع آبائهم في الصلاة لبيت المقدس (بعدما جاءك من العلم) يعني بأنك على الحق وأن قبلتك هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى (ما لك من الله من ولي ولا واق) يعني من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روي أن اليهود وقيل المشركين قالوا إن هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة إلا في النساء فلو كان كما يزعم أنه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعن هذا الطعن بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فإنه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك في نبوته أيضا وإذا كان كذلك فكيف ينكرون عليك ذلك ويجعلونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد بشرا مثلك يأكلون ويشربون ويتزوجون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه إنزال المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجز الواحد كاف في إثبات النبوة وقد أتاهم رسول

الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل

[illegible]

الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة فأعرضوا عنها فليس لهم أن يقترحوا عليه شيئاً وإتيان الرسول بالمعجزات ليس إليه بل هو مفوض إلى مشيئة الله عز وجل فإن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد كانوا يستعجلون به فأخبر الله عز وجل أن لكل قضاء قضاه كتاباً قد كتبه فيه ووقتاً يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن لكل أجل أجله الله كتاباً قد أثبته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك أنهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غداً وما سبب ذلك إلا أنه يقوله من تلقاء نفسه فأجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا القول ما روي عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فإن قلت هذا الحديث والذي قبله يدل على أن الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدر الله وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن تنقلب السعادة شقاوة والشقاوة سعادة وقد صح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد يكون ذلك لأجل القطع بأن الله عالم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيداً يموت في وقت معين استحال أن يكون قبله أو بعده وهو قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك والجواب الثاني أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين بتصور الزيادة وأما علم الله السابق فيه فلا زيادة ولا نقص وقد يتصور في الظاهر انتقال الكافر إلى الإسلام والتائب من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي يتوب فيقبل توبته فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة إلى الشقاوة والأصل في هذه الانتقالات الخاتمة بما تقدم في علم الله له وهو المراد من علم الله الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو إذهاب الأثر والكتابة وقد ذهب جماعة من العلماء إلى حمل الآية على ظاهرها وعمومها في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فقالوا إن الله يمحو ما يشاء من الرزق والأجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهذا مذهب عمر وابن مسعود فإنهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء وروي عن عمر أنه كان

الآيات على ما تقتضيه حكمته وإعادة ذلك إلى الله (لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي مفروض عليهم على ما تقتضيه حكمته (يمحو الله ما يشاء) نسخ ما يشاء (ويثبت) بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يثبت من جاء أجله وعكسه أو يثبت سعادة وشقاوة وعلى

يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها وإن كنت كتبتني من أهل الشقاوة فامحني منها وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وورد في بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر بدلاً عن الحكم المتقدم وقيل إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب به ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس وقال الربيع هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه وقيل إن الله يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة محاها وأثبت حكماً آخر للسنة الأخرى وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل إن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لأحد عليه فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فإن قلت مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات قلت المحو والإثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو ولا يثبت إلا ما سبق به علمه في الأزل وبه قضى القضاء والقدر (مسئلة) استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية فقالوا إن البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه الشبهة أن مذهبهم باطل ظاهر الفساد لأن علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالاً كذا ذكره الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية ۞ وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ أم الكتاب لأن جميع الأشياء مثبتة فيه منه تنسخ الكتب المنزلة وقيل إن العالم كلها نسخة منه وقال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء وروى عكرمة عن ابن عباس قال إن لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون (وإما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني من العذاب (أو نتوفينك) يعني قبل أن نريك ذلك (فإنما عليك البلاغ) يعني ليس عليك إلا البلاغ يعني تبليغ الرسالة إليهم والبلاغ اسم يقام مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعني وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم ۞ قوله عز وجل (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) يعني أولم ير كفار مكة الذين سألوا محمداً صلى الله عليه وسلم الآيات أنا نأتي الأرض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح ديار الشرك فإن ما زاد في دار الإسلام فقد نقص من دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا نأتي الأرض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضاً بعد أرض حوالي أرضهم أفلا يعتبرون فيخافون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من

(وعنده أم الكتاب) أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه (وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فإنما عليك البلاغ) فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتي الأرض) أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراءه فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من النصرة والظفر

للمسلمين وذلك ان الله تعالى اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وقسرا كان ذلك نقصانا في دارهم وزيادة في
دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز
له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون ان نفعل
بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب
من الاوّل وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي
رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا
فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء
ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال
الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير
ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء وعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى
الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاوّل أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا
الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقريره ان
قال أولم يروا ان كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص
بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلاء
الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه فيحسن
اتصال الكلام بما قبله ﴿ وقوله تعالى (والله يحكم لا معقب لحكمه) يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه
والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء
والطلب والمعنى والله يحكم نافذ الحكم خالص من المدافع والمعارض والمنازع لا يعقب حكمه أحد بتغيير
ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاد الله يعني المجازاة بالخير
والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في
معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين
مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون
بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين
له وبه أي هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر
لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كأنه قيل قد فعل من كان
قبلهم من الكفار مثل فعلهم وسعوا ثم لم يضرهم فلم يضر الا من أراد الله ضره واذا كان الامر كذلك
وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من احد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعني ان جميع
اكتساب العباد بأسرها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم
وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضر الا باذنه وارادته وفيه تهديد للكفار الماكرين (وسيعلم
الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين
وهم جماعة من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا الا انهم سيعلمون ان العاقبة
الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿ قوله تعالى
(ويقول الذين كفروا لست مرسلا) الآية أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله فأمره الله بقوله (قل) أي

قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات الظاهرات الدالة على صدقه وكونه نبياً مرسلاً من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعني ومن عنده علم الكتاب أيضاً يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى والمعنى أن كل من كان عالماً من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالإنجيل علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فمنهم من شهد بذلك ومنهم من شهد به وأنكر ومنهم من أنكر وقيل إنهم مؤمنو أهل الكتاب يشهدون أيضاً على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة بعد الهجرة وقال ابن بشر لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد من عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالله الذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيداً بيني وبينكم قال الزجاج الأشبه أن الله لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وهذا قول مشكل لأن عطف الصفة على الموصوف وإن كان جائزاً إلا أنه خلاف الأصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ويدل لهذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علماً وقيل معناه أن من علم أن القرآن الذي جئت به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والإخبار عن الغيوب وعن الأمم الماضية فمن علم هذه الصفة كان شهيداً بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)

وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً إلى آخر الآيتين وهي إحدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة وإحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الر كتاب أنزلناه إليك) يعني هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الإيمان قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله وفي الآية دليل على أن طرق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس إلا واحداً لأنه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الإيمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على أن طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والإيمان فليس إلا واحداً (بإذن ربهم) يعني بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحميد) يعني إلى دين الإسلام وهو دينه الذي أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغالب والحميد هو المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر نعتاً للعزيز الحميد وقال أبو عمرو والقراءة بالخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد (الذي له ما في السموات وما في الأرض) يعني ملكاً وما فيهما عبيده (وويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادة من هو الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك شيئاً ألبتة بل هو مملوك لله لأنه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما في السموات وما في الأرض (من عذاب شديد) يعني ينالهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون

(كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) بما أظهر من الأدلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيداً تمييز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم وقال ابن سلام في نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور إذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلاً لأن الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير ومن ثبت عنده علم الكتاب وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء *(سورة إبراهيم عليه السلام مكية وهي إحدى وخمسون آية)* (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر كتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه إليك) في موضع الرفع صفة للنكرة (لتخرج الناس) بدعائك إياهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى (بإذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (إلى صراط) بدل من إلى النور بتكرير العامل (العزيز) الغالب بالانتقام (الحميد) المحمود على الإنعام (الله) بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد (الذي له ما في السموات وما في الأرض) خلقاً وملكاً ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد) ثم وصفهم فقال (الذين يستحبون)

ويؤثرونها (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والأصل
ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك في ضلال بعيد) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الإسناد المجازي ،
والبعد في الحقيقة للضال لأنه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده أو مجرور صفة للكافرين أو

(٧)

منصوب على الذم أو مرفوع على أعني الذين أو هم الذين (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) إلا متكلما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نفهم ما خوطبنا به فإن قلت إن رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من آثر سبب الضلالة (ويهدي من يشاء) من آثر سبب الهداية (وهو العزيز) فلا يغالب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل إلا أهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع

الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن سبيل الله)
أي ويصرفون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يعني ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار وأوصل
الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها راجعة إلى الدنيا ومعناه
يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل إلى الحرام (أولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال بعيد)
يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لأن الضال يبعد عن الطريق ﴿قوله تعالى
(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه وهو قوله تعالى (ليبين
لهم) يعني ما يأتون وما يذرون فإن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث
إلى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا بل هو مبعوث إلى الثقلين الجن
والإنس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضي بظاهره أنه
مبعوث إلى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم
والناس تبع للعرب فكان مبعوثا إلى جميع الخلق لأنهم تبع للعرب ثم إنه بعث الرسل إلى الأطراف
يترجمون لهم بألسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل أنه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب
وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوة وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه كانت
دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم في ذلك فإذا فهموه ونقل
عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهله وإذا كان الكتاب
واحدا لغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعلم معانيه وتفهيمه
[illegible] حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء)
يعني أن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) أي
الذي لا يغالب ولا يمانع (الحكيم) في جميع أفعاله ﴿قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) المراد
بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من
المعجزات العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أي بأن أخرج قومك بالدعوة من
ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة يعني بنعم
الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم وإنما أراد ما كان في
أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عن ذلك لأن ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى
عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى
من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الأيام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن
خالف الرسل وكذبهم [illegible] بأيام الله [illegible] كانوا
[illegible] فأنجاهم الله من ذلك [illegible] (إن
في ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وإنما خص الصبور الشكور
بالاعتبار بالآيات وإن كان فيها عبرة للكل لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم
بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولأن الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله إلا لمن
يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

(أن أخرج قومك) أن مفسرة بمعنى أي أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له [illegible]
[illegible] (من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب
[illegible] حروبها وملاحمها [illegible] (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) [illegible]
[illegible] (وإذ قال موسى لقومه [illegible]

عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) إذ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من
نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الأعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل أن
التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر
(ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الإشارة إلى العذاب والبلاء المحنة أو إلى الإنجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر

عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام أن يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الأمر وذكرهم بأيام الله تعالى فقال اذكروا نعمة الله عليكم (إذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا إنعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فإن قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت إنما حذفت الواو في سورة البقرة لأن قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول أتاني القوم زيد وعمرو إذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو في هذه السورة فلأن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعني يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فإن قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلكم إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم لأن البلاء يكون بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لأنه موافق لأول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فإن قلت إن تذبيح الأبناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستخدمونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالإماء فكان ذلك بلاء (وإذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قال اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) يعني نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم وقيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وفيها دقيقة وهي أن العبد إذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه وإحسانه إليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد فلذلك يؤكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات إلى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله أن يرزقنا شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه وإحسانه وإنعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر هنا كفران النعمة وجحودها لأنه مذكور في مقابلة الشكر (إن عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولم يشكرها (وقال موسى إن تكفروا) يعني يا بني إسرائيل (أنتم ومن في الأرض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فإنما يعود ضرر ذلك عليكم فإن الله غني عن شكركم (فإن الله لغني) يعني عن جميع خلقه (حميد) أي محمود في جميع أفعاله لأنه متفضل عادل (ألم يأتكم نبأ) أي خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه أنه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم من الأمم ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه أنه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بأمر القرون الماضية والأمم الخالية والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من تقدم ذكرهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الأمم الثلاثة (لا يعلمهم إلا الله) يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم

والخير فتنة (وإذ تأذن ربكم) أي آذن ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى إذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل [illegible] (ولئن كفرتم) [illegible] (إن عذابي لشديد) [illegible] (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا) والناس كلهم (فإن الله لغني) عن شكركم (حميد) وإن لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض [illegible]

قولهم إن الأنبياء كذبت النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) ...
... إلى الأنبياء ... إلى الرسل ... كفرنا بما أرسلتم به
(وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه) من الإيمان بالله والتوحيد (مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم

الا الله لأن علمه محيط بكل شيء إلا بعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أقوام وأمم ما أحصاهم ولا عرفهم أصلا ومعنى قوله وقد روينا من ذلك كثيرا وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم النسب إلى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس أنه قال بين إبراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أبا أبا إلى آدم لأنه لا يعلم أولئك الآباء إلا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الأيدي والأفواه قولان أحدهما أن المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني أن الأمم ردوا أيديهم إلى أفواه أنفسهم يعني أنهم وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل إن الأمم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني أن المراد بالأيدي والأفواه غير الجارحتين فقيل المراد بالأيدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالأفواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل إنهم كفوا عن قبول ما أمروا به وقبول الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لأنهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الأمم ردوا على رسلهم (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) يعني إنا كفرنا بزعمكم أن الله أرسلكم لأنهم لم يقروا بأنهم أرسلوا إليهم لأنهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا إليهم لكانوا مؤمنين (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) يعني موجب للريبة أو موقع في الريبة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر الذي يشك فيه فإن قلت إنهم قالوا أولا إنا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون بعد ذلك وإنا لفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت إنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا إن لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لأممهم (أفي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام بمعنى الإنكار ونفي لما اعتقدوه (فاطر السموات والأرض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والأرض وخالق جميع ما فيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم إذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل إنها أصلية ليست بصلة وعلى هذا أنه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم إلى أجل مسمى) يعني إلى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الأمم مجيبين للرسل (إن أنتم) يعني ما أنتم (إلا بشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا إلا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعني بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) يعني أن الكفار لما قالوا للرسل إن أنتم إلا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب أن الأمر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) يعني وليس لنا ...

أفي الله شك) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وإنا لفي شك (فاطر السموات والأرض يدعوكم) إلى الإيمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) إذا آمنتم ولم يجئ مع من إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أي القوم (إن أنتم) ما أنتم (إلا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني الأصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) تسليم لقولهم إنهم بشر مثلهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالإيمان والنبوة كما من علينا بالرسالة (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا ...

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم ألا ترى إلى قوله (وما لنا ألا نتوكل على الله) معناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهدايته كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (٧٣) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسلهم) سكنها لرسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن في ملتنا) أي لتكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم حلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الإهلاك والإسكان أي ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مصدر بمعنى القيام أي خاف قيامي عليه بالحفظ لقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك [illegible] (وخاف وعيد) [illegible] (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم [illegible] وهو معطوف على أوحى إليهم (وخاب كل جبار) متكبر بطر (عنيد) مجانب للحق معناه نصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم أنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى (من ماء [illegible]) [illegible]

الرسالة أن يأتيكم بآية وبرهان معجز يدل على صدقه إلا بإذن الله أي بذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (وما لنا ألا نتوكل على الله) يعني أن الأنبياء قالوا إنا نفوض أمرنا إليه لأنا نعلم أن الأشياء بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فإن قلت كيف كرر الأمر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه إشارة إلى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وإبقائه وإدامته فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) يعني ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم أيها الرسل من بلادنا أو أن تعودوا في ملتنا فإن قلت هذا يوهم بظاهره أنهم كانوا على ملتهم في أول الأمر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم فلما أرسلوا إليهم أظهروا مخالفتهم ودعوهم إلى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم وإجماع الأمة على أن الرسل من أول الأمر إنما نشأوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى إليهم ربهم) يعني أن الله تعالى أوحى إلى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعني أن عاقبة أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) يعني من بعد هلاكهم (ذلك) يعني ذلك الإسكان (لمن خاف مقامي) يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فأضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم ندمت على ضربي إياك وندمت على ضربك له (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي قوله عز وجل (واستفتحوا) يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني الأمم وذلك أنهم قالوا اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة استفتح الرسل على أممهم وذلك أنهم لما أيسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعني وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار في صفة الإنسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الإنسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله وقيل العنيد المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعني أمامه وهو صائر إليها قال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الأخفش هو كما يقال هذا الأمر من ورائك يعني أنه سيأتيك (ويسقى) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ما يسيل من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته

وكراهته ونتنه (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين إن يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخل يكاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد إبطاء لأن العرب تقول ما كدت أقوم أي قمت بعد إبطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله ووقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وإنما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها ۞ وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني أن الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال إبراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد وقيل هو الخلود في النار ۞ قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف إليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسحق من الحطب والفحم بعد احتراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار لأن البرد والحر يكونان فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لأنه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي لا ينتفعون بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى له أثر فكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى لها أثر ثم اختلفوا في هذه الأعمال ما هي فقيل هي ما عملوا من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الأعمال وإن كانت أعمالا صالحة لكن لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وضاعت ولم تنفعهم البتة وزادت خسرانهم لأنهم أتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل أراد بالأعمال الأعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فإنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هو الذي لا يرجى عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وإنما خلقهما لأمر عظيم وغرض صحيح (إن يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى أن الذي قدر على خلق

إنشاء الموجود وإيجاد المعدوم (وما ذلك على الله بعزيز) بممتنع (وبرزوا لله جميعا) ويبرزون يوم القيامة وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله تعالى لا يواريهم عنه شيء حتى برزوا له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والأتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم (إنا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع [illegible] قال تبعا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) فهل تقدرون على دفع شيء عنا فمن الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو هما للتبعيض أي فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله لما كان قول الضعفاء توبيخا لهم [illegible] لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم (قالوا) لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أي لو هدانا الله إلى الإيمان في الدنيا لهديناكم إليه أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنيناكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلاك (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستو علينا الجزع

السموات والأرض قادر على أن يفنيهم ويأتي بخلق آخر سواهم لأن القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد أهلككم يا معشر الكفار وأخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بممتنع لأن الأشياء كلها سهلة على الله وإن جلت وعظمت ﴿ قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعني وخرجوا من قبورهم إلى الله لحسابهم فجازاهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل في البراز وذلك أن يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى الفضاء وأورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الأتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعا) يعني في الدين والاعتقاد (فهل أنتم) أي في هذا اليوم (مغنون عنا) يعني دافعون عنا (من عذاب الله من شيء) من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبوعون للتابعين (لو هدانا الله لهديناكم) يعني لو أرشدنا الله لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستو علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لأنه يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (ما لنا من محيص) يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار استغاثوا بالخزنة كما قال الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قالوا [illegible] إنكم ماكثون فلما يئسوا [illegible] كما [illegible] فلما يئسوا [illegible] قال بعضهم لبعض [illegible] أهل الطاعة [illegible] فلم ينفعهم [illegible] فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴿ قوله تعالى (وقال الشيطان) يعني إبليس (لما قضي الأمر) يعني لما فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار [illegible] يوم القيامة [illegible] فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (إن الله وعدكم وعد الحق) [illegible] (ووعدتكم فأخلفتكم) يعني الوعد [illegible] (وما كان لي عليكم من سلطان) يعني من ولاية وقهر [illegible] (إلا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع

والصبر والهمزة وأم للتسوية روي أنهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا [illegible] أنهم لهم كان جزعا [illegible] سواء علينا أجزعنا أم صبرنا [illegible] في عقاب الضلالة التي كانوا [illegible] في الجزع كلا فائدة في الصبر (ما لنا من محيص) منجى [illegible] أجزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين [illegible] (وقال الشيطان لما قضي الأمر) [illegible] أهل الجنة الجنة وأهل النار النار [illegible] (إن الله وعدكم وعد الحق) [illegible] (وما كان لي عليكم من سلطان) [illegible] (إلا أن دعوتكم)

لكن دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لي) فأسرعتم إجابتي (فلا تلوموني) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث أطعتموني فلا تتبعوا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله أي إلى الإيمان لهديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا يغني بعضنا بعضا من عذاب الله ولا ينفعه (٧٦) والإصراخ الإغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للياء وغيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (إني كفرت بما أشركتمون) بالله تعالى بمعنى وما مصدرية (من قبل) متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كما قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفرت بما أشركتموني إياه بترئه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو هو بمعنى كفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل فقوله أشركتموني أي جعلتموني له شريكا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (إن الظالمين لهم عذاب أليم) من الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) حال مقدرة (بإذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة بإذن الله (تحيتهم فيها سلام) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (ألم تر) تنظر (كيف ضرب الله مثلا) ويبدل منه (كلمة طيبة) أي لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) وهي النخلة [illegible]

معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) يعني ما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا إلي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى فإني وإن اتبعتموني عن غير حجة ولا دليل (ما أنا بمصرخكم) يعني بمغيثكم ولا منقذكم (وما أنتم بمصرخي) يعني بمغيثي ولا منقذي مما أنا فيه (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) يعني كفرت بجعلكم إياي شريكا لله في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى إن إبليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (إن الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث إلى قوله فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ثم يقول الكافرون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم يعظم جهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدكم وعد الحق الآية ۞ وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال القوم من السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والأجر الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة إليها الإشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير إليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (بإذن ربهم) لأن تلك المنافع إنما كانت بإذن الله تعالى وأمره الثاني قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل أن بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة والملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لأن السلام مشتق من السلامة ۞ قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر يعني ألم تعلم علم يقين بإعلامي إياك فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شبها والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما من الآخر ويصوره وقيل هو قول سائر يشبه فيه شيء بشيء آخر (كلمة طيبة) هي قول لا إله إلا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة تشبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتي أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك

[illegible]

أن تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا وفي رواية إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه أنها المؤمن ﴿ وقوله (أصلها ثابت) يعني في الأرض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (تؤتي أكلها) يعني تعطي ثمرها (كل حين بإذن ربها) يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلعها إلى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني أن مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهورها إلى إدراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطري الرطب فأكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الإخلاص وأصل الإيمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها أن كلمة الإخلاص ثابتة في قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة في الأرض الوجه الثاني أن هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث أن ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الأعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا إله إلا الله صعدت إلى السماء رجاءته وبركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع أن النخلة شبيهة بالإنسان في غالب الأمر لأنها خلقت من فضلة طينة آدم وإنها إذا قطع رأسها ماتت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فإنه إذا قطع نبت وإنها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجر على الإطلاق لأن الشجرة لا تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني أن في ضرب الأمثال زيادة في الأفهام وتصوير المعاني وتذكيرا ومواعظ لمن يتذكر ويتعظ ﴿ قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الحنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس أنها الكشوث وعنه أنها الثوم وعنه أنها الكافر لأنه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد إلى السماء (اجتثت) يعني استؤصلت وقطعت (من فوق الأرض ما لها من قرار) يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الأرض لأنها ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده أصل ثابت فهذا مثل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) قال هي النخلة (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) قال هي الحنظل أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح ﴿ قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية أنه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت

(أصلها ثابت) أي في الأرض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها إقرار باللسان وأكلها عمل الأركان وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملا ولكن الأشجار لا تراد إلا للثمار فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا ما أتت الأشجار في عهد الأثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم (تؤتي أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها (بإذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث أنها شجرة الحنظل (اجتثت من فوق الأرض) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (ما لها من قرار) أي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله

والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا إله إلا الله في قول جمهور المفسرين كما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحياة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول أصح ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً قال قتادة ذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم رجع إلى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فإن هداه الله قال كنت أعبد الله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسأل عن شيء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتاً في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن وإن الكافر والمنافق إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائي أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبر الميت أو قال إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً زاد في رواية وقال إن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية أخرى ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم اتفقا فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وإن الكافر فذكر موته قال وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك

فيقول

(في الحياة الدنيا) حتى إذا فتنوا في قبورهم لم يزالوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود وغيرهم (وفي الآخرة) الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب وعن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول لا ... عصمه فداوم ... الغرر

(ويضل الله الظالمين) فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) ولا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت (٧٩) الله) أي شكر نعمة الله (كفرا) لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) وبفتح الياء مكي وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع أن يقضي العبد ما استطاع من شهوته (فإن مصيركم إلى النار) مرجعكم إليها (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالإضافة إليه تشريفا وبسكون الياء شامي وحمزة وعلي والأعشى (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) المقول محذوف لأن قل تقتضي مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا فحذف المقول لأن أمر وهو المقول والمقول له يدل على الأمر الذي هو قل له يقيموا الصلاة

[illegible]

فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن قد كذب عبدي فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له أعمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي أخرجه مسلم بزيادة طويلة فقيل المراد من الثبات بالقول الثابت هو أن الله تعالى إنما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الإخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم أن يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل أن يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الإخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين ويخلصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب ويسهله لنا بفضله ومنه وكرمه وإحسانه إنه على كل شيء قدير ۞ وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعني من التوفيق والخذلان والهداية والإضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ۞ قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) (خ) عن ابن عباس في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين وقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه أن الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فأرسله إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان اختاروا الكفر على الإيمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يحتمل أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لأنهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعم أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعني المستقر (وجعلوا لله أندادا) يعني الأوثان التي اتخذوها من الأصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبيه والمثل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قلائل (فإن مصيركم إلى النار) يعني في الآخرة ۞ قوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعني أقيموا وأديموا الصلاة الواجبة وأقيموها بتمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهذا الإنفاق إخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الإنفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه إخراج الزكاة والإنفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعني ينفقون أموالهم في حال السر

(من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله قرأ مكي وبصري بالفتح والباقون بالرفع والتنوين (٨٠) (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والأرض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه فما موصولة والجملة صفتها وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل عن أبي عمرو وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه وقوله أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (وإن تعدوا

[illegible]

وقال العلماء أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية إخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هاهنا الفداء يعني لا فداء في ذلك اليوم (ولا خلال) يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون مخالة بين اثنين وقال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة إنما هي الأعمال إما أن يثاب بها أو يعاقب عليها فإن قلت كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل إن يوم القيامة أحوال مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الأخلاء بعضهم على بعض إذا كانت تلك المخالة لله في محبته ﴿قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم أنه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة وقد ذكر هنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء أراده فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والأرض إنما بدأ بذكر خلق السموات والأرض لأنهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل إن المطر ينزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى إنعامه بإنزال المطر وإخراج الثمر لأجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمه على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لأجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد إلى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الأنهار) يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار وتفجير العيون لأجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤوبهما في طاعة الله عز وجل وقال مقاتل معناه يدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وإصلاح النبات والحيوان لأن الشمس سلطان النهار بها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه تعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وإنعامه على عباده بحسب حاجتهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من إنعام الله على عباده وتسخيرها لهم (وآتاكم من كل ما سألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك أنه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيئا فحذف الشيء اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه لأن نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني أن نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها (إن الإنسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعني لظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه [illegible]

تضييع الشكر في غير موضعه كفار فهو ظلوم لنفسه وقيل ظلوم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فإن قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما أنه سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) يعني أبعدني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت قد توجه على هذه الآية إشكالات وهي من وجوه الأول أن إبراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنا ثم إن جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني أن الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الأصنام وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بنيه عبادة الأصنام وقد وجد كثير من بنيه عبدة الأصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكور من وجوه فالجواب عن الوجه الأول من وجهين أحدهما أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بأن قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني إلى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد جعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في البلد كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى إن من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى إن الوحوش إذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فإذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها أنه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها وأما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه أيضا الوجه الأول أن دعاء إبراهيم عليه السلام لنفسه بزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام وإن كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس وإظهارا للعجز والحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى وأنه لا يقدر أحد على نفع نفسه بشيء لم يشأه الله فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الإشكالات فالجواب عنه من وجوه الأول أن إبراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني أنه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن إبراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن أذن الله أن يدعو له فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لأن دعاء الأنبياء مجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع أن هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى (رب إنهن) يعني الأصنام (أضللن كثيرا من الناس) هذا مجاز لأن الأصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها إلا أنه لما حصل الإضلال بعبادتها أضيف إليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وإنما فتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني فإنه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فإنه مني يعني المتدين بديني المتمسك بحبلي كما قال الشاعر

إذا حاولت في أسد فجورا * فإني لست منك ولست مني

أراد لست من المتمسكين بحبلي وقوله فإنه مني يعني حكمه حكمي جار مجرى بعضي في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فإنك غفور رحيم) قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم وقال مقاتل

(وإذ قال إبراهيم) واذكر إذ قال إبراهيم (رب اجعل هذا البلد) أي البلد الحرام (آمنا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها وفي الثانية أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وبعدني أي ثبتني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الإسلام (وبني) أراد بنيه من صلبه (أن نعبد الأصنام) من أن نعبد الأصنام (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسبب لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي (فإنه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فإنك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فإنك غفور

ومن عصاني فإنك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الأنباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في
بعض الشرائع وعقائد التوحيد فإنك غفور رحيم إن شئت أن تغفر له غفرت إذا كان مسلماً وذكر وجهين
آخرين أحدهما أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبويه وهو يقول إن ذلك غير
محظور فلما عرف أنهما غير مغفور لهما تبرأ منهما والوجه الآخر ومن عصاني بإقامته على الكفر فإنك
غفور رحيم يعني أنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر إلى الإيمان والإسلام وتهديه إلى
الصواب ﴿قوله عز وجل إخباراً عن إبراهيم﴾ (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها
على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في
أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء
ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه
أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذاً لا يضيعنا ثم
رجعت فانطلق إبراهيم فدعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى
بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت
وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب
جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا
بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت
عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
صوتاً أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد
ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت
زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي
الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض
كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل
بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا إن هذا الطائر ليدور على
ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل
عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كانوا
بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم
وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته أخرجه البخاري بأطول من هذا وقد تقدم
الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي من للتبعيض أي
بعض ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع لأنه واد بين جبلين أي
يابس وحجر لا ماء به وهو وادي مكة عند بيتك المحرم إنما سماه محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل
لأن الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرماً لمكانه
وقيل إنما قيل له محرم لأنه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرماً لأن الزائرين له يحرمون على أنفسهم
أشياء كانت مباحة لهم من قبل وقيل إنما قيل له محرم لأنه يحرم الخروج منه ومن الجبابرة أو من الطوفان فإن قلت كيف قال
عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك قلت يحتمل أن الله عز وجل أوحى إليه

ويسمع إن تاب وآمن (ربنا
إني أسكنت من ذريتي)
بعض أولادي وهم إسماعيل
ومن ولد منه (بواد) هو
وادي مكة (غير ذي
زرع) لا يكون فيه شيء من
زرع قط (عند بيتك
المحرم) هو بيت الله سمي به
لأن الله تعالى حرم التعرض
له والتهاون به وجعل
ما حوله حرماً لمكانه أو لأنه
لم يزل ممنعاً يهابه كل جبار أو
لأنه محترم عظيم الحرمة
لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم
على الطوفان أي منع منه كما
سمي عتيقاً لأنه أعتق منه

وأعلمنا أنه هنالك بيتا قد كان في سالف الزمان وأنه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث في هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام في ليقيموا متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتي وهم إسمعيل وأولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا أي لأجل أن يقيموا أو لكي يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوي جمع الوفد (تهوي إليهم) تحن وتشتاق إليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم إلى هذا الموضع وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلهذا جعله جمع فؤاد قال ابن الأنباري وإنما عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهري الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوي إليهم قال الأصمعي يقال هوى يهوي هويا إذا سقط من علو إلى سفل وقال الفراء تهوي إليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوي نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوي تسرع إليهم وقال ابن الأنباري معناه تنحط إليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن إليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع إليهم وفي هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لطلب حج البيت لا لأعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينتفعون بمن يأتي إليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته (وارزقهم من الثمرات) يعني كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصيل تلك الثمار ويحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى إليه ثمرات كل شيء ❁ وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هو ليستعان بها على أداء العبادات وإقامة الطاعات (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) يعني إنك تعلم السر كما تعلم العلانية علما لا تفاوت فيه والمعنى إنك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا إلى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بيننا وبين هاجر عند الوداع حين قالت لإبراهيم عليه السلام إلى من تكلنا قال إلى الله قالت إذا لا يضيعنا (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) قيل هذا من تمام قول إبراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الأكثرون إنه من قول الله تعالى تصديقا لإبراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق) قال ابن عباس ولد إسمعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر إبراهيم بإسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لأن هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لأنه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه النعمة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق فإن قلت كيف جمع بين إسمعيل وإسحق في الدعاء وهب واحد إنما بشر بإسحق بعد إسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل أن إبراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء عندما بشر بإسحق وذلك أنه لما عظمت المنة عليه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بهذا الدعاء عند مفارقة إسمعيل وأمه لأن الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي إلى قوله لعلهم يشكرون فإذا ثبت هذا يكون قوله الحمد لله الذي

بعد عمرانه (فاجعل أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وتنكير المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة لتتناول بعض الأفئدة (تهوي إليهم) تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد الشاسعة (لعلهم يشكرون) النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات في واد ليس فيه شجر ولا ماء (ربنا) النداء المكرر دليل التضرع واللجأ إلى الله (إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لإبراهيم عليه السلام أو من كلام إبراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (إسمعيل وإسحق) روي أنه ولد له إسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروي أنه ولد له إسمعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب

الإياس من أجل الكبر ولأن الولادة في السن العالية كانت آية لإبراهيم (إن ربي لسميع الدعاء) لمجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان إذا تلقاه بالإجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من إجابته وإضافة السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل الباقون بلا ياء أي استجب دعائي أو عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء أو قاله قبل النهي والإياس عن إيمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا مثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر وكما في الأمر يا أيها الذين آمنوا آمنوا ... والمراد به الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه ... (إنما يؤخرهم) ... (ليوم تشخص فيه الأبصار) أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين إلى الداعي

وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (إن ربي لسميع الدعاء) كان إبراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من إجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وإنما أدخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لأنه علم بإعلام الله إياه أنه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فإن قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدي) فإن قلت كيف استغفر إبراهيم لأبويه وكانا كافرين قلت أراد بهما إن أسلما وتابا وقيل إنما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل إن أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله إبراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فإن قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت إذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان الوجه الثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى لا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وإن كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا إشكال فيه ولا سؤال لأن أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) يقال شخص بصر الرجل إذا بقيت عينه مفتوحة لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما يرى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة على هذا المعنى أن الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى أنهم مع شخوص

(مقنعي رؤوسهم) رافعيها (لا يرتد إليهم طرفهم) لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) صفر من الخير لا تعي شيئاً من الخوف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول ثان لأنذر لا ظرف إذ الإنذار لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) أي ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلفتم في الدنيا أنكم إذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال أو أريد باليوم (٨٥) يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فإنهم يسألونه يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لأن السكنى من السكون وهو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وتعوذ أن يكون سكنوا من السكن أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالأخبار والمشاهدة (كيف فعلنا بهم) وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أي تبين لكم حالهم و(كيف) ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وعامله فعلنا (فعلنا بهم) أي هلاكهم وانتقامنا منهم (وضربنا لكم الأمثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الإسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف إلى الفاعل كالأول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو مضاف إلى المفعول أي وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الأولى ونصب الأخيرة على وإن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً وقراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الأولى ورفع الأخيرة علي أي وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها

الأبصار يكونون مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعي رؤوسهم) الإقناع رفع الرأس إلى فوق فأهل الموقف من صفتهم أنهم رافعو رؤوسهم إلى السماء وهذا بخلاف المعتاد لأن من توقع البلاء فإنه يطرق بصره إلى الأرض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد إليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها ومعنى الآية أن أفئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف وقال ابن جريج وأفئدتهم هواء أي صفر من الخير خالية منه وقيل مترددة تهوي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية أن القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (وأنذر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) يعني أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع إلى الدنيا حتى يؤمنوا فطلبهم ذلك هو قوله تعالى (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فأجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي من كان قبلكم من كفار الأمم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا إياهم (وضربنا لكم الأمثال) يعني الأمثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن لتدبروها وتعتبروا بها فتعتبروا على كل شاهد أحوال الماضين من الأمم الخالية والقرون الماضية ونعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا لأن تعرفوا ما يحصل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكرهم) اختلفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور وقيل إن المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني استيفاء مكرهم بك وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل إن مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني وإن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو

الجبال وقد حكي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قولاً آخر وهو أنها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج إبراهيم في ربه فقال نمرود إن كان ما يقوله إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراخ من النسور فرباهن حتى كبرن وشببن واتخذ تابوتاً من خشب وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل ثم جوّع النسور ونصب خشبات أربعاً على أطراف التابوت وجعل على رؤوس تلك الخشب لحماً أحمر وقعد هو في التابوت وأقعد معه رجلاً آخر وأمر بالنسور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فطلبت النسور كلما رأت اللحم رفعته وطارت النسور يوماً أجمع حتى بعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال إن السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الأسفل فانظر إلى الأرض كيف تراها ففعل فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوماً آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى ففعل فإذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغي أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد إليه السهم ملطخاً بالدم بمكة قذفت بنفسها في بحر الهواء وقيل إن طائراً أصابه السهم فلما رجع السهم ملطخاً بالدم قال كفيت إله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات إلى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال قال الواحدي وقد نقل بعض العلماء هذه الحكاية وقال إن الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر وإعلاء الكلمة وإظهار الدين فإنه ناصر رسله وأولياءه ومهلك أعدائه وإن تقدم وإن تأخر بعد وقته ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (إن الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) يعني من أعدائه قوله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما أنه تبدل صفة الأرض والسماء لا ذاتهما فأما تبديل الأرض فتغير صفتها وهيئتها بأن تدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها فلا يبقى على وجهها شيء إلا ذهب وتمد مد الأديم وأما تبديل السماء فهو انتثار كواكبها وطمس شمسها وقمرها وتكويرهما وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول قال به جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء إلى حمرة وقوله كقرصة النقي هو الخبز الحواري والنقي الدقيق النقي من الغش والنخال قوله عفراء إلى حمرة كأن النار غيرت بياض وجهها إلى الحمرة وقوله ليس فيها علم لأحد يعني ليس فيها علامة لأحد بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها والقول الثاني هو تبديل ذات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض أرضاً كالفضة بيضاء لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل أن تصير الأرض نيراناً والسماء جناناً وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه ويدل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزل فهو

أي أصله مخلف رسله وعده وهو المفعول الثاني له والأول رسله وإنما قدم المفعول الثاني على الأول ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته (إن الله عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لأوليائه من أعدائه (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) على الظرف للانتقام أو على إضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب الرأي

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأنه إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا يستغاث لأحد إلى غيره كان الأمر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين (في الأصفاد) متعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود أو الأغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطر آن نحاس مذاب بلغ حره أناه (وتغشى وجوههم النار) تعلوها باشتمالها وخص الوجه لأنه أعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الأفئدة (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المؤمنين لطاعتهم (إن الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أقل من لمح البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا (وليعلموا أنما هو إله واحد) لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخيرات (وليذكر أولو الألباب) ذوو العقول * (سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم)

والزاي وسكون الراء وهو ما يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة يتكفؤها الخابز بيده أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها ومعنى الكلام في اليد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثله شيء ومعنى الحديث أن الله سبحانه وتعالى يجعل الأرض كالظلمة أي الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير فإن قلت إذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث كل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر وذكر الحديث بطوله أخرجه مسلم أيضا ففي هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * وقوله تعالى (وبرزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (لله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك له المنفرد في الوجود عن الشبيه والنظير والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني مشدودين بعضهم إلى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء إذا شددته معه في رباط واحد (في الأصفاد) يعني في القيود والأغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال زيد بن أسلم تقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم إلى بعض (سرابيلهم) يعني قمصهم واحدها سربال والسربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الأبهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه والهناء هو القطران قال الزجاج وإنما جعل لهم القطران سرابيل لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في إحراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعني تعلوها وتجللها (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (إن الله سريع الحساب) يعني إذا حاسب عباده يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا أنما هو إله واحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليذكر أولو الألباب) يعني وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولو العقول والأفهام الصحيحة [illegible] والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الحجر)

(مكية بإجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله به محمداً صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآناً وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل لأنه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وإنما جمع بين الوصفين وإن كان الموصوف واحداً لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وإنما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وأدخلت ربما هنا على لفظ المستقبل ليدل على أنه شيء كأنه قد كان فإن المترقب في إخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود (الذين كفروا) وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يود فيه الذين كفروا لأن التمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما أن ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر أنه كان على الضلالة فيتمنى لو كان مسلماً وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني أن هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائدها وما يصيرون إليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج إن الكافر كلما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم ود لو كان مسلماً وقيل إذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فغفرها الله لهم بفضل رحمته فأمر الله كل من كان من أهل القبلة في النار فخرجوا منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم يعني النخعي فإن قلت ربما للتقليل وهذا التمني يكثر من الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره إن هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجراً عن هذا الفعل فكيف كثيره وقيل إن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك لهم فإن قلت لم لا يدخل إلا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كأنه قال ربما ود قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الأمل) يعني ويشغلهم طول الأمل عن الأعمال والأخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعني إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن آثر التمتع من الدنيا ولذاتها وأخذ بحظه منها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الآية

بالتخفيف مدني وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هي الكافة لأنها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فإذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم وإنما جاز (يود الذين كفروا) لأن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود وودادتهم تكون عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فتمنى الكافر لو كان مسلماً كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسناً وإنما قلل لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمني فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال إن رب يعنى بها التكثير سهو لأنه ضد ما يعرفه أهل اللغة لأنها وضعت للتقليل (ذرهم) أمر إهانة أي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة

ما هم ... كانوا ... ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الأمل) ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الأعمال (فسوف

{وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم} ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة متى كانت جملة صفة بالموصوف بلا واو وجيء بالواو تأكيداً لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً للقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفاً وقوله كتاب معلوم أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله {ما تسبق من أمة أجلها} في موضع كتابها {وما يستأخرون} أي عنه وحذف لأنه معلوم وأنث الأمة أولاً ثم ذكرها آخراً حملاً على اللفظ والمعنى {وقالوا} أي الكفار (٨٩) {يا أيها الذي نزل عليه الذكر} أي القرآن {إنك لمجنون} يعنون محمداً عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم إنك لأنت الحليم الرشيد والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر {لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين} لو ركبت مع لا وما لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً {ما ننزل الملائكة} كوفي غير أبي بكر ينزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أي تتنزل غيرهم {إلا بالحق} إلا تنزيلاً ملتبساً بالحكمة {وما كانوا إذاً منظرين} إذاً جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم {إنا نحن نزلنا الذكر} القرآن {وإنا له لحافظون} وهو رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً فوقع التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه وقد جعل قوله وإنا له لحافظون دليلاً على أنه منزل من عنده آية إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله كقوله والله يعصمك

دليل على أن إيثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق {وما أهلكنا من قرية} يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال {إلا ولها كتاب معلوم} أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليهم ولا يتأخر عنهم إلا في الوقت الذي جعل لهم في اللوح المحفوظ {ما تسبق من أمة أجلها} من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها لأنها تفيد التبعيض أي هذا الحكم لم يكن ذلك في إفادة عموم النفي آكد ومعنى الآية أن الأجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو وقت نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى {وما يستأخرون} وإنما أدخل الهاء في أجلها لإرادة الأمة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لإرادة الرجال

قوله عز وجل {وقالوا} يعني مشركي مكة {يا أيها الذي نزل عليه الذكر} يعني القرآن وأرادوا به محمداً صلى الله عليه وسلم {إنك لمجنون} إنما نسبوه إلى الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا أن ذلك جنون ولهذا السبب نسبوه إلى الجنون وقيل إن الرجل إذا سمع كلاماً مستغرباً من غيره فربما نسبه إلى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولاً من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه إنك لمجنون في ادعائك الرسالة {لوما} قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا {تأتينا بالملائكة} يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقاً {إن كنت من الصادقين} يعني في قولك وادعائك الرسالة {ما ننزل الملائكة إلا بالحق} يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى {وما كانوا إذاً منظرين} يعني لو نزلت الملائكة إليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الملائكة إليهم عياناً فأجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلت الملائكة إلى الكفار لا يمهلون ولم ينظروا بل يعذبوا في الحال إن لم يؤمنوا ويصدقوا {إنا نحن نزلنا الذكر} يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وإنما قال سبحانه وتعالى إنا نحن نزلنا الذكر جواباً لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل أنه هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم {وإنا له لحافظون} الضمير في له يرجع إلى الذكر يعني وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً على الأبد محروساً من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وإنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا

القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الا ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لسائر الكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك بهم أسوة في الصبر على أذى قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيع الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشئ في الشئ كادخال الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه اى ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي أبين آية في ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعاند قال الواحدي قال اصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسن منه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت بهذا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ۞ وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يعني فظل وظلال فعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب [illegible] ينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا والله اعلم [illegible] وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس [illegible]
من سكر [illegible]

(ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزؤن) تعزية له عليه السلام (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا ادخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) بالله أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو من [illegible] كما [illegible] [illegible] الجري [illegible]

فساد النظر مثل ما يمنع الرجل السكران من تمييز العقل وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكور فقال سكرت الريح إذا سكنت وسكنت عن الهبوب وسكرت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية أن الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا أو يشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا) البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكره في أول القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل شهر مرة وتتم دورة الفلك بقطعها في سنة ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال أبو صالح يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على صورة تنسب إليها وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقه وصوره (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونها إليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع إلا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس فقال لقد حدث في الأرض حدث فبعثهم فنظروا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (إلا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) أي لحقه (شهاب مبين) والشهاب شعلة من نار ساطع ثم سمي الكوكب شهابا لأجل ما فيه من البريق يشبه شهاب النار قال ابن عباس في قوله إلا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

(فصل) اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما أنها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا الحديث يدل على أن هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويقصد ما روي أن نفرا من المفسرين

المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له (ولقالوا بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار (ولقد جعلنا في السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أي السماء (للناظرين وحفظناها) أي السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرمي بالنجوم (إلا من استرق السمع) أي المسترق ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من

الأخنس بن شريق قال أول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وإنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وإن كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على أنها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والأشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدث بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في إثر عفرية * مسوّم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني أن ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح إلى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه إلى أوليائهم ويرمون به فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعثه قالوا وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي خازم وهو جاهلي

والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدري يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين أن الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لأخبار الغيب والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى (والأرض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال إنها مدت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها وأجابوا عن قوله تعالى والأرض مددناها بأن الكرة إذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم ويشهد لهذا الأمر أن الأرض ممدودة مبسوطة وأنها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وأنها مبسوطة ولو كانت كرة لأخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيفية مد الأرض (وألقينا فيها رواسي) يعني جبالا ثوابت وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الأرض على الماء مادت فرساها بالجبال (وأنبتنا فيها) أي في الأرض لأن أنواع النبات المنتفع به تكون في الأرض وقيل الضمير يرجع إلى الجبال لأنها أقرب مذكور ولقوله تعالى (من كل شيء موزون) وإنما يوزن ما يتولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لأن الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج الناس في معايشهم وأرزاقهم فيكون إطلاق الوزن عليه مجازا لأن الناس لا يعرفون مقادير الأشياء إلا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد عني به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لأن هذه الأشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة تقول العرب كلام موزون

السموات كلها (والأرض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) في الأرض جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر في أبواب النعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل

الحركات إذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون إذا كان متناسباً حسناً سالماً من الخطأ والسخف وقيل إن جميع ما ينبت في الأرض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون وبعضه مكيل وهو يرجع إلى الوزن لأن الصاع والمد مقدران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الإنسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطير أنتم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لأن رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى ما لأن من لمن يعقل وما لما لا يعقل وقيل يجوز إطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء إذا أحرزه فقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لأنه سبب الأرزاق والمعايش لبني آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا أنه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره ❁ قوله تعالى (وما ننزله إلا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل إن لكل أرض حداً ومقداراً من المطر يقال لا ينزل من السماء قطرة مطر إلا ومعها ملك يسوقها إلى حيث يشاء الله تعالى وقيل إن المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوماً ويحرم آخرين وقيل إذا أراد الله بقوم خيراً أنزل عليهم المطر والرحمة وإذا أراد بقوم شراً صرف المطر عنهم إلى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لقحت الناقة وألقحها الفحل إذا ألقى الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المثيرة فتقم الأرض قماً ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاماً ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والأظهر في هذه الآية إلقاحها السحاب لقوله بعده فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيدة لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت إلى الأصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وإن ألقحت غيرها لأن معناها النسبة كما يقال درهم وازن أي ذو وزن واعترض الواحدي على هذا فقال هذا ليس بشيء لأنه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات اللقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بأن قال هذا ليس بشيء لأن اللاقح هو المنسوب إلى اللقحة ومن أفاد غيره اللقحة فله نسبة إلى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل إن الريح في نفسها لاقح لأنها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً أي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت إذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير وورد في بعض الأخبار أن اللقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب إلا وأنبعت عيناً غدقة (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوي بسنده إلى الشافعي إلى ابن عباس قال ما هبت ريح قط إلا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ❁ وقوله سبحانه وتعالى (فأنزلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا

إلى الوزن (وجعلنا لكم فيها) في الأرض (معايش) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فإن تصريح الياء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون مجروراً بالعطف على الضمير المجرور في لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به وما نعطيه إلا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح حملت (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه)

لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا إذا جعل له سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل
ماء ولبنا إذا كان لسقيه فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيته (وما أنتم له) يعني للمطر
(بخازنين) يعني أن المطر في خزائننا لا في خزائنكم بل وما أنتم له بمانعين (وإنا لنحن نحيي ونميت) يعني بيدنا
إحياء الخلق وإماتتهم لا يقدر على ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى لأن قوله تعالى وإنا لنحن يفيد الحصر يعني
لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بأن نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل
مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء
خلقه الذين أمتعهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لأن وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداء منه تعالى فإذا فني
جميع الخلائق رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز إلى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير
الخلق إليه ﴿ قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت
امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في
الصف الأول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه فأنزل الله
عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه
وقد روي عن أبي الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك
أن النساء كن يخرجن إلى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر
صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية
فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها
وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من
لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الأوزاعي أراد بالمستقدمين المصلين
في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها إلى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال
وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه إن النبي صلى الله عليه
وسلم حرض على الصف الأول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري
دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها إنما تجزون على النيات فاطمأنوا
وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الأول المستقدم بالتقوى والمستأخر بالفجور وعلى القول الأخير
المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية أن علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم
ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم)
يعني على ما علم منهم وقيل إن الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين على ما ماتوا عليه
(م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد
خلقنا الإنسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه وقيل
من النسيان لأنه عهد إليه فنسي (من صلصال) يعني من الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة يعني
صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فإذا حرك تقعقع وقال مجاهد
هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم إذا أنتن (من حمإ) يعني من الطين الأسود
(مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب تقول العرب سننت الماء
إذا صببته وقال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الأقاويل على ما ذكره
بعضهم أن الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض فبلها بالماء حتى
اسودت وأنتن ريحها وتغيرت وإليه الإشارة بقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم إن
ذلك التراب بل بالماء حتى اسود وأنتن ريحه وتغير وإليه الإشارة بقوله من حمإ مسنون ثم إن ذلك الطين

بالماء وصار صلصالا كالفخار [illegible] الأسود

الأسود المتغير وقوله مسنون أي مصوّر صورة إنسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا
وإليه الإشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس إذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا
سويا ﷺ قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما
أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو إبليس وقيل الجان أبو الجن وإبليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون
وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون
إلا إذا مات إبليس وقال وهب إن من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو
بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والأصح أن الشياطين نوع من الجن
لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الأعين من قولهم جن الليل إذا ستر والشيطان
هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة تدخل مسام
الإنسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي
تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء
والحجاب فإذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا
على قول أصحاب الهيئة أن الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن
مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس
كان إبليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن
من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور ﷺ قوله عز وجل (وإذ قال ربك للملائكة) أي واذكر يا محمد
إذ قال ربك للملائكة (إني خالق بشرا) يعني الآدمي سمي بشرا لأنه جسم كثيف ظاهر البشرة ظاهر الجلد (من
صلصال من حمإ مسنون) تقدم تفسيره (فإذا سويته) يعني عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من
روحي) النفخ عبارة عن إجراء الريح في تجاويف جسم آخر فمن نفخ الروح في النشأة الأولى وهو المراد من قوله
ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما قال
بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتي الكلام على الروح في تفسير سورة الإسراء عند قوله ويسألونك عن
الروح إن شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم إني خالق بشرا أمرهم
بالسجود لآدم ثم قوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة
كلهم) يعني الذين أمروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن
هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال
فظهر بهذا أنهم سجدوا بأجمعهم ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو أنهم سجدوا في أوقات متفرقة أو في وقت
واحد فلما قال أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول
الخليل وسيبويه أجود لأن أجمعين معرفة فلا يكون حالا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه
وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى
اسجدوا لآدم فسجدوا (إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين أمروا بالسجود
لآدم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال) يعني إبليس (لم أكن
لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون) أراد إبليس أنه أفضل من آدم لأن آدم طيني الأصل وإبليس
ناري الأصل والنار أفضل من الطين فيكون إبليس في زعمه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث أن الفضل فيما

(والجان) أبا الجن كآدم للناس أو هو إبليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره (خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر
الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان (وإذ قال ربك) واذكر وقت قوله
(للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه
من روحي) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمة نفخ وإنما هو تمثيل والإضافة للتخصيص (فقعوا له ساجدين) هو أمر من
وقع يقع أي اسقطوا على الأرض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لأنه جواب إذا وهو دليل على أنه يجوز تقديم الأمر على وقت
الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل
تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (إلا إبليس) ظاهر الاستثناء أنه دليل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جنس
المستثنى منه وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة فلما عصى الله ولا يصير بالزلة ملعونا وقال في الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم
الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم إلا هندا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف
على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك

واستكبر عنه (قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره ما لك في أن
لا تكون مع الساجدين أي أي غرض لك في إبائك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني أن أسجد (لبشر
خلقته من صلصال من حمإ مسنون)

قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من خلقة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد اللعنة لانه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم والمراد انه مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه (قال رب فانظرني) فاخرني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم والمعنى اقسم باغوائك اياي (لازينن لهم) المعاصي ونحوه قوله فبعزتك لاغوينهم الا أن أحدهما اقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقالوا الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما يتعارفه الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا

... على الاغواء ... (في الارض) ... التي هي دار الغرور ... (ولاغوينهم ...

فصله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعني من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أي طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون في السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزاد له عذابا الى اللعنة التي عليه كأنه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم يزاد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له (قال رب فانظرني) يعني أخرني (الى يوم يبعثون) يعني يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فأجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى وقال ابن عباس أراد ابليس أن يذوق الموت فلم يجب ... ولم يكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة في بلائه وشقاوته وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون أجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينه وسأل الانظار اليه (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لازينن) والمعنى فبإغوائك اياي لازينن لهم في الارض وقيل هي باء السببية يعني بسبب كوني غاويا لازينن (لهم في الارض) يعني لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولاغوينهم أجمعين) يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال (الا عبادك منهم المخلصين) يعني المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين كان المعنى الا من أخلصته واصطفيته ... وحاصله انه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين فاما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل بالمثل ... مع العذر الزائد والى أي الجانبين رجح أخذ به (قال) يعني قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط علي مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي أي لا تفلت مني وقيل معناه علي استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي الى يؤدي الى كرامتي ورضواني (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين بل أهل المعاصي ... ذلك سلطان على قلوبهم ... عن هذه الآية فقال معناه ولا نجعل لك عليهم سلطانا ... ذنبا ... عفوي ... أي الذين هداهم ... (الا من اتبعك من

الغاوين) أي هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى علي إلى علي بمعنى من علو الشرف والفضل (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من أتباعه الناس (جزء مقسوم) نصيب معلوم فهي رفيعة أبواب النار طباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني

العاوين) يعني الذين اتبعوا إبليس من الغاوين فإن له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) يعني موعد إبليس وأشياعه وأتباعه (لها) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني سبع طبقات قال علي بن أبي طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزئ أتباع إبليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿قوله سبحانه وتعالى (إن المتقين في جنات وعيون)﴾ المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين فعلى هذا هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الأنهار الجارية في الجنات ويحتمل أن يكون لكل واحد من المتقين جنات وعيون ويحتمل أن يكون هذا مقابلة الكل بالكل فيكون لكل واحد جنة وعين على هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعين أو تجري هذه العيون من بعضهم إلى بعض وكلا الأمرين محتمل فيحتمل أن كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل أنها تجري من جنان بعضهم إلى جنان بعض لأنهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) أي قال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والأمن من الآفات وجميع الآفات (ونزعنا ما في صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لأنها كامنة في القلب روي أن المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص لبعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (إخوانا) يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه أخوة النسب (على سرر) جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لأنه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحدهم إلى قفا صاحبه وفي بعض الأخبار أن المؤمن في الجنة إذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا إعياء (وما هم منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله تعالى على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ﴿قوله سبحانه وتعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم)﴾ قال ابن عباس يعني من تاب منهم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فقال (وأن عذابي هو العذاب الأليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله

لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (إن المتقين في جنات وعيون) وتجري العيون منها قال ويخص المتقين على الإطلاق بمن في ما بعد الآية وقال في الشرح ابن جبير أهل الكبائر قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والأظهر أن المراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سالمين أو مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) حقد الحقد الكامن في القلب أي إن كان لأحدهم في الدنيا على أخيه غل نزع الله ذلك في الجنة ولو لم يكن طاب عيشهم ولهذا قال وعلى الله تعالى أن يكونوا إخوانا حال والزبير منهم وقد طهر الله قلوبهم من أن يحاسدوا على الدرجات

(إخوانا) حال (على سرر متقابلين) حال أيضا أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (لا يمسهم فيها نصب) تعب (وما هم منها بمخرجين) أبدا (نبئ) خبر يا محمد (عبادي أني أنا الغفور) للمؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابي) للعصاة (هو العذاب الأليم) المؤلم كذلك لن يدخلهم الأ برحمته النار وأن تركوا في حسن الخاتمة ما أثر من يهمه (لا يمسهم فيها نصب) في الجنة نصب (وما هم منها بمخرجين) ثم نام الخلود والبقاء

[illegible] (وأن عذابي هو العذاب الأليم) [illegible]

من المجرمين و[illegible] أن عذابه هو العذاب الأليم (عن ضيف إبراهيم) أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يطلق على الواحد والجمع لأنه مصدر ضافه (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أي إبراهيم (إنا منكم وجلون) خائفون لامتناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (إنا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي إنك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام عليم) هو إسحاق لقوله في سورة هود فبشرناها بإسحاق (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) أي أبشرتموني مع مس الكبر بأن يولد لي أي إن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والأصل تبشرونني فأدغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالكسر بلا تشديد نافع والأصل تبشروني فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذفت نون الجمع لاجتماع النونين والأولى نون الجمع وحذفت المفعول والأولى نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) باليقين الذي لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) إبراهيم (ومن يقنط) بكسر النون بصري وعلي (من رحمة ربه إلا الضالون) إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون أي لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أي قوم لوط (إلا آل لوط) [illegible]

[illegible]

لما أورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد إلى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى أنه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظ ثلاثة أولها قوله أني وثانيها أنا وثالثها إدخال الألف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل إني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الأليم على سبيل الإخبار ومنها أنه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي وأخبرهم يا محمد عن ضيف إبراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت إلى كذا إذا ملت إليه والضيف من مال إليك ونزل بك وصارت الضيافة معروفة في العرف وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (إذ دخلوا عليه) يعني إذ دخل الأضياف على إبراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني إبراهيم (إنا منكم وجلون) أي خائفون وإنما خاف إبراهيم منهم لأنهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالأحكام والشرائع والمراد به إسحاق عليه السلام فلما بشروه بالولد تعجب إبراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشرتموني) يعني بالولد (على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعني بالصدق الذي قضاه الله بأن يخرج منك ولدا ذكرا كثيرة ذريته وهو إسحاق (فلا تكن من القانطين) يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الإياس من الخير (قال) يعني إبراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) يعني من ييأس من رحمة ربه إلا المكذبون وهذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة أنه قنط فنفى ذلك عن نفسه وأخبر أن القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لأن القنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكر الله ولا يحصل إلا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلالة (قال) يعني إبراهيم (فما خطبكم) يعني فما شأنكم وما الأمر الذي جئتم به (أيها المرسلون) والمعنى ما الأمر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعني لإهلاك قوم مجرمين (إلا آل لوط) يعني أتباعه وأهل دينه

المجرمين كإرسال السهم إلى الرمية فهو في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في الثاني فهم داخلون في حكم الإرسال يعني أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء وإذا انقطع الاستثناء جرى (إنا لمنجوهم أجمعين) مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم (إلا امرأته) مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه بأن يقول أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته وههنا اختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلي (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (إنها لمن الغابرين) الباقين في العذاب فلو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح إن لأنه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدّر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زي السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بحلوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وإنا لصادقون) في الإخبار بحلوله بهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) في آخر الليل أو بعدما يمضي شيء صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد له من ذلك في أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر (وقضينا إليه ذلك الأمر) عدّي قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الأمر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) لوط (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لأن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه (واتقوا الله ولا تخزون) أي ولا تذلوني بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو ولا تخجلوني من الخزاية وهو الحياء (قالوا أولم ننهك عن العالمين)

(إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته) يعني امرأة لوط (قدرنا) يعني قضينا وإنما أسند الملائكة التقدير إلى أنفسهم وإن كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما يقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وإن كان قد فعلوه بأمر الملك (إنها لمن الغابرين) يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا إبراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال هذه المقالة لوط لأنهم دخلوا عليه وهم في صورة شبان مرد حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل إن النكرة ضد المعرفة فقوله إنكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الأقوام أنتم ولا لأي غرض دخلتم علي فعند ذلك (قالوا) يعني الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعني باليقين الذي لا شك فيه (وإنا لصادقون) يعني فيما أخبرناك به من إهلاكهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه (واتبع أدبارهم) يعني واتبع آثار أهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع لذلك وقيل المراد الإسراع في السير وترك الالتفات إلى ورائه والاهتمام بما خلفه كما يقول القائل امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط والالتفات لأحد منهم يلحقه العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني إلى الشام وقيل إلى الأردن وقيل إلى مصر وقيل إلى حيث أمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسيروا إلى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا إليه ذلك الأمر) يعني وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي حكم الله على قومه ورتب الكلام أنه سبحانه وتعالى فسر ذلك الأمر الذي قضاه بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعني أن هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وإنما أبهم الأمر الذي قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعني يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار إظهار الفرح والسرور وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل إن امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا [illegible] في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط إلى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (إن هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل إكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار به (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني لا تخجلون (قالوا) يعني قوم لوط الذين جاؤوا إليه (أولم ننهك عن العالمين) يعني أولم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين

أن يفعلوا بهم أمراً أو يشفع لهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتي) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزاً ولا تتعرضوا لهم (إن كنتم فاعلين) إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم وقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك إنهم لفي سكرتهم) أي في غوايتهم (١٠٠) التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيماً له والعمر والعمر واحد وهو البقاء إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح إيثاراً للأخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس (فجعلنا عاليها سافلها) رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها وأصيبت التي غابت عن قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهره (وإنها) وإن هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش [illegible] فعلوا كما فعلوا عليهم مثل ما [illegible] (إن في ذلك لآية للمؤمنين) لأنهم المنتفعون بذلك (وإن كان أصحاب الأيكة) [illegible] واد [illegible] الشجر [illegible] الأيكة [illegible] (لظالمين) [illegible] (فانتقمنا منهم) فأهلكناهم لما كذبوا شعيباً (وإنهما) [illegible] الأيكة (لبإمام مبين) [illegible] والإمام [illegible] [illegible] (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) [illegible] الحجر واد [illegible] المرسلين [illegible]

وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل الغرباء إلى بلدنا فإنا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه أولم ننهك أن تكلمنا في أحد من العالمين إذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتي) أزوجكم إياهن إن أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته (إن كنتم فاعلين) يعني ما آمركم به (لعمرك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الإنسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لأن في الكلام دلالة عليه (إنهم لفي سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم (يعمهون) يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (إن في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحدس والظن والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والأخلاق تعرف بذلك أحوال الناس وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة وقال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء وعلامته وقال غيره المتوسم الناظر في السمة الدالة على الشيء يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك فيه (وإنها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى أن آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرونه (إن في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (لآية للمؤمنين) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) يعني كان أصحاب الأيكة وهي الغيضة والشجر الملتف وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا مع ذلك كفاراً بالله عز وجل فبعث الله إليهم شعيباً رسولاً فكذبوه فأهلكهم الله وهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك أن الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤوا إليها واجتمعوا تحتها للتبرد فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم جميعاً (وإنهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة (لبإمام مبين) أي بطريق واضح مستبين وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع والمسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم

الى الاعتاب بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أي ينقبون في الجبال بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق

لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة) أي القيامة وما يتوقع فيها (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجميل) فأعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالقة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذي خلقك وخلقهم (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعا) أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة واحدة ولذا لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس او اسباع القرآن (من المثاني) هي من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر في

الصلاة او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبعيض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة والطوال فكأنه قيل ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء والتنبيه والعظم ثم قال لرسوله

واذ كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة المنورة والشام وآثارهم موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة من خروجها من الصخرة وعظم خلقها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) يعني من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف (فأخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن ابن عمر رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي ﴿قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق والعدل وهو اثابة المؤمن والمصدق وعقاب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعني وان القيامة لآتية لتجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم) يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم ﴿قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية وقال الحسين بن الفضل وهذا القول ضعيف ولا يصح لان هذه السورة مكية باتفاق أهل التفسير ولم يكن لبني قريظة والنضير قوافل تأتيهم في المدينة وانما كانوا بالمدينة وكيف يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أنواع البز والطيب حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها الفاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير في رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وقد تقدم أحاديث في فضل فاتحة الكتاب بالسبع المثاني

ولانها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها
تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله
ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة
وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين وكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة
بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها
لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تثني أهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال ابن الزجاج
سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون
الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في
قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من اجزاء القرآن واحدى سوره لابد
وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطوال
وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عن ابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه
السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة
فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل
السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني مكان
الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل أخرجه البغوي بغير سند قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال
مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال
انما نزلت بالمدينة فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى
حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه
الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين
وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن
كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها
مثاني وسمي القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن
في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت ان اريد بالسبع
المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فلا وانما يطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض
كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا يعني سورة يوسف فسماها قرآنا وان اريد
بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن
عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما متعنا به أزواجا) يعني أصنافا (منهم) يعني من
الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها
والمعنى انه قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك الا بالالتفات اليه
والرغبة فيه روي ان ابن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم
يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية وقيل انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا أدام النظر اليه مستحسنا له فيحصل
له من ذلك التمني وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا
يلتفت اليه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن

(لا تمدن عينيك) أي لا تطامح ببصرك طموح راغب فيه (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى ان أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام

على إيمانهم إذا لم يؤمنوا وقيل النهي عن الالتفات إلى أموال الكفار والالتفات إليهم أبصارًا روى البغوي
بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرًا بنعمته فإنك لا تدري ما هو لاقٍ بعد
موته إن له عند الله قاتلًا لا يموت قيل لابن أبي مريم ما قاتلًا لا يموت قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى أسفل منه لفظ
البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو
فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الأغنياء فما كان
أحد أكثر همًّا مني كنت أرى دابة خيرًا من دابتي وثوبًا خيرًا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت
الفقراء فاسترحت ۞ وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعني لين جانبك (للمؤمنين) وارفق
بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء
المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (إني أنا النذير المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى
الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به إليهم والنذارة بلسانه مع نحو بعث
والمعنى إني أنا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين النذارة (كما أنزلنا على المقتسمين) يعني أنذركم عذابًا
كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة
سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به
وقال عكرمة إنهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وإنما
فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد إنهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها وكفر آخرون
منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لأن أقوالهم
تقسمت في القرآن فقال بعضهم إنه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين وقال
ابن السائب سموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطًا
من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم
أهل الموسم فإذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم إنه كاهن وليقل بعضكم إنه شاعر وليقل بعضكم إنه
ساحر فإذا جاؤوا إلى صدقكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب
لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة فإنه مجنون وكاهن وساحر وقعد الوليد بن المغيرة على باب
المسجد الحرام فإذا جاؤوا وسألوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا ۞ وقوله سبحانه وتعالى (الذين
جعلوا القرآن عضين) (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود
والنصارى جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشيء إذا فرقته
وجعلته أجزاء وذلك لأنهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال
بعضهم هو أساطير الأولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر
يعني أنهم جعلوا القرآن سحرًا (فوربك لنسألنهم أجمعين) أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء
المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما
كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع فوربك لنسألنهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن
اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لا إله إلا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا إله إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فإن قلت كيف الجمع

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسًا عن إيمان الأغنياء (وقل) لهم (إني أنا النذير المبين) أنذركم
ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك (۱۰۳) مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم
أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي أو أريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبًا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله ولا تمسك عند ذلك على الوجه
الأول اعتراض بينهما لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من
النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا
يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدًا واحدًا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في القرآن

بين قوله لنسألنهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل
عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال
توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله لنسألنهم أجمعين سؤال
توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروي عن ابن عباس أيضا أنه قال في الآيتين إن يوم القيامة يوم طويل
فيه مواقف فيسئلون في بعض المواقف ولا يسئلون في بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون
وقال تعالى في آية أخرى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر)
قال ابن عباس أظهر ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن
بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بإظهار الدعوة وتبليغ الرسالة إلى من أرسل
إليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه
(وأعرض عن المشركين) أي اكفف عنهم ولا تبال بلومهم على إظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل
أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى (إنا كفيناك المستهزئين) أكثر المفسرين على
أن هذا الإعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم بالنسخ وجعل معنى الإعراض ترك المبالاة بهم
والالتفات إليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيري فإني كافيك وحافظك ممن عاداك فإنا كفيناك
المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن
وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب بن الحرث بن
أسد بن عبد العزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله
بولده والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوي
وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب إلى أمه قال
المفسرون أتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام
جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا
قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ إلى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبلا له وعليه
برد يمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من النبل بإزاره فمنعه الكبر أن يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت
تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا
يا محمد فقال بئس عبد الله فأشار جبريل إلى أخمص قدميه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلته يتنزه ومعه
ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخل منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا
فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الأسود بن المطلب فقال جبريل
كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأشار جبريل بيده إلى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه
جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي
قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك وهو يقول يا غلام أدركني
ومر بهما الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل
قد كفيته وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فأصابه سموم فاسود
وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب وهو يقول إلى رب محمد ومر بهما
الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل إلى رأسه وقال قد كفيته
فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس إنه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه
فمات فذلك قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف

يعلمون

أو فرق كتب الله (فاصدع
بما تؤمر) فاجهر به
وأظهره يقال صدع بالحجة
إذا تكلم بها جهارا من
الصديع وهو الفجر أو
فاصدع فافرق بين الحق
والباطل من الصدع
في الزجاجة وهو الإبانة
بما تؤمر والمعنى بما تؤمر
به من الشرائع فحذف
الجار كقوله
أمرتك الخير فافعل
ما أمرت به
(وأعرض عن المشركين)
هو أمر استهانة بهم (إنا
كفيناك المستهزئين)
الجمهور على أنها نزلت في
خمسة نفر كانوا يبالغون
في إيذاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاستهزاء به
فأهلكهم الله وهم الوليد
ابن المغيرة مر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فأصاب عرقا
في عقبه فقطعه فمات
والعاص بن وائل دخل
في أخمصه شوكة فانتفخت
رجله فمات والأسود بن
عبد المطلب عمي والأسود
ابن عبد يغوث جعل ينطح
رأسه بالشجر ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات
والحرث بن قيس امتخط
قيحا فمات (الذين يجعلون
مع الله إلها آخر فسوف يعلمون)

يعملون) يعني إذا نزل بهم العذاب فيه وعيد وتهديد ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين إن السبب في زوال الحزن عن القلب إذا اشتغل العبد بهذه العبادات أنه يتنور باطنه ويشرق قلبه فينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت إليها ولا يأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء إذا نزل بالعبد مكروه ففزع إلى الصلاة فكأنه يقول يا رب إنما يجب علي عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفيتني ما أكره فأنا عبد لك وبين يديك فافعل بي ما تشاء ﴿قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقاتك مدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النحل)

مكية إلا قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إلى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية إلا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وإن عاقبتم إلى آخر السورة وزاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه الآية وقوله وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع المجيء بعد فمعنى الآية أتى أمر الله وعداً (فلا تستعجلوه) يعني وقوعاً والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئاً فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى وضم السبابة إلى الوسطى وقدر ما بينهما في قرب الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى قال ابن عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل

تعملون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فيك وفي القرآن وفي الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني ما دمت حياً فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة

(سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيباً بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه

سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم فما موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث
ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لأن كلا منهما
يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لأن تنزل الملائكة
بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (١٠٦) (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) اعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى أعلموا الناس
قولي لا إله إلا أنا فاتقون
فخافون وبالياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وأنه لا إله
إلا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات
والأرض وهو قوله (خلق
السموات والأرض بالحق
تعالى عما يشركون) وبالتاء
في الموضعين حمزة وعلي
وخلق الإنسان وما يكون
منه وهو قوله (خلق الإنسان
من نطفة فإذا هو خصيم
مبين) أي فإذا هو منطيق
مجادل عن نفسه مكافح
لخصومه مبين لحجته بعدما
كان نطفة لا حس به ولا
حركة أو فإذا هو خصيم لربه
منكر على خالقه قائل من
يحيي العظام وهي رميم
وهو وصف للإنسان بالوقاحة
والتمادي في كفران
النعمة وخلق ما لا بد له منه
من خلق البهائم لأكله
وركوبه وجر أثقاله وسائر
حاجاته وهو قوله (والأنعام
خلقها لكم) هي الأزواج
الثمانية وأكثر ما تقع على
الإبل وانتصابها بمضمر
يفسره الظاهر كقوله
والقمر قدرناه منازل أو
بالعطف على الإنسان أي
خلق الإنسان والأنعام ثم
قال خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم يا جنس الإنسان (فيها دفء) هو اسم ما يدفأ به من اللباس المعمول من صوف ... بالنسبي
أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه
(ولكم [illegible]

السموات سعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنه أكبر علامات الساعة وقال قوم المراد بالأمر هنا عقوبة
المكذبين وهو العذاب بالسيف وذلك أن النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر
صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون
﴿ قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وإنما سماه روحا لأنه يحيا به
القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع
يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة
والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق (أن أنذروا) يعني بأن أعلموا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) أي فخافون وقيل
معناه مروا بقول لا إله إلا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما
يشركون) تقدم تفسيره (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) يعني أنه جدل بالباطل بين
الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أتزعم أن الله يحيي هذا العظم بعدما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزلت فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام
وهي رميم والصحيح أن الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم أولى
وفيها بيان القدرة وأن الله خلق الإنسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله
الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم ﴿ قوله عز وجل (والأنعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه
وتعالى أنه خلق السموات والأرض ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته
ولما كان أعظم ضرورات الإنسان إلى الأكل واللباس الذي يقوم مقام بدن الإنسان بدأ
بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الأنعام فقال تعالى والأنعام خلقها وهي الإبل والبقر والغنم قال
الواحدي تم الكلام عند قوله والأنعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا أن
يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن
يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها
جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الأنعام منها ضروري ومنها غير
ضروري بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من
اللباس والأكسية ونحوها المتخذة من الأصواف والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل
والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الأنعام (ومنها تأكلون) يعني من لحومها فإن قلت
قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لأن تقديم الظرف يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت
الأكل من هذه الأنعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط والإوز
وصيد البر والبحر فغير معتد به في الأغلب وأكله يجري مجرى التفكه فخرج قوله ومنها تأكلون مخرج
الأغلب في الأكل من هذه الأنعام فإن قلت منفعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الأكل وقدم
منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل فلهذا قدم على الأكل ﴿ قوله سبحانه
وتعالى (ولكم فيها) أي في الأنعام (جمال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الإراحة رد الإبل

بالعشي الى مراحها حيث تأوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال أهل المعنى وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها بها وتتجمل بها الافنية ويتجمل ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدم الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه ۞ وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أثقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متاع المسافر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وكانت تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فيتناول الكل فهو أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه (الا بشق الانفس) يعني بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها (ان ربكم لرءوف رحيم) يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع ۞ وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الخيل والبغال والحمير لاجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها

(فصل) احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب والى هذا ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى نص في الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون ونص في هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلم انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد واسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فأكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتهما مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل

بالتجمل بها كمن بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت باراحتها وتسريحها الافنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) وبفتح الشين أبو جعفر وهما لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم ومعناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والانس وقيل وأخرجت الارض أثقالها أي بني آدم (ان ربكم لرءوف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام أي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكر في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر في مواضع المنة أدنى النعم ويترك أعلاها ولا يصار الى نصب على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون ... وقوله

والبغال والحمير لتركبوها وزينة وكان الأكل مسكوتا عنه فدار الأمر فيه على الإباحة والتحريم فوردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فأخذنا بها جمعا بين النصين والله أعلم ۞ وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الإنسان في الغالب على سبيل الإجمال لأن مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو وهمه فلهذا ذكرها على الإجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لأهل الجنة في الجنة ولأهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في الثياب والدود في الفواكه ۞ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا أدى إلى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل ما هو جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الإسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الأهواء والبدع (ولو شاء لهداكم أجمعين) فيه دليل على أن الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الإيمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد أنه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم ۞ قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على عباده بخلق الحيوانات لأجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر إنزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني أن الله الذي خلق جميع الأشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تشربونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الأرض ونقل الواحدي عن أهل اللغة قالوا الشجر أصناف فما جل وعظم وهو الذي يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما يبقى له أرومة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو إسحق كل ما نبت على وجه الأرض فهو شجر وأنشد نطعمها اللحم إذا عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعني الكلأ ومعنى الآية أنه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لأن الإبل ترعى كل الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسيمون) يعني ترعون مواشيكم يقال أسام الماشية إذا خلاها ترعى وسامت هي إذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) أي ينبت الله لكم ويجري منه على العظم لكم (به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله في الحيوانات ... ذكر في الثمار ... ذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الإنسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لأن ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنها تشبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات إجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ۞ ثم قال تعالى (إن في ذلك) يعني الذي ذكر من أنواع الثمار (لآية) يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا (لقوم يتفكرون) يعني فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره في سورة الأعراف (مسخرات) يعني مذللات فهي جاريات تحت قهره وإرادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فأخبر الله تعالى أن هذه النجوم مسخرات في حركاتها ... (بأمره) يعني بأمره ... فهو ... تحت قهره ... كيف شاء

(ومنها جائر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله إن علينا للهدى وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه وإلى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ومنها جائر أي ومن السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بأنزل أو خبر لشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه تسيمون) من سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا يكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) ينظرون فيها فيستدلون على قدرته وحكمته والآية الدلالة ... وحده ... (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) ... النجوم مسخرات ...

فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي على الابتداء والخبر (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لأنه
الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم في الأرض) معطوف على الليل والنهار أي ما
خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا
منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيؤكل سريعا طريا خيفة (١٩) الفساد والإثم لا يحنث بأكله إذا حلف
لا يأكل لحما لأن مبنى الأيمان
على العرف وهو لا يعلمه
الناس لحما ولا يقال للصياد
يبيع اللحم بل يقال بائع
السمك كما يقال لصاحب الجبن
بائع الجبن وإن كان اللبن
في الحقيقة لحما (وتستخرجوا
منه حلية) هي اللؤلؤ
والمرجان (تلبسونها) المراد
بلبسهم لبس نسائهم
ولكنهن إنما يتزين بها من
أجلهم فكأنها زينتهم
ولباسهم (وترى الفلك
مواخر) جواري تجري
جريا وتشق الماء شقا
والمخر شق الماء بحيزومها
(وفيه) في البحر (ولتبتغوا
من فضله) هو عطف على
محذوف أي لتعتبروا
ولتبتغوا من فضله بالتجارة
(ولعلكم تشكرون)
الله على ما أنعم عليكم
(وألقى في الأرض رواسي)
جبالا ثوابت (أن تميد بكم)
كراهة أن تميل بكم
وتضطرب أو لئلا تميد بكم
لأن ذلك أصلها ويكفي
لما خلق الله الأرض
جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر أحد على ظهرها
فأصبحت وقد أرسيت
بالجبال لم تدر الملائكة
مم خلقت (وأنهارا) وجعل
فيها أنهارا لأن ألقى فيه
معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم وإلى توحيد ربكم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل
وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال الحسن بالنجم هم يهتدون خرج عن
سنن الخطاب مقدم ونجم النجم مقحم للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالمراد بهم قريش كانت لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا

وسخرها وأمر الناس لها تصرف في نفسها فصلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق هذه النجوم
وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعني أن كل من
كان له عقل صحيح سليم علم أن الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وأن جميع الخلق تحت قدرته وقهره
وتسخيره لما أراده منهم (وما ذرأ لكم في الأرض) يعني وما خلق لكم في الأرض وسخر لأجلكم من الدواب
والأنعام والأشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات
مع كثرتها حتى لا تشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية
بقوله تعالى (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) يعني فيعتبرون بذلك ۞ قوله سبحانه وتعالى (وهو الذي
سخر لكم البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات
والأرض وخلق الإنسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك
من آثار قدرته وعجائب صنعه عقبه بذكر إنعامه في ذلك على عباده فذكر بعده إنعامه على عباده بتسخير البحر
لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به إما بالركوب
عليه أو بالغوص فيه وأول نعمة فيه ذكرها في هذه الآية من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو
الذي سخر البحر (لتأكلوا منه لحما طريا) فبدأ بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود لأن به قوام البدن وفي
ذكر الطري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك أن السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة
الله تعالى ما يعرف بالطري لأنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحار أن الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم
أنه إنما حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك أن الله قادر على إخراج الضد من الضد ۞ الثانية
النعمة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأن زينة النساء إنما هي لأجل الرجال فكان ذلك زينة
لهم ۞ النعمة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعني السفن (مواخر فيه) يعني جواري فيه قال قتادة مقبلة
ومدبرة وذلك أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخر في اللغة الشق
قال مخرت السفينة مخرا إذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني أنها إذا جرت تسمع
لها صوتا قال أبو عبيدة يعني صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر أي
مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعني الأرباح بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) يعني إنعام الله عليكم إذا
رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (وألقى في الأرض رواسي) يعني جبالا ثابتة (أن تميد بكم) يعني لئلا تميل وتضطرب
بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالأرض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض جعلت تمور
وتتحرك فقالت الملائكة إن هذه غير مقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة
مم خلقت الجبال (وأنهارا) يعني وجعل فيها أنهارا لأن في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وأنهارا
معطوف على ألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لأن معظم عيون الأنهار وأصولها تكون
من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد إلى بلد
ومن مكان إلى مكان (لعلكم تهتدون) يعني بتلك السبل إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل
فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون)

وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة وقال قتادة إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به ﴿قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعه وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الأحسن والترتيب الأكمل وكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وأنه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الإنكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الأصنام التي لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق يعني هذه الأشياء الموجودة المرتبة بالعجائب وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الأصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا لأنها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الأشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعني أن هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه إلى دقة الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر في الآية سؤالان الأول قوله كمن لا يخلق المراد به الأصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف عبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب أن الكفار لما سموا هذه الأصنام آلهة وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى إلى قوله بعد هذا والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه إلزام الحجة على من عبد الأصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب أنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه أن من خلق الأشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل أن يترك عبادة من يستحق العبادة لأنه خالق هذه الأشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيئا البتة والله أعلم ﴿وقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني أن نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم وإعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الأشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين إلى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول إلى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه (إن الله لغفور) يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمه كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني أن الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من أذاه فأخبرهم الله عز وجل أنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وإن دقت وخفيت وفيه أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الأصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية أن الإله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الأصنام بصفات فقال تعالى (والذين يدعون من دون الله) يعني الأصنام التي يدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) فإن قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الأصنام لا تخلق شيئا وقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فما فائدة التكرار قلت فائدته أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وأنهم يخلقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى

تعالى (كمن لا يخلق) أي الأصنام وجيء بمن الذي هو لأولي العلم لأنهم حين سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم أو لأن المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده وإنما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الأفعال (أفلا تذكرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر وأتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن ما وراءها لا ينحصر ولا يعد (إن الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) الآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) بالياء عاصم (لا يخلقون

أو هم

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين (١١١) أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (إلهكم إله واحد) أي ثبت بما مر أن الإلهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الإقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إنه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (وإذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) ماذا منصوب بأنزل أي أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أي أي شيء أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير الأولين أي أحاديث الأولين وأباطيلهم وأسمارهم المسطورة وإذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار إضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال

وفائدة التكرار (أموات) أي جمادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني غيرها وأنها لو كانت هذه الأصنام آلهة كما يزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لأن الإله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الأصنام (أيان يبعثون) يعني متى يبعثون وفيه دليل على أن الأصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الأصنام متى يبعثون ﴿قوله سبحانه وتعالى (إلهكم إله واحد) يعني أن الذي يستحق العبادة هو إله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه تكبرا (لا جرم) يعني حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق ولا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمط حق فلان إذا احتقره ولم يره شيئا وكذا معنى غمصه أي استصغره وازدراه ﴿قوله عز وجل (وإذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها إذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وإنما قال سبحانه وتعالى كاملة لأن البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الإمام فخر الدين الرازي وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين إذ لو كان هذا المعنى حاصلا في الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الإيمان مثل أوزار الأتباع والسبب فيه ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير إذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فإن الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الأتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد أن الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الأتباع إلى الرؤساء لأن ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لأنها لو كانت للتبعيض لنقص عن الأتباع بعض الأوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار

الأتباع وقوله بغير علم يعني أن الرؤساء إنما يقدمون على إضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الإضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (ألا ساء ما يزرون) يعني ألا بئس ما يحملون [illegible] قوله سبحانه وتعالى (قد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الأرض في زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحا ببابل ليصعد إلى السماء ويقاتل أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت ألسن الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لأن صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم جرهم الذين نشأ إسماعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل إبراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا في قديم الزمان بالعربية فهو يدل على ضعف هذا القول ولا [illegible] الأولى والله أعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالغير. وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) يعني قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بأن أتاهم بريح فقصفت بنيانهم من أعلاه وأتاهم بزلزلة فقلعت بنيانهم من قواعده وأساسه هذا إذا حملنا تفسير الآية على القول الأول وهو ظاهر اللفظ وإن حملنا تفسير الآية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى أنهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وعمدوه ودعموه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم فأهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فأهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على ألسنة الناس من حفر بئرا لأخيه أوقعه الله فيه. وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعني سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لأن السقف لا يخر إلا من فوقهم وقيل يحتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحته وأنه لما خر عليهم أهلكهم وماتوا به (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني من مأمنهم وذلك أنهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعني ثم [illegible] بالعذاب وفيه إشعار بأن العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لأن الخزي هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعني ويقول الله لهم يوم القيامة (أين شركائي) يعني في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لأن المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين وقيل الملائكة (إن الخزي) يعني الهوان (اليوم) يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعني العذاب (على الكافرين) وإنما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لأن الكفار كانوا ينكرون على المؤمنين في الدنيا ويتكبرون عليهم [illegible] فإذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين فيقولون ذلك على طريق إظهار الشماتة بهم فيكون أعظم في الهوان والخزي. قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) يعني تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) يعني بالكفر (فألقوا السلم) يعني أنهم استسلموا وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم قالوا (ما كنا نعمل من سوء)

فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أي أمره بالاستئصال (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا (ويقول أين شركائي) على الإضافة إليه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم تشاقون [illegible] أي تشاقونني فيهم لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) أي الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم أو هم الملائكة (إن الخزي اليوم) الفضيحة (والسوء) العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء حمزة وكذا ما بعده (ظالمي أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا [illegible]) أي [illegible] قالوا (ما كنا نعمل من سوء) [illegible]
[illegible]

يعني شركا وإنما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) يعني فلا فائدة لكم في إنكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أي فيقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وإنما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فلبئس مثوى المتكبرين) يعني عن الإيمان ﴿ قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي من دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعني أنزل خيرا فإن قلت لم رفع الأول وهو قوله أساطير الأولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا ثم ابتدأ الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثواب إحسانهم مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب إحسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساتين إقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجري من تحتها الأنهار) يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت قصورها وأشجارها ومساكنهم (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاؤون) يعني ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا في الجنات فإن قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا (كذلك يجزي الله المتقين) أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل إن قوله طيبين كلمة عامة تدخل تحتها كل حسن فيدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتناب كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الأخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه إن وفاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني يسلم عليهم الملائكة أو يبلغونهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الأعمال الصالحة فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت

مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وإنما نصب هذا ورفع أساطير لأن التقدير هنا أنزل خيرا فطابقوا الجواب على السؤال وثمه التقدير هو أساطير الأولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا إله إلا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه أو هو كلام مستأنف [illegible] (ولدار الآخرة خير) أي لهم في الآخرة ما هو خير [illegible] كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو هو المخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر [illegible] (يقولون سلام عليكم) [illegible] [illegible] ويقال لهم في الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)

بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الأشياء كلها ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الآيات التي تدل على أن الأعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والتوفيق للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل منه والله أعلم بمراده ﷺ قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (إلا أن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبه إياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني بما كسبت أيديهم من المعاصي والكفر والإشراك بالله سبحانه وتعالى (فأصابهم سيئات ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات سيئات ما عملوا من الأعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في إنكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الإيمان لحصل ذلك آمنا أو لم نؤمن ولو شاء الله منا الكفر لحصل شئنا أو لم نشأ وإذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا إن الكل من الله كانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في أحكام الله وفي أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لأحد عليه في أحكامه وأفعاله ولا يجوز لأحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عباده إرسال الرسل إليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وأن الهداية والإضلال إليه فمن هداه فهو المهتدي ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله في عباده أنه أمر الكل بالإيمان ونهاهم عن الكفر ثم إنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى الإيمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لأحد عليه فلما كانت سنة الله قديمة في بعثة الرسل إلى الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ولا آباؤنا باطلا لأنهم لا [illegible] أن [illegible] كون الأمر كذلك [illegible] فلما [illegible] هذا الأصل بطل [illegible] قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى أنه لا [illegible] إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني أن هؤلاء [illegible] الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فكذبوا الرسل [illegible] (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) يعني ليس إليهم هداية أحد إنما عليهم [illegible] (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) يعني كما [illegible] (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني أن الرسل كانوا يأمرون [illegible] (فمنهم من هدى الله) [illegible] (ومنهم من حقت عليه الضلالة) [illegible] على الكفر

(هل ينظرون) ما ينتظر هؤلاء الكفار (إلا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وبالياء علي وحمزة (أو يأتي أمر ربك) أي العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني البحيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) بأن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي [illegible]

(فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) خطاب لأهل مكة ... رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وأعلمه أنهم ممن حقت عليهم الضلالة فقال (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح الياء وكسر الدال كوفي والباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضلل مبتدأ ولا يهدي خبره (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن وعده حق أو أنهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أي فهو يكون وبالنصب شامي وعلي على جواب كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره كن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الايجاد يبين أن مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا في الله) في حقه ولوجهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر

فالضلال وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه فيما حكم به في سابق علمه (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما آل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك لتعرفوا أن العذاب نازل بكم إن أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (إن تحرص على هداهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فإن الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهتدي من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العالية ووجه الشبهة التي حصلت للمشركين في إنكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس هو إلا هذه البنية المخصوصة فإذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلي امتنع عوده بعينه لأن الشيء إذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في إنكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يبعثهم بعد الموت لأن لفظة بلى إثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأوجده من العدم ولم يك شيئا فالذي أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على إعادته بعد إعدامه لأن النشأة الثانية أهون من الأولى (وعدا عليه حقا) يعني أن الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفقهون كيف يكون ذلك البعث والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا بعث بعد الموت (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني أن الله سبحانه وتعالى قادر إذا أراد بعث الموتى وبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب علينا في إحيائهم ولا في بعثهم إنما نقول للشيء أراده كن فيكون على ما أراد لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله إن لي ولدا وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك أما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني الذين هاجروا وعذبوا وأوذوا في الله نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبر وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم ليردوهم عن الإسلام إلى الكفر وهم المستضعفون فأما بلال فكان أصحابه يخرجونه إلى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم إني رجل كبير إن كنت معكم فلن أنفعكم وإن كنت عليكم فلن أضركم فاشتروا مني ديني بمالي ففعلوا ذلك فاشتراه أبو بكر الصديق فقال ربح البيع وأما باقيهم فأعطوهم بعض ما يريدون فخلوا

عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا إليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة إذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد إلى آخر وفيه دليل لمن جعل الأعمال بالنيات وفيه حديث من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه الحديث أخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله تعالى (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) يعني لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهو أنه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه لنحسنن إليهم في الدنيا بأن نفتح لهم مكة ونمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين (ولأجر الآخرة أكبر) يعني أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل إنه راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعني في الله على ما نالهم من الأذى والمكروه وهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك إلى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) نزلت هذه الآية في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث إلينا ملكا فأجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا يعني مثلك نوحي إليهم والمعنى أن عادة الله عز وجل جارية من أول ما خلق الخلق أنه لم يبعث رسولا إلا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله إليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فإذا سألوهم فلا بد أن يخبروهم أن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (إن كنتم لا تعلمون) الخطاب لأهل مكة يعني إن كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا نوحي إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسألوا أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسألوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لا تعلمون ثم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لأن مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي البينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأنزلنا إليك الذكر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا إليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وإنما سماه ذكرا لأنه موعظة وتنبيه للغافلين (لتبين للناس ما نزل إليهم) يعني ما أجمل إليهم من أحكام

بوأناهم أهلها ونصرناهم (ولأجر الآخرة أكبر) الوقف لازم عليه لأن جواب (لو كانوا يعلمون) محذوف والضمير للكفار أي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين أو للمهاجرين أي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) على ألسنة الملائكة يوحى حفص (فاسألوا أهل الذكر) أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين (إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) أي بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات أو بأرسلنا مضمرا كأنه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بنوحي أي نوحي إليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض [illegible] القرآن على الوحي [illegible] وقوله (وأنزلنا إليك الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) في الذكر بما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا

القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لأن القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلهم يتفكرون) يعني فيما أنزل إليهم فيعملون به (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه حذف تقديره المكرات السيئات وهم كفار مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الإخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح أن المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الأرض) يعني كما خسف بقارون ومن قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تقلبهم) يعني في تصرفهم في الأسفار فإنه سبحانه وتعالى قادر على إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في إقبالهم وإدبارهم يعني أنه تعالى قادر على أن يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فما هم بمعجزين) يعني سابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التحوف يقال تخوفه الدهر وتحوفه إذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد منه أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فعلى هذا أنه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخيفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيخوف الآخرين أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل أنه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم إنه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فإن ربكم لرؤوف رحيم) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (إلى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بإلى لأن المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر إلى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (يتفيأ ظلاله) يعني يميل ويدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حالة أخرى ويقال للظل بالعشي فيء لأنه فاء أي رجع من المغرب إلى المشرق والفيء الرجوع قال الأزهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم ينله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظلال وهو جمع إلى المفرد وهو قوله من شيء لأنه يراد به الكثرة ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يسارك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يمينك وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار وإنما وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للاختصار والإيجاز في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء يراد به الجمع (سجدا لله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل والمعنى أن جميع الأشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لأمره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل

(ولعلهم يتفكرون) في تنبيهاته فيتنبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الأرض) كما فعل بمن قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي بغتة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فإن ربكم لرؤوف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أولم يروا) وبالتاء حمزة وعلي وأبو بكر (إلى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيأ ظلاله) أي يرجع من موضع إلى موضع وبالتاء بصري (عن اليمين) أي الأيمان (والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء

(وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء أو لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها [illegible] (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض أو بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم أو المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما [illegible] هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بمن لتناول العقلاء خاصة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويفعلون ما يؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي [illegible] (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود [illegible] الاله [illegible]
[illegible] لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان [illegible]
[illegible] الاسم الحامل لمعنى الافراد [illegible] دال على [illegible]
[illegible]

لله والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال تشبه بشكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أو لا وقيل ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك أن جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء ﴿قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة وأتى بلفظ ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه يمشي ويدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة في قوله (والملائكة) لانهم أولو أجنحة يطيرون بها وأفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل أراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة ويسجد الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم بدلالتها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وجميع الجمادات بالدلالة على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فتدعو العاقلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده والمعنى يخافون ربهم من فوقهم بالقهر (ويفعلون ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت أني كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفا

*(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها

﴿قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة أن كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقهره نهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب الكشاف [illegible] والاثنين [illegible] الهين [illegible] لا يكون [illegible] (انما هو اله واحد) لان [illegible] الاثنين لا [illegible] في الوجود [illegible] صفات الكمال والقدرة والارادة [illegible]

للإلهية وذلك قوله تعالى إنما هو إله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود إلهان اثنان إنما هو إله واحد
(فإياي فارهبون) يعني فخافون والرهبة مخافة مع حزن واضطراب وإنما نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور
وهو من طريق الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب من قوله فإياه فارهبوه فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله
فإياي فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق إلا منه ولا يرغبون إلا إليه وإلى كرمه وفضله وإحسانه
(وله ما في السموات والأرض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح أن إله العالم لا شريك له في الإلهية
وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما في السموات
والأرض يعني عبيدا وملكا (وله الدين واصبا) يعني وله العبادة والطاعة وإخلاص العمل دائما ثابتا
والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة أو بالموت
إلا الحق سبحانه وتعالى فإن طاعته واجبة أبدا ولأنه المنعم على عباده بالنعم كلها فكانت طاعته واجبة
دائمة أبدا (أفغير الله تتقون) يعني أنكم عرفتم أن الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم أن كل ما سواه
محتاج إليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو
استفهام على طريق الإنكار ﴿ قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فمن الله) يعني من نعمة الإسلام وصحة
الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد كل ذلك من الله تعالى إنما هو المتفضل به عليكم فيجب
عليكم شكره على جميع إنعامه ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى
بين في هذه الآية أن جميع النعم منه فلا يشكر عليها إلا إياه لأنه هو المتفضل بها عليكم إذ يجب أن يشكروه
عليها (ثم إذا مسكم الضر) أي الشدة والأمراض والأسقام (فإليه تجأرون) يعني إليه تستغيثون
وتتضرعون وتصيحون بالدعاء لكشف ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجؤار رفع الصوت الشديد
ومنه جؤار الثور والمعنى أن النعم لما كانت كلها من الله فإن حصل شدة وضرر في بعض الأوقات فلا تلجؤوا إلا
إليه ولا تدعوا إلا إياه لكشفها فإنه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم إذا كشف الضر عنكم) يعني
ثم إذا أزال الشدة والبلاء عنكم (إذا فريق منكم) يعني طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعني أنهم
يضيفون كشف الضر إلى العوائد والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل وهذا من جملة شركهم الذي كانوا
عليه وإنما قال منكم لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا
بما آتيناهم) قيل إن هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا أنهم إنما جعلوا لله شريكا ليجحدوا نعمته عليهم
في كشف الضر عنهم وقيل إنها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشف
عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني تمتعوا في الدنيا إلى أن تنتهوا إلى المدة
التي ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعني عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب ﴿ قوله سبحانه
وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعني أن المشركين
لا يعلمون وقيل إنه عائد إلى الأصنام يعني أن الأصنام لا تعلم شيئا البتة لأنها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح
القول الأول لأن نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وكان رد الضمير إلى المشركين أولى ولأنه قال لما
لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لأنا إذا قلنا إنه عائد إلى
المشركين احتجنا إلى إضمار ويكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون أنه إله ولا أنه ينفع ويضر
وإذا قلنا إنه عائد إلى الأصنام لم نحتج إلى هذا الإضمار لأنها لا علم لها ولا فهم ﴿ وقوله (نصيبا مما رزقناهم) يعني أن
المشركين جعلوا للأصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله تقربا إليها وقد تقدم تفسيره في سورة
الأنعام (تالله) أقسم تعالى على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسألن عما كنتم تفترون)
يعني عما كنتم تكذبون على الله في قولكم إن هذه الأصنام آلهة وأنها [illegible] أمر الله وهذا [illegible]

وهو حال عمل فيه الظرف
أو وله الجزاء دائما يعني
الثواب والعقاب (أفغير
الله تتقون وما بكم من
نعمة) وأي شيء اتصل
بكم من نعمة عافية وغنى
وخصب (فمن الله) فهو
من الله (ثم إذا مسكم الضر)
المرض والفقر والجدب
(فإليه تجأرون) فما
تتضرعون إلا إليه والجؤار
رفع الصوت بالدعاء
والاستغاثة (ثم إذا كشف
الضر عنكم إذا فريق منكم
بربهم يشركون) الخطاب
في وما بكم من نعمة إن كان
عاما فالمراد بالفريق الكفرة
وإن كان الخطاب للمشركين
فقوله منكم للبيان لا
للتبعيض كأنه قال فإذا
فريق كافر وهم أنتم ويجوز
أن يكون فيهم من اعتبر
كقوله فلما نجاهم إلى البر
فمنهم مقتصد (ليكفروا بما
آتيناهم) من نعمة
الكشف عنهم كأنهم
جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة ثم أوعدهم
فقال (فتمتعوا فسوف
تعلمون) هو تهديد ونزل إلى
الالتفات على الغيبة
(ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم) أي
لآلهتهم ومعنى لا يعلمون
أنهم يسمونها آلهة
ويعتقدون فيها أنها تضر
وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لأنها جماد لا يضر ولا ينفع أو الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها
[illegible]

إليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه [illegible] (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز فيما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) أي صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفي منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أيمسكه على هون) أيمسك ما بشر به على هون وذل (أم يدسه في التراب) أم يئده (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب في تنفيذ ما أراد (الحكيم) في [illegible] (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) [illegible]

من الغيبة إلى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وإنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أو لنزول لفظ التأنيث في تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني البنين (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجب تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله وإذا بشر أحدهم بالأنثى (ظل وجهه مسودا) يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنت الأنثى أن تنسب إليه فكيف يرضى أن ينسبها إلى الله تعالى وفيه تبكيت لهم وتوبيخ ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعني أنه قد ظل ممتلئا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني أنه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة أحدهم يتوارى من القوم إلى أن يعلم ما ولدته فإن كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يتفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أيمسكه على هون) يعني على هوان وإنما ذكر الضمير في أيمسكه لأنه عائد إلى ما بشر به في قوله وإذا بشر أحدهم (أم يدسه في التراب) يعني أم يخفي ذلك الذي بشر به في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير إن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب في ذلك إما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية مخافة عليهن من الأسر ونحوه أو طمع غير الأكفاء فيهن وكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وكان قد حفر لها بئرا في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في البئر ثم أهال التراب عليها حتى يستوي البئر بالأرض وكان صعصعة عم (٢) الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجه إبلا إلى والد البنت يستحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعمي الذي منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤودة في النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى (ألا ساء ما يحكمون) يعني بئس ما يقضون ويصنعون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يكرهونهن ويجعلون لأنفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى وقيل معناه ألا ساء ما يحكمون في وأد البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعني صفة السوء من احتياجهم إلى الولد وكراهتهم الإناث خوف الفقر (ولله المثل الأعلى) أي الصفة العليا المقدسة وهي أنه لا والد له ولا ولد وأنه الغني عن الولد وأنه لا إله إلا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء والسرمدية وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله (وهو العزيز) أي المنيع في ملكه (الحكيم) يعني في جميع أفعاله ﷺ قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعني فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم [illegible] الناس [illegible] أهل الكل وقد قال [illegible] آخرين ظالم [illegible] على الظالم [illegible] لأنه [illegible] ولو يؤاخذ الله الناس [illegible] الآية الأخرى لأن في جنس الناس [illegible] الكفار [illegible] المراد [illegible]

(ما ترك عليها) على الأرض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم

عظيم قوله (ما ترك عليها) يعني على الأرض كناية عن غير مذكور لأن الدابة لا تدب إلا على الأرض (من دابة) يعني أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لأهلك جميع الدواب التي على وجه الأرض فإنه وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فأهلك من كان على وجه الأرض إلا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروي أن أبا هريرة سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله إن الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود إن الجعل ليعذب في جحره بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم يوجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد (ولكن يؤخرهم) يعني يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (إلى أجل مسمى) يعني إلى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يتأخرون ساعة عن الأجل الذي جعله الله لهم ولا يتقدمون عنه وقيل أراد بالأجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكرهون) يعني لأنفسهم وهي البنات (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني ويقولون إن لهم البنين وذلك أنهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة وذلك أنهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون أنهم على الحق وأن لهم الجنة وذلك أنهم قالوا إن كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فإن لنا الجنة لأنا على الحق فكذبهم الله تعالى فقال (لا جرم أن لهم النار) يعني في الآخرة لا الجنة (وأنهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لأمر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون إلى النار وقال الفراء مقدمون إلى النار والفرط المتقدم إلى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) يعني كما أرسلنا إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فكان لهم منهم رسل كذبوهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعني أعمالهم الخبيثة يعني الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وإنما جعل الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وإنما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) يعني ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب فهو زجر لهم وتقبيح لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) يعني في أمر الدين والأحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب إلا هدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لأنهم هم المنتفعون به ❁ قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأحيا به) يعني بالمطر (الأرض) يعني بالنبات والزروع (بعد موتها) يعني يبسها وجدوبتها (إن في ذلك لآية) يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع إنصاف وتدبر لأن سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وإن لكم

ولأصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أي وتقول ألسنتهم الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر فالمفرطون بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات أي المقصرين فيها (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) أي أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من الأمم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسل (فهو وليهم اليوم) أي قرينهم في الدنيا تولاهم بالغرور أو الضمير لمشركي قريش أي زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم أو هو

(١٦ — (نار ب) — بالنصب) على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (إلا لتبين لهم) للناس (الذي اختلفوا فيه) هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع إنصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وإن لكم

في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) ونقص الموت لاذم ... وذكر قال الزجاج ... وأعدي الانعام ... الاعام

المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع اليه ضمير المفرد وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة

فقال نسقيكم مما في بطونه (من بين (١٢٢) فرث ودم لبنا خالصا) أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما

برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا للشاربين) سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية وتتعلق (ومن ثمرات النخيل والاعناب) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كيفية الاسقاء أو تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتأكيد والضمير في منه يرجع الى المضاف

المحذوف الذي هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وفيه وجهان الذي

أحدهما ان الآية نزلت قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب

والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية ... لا

... (ورزقا حسنا) ... الخل والدبس ...

في الانعام لعبرة) يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرة الله على ذلك (نسقيكم مما في بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاخفش وقال الكسائي انه رده الى ما ذكر يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن (من بين فرث) وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلطة عليه بتقسيمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش كما هو (سائغا للشاربين) يعني هنيئا سهلا يجري في الحلق بسهولة فقيل انه لم يغص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى أحد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو أبيض فيقلب الله تعالى ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الابيض من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو القول الصحيح في كيفية تولد اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاغذية التي كانت حاصلة في الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وتولد اللبن في الضرع بخلق الله عز وجل لطيفة من حكمته في خلقه الثدي ثقبا صغارا ومسام ضيقة جعلها كالمصفاة للبن فكلما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص والحلب وما كان كثيفا احتبس في الثدي فهذا المراد بقوله خالصا يعني من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا قال ابن عباس ﷺ قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعني ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) الضمير في منه يرجع الى ما هو مضمر تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن ما يؤكل منها ويتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل ونحو ذلك قالوا وهذا قبل تحريم الخمر فانه ذكرها الله عز وجل في معرض الانعام والامتنان فلما قال العلماء في الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت

التي كانت الخمر فيها غير محرمة قد دلّ أن الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم الخمر أيضاً لأنه ميز بينها وبين
الرزق الحسن في الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن
عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد
والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية
الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكراً منسوخ لما روي عن ابن عباس في هذه الآية قال
السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما أحل قلت القول بالنسخ فيه نظر لأن قوله ومن ثمرات النخيل
والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم أنها منسوخة رأى أن هذه
الآية نزلت بمكة في وقت إباحة الخمر ثم إن الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية أنها منسوخة
وقال أبو عبيدة في معنى الآية إن السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من
قولهم سكرت النهر أي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا ترجيح لقول أبي عبيدة أن السكر الطعم
(إن في ذلك) يعني الذي ذكر من إنعامه على عباده (لآية) يعني دلالة واضحة (لقوم يعقلون) يعني
أن من كان عاقلاً استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة أن لهذه الأشياء
صانعاً قادراً على ما يريد ۞ قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى
دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من إخراج اللبن من بين فرث ودم وإخراج السكر والرزق
الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ذكر في هذه الآية إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة
وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك إلى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد
من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وأنه الخالق لجميع الأشياء المدبر لها
بما فيه حكمه وقدرته وأصل الوحي الإشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض
وقد يكون بصوت مجرد وقال الحكماء الكلمة الإلهية التي يلقيها الله إلى أنبيائه وحي وإلى أوليائه إلهام وتسخير الطير
لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل يعني أنه سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر
في نفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك أن النحل تبني بيوتاً على شكل مسدس
من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير
ذلك من الأشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا
الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل ولا فرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضاً أن تجعل عليها أميراً
كبيراً نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل أمره ويكون هذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى
يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضاً أن تجعل على باب كل
خلية بواباً لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضاً أنها تخرج من بيوتها فتدور
وترعى ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على
مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الإلهام الإلهي وكان ذلك شبيهاً بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى
وأوحى ربك إلى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضاً قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان
نحلاً لأن الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني أعطاهم وقال غيره النحل يذكر
ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذلك أنثها الله تعالى فقال (أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما
يعرشون) يعني يبنون ويسقفون وذلك أن النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي إلى
الكهوف ومنه أهلي وهو الذي يأوي إلى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون
للنحل الأماكن حتى تأوي إليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكرم (ثم كلي من كل الثمرات) يعني
من بعض الثمرات لأنها لا تأكل من جميع الثمار ولفظة كل هنا للتبعيض (فاسلكي سبل ربك) يعني
الطرق التي ألهمك الله أن تسلكيها وتدخلي فيها لأجل طلب الثمرات (ذللاً) فقيل إنها نعت للسبل يعني أنها

(إن في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك إلى النحل) وألهمها (أن اتخذي من الجبال بيوتاً) هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث على هذا ومن في من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تعسل فيها للتبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش وأهل ... يعرشون بالضم وتضم الراء شامي وأبو بكر (ثم كلي من كل الثمرات) أي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) فادخلي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها (ذللاً) جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها وسهلها أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة

مذللة لها طرقها سهلة المسالك قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل المراد بالذلل أن النحل
أنها مذللة مسخرة لأربابها معتادة لهم حتى إنهم ينقلونها من مكان إلى مكان آخر حيث شاؤوا وأرادوا ولا
تستعصي عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) فهي ما بين أبيض وأحمر وأصفر
وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله
تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الإمام فخر الدين الرازي أنه رأى في بعض كتب الطب
أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الأزهار وأوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه
وتدخر بعضه في بيوتها التي تغتذي به فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو
العسل وقال هذا القول أقرب إلى العقل لأن طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فإنا نشاهد أن
النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا
فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لأنا نشاهد أنه يوجد في طعم العسل
طعم تلك الأزهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضا ويعضد هذا قول بعض
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة
شربة عسل قالت جرست نحله العرفط والعرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست
نحله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة المنكرة فبهذا الدليل يصح قول أهل الظاهر
من المفسرين أنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما أكلته النحل ولونه وريحه وأما ما قاله الأطباء من
أنه طل لأنه لو كان طلا لكان على لون واحد وقوله إن طبيعة العسل تقرب من طبيعة
الترنجبين فباطل لأن مزاج الترنجبين معتدل إلى الحرارة وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس
في الدرجة الثانية فبينهما فرق كثير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فباطل لأن لفظ البطن
إذا أطلق لم يرد به إلا العضو المعروف في بطن الإنسان وغيره والله أعلم ❁ وقوله تعالى (فيه) يعني في
الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود فالضمير في قوله
فيه شفاء للناس يرجع إلى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على
الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما أنه على العموم في العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود
العسل فيه شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن
والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء إلا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من
بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال إني سقيته
عسلا فلم يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده إلا
استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض
الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف
يوصف لمن به الإسهال ونقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب إن الإسهال يحصل من
أنواع كثيرة منها الهيضة وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك الطبيعة وفعلها
وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية فأما حبسها فضرر عندهم واستعجال
مرض فيحتمل أن يكون إسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه تركه
والإسهال على ما هو عليه أو تقويته فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده إسهالا فزاده عسلا
إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل ويثبت ما ذكرنا أن
أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وأن المعترض عليه جاهل لها ولسنا
نقصد الاستظهار بتصديق الحديث بقول الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وإنما ذكرنا هذا

(يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لأنه مما يشرب ثم قيء من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها (فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الأدوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فجاءه وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع التأويلات أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أن رجلا قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة

الجواب

الجواب الطاوي على مناعة الطب والهند المعترض بأنه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الالهي أن العسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعده من أن فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني باستعجالك الشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده وأسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فإن قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشبان المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أنه قال في قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة أنه خرج مخرج الأغلب وأنه في الأغلب فيه شفاء ولم يقل إنه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء وإن نفعه أكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين إلا وتمامه وإلا يتم به المقصود من العسل نافعه لأصحاب البلغم السموح المبرودين ومنافعه كثيرة جداً والقول الثاني أنه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لأنه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الأول أصح لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير إليه لأنه أقرب مذكور ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرناه على وحدانيته وقدرته ﴿ قوله عز وجل (والله خلقكم) يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم إلى الوجود ولم تكونوا شيئاً (ثم يتوفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم إما صبياناً وإما شباناً وإما كهولاً (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) يعني أرذأه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الإنسان له أربع مراتب أولها سن النشوء والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الأربعين إلى الستين وهذه المرتبة يشرع الإنسان في النقص لكنه يكون نقصاً خفياً لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات ﴿ وقوله تعالى (لكي لا يعلم بعد علم شيئاً) يعني أن الإنسان يرجع إلى حالة الطفولية فينسى ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وإن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً ويصير بعد أن كان عالماً جاهلاً ليريكم الله من قدرته أنه كما قدر على إماتته وإحيائه أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل هكذا أورده فيه قولاً ولو قال ليريكم من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم إلى الجهل أنه قادر على إحيائه بعد إماته فيكون ذلك دليلاً على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً وقال في قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد إلى أرذل العمر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ وقوله تعالى (إن الله عليم) يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه (قدير) يعني على ما يريد ﴿ قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني أن الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم

من أصحابكم (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها كما أعطى أولي العقول عقولهم (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بقبض أرواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكي لا يعلم بعد علم شيئاً) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (إن الله عليم) بكم التحويل إلى الأرذل من الأكمل أو إلى الأكمل من الأرذل (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم

فيتساووا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به (١٢٦) عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء

متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الإلهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) يعني من العبيد حتى يستووا هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين حيث جعلوا الأصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في فراشه وماله فكيف تعدلون بالله خلقه وقيل في معنى الآية إن الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعني في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن الموالي يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالي للمماليك والمقصود من هذا أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وأن الموالي والمماليك في الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمالك والمالك هو الله سبحانه وتعالى ﴿ وقوله (أفبنعمة الله يجحدون) فيه إنكار على المشركين حيث جحدوا نعمة الله ﴿ قوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلق من آدم حواء زوجة وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لأنه خطاب عام يعم الكل فخص منه آدم بخلق حواء منه (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء وإليك نسعى ونحفد أي نسرع إلى طاعتك هذا أصله في اللغة واختلف أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة الأختان على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم الأصهار فهو على القول على هذا القول تكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الأختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الأعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقال قتادة هم مهنة يمتهنونكم ويخدمونكم من أولادكم وقال الكلبي ومقاتل البنون هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك بالجملة فإن الحفدة هم غير البنين لأن الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فعطف بينهم مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعني من النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والأشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) يعني بالأصنام يؤمنون يعني يصدقون أن لها شفاعة لهم ذلك (وبنعمة الله هم يكفرون) يعني بأنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم إلى غير من أنعم به عليهم ويحرمون ما أحل الله لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض) يعني الأصنام التي لا تقدر على إنزال المطر الذي في السماء ولا تقدر على إخراج النبات الذي في الأرض (شيئا) يعني لا تملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا (ولا يستطيعون) يعني ولا يقدرون على شيء ... (فلا تضربوا لله الأمثال) يعني لا تشبهوا الله بخلقه فإنه لا مثل له ولا شبيه ولا شريك ... أو الرازق بالمرزوق والقادر بالعاجز (إن الله يعلم) ... (وأنتم لا تعلمون)

(أفبنعمة الله يجحدون) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أي بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أي الإسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا) أي الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق ... فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا أي لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أي قليلا ومن السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا أي لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق (ولا يستطيعون) ... (فلا تضربوا لله الأمثال) ... (إن الله يعلم) ... وأنتم لا تعلمون ...

خطأ فإنما نضرب لكم الأمثال ﴿ قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال لأنه لا علم لهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه [illegible] الأمثال تعالى لكي يتفكروا [illegible] ثم مالك الأوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه [illegible] يشاهد صريح العقل يشهد أنه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والأفضال وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء [illegible] هذا المثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لأنه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء [illegible] الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدمه [illegible] صار كالعبد الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لأنه لما اشتغل بطاعة الله [illegible] والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله [illegible] وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فأثابه الله الجنة على ذلك [illegible] عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك [illegible] قادر على التصرف [illegible] المملوك [illegible] لأنهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شيء [illegible] المملوك المكاتب والمأذون له [illegible] يقدران على التصرف [illegible] الآية على أن العبد لا يملك (هل يستوون) ولم يقل هل [illegible] يعني هل يستوي الأحرار والعبيد [illegible] المعنى كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن الطائع وقال عطاء [illegible] عبدا مملوكا [illegible] ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ﴿ ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لأنه المستحق لجميع المحامد لأنه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الأصنام التي عبدها هؤلاء [illegible] الحمد لا [illegible] عاجز لا [illegible] لأحد ولا معروف [illegible] الكامل لله لا لغيره [illegible] جميع العباد حمد الله لأنه أهل الحمد [illegible] (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني أن الحمد لله لا للأصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخرس وكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والأبكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) [illegible] إلى العجز التام [illegible] الكامل (وهو كل على مولاه) أي [illegible] على من يلي أمره [illegible] في اللغة [illegible] كل السكين إذا غلظت شفرته وكل اللسان إذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه [illegible] فقوله وهو كل على مولاه أي [illegible] على وليه (أينما يوجهه) أي [illegible] ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم (لا يأت بخير) يعني لا [illegible] لأنه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوي) يعني [illegible] (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) [illegible] الخير [illegible] يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على دين قويم [illegible] أن يكون الآمر بالعدل عالما قادرا [illegible] الأمر بالعدل وهذا مثل آخر ضربه الله لنفسه [illegible] على عباده [illegible] للأصنام التي هي أموات جماد لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وهي كل على عابدها [illegible] الحمل والنقل والخدمة [illegible] الكافر والمؤمن فالكافر [illegible] والذي يأمر بالعدل هو المؤمن [illegible] وعلى صراط مستقيم [illegible] الكافر هو الأبكم [illegible] الذي لا يأمر بخير [illegible] هذا القول تكون الآية عامة في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو [illegible] وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل [illegible] والذي [illegible] بالعدل [illegible] ويلحق [illegible] الاسلام وذلك أنه [illegible] لا يكفي [illegible] لا أبكم

منه سرا وجهرا) مصدران في موضع الحال أي يكثر في السر والجهر كيف [illegible] بالله الأوثان [illegible] من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه [illegible] بالمملوك ليميزه من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا [illegible] عباد الله ولا يقدر على شيء لتمييزه من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف [illegible] موصوفة أي [illegible] رزقناه [illegible] موصولة (هل يستوون) جمع الضمير لإرادة الجمع أي لا يستوي الأحرار [illegible] (الحمد لله) [illegible] (بل أكثرهم لا يعلمون) أن الحمد والعبادة لله [illegible] (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) الأبكم الذي ولد أخرس [illegible] لا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي ثقل وعيال على من يلي أمره [illegible] (أينما يوجهه لا يأت بخير) [illegible] ضربه الله [illegible] هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل أي [illegible] الخصال [illegible] والرشد [illegible] (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم)

(ولله غيب السموات والأرض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (إلا كلمح البصر) كرجع طرف وإغماضه (128) لأنه لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أي الأمر (أقرب) وليس هذا الشك للمخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتقاد وقيل بل هو أقرب (إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) بكسر الألف وفتح الميم على اتباع الكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذ زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرها (ألم يروا) وبالتاء شامي وحمزة (إلى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية لذلك (في جو

[illegible] من الهواء [illegible] الأرض [illegible] الجو (ما يمسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (إلا الله) بقدرته [illegible]
[illegible] (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أن الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم
[illegible]

الذي لا يأتي بخير أبي بن خلف والذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والأرض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وأنه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (إلا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح البصر هو النظر بسرعة من العين وفتحه وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني أن لمح البصر يحتاج إلى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله (إن الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء ﴿ قوله عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) تم الكلام هنا لأن الإنسان خلق في أول الفطرة وهو خال عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) يعني أن الله سبحانه وتعالى إنما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل إلى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الأبصار لتبصروا بها عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الأفئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الأشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من إخراجكم من بطون أمهاتكم إلى أن صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله جعلكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وجعل لكم الحواس آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم به في الآخرة فإن قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس كان بعد الإخراج من البطون وإنما خلقت هذه الحواس للإنسان من حال خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء عن هذا الإخراج وأجابوا عن ذكر هذه الحواس لا يدل على أن جعلها كان بعد الإخراج لأن الواو لا توجب الترتيب ولأن العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأيضا لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنها خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وإن كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿ وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني إنما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (ألم يروا إلى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والأرض وهو الهواء قال كعب الأحبار إن الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمسكهن إلا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على أن لها مسخرا سخرها وذللها للطيران ومكنها من الطيران حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) إنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالآيات ويتفكرون فيها وينقادون لعبرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما يسكن إليه ومن الفاء وبه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والأخبية والفساطيط المتخذة من الأدم والأنطاع واعلم أن المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة

(تستخفونها) أي يخف عليكم حملها في الضرب والنقل (يوم ظعنكم) بسكون العين كوفي وشامي وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم إقامتكم) قراركم في داركم والمعنى انها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر على أن

من جلود الأنعام واليها الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحلتكم في أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم إقامتكم) يعني ويخف عليكم أيضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا يثقل عليكم في الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعني ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاثا) يعني تتخذون أثاثا والأثاث متاع البيت الكثير وأصله من أث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال أثاث اذا كثر قال ابن عباس أثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الأثاث المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الأثاث هو متاع البيت من الفرش والأكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعني وبلاغا هو ما تنتفعون به (الى حين) يعني الى حين بلى ذلك الأثاث وقيل الى حين الموت فان قلت أي فرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق بين الأثاث والمتاع قلت ان الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه ويدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الأبنية والجدران والأشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لأن الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج الى شيء يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستعين بالخيام في سفره ليستكن فيها واليها الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا وأما الفقير فيستكن في ظلال الأشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليها الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولأن بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم لأن النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف ونحوها تدفع عنكم شدة الحر قال أهل المعاني والبرد أيضا فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراساني انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعني كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعني نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعني لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان لم يوحدوا ولم يقبلوا ما جاءهم به من التذكير بالله تعالى وبآياته واستمروا على ما هم عليه (فانما عليك البلاغ المبين) يعني ليس عليك يا محمد الا التبليغ وليس عليك هدايتهم الا البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل هي نعمة الاسلام لأنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ثم ان الكفار أنكروه وجحدوه وقال مجاهد يعني بالنعمة ما عد عليهم في هذه السورة من النعم يعرفونها بأنها من الله ثم اذا قيل لهم تصدقوا وامتثلوا فيها أنكروها وقالوا ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا وكذا وقيل انهم يعرفون أن الله أنعم عليهم بهذه النعم

الاقامة والظعن يقتضي الوقت (ومن أصوافها) أي أصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثاثا) متاع البيت (ومتاعا) وشيئا ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) كالأشجار والسقوف (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستر من كهف أو غار (وجعل لكم سرابيل) هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهي تقي البرد أيضا الا أنه اكتفى بأحد الضدين ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرابيل تقيكم بأسكم) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك البلاغ المبين) أي فلا تبعة عليك في ذلك لأن الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد

بلغت (يعرفون نعمة الله) التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث عبدوا غير الله أو في السدة بحيث

ولكنهم لا ينتفعون بها في طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (وأكثرهم الكافرون) إنما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كلهم كافرين لأنه كان فيهم من لم يبلغ حد التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل أراد بالأكثر الكافرين الجاحدين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وإن كان كافرا وقيل إنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قد يذكر الأكثر ويراد به الجميع ﴿قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وإنكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون أتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الأنبياء يشهدون على أممهم بالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا فيعتذروا أو يتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويعرفونهم على ذلك (ولا هم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعنى العتاب والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه إذا كان على جزم أنه إذا عاتبه رجع إلى الرضا فإذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرضوا ربهم فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (وإذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولا هم ينظرون) يعني لا يؤخرون ولا يمهلون (وإذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) يعني أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة (فألقوا) يعني الأصنام (إليهم) يعني إلى عابديها (القول إنكم لكاذبون) يعني أن الأصنام قالت للكفار إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا فإن قلت الأصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما أنه يعيدها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من إعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعني أنهم استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم إن الأصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني صرفوا غيرهم ومنعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كالنخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني أن الزيادة إنما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم

(وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (ويوم) انتصابه باذكر (١٣) (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أنهم يبتلون أي يبتلون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة (وإذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أي العذاب بعد الدخول (ولا هم ينظرون) يمهلون قبله (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التي عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي آلهتنا التي جعلناها شركاء (الذين كنا ندعو من دونك) أي نعبد (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) أي أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعني الذين ظلموا (إلى الله يومئذ السلم) إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحملوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (ويوم

نبعث في كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الأنبياء وقال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعني منهم لأن كل نبي إنما بعث من قومه الذين بعث إليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجئنا بك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) يعني بيانا لكل شيء من الحلال والحرام قال مجاهد يعني لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات وإجماع الأمة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعني من الضلالة (ورحمة) يعني لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعني وبشارة للمسلمين من الله عز وجل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك فإن كان مؤمنا أحببت أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا أحببت أن يكون أخاك في الإسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والإحسان الإخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا نقصان فيه ولا علو ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأن يعفو عنه وقيل العدل الإنصاف ولا إنصاف أعظم من الاعتراف لمن أنعم بإنعامه والإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك وقيل يأمر بالعدل في الأفعال وبالإحسان في الأقوال فلا تفعل إلا ما هو عدل ولا تقول إلا ما هو حسن (وإيتاء ذي القربى) يعني ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الأدنون والأبعدون منك فيستحب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله فإن لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الأقوال والأفعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان وقال بعضهم إن أعجل المعاصي البغي ولو أن جبلا بغى على جبل لجعل الله الباغي منهما دكا وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة ومن المنهيات ثلاثة فذكر العدل وهو الإنصاف والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك وذكر في مقابلته المنكر وهو أن تنكر إحسان من أحسن إليك وذكر إيتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو أن تتكبر عليهم أو تظلمهم حقوقهم ﴿ثم قال تعالى﴾ (يعظكم لعلكم تذكرون) يعني إنما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه

أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الإجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع أصحابه بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولي الأبصار فكانت السنة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى الكتاب فكان تبيانا لكل شيء (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (إن الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه (والإحسان) إلى من أساء إليكم أو هو الفرض والندب لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وإيتاء ذي القربى) وإعطاء ذي القرابة وهو

له الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغي) طلب التطاول بالظلم والكبر (يعظكم) حال أو مستأنف (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنه قال ما كنت أسلمت

[illegible]

فقرأها على الوليد بن المغيرة فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (ولا تنقضوا الأيمان) أيمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه (إن الله يعلم ما تفعلون) من البر والحنث فيجازيكم به (ولا تكونوا) في نقض الأيمان (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم) حال كأنكاثا (دخلا) أحد مفعولي تتخذ أي ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أي مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أربى من أمة) هي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هي أربى مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل تكون وهي تامة وهي فصل لوقوعها بين نكرتين (إنما يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه في معنى المصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار

لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ﴿قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية التي قبلها المأمورات والمنهيات على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه آكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد به كل ما يلزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لأن الوعد من العهد وقيل العهد هو اليمين قال الشعبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح أما إذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) يعني بعد تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين لأنه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعني شهيدا بالوفاء بالعهد (إن الله يعلم ما تفعلون) يعني من وفاء العهد ونقضه ﴿ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعني في نقض العهد (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) يعني من بعد إبرامه وإحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الأصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دأبها والمعنى أن هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا كفيتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد إبرامه (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون) يعني لأن تكون (أمة هي أربى من أمة) يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر والمعنى أنكم طلبتم العز بنقض العهد لأن كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (إنما يبلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو أعلم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من أمر البعث فيثيب الطائع المحق ويعاقب العاصي المخالف ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الإسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني بخذلانه إياه عدلا منه (ويهدي من يشاء) بتوفيقه إياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الإلهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يعني في الآخرة فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بما يستحقه أو يغفر له ﴿قوله عز وجل (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) يعني خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا إلى أيمانكم ويأمنوا ثم تنقضونها وإنما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في

كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظمة (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحد القدم ونكر لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) في الدنيا (بما صددتم) بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) (١٣٢) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا الذي ... كانت قريش يعدونهم ... ومنونهم ... من الدنيا ... من عنده من ... المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد (ولنجزين) وبالنون مكي وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى) ... الاناث ظاهر ... ومن عمله من ذكر أو انثى ... (وهو مؤمن) ... لان أعمال الكفار غير ... وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحيينه حياة طيبة) اى في الدنيا لقوله (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة او حلاوة الطاعة او المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا اردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبر عن ارادة الفعل ... (من الشيطان الرجيم)

الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وشريعته ﴿ وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (انما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ﴿ ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعني من متاع الدنيا ولذاتها يعني ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني ثواب صبرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله الذكور دون الاناث فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة فأتى بذكر النوعين لتأكيد تقرير الوعد وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله راضيا بما قدره الله ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن أطيب من عيش غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة ﴿ قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره ... لان ...

صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج إلى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا
في إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وساوس الشيطان عن جبير بن مطعم أنه
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد
لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال
نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود الموتة الجنون والعاقي قوله فاستعذ بالله
للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو
قول أبي هريرة وإليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لأن قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما
حصلت الوساوس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك
الوساوس وبقي الثواب خالصا فأما مذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء
الأمصار فقد اتفقوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن
فاستعذ بالله وهو كقوله سبحانه وتعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام
إذا أردت أن تأكل فقل بسم الله وإذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضا فإن الوسوسة إنما تحصل في أثناء
القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها
ومذهب عطاء أنه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء
على أن الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسألة والكلام فيها في أول سورة الفاتحة
والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء إليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان إبليس وقيل هو
اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بإقدار الله
إياهم على ذلك (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم أن له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فأزال الله سبحانه
وتعالى هذا الوهم بقوله إنه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من هذا أن الاستعاذة إنما تفيد إذا
حضر على الإنسان كونه ضعيفا وأنه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال
المحققون لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ثم قال تعالى (إنما سلطانه
على الذين يتولونه) يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته إذا أطعته وتوليت عنه إذا أعرضت عنه
(والذين هم به مشركون) يعني بالله ويجوز أن يكون الضمير في به راجعا إلى الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون
بالله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك أن المشركين من أهل مكة
قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فأنزل
الله هذه الآية والمعنى وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في
الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقه بما يغير ويبدل من أحكامه أي هو
أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو قوله تعالى (قالوا إنما أنت مفتر) أي مختلق من عند نفسك والمعنى إذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل
فما بالهم ينسبون محمدا إلى الافتراء والكذب لأجل التبديل والنسخ وإنما فائدة ذلك ترجع إلى مصالح العباد
كما قال إن الطبيب يأمر المريض بشربة دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل
أكثرهم لا يعلمون) يعني لا يعلمون فائدة النسخ والتبديل (قل) أي قل لهم يا محمد (نزله) يعني
القرآن (روح القدس) يعني جبريل صلى الله عليه وسلم أضافه سبحانه وتعالى إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود

الطارد أو الملعون قال ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال لي
قل أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا أقرأنيه
جبريل عليه السلام (إنه
ليس له) لإبليس (سلطان)
تسلط وولاية (على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)
فالمؤمن المتوكل لا يقبل
منه وساوسه (إنما سلطانه
على الذين يتولونه) يتخذونه
وليا ويطيعون وساوسه
(والذين هم به مشركون)
الضمير يعود إلى ربهم أو
إلى الشيطان أي بسببه
(وإذا بدلنا آية مكان آية)
يعني الآية مكان الآية
هو النسخ والله تعالى ينسخ
الشرائع بالشرائع لحكمة
رآها وهو معنى قوله (والله
أعلم بما ينزل) وبالتخفيف
مكي وأبو عمرو (قالوا إنما
أنت مفتر) هو جواب إذا
وقوله والله أعلم بما ينزل
اعتراض كانوا يقولون إن
محمدا يسخر بأصحابه
يأمرهم اليوم بأمر
وينهاهم عنه غدا إنهم
كانوا يأتون ولقد افتروا
فقد كان ينسخ الأشق
بالأهون والأهون بالأشق
(بل أكثرهم لا يعلمون)
الحكمة في ذلك (قل نزله
روح القدس) أي جبريل
عليه السلام أضيف إلى
القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود والمراد الروح
المقدس وحاتم الجواد
والمقدس المطهر من المآثم

[illegible]

(من ربك) من عنده وأمره (بالحق) حال أي نزله ملتبساً بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا
والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدى وبشرى) مفعول لهما
معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة (للمسلمين) وفيه تعريض (١٣٥) بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم

وطهارته والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعني أن جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيماناً ويقيناً (وهدى وبشرى) يعني وهو هدى وبشرى (للمسلمين) ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم محمد هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما زعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن إسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبد الله بن مسلم كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان ربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانياً وقد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمياً وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يضيفها إلى نفسه ويزعم أنه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما رموه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلحدون إليه) يعني يميلون ويشيرون إليه (أعجمي) يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وإن كان يسكن البادية ويقال عجمي زاد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يكون من أولاد العرب وهو منسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني ذو الفصاحة والبيان فوجه الجواب هو أن الذي تشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عن مثله وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي أوحاه الله إليه وليس هو من تعليم الذي تشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل إليه وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون أنها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم المفترون فقال تعالى (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على افتراء الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول الكفار ورد إنما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني وأولئك أهل الكذب لا محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت قد قال تعالى إنما يفتري الكذب فما معنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون قال ابن عباس هو

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أرادوا به غلاماً كان لحويطب قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومي لعامر بن الحضرمي أو عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون إليه) وبفتح الياء والحاء حمزة وعلي (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وإبطالاً لطعنهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلحدون إليه أعجمي لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة جواب لسؤال مقدر وملحودا إليه [illegible] عن الاستقامة [illegible] [illegible] إماله عن الاستقامة [illegible] الحدلان [illegible] قد [illegible] الملك لأنه أمال بهم عن الإيمان كلها (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي القرآن (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لأنهم من أهل الخذلان (ولهم عذاب أليم) في الآخرة على كفرهم (إنما يفتري الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقاباً عليه وهو رد لقولهم إنما أنت مفتر (وأولئك) إشارة إلى الذين لا يؤمنون أي أولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر [illegible] وإن تكلم

الأول قلت قوله سبحانه وتعالى إنما يفتري الكذب إخبار عن حال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على أن الكذب من أفحش الذنوب الكبائر لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴿ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام فأما سمية أم عمار فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجروا فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لأن الآية مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والأولى أن يقال إن الآية عامة في كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وإن كان السبب خاصا فإن قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء إلا من أكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الإيمان ما يشبه ما ظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

(من كفر بالله بعد إيمانه) شرط [illegible] وجوابه [illegible] من شرح [illegible] عليهم كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) استثناء

﴿ (فصل في حكم الآية) قال العلماء يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإيلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدراع الحديد وأجلسوا في حر الشمس بمكة فأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه [illegible] وقال [illegible] فأعطاهم الباقون ما أرادوا وأجمعوا على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة الكفر تصريحا بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لأن ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولأن بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء [illegible] الأفعال ما يتصور الإكراه عليها كشرب الخمر وأكل الميتة [illegible] أكره [illegible] المراد [illegible] تعالى [illegible] الإكراه [illegible] والإكراه [illegible] الآية [illegible] الإكراه [illegible] تعالى [illegible]

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان يكون بدلا من المبتدا الذي هو أولئك أي ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من المخبر الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روي ان ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لانه في الصبر على القتل اعزازا للاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بانهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب ايثارهم الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) ما داموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) ثم ان ربك [illegible]

(١٣٧)

لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجود فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) بعدم تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعني عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا لربح في الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ﴿قوله عز وجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) على الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعني من بعد الفتنة التي فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاعة وقيل كان أخاه لامه وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان أخاه لامه فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول ليس بصحيح لان هذه السورة مكية وهذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات في السور المكيات والله أعلم بمقصده بذلك ﴿قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني تخاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر [illegible] بالمجادلة لا يهمها غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة فلا يعقل لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هي جملة بدن الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي ذاته فكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر

(١٨ - (خازن) - ثالث)

[illegible] للذين هاجروا) بمكة أي انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر [illegible] بعد ما عذبوا المرتدين أي أخلوا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكراه (يوم تأتي) منصوب برحيم أو باذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها [illegible]

[illegible]

(وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان
روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار خوفنا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو
وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك ساعات وأنت لا يهمك إلا نفسك وإن لجهنم لزفرة ما يبقى
ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك إلا نفسي وإن
تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية
قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش
بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشبة ليست لي يد أبطش بها
ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيناي وبه
مشت رجلاي فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعدا دخلا حائطا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد
لا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب ۞ قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل
عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة
عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة قال الإمام فخر الدين
الرازي المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشيء
موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئا مفروضا ويحتمل أن تكون
قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والأكثرون من المفسرين على أنها
مكة والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه
الكشاف وضرب الله مثلا قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم
النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى
الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي ضرب المثل أن
المشبه والمشبه به وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين
نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم
فعند هذه الآية ضرب الله القرية مثلا لمكة أي مثلا لها ـ قال ويجوز أن تكون القرية مثلا من
لا لا نهاية في المثل ويجوز أن تكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج
والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعني أنه أراد مكة في أنها قرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزي
في هذه القرية قولان أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني أنها
قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وقيل هذه الآية
نزلت بالمدينة في قول عطاء وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات
كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضربها الله مثلا لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل
صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ذلك أن الخوف المذكور في هذه الآية في
قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول
جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة
فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله
تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة (كانت آمنة) يعني ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة)
يعني قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج إليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا)
يعني واسعا (من كل مكان) يعني يحمل إليها الرزق من البر والبحر نظيره قوله يجبى إليه ثمرات
كل شيء وذلك بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهله من الثمرات (فكفرت)
يعني أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها ما أنعم الله به على أهل مكة فإنها

(وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها (كانت آمنة) من القتل والسبي (مطمئنة) لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس

فكفروا بأنعم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا الا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها فالاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب وكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعد هذا من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الأول ان الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ... وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وتغير اللون ونحافة البدن وسوء الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللباس على المماسة فصار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) لم يقل بما صنعت لأنه أراد أهل القرية والمعنى فأذاقها الله بما كانوا يصنعون وهذا مثل لأهل مكة لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي إرسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذائه وأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة فسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخراجه من بين أظهرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفونه ويعرفون نسبه وصدقه (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الأول أولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) أي كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) في المخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره والقول الأول والصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله

(فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال التباسهم بالظلم والعذاب القتل بالسيف يوم بدر وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى أهل مكة في سني القحط بالطعام فقال الله لهم بعد ان أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يد محمد صلى الله عليه وسلم

(حلالاً طيباً) بدلاً عما كنتم تأكلونه حراماً خبيثاً من الأموال المأخوذة بالغارات والقصور وخبائث الكسوب (واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون) تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم فقال (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم) إنما للحصر أي المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباقي الآية تقدم تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم (١٤) من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي أو إلى القياس المستنبط منه واللام مثلها في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم وتجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كأنه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الأنعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بستر ما كانوا ارتكبوا (رحيم) ... (إن إبراهيم كان أمة) ... الخير كقوله ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

بها العباد (حلالاً طيباً) يعني أن الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الأمة وطيبها لهم ولم تحل لأحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعني التي أنعم بها عليكم (إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعده هنا ۞ وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لأجل وصف ألسنتكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعني أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى ولا سبب إلا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك إلى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعني لا تقولوا إن الله أمر بذلك فتكذبوا على الله لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين بالكذب فقال سبحانه وتعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعني لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قرب فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فإنه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعني بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ۞ وقوله تعالى (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لأن السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل من عصى الله فهو جاهل وكل من عمل السوء فإنما يعمله بالجهالة لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر منه فعل قبيح من كفر أو معصية فإنما صدر منه بسبب الجهالة ... العقاب أو الجهالة بقدر من عصاه فبين سبحانه أن كل من عمل السوء بجهالة ثم إن الله تعالى وعد من عمل سوءاً بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعني أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الإصلاح الاستقامة على التوبة (إن ربك من بعدها) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة (لغفور) يعني لمن تاب وآمن (رحيم) يعني بجميع المؤمنين والتائبين ۞ قوله سبحانه وتعالى (إن إبراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزي عن ابن الأنباري أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى فنادته الملائكة وإنما ناداه جبريل وحده وإنما سمي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لأنه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة

ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر   ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير يعني انه كان معلماً للخير يأتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وإنما قال فيه هذه المقالة لأنه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الأمة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماماً يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى اني جاعلك للناس اماماً وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لأجله جعلت أمة ومن نسبه متميزين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله (قانتاً لله) يعني مطيعاً لله وقيل هو القائم بأوامر الله (حنيفاً) مسلماً يعني مقيماً على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختتن وضحى وأقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكراً لأنعمه) يعني انه كان شاكراً لله على نعمه التي أنعم بها عليه (اجتباه) أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته (وهداه الى صراط مستقيم) يعني هداه الى دين الاسلام لأنه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن وقيل العافية في جميع الأمم فان الله تعالى حبب خليله الى كل أهل الأديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه أولاداً أبراراً على الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمع الصالحين يعني الأنبياء في الجنة ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأموراً بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعاً له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الأوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفاً) مسلماً (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فأبوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضاً بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد ولمسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم وفي رواية له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة

ومن هنا قد كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (قانتاً لله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذاً كان أمة قانتاً لله فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام (١٢١) فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حياً لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفاً) مائلاً عن الأديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش لزعمهم أنهم على ملة أبيهم ابراهيم وحده ثم الذين بعده [illegible] الله (شاكراً لأنعمه) روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاماً فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) ثناء وذكراً أو ولاية أو نبوة [illegible] كل أهل دين يتولونه وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك) يا محمد (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً) [illegible] الاكرام اتباع رسولنا له

وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلته بما أوتي من السلام واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله

(انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه

فدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم بمعنى غير أنهم أو الا أنهم وقوله فهذا اليوم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال بعض العلماء وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك زاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل قال وقيل ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه فهو أول ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر فلما كان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة فادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم فكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاروه لانفسهم وقال بعض العلماء ان الله تعالى عظم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفى معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اى وبال السبت ولعنه على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فعوقبوا ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطادوا فيه وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة ۞ وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحق بالثواب والمبطل بالعقاب ۞ قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تنصحهم وتقصد ما ينفعهم (وجادلهم بالتي هي أحسن) يعني بالطريق التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف قيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها [illegible] الطوائف [illegible] من العلماء [illegible] القسم الثاني هم أصحاب الفطرة السليمة

(وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روي ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة وأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن اي ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة أو الحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة [illegible]

واتخلقه الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله ۞ قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية بالمدينة في شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنيه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمتك ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا أربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب أما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم لا يجوز في عدل الله ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترك أولى فان كان استيفاء القصاص مشروعا بغير زيادة عليه [illegible] من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص فكان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العافين

۞(فصل)* اختلف العلماء في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد [illegible] والقول الثاني انها محكمة [illegible] ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد [illegible] المشركين [illegible]

فظاظة أو عنفا توقظ العاقل ويعظ الغبي [illegible] العقول وهو رد على من يأبى المناظرة في الدين (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سمى الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء [illegible] فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روي ان المشركين لما مثلوا بالمسلمين يوم أحد [illegible] قال النبي عليه السلام لأمثلن [illegible] [illegible] أراد [illegible] [illegible] (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) [illegible]

محكمة وإنما نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الأصح أنها محكمة لأن الآية واردة في تعليم حسن الأدب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الأشياء لا تكون منسوخة ولا تعلق لها بالنسخ والله أعلم ۞ قوله عز وجل (واصبر وما صبرك إلا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه أن صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين وإعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فإنهم أفضوا إلى رحمة الله ورضوانه (ولا تك في ضيق مما يمكرون) يعني ولا يضق صدرك يا محمد بسبب مكرهم فإن الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولا تك في أمر ضيق من مكرهم قال الإمام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق حاصلا فيك إلا أن الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى (إن الله مع الذين اتقوا) أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني إن أردت أيها الإنسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال إنما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيكم بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الإسراء)

(فصل في نزولها) قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة إلا أن بعضهم يقول فيها مدني فروي عن ابن عباس أنه قال هي مكية إلا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وإن كادوا ليفتنونك إلى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب أدخلني مدخل صدق الآية وقوله تعالى إن الذين أوتوا العلم من قبله وقوله إن ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وإن كادوا ليستفزونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر آيات وقيل وإحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ قوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل سوء هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسيره تنزيه الله عن كل سوء ووصفه وأصله في اللغة التباعد يعني سبحان الله تبعيده وتنزيهه عن كل ما لا ينبغي الذي أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الأمة في ذلك وقوله بعبده إضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتكريم وينشد بعضهم

لا تدعني إلا بيا عبدها * فإنه أشرف أسمائي

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج أوحى الله عز وجل إليه يا محمد بم أشرفك قال يا رب بنسبتي إليك بالعبودية فأنزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فإن قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير الليل على البعضية

ومثلوا بهم فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم (ولا تك في ضيق مما يمكرون) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات وقيل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله بتيسيره ونصره في المأمور وعصمته في المحظور

(سورة بني إسرائيل مكية) وهي مائة وعشر آيات بصري وإحدى عشرة آية كوفي وشامي

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذي أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم سرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف وقيد بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء

(من المسجد الحرام) قيل كان الإسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنهما فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعني إلى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالأنهار والأشجار والثمار وقيل سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإليه يحشر الخلق يوم القيامة فإن قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط قلت قد كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده إلى السماء أولا لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسري به إلى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه إلى السماء فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمعراجه إلى السماء ﴿ وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الأنبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فإن قلت لفظة من في قوله من آياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق إبراهيم عليه السلام وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وظاهر هذا يدل على فضيلة إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فما وجهه قلت ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله وآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض فظهر بهذا الفرق فضل محمد صلى الله عليه وسلم على إبراهيم صلى الله عليه وسلم (إنه هو السميع) لأقواله ودعائه (البصير) لأفعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقيل إنه هو السميع لما قالته قريش حين أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل إنه هو السميع لأقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم يجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

﴿(فصل)﴾ في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه (ق) عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الأول الجمهور [illegible] (إلى المسجد الأقصى) هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة (لنريه) أي محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله (إنه هو السميع) للأقوال (البصير)

ثم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم
قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال
هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء
السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحبا به
فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح
والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما
يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم
فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى
فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات
ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت
عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت
أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك
وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت
إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا
فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر
صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال
بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت
الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى
استحييت ولكني أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية
أخرى وأجزي بالحسنة عشرا وفي رواية أخرى [illegible] ثم غسل البطن بماء
زمزم ثم ملئ إيمانا وحكمة وفيه ورفع إلى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه
كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء
فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك
أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه قال نعم فافتح فتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا
رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا
بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله
نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل
شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن
السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم
ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما
مر جبريل ورسول الله بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا
إدريس قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى قال ثم

مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت
بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم قال ابن شهاب وأخبرني
ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على
أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي
فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال
هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من
ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فإذا فيها
جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال
أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة
أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى
احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره
وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا وحكمة
فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه
أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم قالوا فمرحبا به وأهلا
يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم
عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم فقال مرحبا وأهلا يا بني فنعم الابن أنت
فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات
عنصرهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أذفر
قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل
ما قالت له الأولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا
ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج
به إلى السماء الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء
السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة
وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى
رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة
ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك قال عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن
أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه
يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا
فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه
حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على
أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك
ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل
فرفعه عند الخامسة [illegible]

الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة
بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت فقال
خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك
فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت
من ربي مما اختلفت إليه قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري
وأخرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند وذكر من أول حديث
شريك طرفا ثم قال وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث
ثابت من هذه الألفاظ إلا ما أوردته على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حديث حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن
أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع
حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال ثم
دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
إليه قال قد بعث إليه قال ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم
عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا
فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى
البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها
كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله
يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى
موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك
لا تطيق ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني
خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال
ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت
منه ورواه مسلم وأخرجه الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري
به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض
عرقا وأخرجه النسائي عن عمران المعتمر واحد في آخره وقال فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف فقال إني يوم

خلقت

بخلق السموات والأرض فرضت علي الصلوات وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فعرفت أنها أمر الله حتمي فقلت لم أرجع

(فصل) قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الأمر فيه على شريك وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه أن الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى إليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء في رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فقدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه فإن الإسراء أقل ما قيل فيه إنه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهراً وقال الحربي كانت ليلة الإسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن إسحاق أسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الأخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائماً في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وأن أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولاً قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

(فصل) في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وقال كانت في رجب وقيل في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل إنما كان جميع ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده إذ لا يطلق العبد إلا على مجموع الروح والجسد والأحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة أيضاً وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به قال ابن دريد اشتقاق البراق من البرق لسرعته وقيل لشدة صفائه وتلألئه وبريقه وقيل لكونه أبيض وقال القاضي يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود قال وذكر أن البراق لا يختص بالبراق وقيل إذا كان الأعم أدل على الله تعالى وقوله فأتيته بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة وقال لو اخترت الخمر غوت أمتك قوله جبريل اخترت الفطرة يعني

فطرة الإسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة
بخلاف الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر قوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل
فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الأدب فيمن استأذن أن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فإنه مكروه وفيه أن
للسماء أبوابا وبوابين وأن عليها حرسا وقوله بواب السماء وقد أرسل إليه وفي الرواية الأخرى وقد بعث إليه
معناه للإسراء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليه إلى
هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقوله فإذا أنا بآدم فيه ذكر جماعة من الأنبياء فيه استحباب لقاء
أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام الحسن وإن كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز
مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه من الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فإذا أنا بإبراهيم مسندا
ظهره إلى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل ظهره إليها وقوله ثم ذهب بي إلى
السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالألف واللام وفي باقي الروايات إلى سدرة المنتهى قال ابن عباس
رضي الله عنهما والمفسرون سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله
عز وجل وقوله وإذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين
أو أكثر وقوله فرجعت إلى ربي قال الشيخ محيي الدين النووي معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته فيه أولا
فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل قال
وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فسيأتي إن شاء الله تعالى في تفسير قوله تعالى ثم دنا فتدلى
ثم دنا فتدلى قوله فرض الله سبحانه وتعالى على أمتي خمسين صلاة إلى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الأخرى
فوضع عني عشرا وفي الأخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة فليس المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس
المراد منه النصف وأما رواية العشر فهي رواية ثابت وروايات الخمس رواية ...
... المراد حط عنه خمسا إلى آخره ... الأخرى ...
... واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث أنه شق
صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد سبق أنه شق صدره وهو صغير ... وإنما المراد بالشق
... الظاهر ما أراده من الكرامة له ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب ملئ ...
... واستعمال إناء الذهب إنما ليس الأمر كذلك لأن هذا الفعل من فعل الملائكة ...
الذهب أو يكون هذا قبل تحريم ... حكمة فأفرغها في صدري قال ... والحكمة
والإيمان ... الأجسام ...
الإيمان والحكمة ... إيمانا وحكمة لكونه ... وهذا من ... قوله في صفة
آدم عليه السلام فإذا رجل على يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد ...
نسم بنيه أرواح ... عرض على هذا ... أرواح ... وأرواح الكفار ... الأرض
السفلى ... في السماء ... أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام
... على آدم ... صلى الله عليه وسلم ... فإذا نظر عن
يمينه وإذا نظر ...
... الكفار ... في إدريس ... بالنبي الصالح والأخ الصالح ...
على أن إدريس ... صلى الله عليه وسلم كان إبراهيم
... بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام ...
... إبراهيم ... نوح ...
... صلى الله عليه وسلم

وأن قوله الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفاً وتأدباً وهو أخ وإن كان ابناً فالأبناء إخوة والمؤمنون إخوة والله أعلم

(فصل) في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وما في أحاديث التعلق بالإسراء قال البغوي روي أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان بذي طوى قال يا جبريل إن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كان ليلة أسري بي إلى السماء أصبحت بمكة ففظعت أمري وعرفت أن الناس مكذبوني فروي أنه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلاً حزيناً فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شيء قال نعم أسري بي الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك ما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسري بي الليلة قالوا إلى أين قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن واضع يده على رأسه متعجباً وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم إني أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى فقالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا هل لقيت منها شيئاً قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي مر فنفر بكرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له [illegible] وكانوا [illegible] قال [illegible] وفلان [illegible]

[illegible]

[illegible] والله لقد [illegible]

[illegible] الشمس [illegible] العير [illegible]

[illegible] (م) [illegible] الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

(ه) عن [illegible] رسول الله [illegible]

(وآتينا موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا) أي لا تتخذوا أو بالياء أي لئلا يتخذوا (من دوني وكيلا) ربا تكلون إليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح (إنه) إن نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروي أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم (152) وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء بالآباء وقد عرفتم حال الآباء فاسلكوا أيها الأبناء كذلك (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن في الأرض (مرتين) أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والأخرى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله إن فرعون علا في الأرض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فإذا جاء وعد أولاهما) أي وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد) أشداء في القتال [illegible] قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد [illegible] (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيهم [illegible] (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو [illegible] (وأمددناكم [illegible]
[illegible]

فإذا هو قائم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بإصبعه هكذا فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذي فإن قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالأنبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه ورحبوا به وكيف تصح الصلاة من الأنبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس فيحتمل أن الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم إن الله سبحانه وتعالى أراه إياهم في السموات على مراتبهم ليعرف مراتبهم وفضلهم وأما رؤيته وهو قائم يصلي في قبره فيحتمل أنه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الأنبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالأنبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل أنها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل أن الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالمعاني ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا) يعني وقلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا تكلون إليه أموركم (ذرية) يعني يا ذرية (من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) يعني أن نوحا كان كثير الشكر وذلك أنه كان إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك ﴿ قوله عز وجل (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون وهو قوله تعالى (لتفسدن في الأرض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فعلى هذا تكون إلى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الأرض يعني بالمعاصي والمراد بالأرض أرض الشام بيت المقدس (ولتعلن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى المرتين قيل إفسادهم في المرة الأولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل إفسادهم في المرة الأولى [illegible] وارتكابهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعني [illegible] وهو الذي [illegible] وقيل هو [illegible] وهو الأصح (أولي بأس شديد) يعني ذوي بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعني [illegible] الديار [illegible] (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائنا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم [illegible] (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني أكثر عددا (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) يعني لها ثوابها (وإن أسأتم فلها) يعني فعليها [illegible]

(فإذا جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من إفسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه إليه وقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسوءوا وجوهكم) يعني ليحزنوكم وقيل بالقتل أي ليسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) يعني وقت إفسادهم الأول (وليتبروا ما علوا تتبيرا) يعني وليهلكوا ما علوا عليه من بلاد بني إسرائيل إهلاكا

(ذكر القصة في هذه الآيات)

قال محمد بن إسحاق كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم الكتب إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشري أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الأحداث فيهم وكان معه شعياء بعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاءه شعياء النبي فقال يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده ستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك فقال يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده فقال لم يأتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته فإنه ميت فأتاه شعياء فقال إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا قدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك فأنت أعلم به مني سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فأتاه شعياء فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا لله وقال إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فليأمر عبدا من عبيده فليأته بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برئ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك فاخرج فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال لسنحاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي فقال صديقة الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم

أو سوأته يعني إن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوءوا) أي هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أي ليجعلوا بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث لنسوء علي (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) ما علوه مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء علوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

وأيتم من قبل رسالتكم فتندروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتكم ... فهلك ومن ملك أهون على الله من
ثم مر أدلو ملك ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمر بوسه أن يقذف في رجلهم الجوامع فجعل وطاف بهم يمشي
ويحول بيت المقدس وإيلياء وكان يردهم في كل يوم حتى يؤتى من سعيرا لكل رجل منهم فقال سنحاريب
للملك قد بقية المثل حين تم ما يعني فيه وما يفعل بنا فأمر بهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعياء النبي أن قل لملك
بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وأكرمهم واحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ
ذلك شعياء الملك ففعل وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فأخبرهم كيف فعل
الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم فلم
تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله تعالى
ذلك تذكرة وعبرة ثم إن سنحاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بخت نصر ابن ابنه
فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة فمرج أمر بني
إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء فيهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء
قم في قومك حتى أوحي على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن
الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على
عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها
وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها
عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين إن البعير مما يذكر
وطنه فينتابه وإن الحمار مما يذكر الآري الذي شبع عليه فيراجعه وإن الثور مما يذكر المرج الذي
سمن فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الألباب والعقول ليسوا ببقر
ولا حمير وإني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب
حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي أو يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جدارا
وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها
وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأي وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت جاء طلعها خروبا قالوا بئست الأرض
هذه نرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول
مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم إن الجدار ذمتي وإن القصر شريعتي وإن النهر كتابي وإن القيم نبيي
وإن الغراس هم وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على
أنفسهم وإنه مثل ضربه الله لهم يتقربون إلي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن
يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها
يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي
المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها فأي حاجة لي بتشييد البيوت ولست
أسكنها وأي حاجة لي بتزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها يقولون صمنا
فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء
الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين
وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور
ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك
محارمي أم كيف تزكو صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المغصوبين
أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وإنما أستجيب للداعي اللين
وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين وإن من علامة رضاي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي

رسالهم

وبلغتهم رسالتي أنما أقاويل مموهة وأحاديث متواترة وتأليف السحرة والكهنة ووعوا لهم
لو ساؤوا أن يأتوا بمثله فعلوا ولو شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب ما توحي إليهم الشياطين اطلعوا وإن
قد مضت يوم خلقت السموات والأرض صفاته ... على ... وخمات دونه أحلام ... الا ابداه وامع
فإن صدقوا فيما يتقولون من علم الغيب فليخبروا في أي دهر أو في أي زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن
يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي لم أمض فإني مظهرها على الدين كله ولو كره المشركون وإن
كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدعوهم لذلك القضاء إن كانوا
صادقين وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض أن أجعل النبوة في الأحرار وأن أجعل الملك في الرعاء
والعز في الأذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكمة في الأميين فسلهم
متى هذا ومن القائم به ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون وإني باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى
من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة
وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين
قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر موحدا لي مؤمنا بي ومخلصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في
سبيلي صفوفا وزحفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألهمهم التكبير والتوحيد
والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم
ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الأشراف ويطهرون لي الوجوه والأطراف ويعقدون
لي الثياب على الأنصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه
من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم من مقالته عدوا عليه ... فهربوا منهم ... وقفا ... اقتتلوا
له ... فدركه ... فاخذوه ... ونشروه ... الشارق ... واحدى
... طرفي ... الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ... أمرهم ...
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الذين احتبسهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة آلاف
وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق ثلثا أقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بآنية بيت
المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزل الله عز وجل ببني
اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني
بخت نصر وأصحابه ثم ان بخت نصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي
رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك
بتأويلها فقال ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله
وتضرعوا اليه فأعلمهم الله بالذي سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من
نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد
أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت
الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه
النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد
ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبي يبعثه الله من السماء فيدق
ذلك أجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبخت نصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين سألناك
ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم
فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل فلما
قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم
فقتلوا الا من كان بقي منهم مع بخت نصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك
بخت نصر انبعث فقال لمن في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت والناس الذين قتلت منهم ما
هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم
وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط
عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل قال فأخبروني كيف لي أن أطلع الى
السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فاني قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من
الخلائق قال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته
بعوضة فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات
شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليري الله العباد قدرته ونجى الله من بقي من بني اسرائيل في
يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله سبحانه وتعالى
أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد
احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن
الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين
أظهرنا الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك
ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه
فأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع
الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حبا لم يحبوا مثله قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل
بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان
آخر من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات
ووثب بنو اسرائيل على يحيى فقتلوه ورفع الله عيسى من بين أظهرهم وقد أرادوا قتله فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا

من ملوك بابل يقال له خردوس فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من
رؤساء جنوده يقال له بيوزراذان صاحب القتل فقال له إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظهرت على أهل
بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل الدم في وسط عسكري إلا أن لا أجد أحدا أقتله وأمره أن يقتلهم حتى يبلغ
ذلك منهم ثم إن بيوزراذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما
يغلي فسألهم عنه فقال يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم
يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة فيقبل منا إلا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان
كأول زماننا لقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيوزراذان منهم على
ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم
فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من سبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيوزراذان أن الدم
لا يهدأ قال لهم يا بني إسرائيل ويلكم أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون
ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر
فقالوا إن هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كان أرشد لنا وكان يخبرنا
بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيوزراذان ما كان اسمه فقالوا يحيى بن زكريا فقال الآن صدقتموني
لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيوزراذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة
وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك
ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن ربك قبل أن لا أبقي من قومك أحدا فهدأ الدم
بإذن الله تعالى ورفع بيوزراذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال
لبني إسرائيل إن خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وإني لا أستطيع أن أعصيه
قالوا افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر
والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي فلم
يظن خردوس إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيوزراذان أن ارفع
عنهم القتل ثم انصرف إلى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله في بني
إسرائيل في قوله لتفسدن في الأرض مرتين فكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده والأخرى خردوس
وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانيين
إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة
إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومي فخرب بلادهم وطردهم عنها
ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فليس في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية وبقي
بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وفي بعض الروايات قتل يحيى عليه السلام أن
ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وأن الملك هوي بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى
عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا
رقاقا حمرا وطيبتها وحلتها وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فإن هو أرادها عن نفسها أبت حتى
يعطيها ما تسأله فإذا أعطاها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت فلما
راودها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قالت أسألك رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال
ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم
يقول لا تحل لك فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقي الدم يغلي فلم يزل يلقي عليه التراب
وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل
منهم ما لا يحصى كثرة ﴿ قوله عز وجل (عسى ربكم أن يرحمكم) يعني يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم

(عسى ربكم أن يرحمكم)
بعد المرة الثانية إن تبتم توبة
أخرى وانزجرتم عن المعاصي

(وإن عدتم) مرة ثالثة (عدنا) إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما سلط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر بشرى وعلى (أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) أي الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا) أي أعددنا لهم (عذابا أليما) يعني النار والآية مردة القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل (وكان الإنسان عجولا) يسرع إلى طلب ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر أو أريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعني أن العذاب آت لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب دعاؤه وضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخط لموافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين) فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع تبصر في ضوئها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف في معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الآجال ومواسم الأعمال ولو ... الليل ... (وكل شيء) ... فصلناه تفصيلا ...

مراد القول به الكم (وإن عدتم) أي إلى المعصية (عدنا) أي إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي محبسا ومحبسا من الحصر الذي هو الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش ﴿قوله تعالى﴾ (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل إلى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعني النار في الآخرة (ويدع الإنسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أي كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الإنسان عجولا) أي بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو أنه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين أما الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مع كونهما متعاقبين على الدوام ... أقوى دليل على أن لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلأن مصالح العباد لا تتم إلا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي منيرة مضيئة بالإبصار وقال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وحكي أن الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ... فطمس عنه الضوء ... وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم ... (ولتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون إليه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الأوقات ولتعطلت الأمور ولو ترك الله الشمس والقمر ... لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم أن الحساب مبني على أربع مراتب الساعات والأيام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والأيام والساعات وليس بعد هذه المراتب الأربع إلا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء ... من أمر دينكم ... بيناه بيانا ... وذلك ... أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار ... على التوحيد ... على أهل ... (وكل إنسان ألزمناه طائره ...)

(في عنقه) يعني أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه) [illegible]
(منشوراً) حال من يلقاه يعني غير مطوي لتمكنه من قراءته أو هما صفتان للكتاب ويقال له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل [illegible]
(كفى بنفسك اليوم عليك) القراءة أي كفى نفسك (حسيباً) تمييز أو هو بمعنى حاسب وعلى [illegible] ولتحسب عليه

في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضي عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والغل مما يزين أو يشين فإن كان عمله خيراً كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو مما يزين وإن كان عمله شراً كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له بقوله تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) قيل يسطر الإنسان [illegible] ووكل به ملكان يكتبان عليه [illegible] فإذا مات طوى الصحيفة ووضعها في عنقه فلا ينشر إلى يوم القيامة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي حاسباً قال الحسن لقد عدل عليك (١) من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر إنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) يعني أن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضاً ولا يتعدى منه إلى غيره ﴿وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنب نفسه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) لإقامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل ﴿قوله سبحانه وتعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) في معنى الآية قولان أحدهما أن المراد منه الأمر بالفعل ثم إن لفظ الآية يدل على أنه تعالى يأمرهم فعلى أي شيء يأمرهم قال أكثر المفسرين معناه أن الله تعالى أمرهم بالأعمال الصالحة وهو الإيمان والطاعة [illegible] الفجور والفسوق فاستوجبوا العذاب [illegible] والقول الثاني [illegible] أي كثرنا فساقها يقال أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم [illegible] المأمور أي [illegible] قوله تعالى أمرنا [illegible] الأمر بالفعل [illegible] (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن أمر الله (فحق عليها القول) أي وجب عليها العذاب (فدمرناها تدميراً) أي أهلكناها إهلاكاً [illegible] (ق) عن أم [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه [illegible] فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث [illegible] للعرب [illegible] ﴿قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) [illegible] وغيرهم من الأمم الخالية [illegible] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في آخر [illegible] عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قال [illegible] العلام [illegible] قرناً قال [illegible] (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) [illegible]

كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن الشاهد يكفي المدعي ما أهمه وإنما ذكر حسيباً لأنه بمعنى الشهيد والقاضي والأمين أو المراد بالنفس الشخص [illegible] وقال كفى بنفسك حالاً [illegible] أو بقول [illegible] بالشخص (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أي لأن ثواب اهتدائه له وعقاب ضلاله عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة وزراً [illegible] وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) يبين [illegible] [illegible] في [illegible] الأنبياء [illegible] (وإذا أردنا [illegible] أمرنا [illegible] [illegible]

كثرة [illegible] (فحق عليها القول) [illegible] (فدمرناها تدميراً) أهلكناها [illegible] (وكم) [illegible]
أي كثيراً (من القرون) [illegible] (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) [illegible]

(١) قوله [illegible] في الأصل [illegible]

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء) [illegible] (لمن نريد) [illegible]
أي من كانت العاجلة همته ولم يرد غيرها كالكفرة [illegible] منافعها [illegible] نريد [illegible] لمن نريد [illegible] وهكذا
الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر
الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فإن أوتي حظا من الدنيا فبها وإلا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة
(يصلاها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو حقها من السعي
وكفأها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيده (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض
السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فإنه شرط فيها ثلاث (١٦)

من أحوال الخلق ﴿قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أي الدار العاجلة يعني الدنيا (عجلنا له فيها
ما نشاء) أي من البسط أو التقتير (لمن نريد) أن نفعل به ذلك أو إهلاكه ولمن يعني الآية عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد أي القدر الذي نشاء نعجله في الدنيا لا الذي يشاؤه هو ولمن نريد أن نعجل له شيئا قدرناه وهذا
ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان أن من أرادها لا يدرك منها إلا ما قدر له (ثم جعلنا له) أي في
الآخرة (جهنم يصلاها) أي يدخلها (مذموما مدحورا) أي مطرودا مبعدا ﴿قوله سبحانه وتعالى (ومن
أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا في
الآية بيان شرائط في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة [illegible] فمن لم [illegible] عن دار
الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن
معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ﴿قوله عز وجل (كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء) أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني نرزقهما جميعا
ثم يختلف الحال بهما في المآل (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في
الدنيا إذ لا حظ للكافر في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني
طالب العاجل وطالب الآخرة (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني أن تفاضل الخلق في درجات
منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فإن نسبة التفاضل في درجات
الآخرة إلى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة إلى الدنيا فإذا كان الإنسان [illegible] في طلب
الدنيا فلأن يقوى وينشط رغبته في طلب الآخرة أولى لأنها دار المقامة ﴿قوله تعالى (لا تجعل مع الله إلها
آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلها آخر
وهذا أولى (فتقعد مذموما) أي من غير حمد (مخذولا) أي بغير ناصر ﴿قوله سبحانه (وقضى ربك) أي وأمر
ربك قاله ابن عباس وقال مجاهد وقيل معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك ويحكى عن الضحاك
أنه قرأها ووصى ربك وقال إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قاف وهي قراءة علي وابن مسعود قال الإمام فخر
الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لأنه يفتح باب أن التحريف [illegible] يتطرق إلى
القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين
(ألا تعبدوا إلا إياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لأن العبادة عبارة عن الفعل
المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن له الإنعام والإفضال على عباده ولا منعم إلا الله فكان هو
المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين إحسانا) أي وأمر بالوالدين إحسانا أي برا بهما وعطفا عليهما وإحسانا

شرائط في كون السعي
مشكورا إرادة الآخرة
والسعي فيما كلف والإيمان
الثابت (كلا) كل واحد
من الفريقين والتنوين
عوض عن المضاف إليه
وهو منصوب بقوله (نمد
هؤلاء) بدل من كلا أي
نمد هؤلاء (وهؤلاء) أي
من أراد العاجلة ومن أراد
الآخرة (من عطاء ربك)
رزقه ومن يتعلق بنمد
والعطاء اسم للمعطى أي
نرزقهم من عطائه ونجعل
الآخرة [illegible] الذي
لا قطعه [illegible] المطيع
والعاصي جميعا على وجه
التفضل (وما كان عطاء
ربك محظورا) ممنوعا عن
عباده وإن عصوا (انظر)
بعين الاعتبار (كيف
فضلنا بعضهم على بعض)
في المال والجاه والسعة
والكمال (وللآخرة أكبر
درجات وأكبر تفضيلا)

روي أن ربيعة [illegible] من قومه [illegible] عمر رضي الله عنه [illegible] فسبق على أبي [illegible] انتهى
[illegible] ذلك [illegible] إلى الإسلام [illegible] عمر [illegible] التفاوت في الآخرة
[illegible] عليهم [illegible] الله [illegible] (لا تجعل مع الله إلها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته
[illegible] فتقعد مذموما مخذولا [illegible] الخذلان [illegible]
[illegible] الله [illegible] (وقضى ربك) وأمر
[illegible] (ألا تعبدوا إلا إياه) [illegible] (وبالوالدين إحسانا) [illegible] وبالوالدين إحسانا أو بأن
[illegible]

(إما يبلغن عندك الكبر) إما هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل البناء لالتقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لإرادة التنكير أي أتضجر تضجرا وترك التنوين لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعلوم (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر أخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب أو هو أن يقول يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما (١٦١) فإنه من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفائدة عندك أنهما إذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله أن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالأبوين المسلمين وقيل إذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال عليه السلام إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره

إليهما (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه أنهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر * واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء ۞ الأول قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل إن أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد نفخت فيه لتزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قولك أف ثم إنهم توسعوا فذكروا هذه الكلمة إلى كل مكروه يصل إليهم ۞ والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فإن قلت المنع من التأفيف يدل على المنع من الانتهار بطريق الأولى فما فائدته قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما ۞ الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) أي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب معهما وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه وقيل لا يكنيهما ولا يسميهما وقيل هو أن يقول لهما قولا كقول العبد الذليل للسيد الفظ الغليظ ۞ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أي ألن لهما جانبك واخفض لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه (من الرحمة) أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر الخلق إليهما في حال الصغر والضعف ۞ الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به إذا كانا مسلمين فأما إذا كانا كافرين فإن الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله إلى الإسلام فإذا هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية إن الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالأمر بتوحيده ثم شفعه بالإحسان إليهما ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت منه وإن قلت وختمها بأن أمر بالدعاء لهما والترحم عليهما

(فصل) في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد (ت) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح (ت) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن عمر

لله الشكر بالله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين ومن النشاط والكراهة لخدمتهما (إن
تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم منها
(فإنه كان للأوابين غفورا) الأواب (١٦٢) الذي إذا أذنب بادر إلى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها
ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) مثل (حقه) أي الأقارب إذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف إسرافا قال المجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله (وإما تعرضن عنهم) وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أي وإن أعرضت عنهم [illegible]

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال
بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من
بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (إن تكونوا صالحين) أي أبرارا مطيعين
قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو زلة فرطت منكم
في حال الغضب وعند حرج الصدر ومالا يخلو منه البشر مما يؤدي إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم مما
فرط منكم (فإنه كان للأوابين) التوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه
البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الأواب الذي يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وقيل إنه الرجاع إلى الخير وقال ابن عباس الأواب الرجاع إلى الله فيما يحزبه وينوبه وعنه
أنهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن أرقم قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال
أخرجه مسلم قوله إذا رمضت الفصال يريد إذا ارتفع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك
الفصال من الحر وشدة إحراقه أخفافها والفصال جمع فصيل وهي أولاد الإبل الصغار وقيل الأواب الذي
يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب
والعشاء وهي صلاة الأوابين ﴿قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم وقيل إنه خطاب للكل وهو
أنه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن
المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل إن كانوا محاويج وهو موسر لزمه الإنفاق
عليهم وهو مذهب أبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا تلزم النفقة إلا للوالد على ولده والولد على
والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن
السبيل (ولا تبذر تبذيرا) أي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا
ولو أنفق درهما أو مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال إنفاق المال في غير حقه وقيل
هو إنفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل إن بعضهم أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير
في السرف فقال لا سرف في الخير (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) يعني أولياءهم وأصدقاءهم لأنهم
يطيعونهم فيما أمروهم به من الإسراف وقيل إنهم قرناؤهم في النار وهذا غاية المذمة لأنه لا أشر من الشياطين
والعرب تقول لكل ملازم لأمر هو أخوه وأخوه (وكان الشيطان لربه كفورا) أي جحودا لنعمه فما
ينبغي أن يطاع لأنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله ﴿قوله عز وجل (وإما تعرضن عنهم) نزلت في مهجع وبلال وصهيب
وسالم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء
منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم (ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها) أي انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أي لينا
أي عدهم وعدا جميلا [illegible] ﴿قوله سبحانه وتعالى
(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم إلا درعه فقال للصبي من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت

ولا تبسطها كل البسط) كل بسط على المقدر لا شائبة ما يوهمه التمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسه لما احتاج وندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا لا شيء عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بلغ أو عاريا من حسر رأسه وقد ساطر سلمه ضربها الصوديه في أنه بعث محمدا عليه السلام أحوذي وفي عليه السلام وبعثت اليها يسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك ليس

لهوانه عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فله البسط المطلق (ويقدر) أي هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم (بصيرا) بحوائجهم فيقسمها (ولا تقتلوا أولادكم) وقرئ بالتشديد لهم أولادهم وادهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما فاعله خاطئ كما أوحيه الله وهو ضد الصواب ... (ولا تقربوا الزنى) ... (وساء سبيلا)

قوله ان أتي بسكسك الدرع الذي عليه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فأذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أي بالعطاء (كل البسط) أي ولا تعطي جميع ما عندك ... هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) أي عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وقيل ملوما يلومك سائلوك اذا لم تعطهم (محسورا) أي منقطعا لا شيء عندك فيقعد منقطعا محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يرهقه من الاضاقة بأن ذلك ليس لهوانه عليه ولا لبخل منه عليه فقال تعالى (ان ربك يبسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في الارزاق ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد ۞ قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أي فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يدفنون بناتهم أحياء مخافة الفاقة ويخافون عليهم من النهب والغارات وأن يتزوجوهن لغير أكفاء أشد لما يحدث لهم من العار فنهاهم الله عن ذلك وقال نحن نرزقهم واياكم يعني أن الارزاق بيد الله فكما انه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أي اثما كبيرا (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة) أي قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) أي بئس طريقا طريقه وهو أن يغصب امرأة غيره أو ... وهو القبيح الذي حرمه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم ۞ قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) الاصل في القتل هو الحرمة الغليظة وحل القتل انما يثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق أي الا باحدى ثلاث روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله وأني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه في الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير ان شاء استوفى القصاص وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه وقيل معناه اذا كان القاتل واحدا فلا يقتل الا واحدا وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع الى المقتول ظلما يعني انه

ونصر على القاتل (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) أي بالتي هي أحسن الخصال وهي حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) ... (ان العهد كان مسؤولا) ... سلطانا على القاتل في الاقتصاص (فلا يسرف في القتل) أي الولي ... أهل الجاهلية ... (انه كان منصورا) الضمير ... أي بأن الله نصره ... الآية ... والولي ...

القصاص يجري بين الحر والعبد والذكر والأنثى والمسلم والذمي لأن الآية تقتضي أهل القصاص والقود إذا قتلوا في الآية المنكرة (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) ثماني عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى ونواهيه (إن العهد كان مسؤولا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به أو إن صاحب العهد كان مسؤولا (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة وعلي وحفص (١٦٤) وهو كل ميزان صغيرا أو كبيرا من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون أي القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) في الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لا تعلم أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم ولا يصح التمسك به لمبطل الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم فإن الشارع قد جعل غلبة الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات وأخبار الآحاد وخبر الواحد كما ذكرنا (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد لأن أولئك قد يكون إشارة إلى العقلاء وغيرهم كقوله ثم العيش بعد أولئك الأيام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه

مقصوري الدنيا أما أصحاب القود على ما له في الآخرة فكم من حظ أبأه وأعان الناس على الله وقيل الضمير راجع إلى ولي المقتول ومعناه أنه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل في قوله فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المعتدي بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولي المقتول منصور من قبله باستيفاء القصاص منه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) أي بالطريقة التي هي أحسن وهي تثميره وحفظه له (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد بلوغ الأشد كمال عقله ورشده حتى يمكنه القيام بمصالح ماله وإلا لم ينفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أي الإتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه (إن العهد كان مسؤولا) أي عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسأل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسأل فيم قتلت ﴿ قوله عز وجل (وأوفوا الكيل إذا كلتم) المراد منه إتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم إلى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومي وقيل سرياني والأصح أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي زنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز منه وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس يحتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعيا في إبقاء الأموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه أمره ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أي ولا تتبع (ما ليس لك به علم) أي لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تقف مبالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور ويتتبعها ويتعرفها والمراد أنه لا يتكلم في أحد بالظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الإشارة في أولئك إلى الأعضاء وعلى القول الأول ترجع إلى أربابها عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذا أتعوذ به قال فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال حتى حفظتها أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله ومن شر منيي يعني فرجه ﴿ قوله عز وجل (ولا تمش في الأرض مرحا) أي بطرا وكبرا وخيلاء (إنك لن تخرق الأرض) أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء وقيل إن الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفأ التكفؤ التمايل في المشي إلى قدام وقوله كأنما ينحط من صبب الصبب المنحدر من الأرض يريد أنه كان يمشي مشيا قويا يرفع رجليه من الأرض رفعا بائنا عن أبي هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث أخرجه الترمذي قوله لغير مكترث

(كل ذلك كان سيئه) كوفي وشامي على اضافة السيء الى ضمير كل والباقون سيئة (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لأن السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثها الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا فصل بين من قرأ سيئة بالاضافة وبين من قرأ سيئة لأن الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أي ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها واما من قرأ سيئة فقد جعل كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخرا وآخرها مدحورا ولقد جعل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) اي التنزيل والمراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف حمزة وعلي أي كررناه ليتعظوا (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة كما يقولون) وبالتاء مكي وحفص (اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) يعني لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دلالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلي (علوا) أي تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به

اي بيان والاكثار الامر الذي يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) اي ما ذكر من الامور والنواهي التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قال سيئه مع قوله مكروها قلت فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئه عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أي كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لأن السيئة الذنب وهو مذكر ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أي ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة وهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة وقيل ان هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب أن يكون مسبوقا بالتوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم انه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يوجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملوم ان كونه مذموما معناه أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعني أخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة واختص نفسه بما ليس بصفوة (بالبنين) يعني اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون على الله أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفه التكثير والتكرير (ليذكروا) اي ليتعظوا ويتدبروا (وما يزيدهم) أي تصريفنا وتذكيرنا (الا نفورا) اي تباعدا عن الحق (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا) اي لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة (الى ذي العرش سبيلا) اي بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه اذا لعرفوا الله ولعرفوا فضله وابتغوا ما يقربهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه تعالى عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك

(سبح) وبالتاء عراقي غير أبي بكر (له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أي يقول سبحان الله وبحمده. قال
السدي قال عليه السلام ما اصطيد (١٦٦) حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

المبالغة في البراءة والبعد عما أضافوه إليه ۞ قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن)
يعني الملائكة والإنس والجن (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال ابن عباس وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده
وقيل جميع الحيوانات والنباتات وقيل إن الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح وقيل إن التراب يسبح ما لم يبتل
فإذا ابتل ترك التسبيح وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فإذا رفعت تركت التسبيح وإن الورقة تسبح
ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح وإن الماء يسبح ما دام جاريا فإذا ركد ترك التسبيح وإن
الثوب يسبح ما دام جديدا فإذا اتسخ ترك التسبيح وإن الوحش والطير تسبح إذا صاحت فإذا سكتت تركت
التسبيح وقيل وإن من شيء جماد أو حي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الأشياء
تسبح الله حيا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال كنا
نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الإناء ثم قال حي على الطهور
المبارك والبركة من الله ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت وإني لأعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه
وساره بشيء وفي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات
والأرض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الأول أصح لما دلت عليه الأحاديث وأنه منقول عن
السلف واعلم أن لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن نكل علمه إليه ۞ وقوله تعالى
(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم (إنه
كان حليما غفورا) أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء تسبيحكم ۞ قوله عز وجل
(وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه
والانتفاع به قيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت
يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر أين
صاحبك لقد بلغني أنه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت
جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها (وجعلنا على
قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا لئلا يسمعوه (وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني إذا قلت لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن (ولوا على أدبارهم نفورا)
جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أي من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي
يستمعون به وهو الاستهزاء والتكذيب (إذ يستمعون إليك) أي وأنت تقرأ القرآن (وإذ هم نجوى) أي وما
يتناجون به في أمرك وقيل ذوو نجوى فبعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم
يقول ساحر أو شاعر (إذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) أي
مطبوبا وقال مجاهد مخدوعا وقيل معناه أنه مسحور وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه أنه بشر مثلكم يأكل
ويشرب قال الشاعر
أرانا موضعين لأمر غيب ✱ ونسحر بالطعام وبالشراب
أي نغذى بهما (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) أي الأشباه فقالوا ساحر وشاعر وكاهن ومجنون (فضلوا) أي

لاختلاف اللغات أو لتعسر الإدراك أو بسبب التسبيح الناطق القال والدال على الصانع كلاهما والوجه الأول (إنه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذا ستر أو حجابا لا يرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذي يستر الشيء (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة وهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولوا على أدبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أي [illegible] بالحال أو الطريقة التي يستمعون القرآن بها هازئين [illegible] السمع وهو [illegible] القرآن هازئين [illegible]
[illegible] (إذ يستمعون إليك) [illegible] (وإذ هم نجوى) [illegible] (إذ يقول الظالمون) [illegible] (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف
ضربوا لك الأمثال) [illegible]

فلا يستطيعون سبيلا) أي ضلوا في جميع ذلك الضلال من طلب في السير طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع
(وقالوا) أي منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي مجددا وخلقا حالا أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو
حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذي
فطركم أول مرة) والمعنى إنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي
بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس يمتنع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى (١٦٧) والأكثر لو كنتم أبعد شيء من الحياة

في جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) أي إلى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي بعد الموت
(ورفاتا) أي ترابا وقيل الرفات الأجزاء المفتتة من كل شيء يكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فاستبعدوا
أنهم استبعدوا الإعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة)
أي في الشدة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا أنكم لو كنتم
حجارة أو حديدا في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والأرض والجبال لأنها أعظم
المخلوقات وقيل يعني به الموت لأنه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم
ولأبعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) أي من يبعثنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) ومن
قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (فسينغضون إليك رؤوسهم) أي يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما
تقول (ويقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم)
أي من قبوركم إلى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بأمره وقيل طائعين وقيل مقرين بأنه
خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين
(وتظنون إن لبثتم) أي في الدنيا وقيل في القبور (إلا قليلا) وذلك لأن الإنسان لو مكث في الدنيا أو في القبر
ألوفا من السنين عد ذلك قليلا في مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل [illegible]
[illegible] قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) نزلت في المشركين كانوا يؤذون المسلمين
فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي
أحسن أي لا تكافئوهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الإذن في القتال والجهاد وقيل
نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين أن يقولوا
ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الأحسن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي
يفسد ويلقي العداوة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة ﴿ قوله عز وجل
(ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) أي يوفقكم للإيمان (أو إن يشأ يعذبكم) أي يميتكم على الشرك
فيعذبكم قال ابن عباس إن يشأ يرحمكم يعني يا أهل مكة [illegible] (وما أرسلناك
عليهم وكيلا) أي حفيظا وكفيلا [illegible] (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) [illegible]
[illegible] والأرض
والسموات [illegible] المصالح [illegible]
صورهم وأخلاقهم وأحوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) [illegible]
[illegible]
تعالى (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب أنزله الله على داود [illegible]
الله تعالى [illegible] ليس فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا [illegible]

فهو أن تكونوا حجارة أو
حديدا [illegible]
[illegible] إلى حال الحياة
(فسينغضون إليك رؤوسهم)
فيحركونها [illegible]
واستهزاء (ويقولون متى
هو) أي البعث [illegible]
(قل عسى أن يكون
قريبا) أي هو قريب
[illegible] (يوم
يدعوكم) إلى المحشر وهو
يوم القيامة (فتستجيبون
بحمده) أي [illegible]
[illegible]
[illegible]
التراب من رؤوسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك
(وتظنون إن لبثتم إلا
قليلا) أي [illegible]
[illegible]
[illegible] (وقل لعبادي)
المؤمنين (يقولوا)
للمشركين الكلمة (التي
هي أحسن) [illegible]
[illegible]
[illegible] (إن الشيطان
ينزغ بينهم) [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] والنزغ إيقاع الشر وإفساد ذات البين [illegible] (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة
[illegible] هي أحسن قوله (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) بالتوبة والإيمان (أو إن يشأ يعذبكم) [illegible]
[illegible]
(وما أرسلناك عليهم وكيلا) [illegible] (وربك
أعلم بمن في السموات والأرض) [illegible] (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) [illegible]
[illegible] (وآتينا داود زبورا) [illegible]

الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته ولم تعرف الزبور [illegible] قراءة ولقد كتبنا
في الزبور ولاية كالعباس وعياش والفضيل ونحوهم (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى
وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أي ادعوهم فهم لا
يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي
يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله عز وجل (أيهم)
بدل من واو يبتغون وأي موصولة أي (١٦٨) يبتغي من هو (أقرب) منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة
معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (إن عذاب ربك كان محذوراً) حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلاً عن غيرهم (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً) قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطوراً) مكتوباً وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما [illegible] ثم ذكرها بلداً بلداً وأما [illegible]

في هذه الآية بالذكر دون غيره من الأنبياء فيه وجوه أحدها أن الله تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبوراً وذلك أن داود أعطي الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيهاً على أن التفضيل المذكور في هذه الآية المراد به العلم لا الملك والمال. الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى كتب في الزبور أن محمداً خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم فلهذا خصه بالذكر. الوجه الثالث أن اليهود زعمت أن لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبوراً ومعنى الآية إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم وإعطاءه القرآن وأن الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أن يفضل محمداً صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ۞ قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك أن الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي الجوع والقحط (ولا تحويلاً) أي إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر. مقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا إنا لسنا أهلاً أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين إلى الله وهم الملائكة ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعوهم المشركون آلهة (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي القربة وقيل الدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن ولم يعلم الإنس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله ويتقرب إليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) أي جنته (ويخافون عذابه) أي ناره يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (إن عذاب ربك كان محذوراً) أي حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلاً عن غيرهم من الخلائق ۞ قوله سبحانه وتعالى (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أو معذبوها عذاباً شديداً) أي بالقتل وأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقيل الإهلاك في حق المؤمنين بالإماتة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطوراً) أي مكتوباً (ق) عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن إلى يوم القيامة إلى الأبد

أقوام [illegible] يهلكون بالطاعون [illegible] وأما [illegible]
[illegible] أهلها [illegible] وأما [illegible]
[illegible]
[illegible] والصواعق [illegible] وأما
[illegible]
[illegible]

ثانيهم يموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فخرابهم بعدوهم وما أحوا بعدي بصيحة تخلع القلوب وتموت الأبدان (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) استعير المنع لترك إرسال الآيات وأن الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنها مفعول ثان لمنعنا وأن الثانية مع صلتها في موضع الرفع لأنها فاعل منع أي وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على (١٦٩) قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وآتينا ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إلا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة (وإذ قلنا لك) واذكر إذ أوحينا إليك (إن ربك أحاط بالناس) [illegible] (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) [illegible]

أخرجه الترمذي قوله سبحانه وتعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن أستأني بهم فعلت وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فأنزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات أي التي سألها كفار قومك إلا أن كذب بها الأولون أي فأهلكناهم فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم لأن من سنتنا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعدها أن نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا فقال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة وذلك لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) أي جحدوا أنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) أي المقترحة (إلا تخويفا) أي وما نرسل بالآيات إلا تخويفا من نزول العذاب فإن لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات إلا تخويفا أي إنذارا بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإن الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون ✿ قوله عز وجل (وإذ قلنا لك) أي واذكر يا محمد إذ قلنا لك (إن ربك أحاط بالناس) أي أن قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الأكثرون من المفسرين على أن المراد بها ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا به فكان فتنة للناس وازداد المخلصون إيمانا [illegible] وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم حتى دخل مكة في العام المقبل فأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن ولد الحكم بن أبي العاص يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك [illegible] فقال السورة مكية وهذه الواقعة كانت بالمدينة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ذلك [illegible] (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة

[illegible] (إن ربك أحاط بالناس) [illegible] فلا تهبهم وامض لما أمرت به من تبليغ الرسالة [illegible]

[illegible] (والشجرة الملعونة في القرآن) أي [illegible]

تخرج في أصل الجحيم ثم يقول النبت فيها الشجر والنار تحرق الشجر فلما قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجر من جنس لا تأكله النار

السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبلع الجمر فلا يضرها وخلق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما نرسل تخويفاً بالعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (ونخوفهم) أي بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (إلا طغياناً كبيراً) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنها رؤيا رآها على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وسماها رؤيا على قولهم كما سمى أشياء بأسمائها عند الكفرة كقوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي أو هي رؤيا رآها أنه سيدخل مكة والفتنة الصد (۱۷۰) بالحديبية فإن قلت أين في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لأنه قال ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون وصفت بلعن أهلها على المجاز ولأن العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين (قال أرأيتك هذا الذي) الكاف لا موضع لها لأنها ذكرت للخطاب تأكيداً وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي (كرمت علي) أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين

الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها أن أبا جهل قال إن ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر وقيل إن عبد الله بن الزبعرى قال إن محمداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر فقال أبو جهل يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد فأنزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجر إنا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فإن قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت أجيب بأن المعنى الكفار الذين يأكلونها لأن الشجر لا ذنب لها حتى تلعن وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل جهنم في أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه إن الشجرة الملعونة هي الكشوث التي تلتوي على الشجر والشوك فتجففه (ونخوفهم فما يزيدهم) أي التخويف (إلا طغياناً كبيراً) أي تمرداً وعتواً عظيماً ولما ذكر سبحانه وتعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً) أي من طين وذلك أن آدم خلق من تراب الأرض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي (قال) يعني إبليس (أرأيتك) الكاف للخطاب والمعنى أخبرني (هذا الذي كرمت علي) أي فضلته علي (لئن أخرتن) أي أمهلتني (إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) أي لأستأصلنهم بالإضلال ولأقودنهم كيف شئت ولأستولين عليهم بالإغواء (إلا قليلاً) يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاءً موفوراً) أي مكملاً قال سبحانه وتعالى (واستفزز) أي استخف واستزل واستجهل وأزعج (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس صوته كل داع دعا إلى معصية الله وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم مكايدك وخيلك ورجالك وأعوانك على الإغواء قيل معناه اتخذ عليهم مركبا من الخيل ومشاة قيل إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس فكل من قاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس وقيل المراد به ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الأمر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم في الأموال والأولاد) أما المشاركة في الأموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا

يحذف دلالة ما يأتي عليه من الدلالة ما تقدم عليه (قال لئن أخرتن) واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه (إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم بإغوائهم (إلا قليلاً) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام أو لأنه رأى أنه خلق شهواني (قال اذهب) ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلاناً وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره بقوله (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) والمعنى فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم (جزاءً موفوراً) أي موفراً يقال وفرته فهو موفور (واستفزز) استخف واستزل واستخفه أي أزعجه والفزّ الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالدعاء إلى الشر (وأجلب عليهم) من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) وكل راكب وماش من

يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة في الأولاد فروي عن ابن
عباس أنها الموؤدة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد الحرث
وعبد شمس ونحوه وقيل هو أن يرغبوا أولادهم في الأديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية
ونحوها وقيل إن الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل
في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الأخبار أن فيكم مغربين فقيل وما المغربون قال الذين شاركهم فيهم
الجن وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن
(وعدهم) أي منهم الجميل في طاعتك وقل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك أن الشيطان إذا دعا إلى المعصية
فلا بد أن يقرر أولا أنه لا مضرة في فعلها وذلك لا يمكن إلا إذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه
الحياة فبهذا الطريق يقرر عنده أنه لا مضرة البتة في هذه المعاصي وإذا فرغ من هذا المقام قرر عنده أن هذا الفعل
يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للإنسان في الدنيا إلا به فهذا طريق الدعوة إلى المعصية ثم يمنع عن
فعل الطاعات وهو أنه يقرر عنده أن لا جنة ولا نار ولا عقاب ولا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أي شفاعة
الأصنام عند الله وإيثار العاجل على الآجل فإن قيل كيف ذكر الله هذه الأشياء بصيغة الأمر والله سبحانه
وتعالى يقول إن الله لا يأمر بالفحشاء أجيب بأن هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول
القائل اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) أي تزيين
الباطل بما يظن أنه حق واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله
وما يعدهم الشيطان إلا غرورا والسبب فيه أنه إنما يدعو إلى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو
إلى معرفة الله تعالى ولا إلى عبادته وتلك الأشياء التي يدعو إليها خيالات لا حقيقة لها ولا تحصل إلا بعد تعب
ومشاق عظيمة وإذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء ويعقبها الموت والهرم وغير ذلك وإذا كانت
هذه الأشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني بذلك الأنبياء
وأهل الفضل والصلاح لأنه لا يقدر على إغوائهم (وكفى بربك وكيلا) أي حافظا والمعنى أنه سبحانه وتعالى لما
أمكن إبليس بأن يأتي بأقصى ما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الإنسان فقال تعالى
وكفى بربك وكيلا أي فالله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسته
ويعصمهم من إغوائه وإضلاله وفي بعض الآثار أن إبليس لما خرج إلى الأرض قال يا رب أخرجتني من الجنة
لأجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته فقال أنت مسلط قال لا أستطيعه إلا بك فزدني قال استفزز من استطعت
منهم الآية فقال آدم يا رب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وكلت
به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضة ما دام
الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفي الخبر
أن إبليس قال يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتي قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي
قال الكهنة قال أي شيء مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال وأين مسكني قال
الحمامات قال فأين مجلسي قال في الأسواق قال وما حبائلي قال النساء قال فما أذاني قال المزمار ﷺ وقوله سبحانه
وتعالى (ربكم الذي يزجي) أي يسوق ويجري (لكم الفلك) أي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) أي
التجارة وأنواع الأرباح في البحار وغيرها (إنه كان بكم رحيما) أي حيث سخر لكم هذه الأمور المصالح
وسهلها عليكم (وإذا مسكم الضر في البحر) أي الشدة وخوف الغرق في البحر (ضل من تدعون) أي ذهب
عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الأصنام وغيرها (إلا إياه) أي إلا الله وحده فإنكم
لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لأنه القادر على إغاثتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أي أجاب دعاءكم
وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (إلى البر أعرضتم) أي عن الإيمان والإخلاص والطاعة وكفرتم
النعمة وهو قوله تعالى (وكان الإنسان كفورا) أي جحودا (أفأمنتم) أي بعد إنجائكم (أن يخسف بكم

والإسراف ومنع الزكاة
وإلا وصل إلى الأولاد بالسبب
الحرام والتسمية بعبد العزى
وعبد شمس (وعدهم)
المواعيد الكاذبة من شفاعة
الآلهة والكرامة على الله
بالأنساب الشريفة وإيثار
العاجل على الآجل ونحو
ذلك (وما يعدهم الشيطان
إلا غرورا) هو تزيين الخطأ
بما يوهم أنه صواب (إن
عبادي) الصالحين (ليس
لك عليهم سلطان) بقدرة على
إغوائهم ولكن يسول لهم
العصيان (وكفى بربك
وكيلا) لهم يتوكلون عليه في
الاستعاذة من أوساطه بهم
(كذا) والكل اعتصامهم بعد
تفويضهم إليه أي لا يعول
ذلك عليك (ربكم الذي
يزجي) يجري ويسير
(لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله) بالتجارة في
البحار (إنه كان بكم رحيما)
وإذا مسكم الضر في البحر)
أي خوف الغرق (ضل
من تدعون إلا إياه) ذهب
عن أوهامكم كل من تدعونه
في حوادثكم إلا إياه وحده
فإنكم لا تذكرون سواه
أو ضل ما تدعون من الآلهة
عن إغاثتكم ولكن الله
وحده الذي ترجونه على
الاستغاثة المقطع (فلما
نجاكم إلى البر أعرضتم)
عن الإخلاص بعد الخلاص
(وكان الإنسان) أي الكافر
(كفورا) للنعم (أفأمنتم)
الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف بعد الهمزة تقديره أنجوتم فأمنتم حملكم ذلك على الإعراض (أفأمنتم أن يخسف بكم

جانب البر) [illegible] ... والارض ... [illegible]

بمائه والحاصل ان الجوانب كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) هي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء أي ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح (١٧٢) يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم) أي أم أمنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فيغرقكم بما كفرتم) كفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون ابن كثير وأبو عمرو (ولقد كرمنا بني آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدي وعن

جانب البر) أي نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته برا كان أو بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق تغييب تحت الماء (أو يرسل عليكم حاصبا) أي يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي مانعا وناصرا (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة) أي مرة (أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (فيغرقكم بما كفرتم) أي بكفرانكم النعمة وإعراضكم حين أنجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا ﷺ قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بني آدم) قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم في البر) أي على الابل والخيل والبغال والحمير (والبحر) أي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من توكيد التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء ليركبوها ويحملوا عليها أثقالهم (ورزقناهم من الطيبات) يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطبخ النضيج بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم ان الله تعالى قال في أول الآية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرّفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا فظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير من خلقه لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف يصح قوله على كثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو الاولى والراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا

الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] وجعلوا قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (وحملناهم في البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) بالذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أي على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أي كلهم وقوله ربما ... أكثرهم ... ذكر في الكشاف أن المراد بالأكثر الجميع ... عليه السلام ... [illegible] ... كرم بني آدم ... الطاعة ... [illegible] ... وفي الآدمي ... [illegible]

عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولأنه خالق الكل لهم وشاملهم لقدرته (يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بإمامهم) الباء للحال والتقدير يوم ندعو كل أناس بإمامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم) وإنما قيل أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون (١٧٣) فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وإيتاء كتبهم بشمائلهم اكتفاء بقوله (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى أي أضل طريقا والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلم تقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة وأمالهما حمزة وعلي وفخمهما الباقون ونزلت في ثقيف إذ قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب (وإن كادوا ليفتنونك) إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية

والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين (عن الذي أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتري علينا غيره) لتقول علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (وإذا لاتخذوك خليلا) أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك (لقد كدت تركن إليهم) لقاربت أن تميل إلى مكرهم (شيئا قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله وفضل تثبيت (إذا) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفا [illegible]

وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده ﴿قوله عز وجل﴾ (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى هدى أو إلى ضلال وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بأمهاتهم جمع أم يعني بأمهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم) فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤونه قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مهلكات عظيمة وقبائح فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤونه أحسن قراءة وأبينها (ولا يظلمون فتيلا) أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعاين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي أن أفعل ذلك والله يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني أستلم الحجر وقيل طاف وأمنعوه أن يذكر آلهتهم حتى يستلمها [illegible] فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا ننحني في الصلاة أي لا نركع [illegible] ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاغية يعني اللات والعزى فإني غير ممتعكم بها فقالوا يا رسول الله إنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فإن خشيت أن يقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وإن كادوا أي إنهم قاربوا وهموا ليفتنونك أي ليصرفوك عن الذي أوحينا إليك (لتفتري) أي لتختلق (علينا غيره) أي ما لم نقله (وإذا) أي لو فعلت ما دعوك إليه (لاتخذوك خليلا) أي والوك ووافقوك وصافوك (ولولا أن ثبتناك) أي على الحق بعصمتنا إياك (لقد كدت تركن) أي تميل (إليهم شيئا قليلا) أي ركونا قليلا فإن قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو أن الله سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم [illegible] (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)

الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار
والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أي مضاعفا فكأن أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في
الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن
يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها
الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف (١٧٤) في الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول
اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) معينا يمنع عذابنا عنك (وإن كادوا) أي أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) من أرض مكة (ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون) لا يبقون (خلافك) بعدك أي بعد إخراجك خلافك كوفي غير أبي بكر وشامي بمعناه (إلا قليلا) زمانا قليلا فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلاة لدلوك الشمس)
لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (إلى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة
العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الأصم حيث
زعم أن القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (إن قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك
بعض الليل (فتهجد به) [illegible] للصلاة [illegible] (به) بالقرآن

أي لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعك من عذابنا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا مثلهم فأت الشام وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الإزعاج (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) أي لا يبقون بعد إخراجك إلا زمانا قليلا حتى يهلكوا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أي تبديلا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روي عن ابن مسعود أنه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به وإذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (إلى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لأنها لا تجوز إلا بقرآن (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة واقرؤا إن شئتم إن قرآن الفجر كان مشهودا قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على أن التغليس أفضل من التنوير لأن الإنسان إذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما إذا ابتدأ الصلاة في وقت الإسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت أن قوله تعالى إن قرآن الفجر كان مشهودا دال على أن الصلاة في أولها أفضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكان

صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأمة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا
نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الأمة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب
بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى
(نافلة لك) أي زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روي عن عائشة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل إن الوجوب
صار منسوخا في حقه كما في حق الأمة فصار قيام الليل نافلة لأن الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك
فإن قلت ما معنى التخصيص إذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص
أن النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة
وزيادة في رفع الدرجات
(فصل) في الأحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتفخت قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا
شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته
أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون
اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين
قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة كيف
كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى
عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن
ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي
(ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى
عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل
أن يرفع رأسه فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على
شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح
صلاته بركعتين خفيفتين *عن عوف بن مالك الأشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام
فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول
في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك
ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي *عن عائشة قالت قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الأسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه فإذا أذن
المؤذن وثب فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج *عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الليل مصليا إلا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه أخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال
وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا *وقوله عز وجل (عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على أن عسى من الله واجب وذلك لأن لفظة عسى تفيد
الإطماع ومن أطمع إنسانا في شيء ثم حرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه
ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة
إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا

(نافلة لك) عبادة زائدة
على الصلوات الخمس وضع
نافلة موضع تهجدا لأن
التهجد عبادة زائدة فكان
التهجد والنافلة يجمعهما
معنى واحد والمعنى أن
التهجد زيد لك على الصلوات
المفروضة فريضة لك أو
فريضة عليك خاصة دون
غيرك لأنه تطوع لهم (عسى
أن يبعثك ربك مقاما
محمودا) نصب على الظرف
أي عسى أن يبعثك يوم
القيامة فيقيمك مقاما
محمودا أو ضمن يبعثك معنى
يقيمك وهو مقام الشفاعة
عند الجمهور ويدل عليه
الأخبار أو هو مقام يعطى
فيه لواء الحمد

الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له شفاعتي يوم القيامة (خ) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة
فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم
فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع
لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها
ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي
أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم
ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون
موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته
فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي تعالى فيؤذن لي فإذا
أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع
رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع
ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي
فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في
الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية
للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى
الله عليه وسلم وله في رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من
الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار
من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من إيمان
مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة فذكر نحوه وفيه فأقول يا رب
أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار
فأنطلق فأفعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع
فقال هيه فقلنا لم يزد علينا هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا قال ثم
أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط
واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك إليك ولكن
وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله وله وهو بهذا السند صحيح أي مع
الذهن والرأي * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض
ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول إني
أذنبت ذنبا أهبطت منه إلى الأرض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول إني دعوت على أهل
الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إني كذبت ثلاث كذبات ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون
موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا
محمدا فيأتوني فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ

فيلقيه باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي ويقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي قوله فيحل المحاسبة المخاصمة والمجادلة والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام يخاصم ويجادل عن دين الله بتلك الألفاظ التي يحدث بها وقوله فأقعقعها أي أحركها لتحريكه والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم إذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله جالس إلى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد أو كما قال والأحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي ﷺ قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي حجة بينة وقيل ملكا قويا ينصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وأجاب الله دعاءه وقال والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

(وقل رب أدخلني مدخل صدق) هو مصدر أي أدخلني القبر المراد بالأرض على طهارة من الزلات (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني منه عند البعث إخراجا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دل سياقه ذكره على أن المراد البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه

(وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (إن الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا في كل أوان (وننزل) و بالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للبيان (ماهو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (إلا خسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (وإذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين أي بالامالة حمزة

وبكسرهما علي (وإذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي من أمر يعلمه ربي الجمهور على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر انه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن أبي هريرة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده انه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وعن ابن عباس

الصالحات لنستخلفنهم في الارض الآية ﴿قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أي الشرك والشيطان (إن الباطل كان زهوقا) أي مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وإن كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴿قوله سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ماهو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك (٣) لان الامراض تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك أنها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين خسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن احد الا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿قوله سبحانه وتعالى (وإذا أنعمنا على الانسان) أي بالصحة والسعة (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (وإذا مسه الشر) أي الشدة والضر (كان يؤسا) أي آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغي للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿قوله عز وجل (قل كل) أي كل احد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل السابقة والطبيعة أي على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه وان كانت نفسه نفسا مشرقة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة نفسانية صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي اوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق ﴿قوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ولانه حياة القلوب ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر روي ان اليهود قالوا لقريش أن سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها أو سكت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني اهو مخلوق أم لا وقوله

(٣) قوله لان الامراض تنقسم الى نوعين ... الامراض الجسمانية ... (illegible)

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه وفي رواية فقام إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الأعمش هكذا في قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس إن قريشا اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وافق قول اليهود ما في كتبهم فكان ذلك دليلا على نبوته واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس أنه جبريل وقيل على أنه ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والأرض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لأن الله سماه روحا ولأن به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي به حياة الإنسان وهو أصح الأقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الإنسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات وإذا خرج منه ذهب الكل وأقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة إن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استأثر به (وما أوتيتم من العلم) أي في علم ربي (إلا قليلا) أي في جنب علم الله عز وجل والخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فإنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل إن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لأنه لم يؤذن له في ذلك والقول الأصح هو أن الله عز وجل استأثر بعلم الروح ﴿ قوله عز وجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) يعني القرآن معناه إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم يترك له أثر وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا أن يرده

من أمر ربي أي بتكوينه فدليل خلق الروح فكان هذا جوابا (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الخطاب عام فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجهال في السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) اللام في لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا

عليك وإعادته محفوظا مسطورا (إلا رحمة من ربك) معناه إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على
الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
محفوظا فإن قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محو ما في المصاحف وإذهاب
ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه
المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون
شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم
الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب
أتلى ولا يعمل بي (إن فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب إبقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم
وختم النبيين بك وإعطائك المقام المحمود ﴿قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا
نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف
والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير
مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله ﴿قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي رددنا
وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد
والقصص وغيرها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أي جحودا ﴿قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك)
أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات أخر وبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك الآية روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة
وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب
وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص
ابن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا
إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا على رشدهم حتى جلس
إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على
قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح
إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون
أكثرنا مالا وإن كنت تريد به الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي
يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا
يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به
لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن
أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن
تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت
أنه ليس أحد أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت
علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن
فيهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك صدقناك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من عند الله بما أرسلني به فإن تقبلوه فهو حظكم وإن تردوه أصبر
لأمر الله قالوا فإن لم تفعل هذا لنا فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنانا وكنوزا
وقصورا من ذهب وفضة تغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما أنا

الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا وإنما جاز (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولم يجز ضربت إلا زيدا لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا ولما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر) ... (لنا من الأرض ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء

(أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا مجمع عليه (الأنهار خلالها) وسطها (تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) بفتح السين مدني وعاصم أي قطعاً يقال أعطني كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) كفيلاً بما تقول شاهداً بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلاً وبالملائكة قبيلاً كقوله كنت منه ووالدي بريئاً أو مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالاً من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد إليها (ولن نؤمن لرقيك) لأجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف أبو عمرو (كتاباً) أي من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكي وشامي أي قال الرسول (سبحان ربي) تعجباً من اقتراحاتهم عليه (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أي أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها علي (وما منع الناس) يعني أهل مكة وهو مفعول ثان (أن يؤمنوا) نصب بأنه مفعول ثان لمنع (إذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن (إلا أن قالوا) فاعل منع والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا قولهم (أبعث الله بشراً رسولاً) أي إلا شبهة تمكنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فمن قضيته حكمته[2] فرد الله عليهم بقوله (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مطمئنين) حال أي ساكنين في الأرض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم وبشراً وملكاً حالان من رسولاً (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم وشهيداً تمييز أو حال (إنه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيراً) عالماً بأحوالهم (بصيراً) بأفعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة

ثم قالوا لكن الله تعالى يسير أو بشراً قالوا أسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك نفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعني أرض مكة ينبوعاً أي عيوناً (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه نخل وعنب (فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً) أي تشقيقاً (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) أي قطعاً (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) قال ابن عباس كفيلاً أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عياناً (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقيك) أي لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربي) أمره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أي كسائر الرسل لأنهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما أظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إليهم إنما هو إلى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم ﴿ قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أي الوحي والنبي والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (إلا أن قالوا) أي جهلاً منهم (أبعث الله بشراً رسولاً) والمعنى أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر وهلا بعث الله إلينا ملكاً فأجابهم الله بقوله (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي مستوطنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) أي من جنسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي على أني رسوله إليكم وأني قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم (إنه كان بعباده) يعني المنذرين والمنذرين (خبيراً بصيراً) ي

(٢) قوله فمن قضيته حكمته كذا في النسخ وما أنكروه فلا [illegible] هو الإنكار [illegible] الله لأن [illegible] أن يرسل ملك الرسل إلا إلى أمثاله أو إلى الإنسان اهـ وهي ظاهرة اهـ مصححه

(ومن يهد الله فهو المهتد) بالياء فيهما في الوصل والوقف ... أي من يشأ الله هدايته بقبوله لما كان من الهدى فهو المهتدي (ومن يضلل) أي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي أنصارا (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) من الإنس (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لأن لو تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها فأضمر تملكون على شريطة التفسير ... وهو الواو ... ضمير منفصل وهو أنتم ... وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون ... (خزائن رحمة ربي) ... (إذا لأمسكتم خشية الإنفاق) أي لبخلتم ... بالإنفاق (وكان الإنسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) ... هي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ...

على ما يحول الهم فهو يحار بهم ... فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي يهدونهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو أن الذين حكم لهم بالإيمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن ينقلوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذي الحدب كل ما ارتفع من الأرض (عميا وبكما وصما) أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فإن قلت كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فأثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد إليهم هذه الأشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فيصيرون أجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) أي سكن لهبها ... وهذا أيضا من غير أن يحدث نقصان في آلام الكفار لأن الله سبحانه وتعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه أرادت أن تخبو (زدناهم سعيرا) أي وقودا ... أي كلما نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا عليه وزيد في سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد ... قال ذلك جزاؤهم يعني ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض) أي في عظمها وشدتها (قادر على أن يخلق مثلهم) أي في صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أي وقتا لعذابهم (لا ريب فيه) أي لا شك فيه أنه آتيهم قيل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) أي جحودا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي خزائن نعمه ورزقه ... والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها (إذا لأمسكتم) أي لبخلتم وحبستم (خشية الإنفاق) أي خشية الفقر والنفاد ... (وكان الإنسان قتورا) أي بخيلا ممسكا ... فإن قلت قد يوجد في جنس الإنسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الأصل في الإنسان البخل لأنه خلق محتاجا والمحتاج لا بد أن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه ... وقد يجود لأسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا أن الأصل في الإنسان البخل ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين ونقص الثمرات وقيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد

على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسأل بني إسرائيل) فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل وقوله (إذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك (قال) أي موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) خالقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لكنك معاند ونحوه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) على أني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) كأنه قال إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك (فأراد) فرعون (أن يستفزهم) يخرجهم أي موسى وقومه (من الأرض) أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال (فأغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره [illegible] (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئنا بكم لفيفا) جمعا مختلطين إياكم وإياهم ثم يحكم بينكم [illegible] واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الرازي [illegible] تعالى [illegible] على الأرض [illegible] على وضع الوسع [illegible] أنزلناه وبالحق نزل [illegible] على سوء الوضع وقال [illegible] وقال كان ذلك [illegible] السلام (وما أرسلناك إلا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) [illegible]

صار الحجر والمرأة فإنه حجر وقد صار حجرا وروي أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هكذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فإذا فيه بيض مكسور نصفين وجوز مكسور نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الأحكام يدل عليه ما روي عن صفوان بن عسال أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تتبعوني قالوا إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود (فاسأل) يا محمد (بني إسرائيل) قيل الخطاب معه والمراد غيره وقيل [illegible] وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (إذ جاءهم) يعني جاءهم موسى إلى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا أي مسحورا وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند (ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) يعني الآيات التسع (بصائر) أي بينات يبصر بها (وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فأراد أن يستفزهم من الأرض) يعني أراد فرعون أن يخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون (لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) يعني أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني القيامة (جئنا بكم لفيفا) أي جميعا إلى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير إذا كانوا من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعني وبالحق أنزلنا القرآن [illegible] بالحق فلما أردنا هذا المعنى كذلك وقع وحصل [illegible] وما أنزلنا القرآن إلا بالحق [illegible] لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية إلى كل خير (وما أرسلناك إلا مبشرا) يعني بالجنة لمن أطاع (ونذيرا) أي مخوفا بالنار لمن عصى ﴿ قوله عز وجل (وقرآنا فرقناه) أي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة يدل عليه قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أي تؤدة وترسل في تلاوته ليفهموه (ونزلناه تنزيلا) أي على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) فيه تهديد (إن الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم قوم من أهل الكتاب الذين كانوا

(إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) إن قوله آمنوا به أو لا تؤمنوا أي
أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تلي عليهم خروا
سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد
المذكور إن بمعنى إنه وهي تؤكد الفعل كما أن إن تؤكد الاسم وكما أكدت إن باللام في إنهم لمحضرون أكدت باللام في لمفعولا (ويخرون
للأذقان يبكون) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وإنما خص الذقن لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن
يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر (١٨٤) لوجهه ولذقنه . أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به إذ

بطارقة الذين قد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعده وقيل هم زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان
الفارسي وأبو ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للأذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه
(سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي يعظمونه بالإنجاز لما وعد في
الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي كائنا واقعا (ويخرون للأذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب
عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى
يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد
النسائي في منخري مسلم أبدا الولوج الدخول والمنخر الأنف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي
قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه
الآية ومعناها أنهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أيا ما تدعوا) ما صلة ومعناه أي هذين
الاسمين سميتموه وذكرتموه به (فله الأسماء الحسنى) يعني إذا حسنت أسماؤه كلها فهذان
الاسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مختف بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله
ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون
فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا
أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد
ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزلت في الدعاء وقيل كان أعراب من بني تميم
إذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا ويجهرون بذلك فأنزل الله عز وجل ولا تجهر
بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أي
اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والإخفاء عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال إني أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا
وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال
اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده

اللام للاختصاص وكرر
يخرون للأذقان لاختلاف
الحالين وهما خرورهم
في حال كونهم ساجدين
وخرورهم في حال كونهم
باكين (ويزيدهم) القرآن
(خشوعا) لين قلب ورطوبة
عين (قل ادعوا الله أو
ادعوا الرحمن) لما سمعه أبو
جهل يقول يا الله يا رحمن
قال إنه ينهانا أن نعبد إلهين
وهو يدعو إلها آخر وقيل
إن أهل الكتاب
قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثر الله في التوراة هذا
الاسم فنزلت والدعاء بمعنى
التسمية لا بمعنى النداء وأو
للتخيير أي سموا بهذا الاسم
أو بهذا أو اذكروا إما هذا
وإما هذا (أيا ما
تدعوا) التنوين عوض من المضاف إليه
وما زيدت للتأكيد وأيا
نصب بتدعوا وهو مجزوم
بأي أي أي هذين الاسمين
ذكرتم وسميتم (فله الأسماء
الحسنى) والضمير في فله
يرجع إلى ذات الله تعالى

والفاء لأنه جواب الشرط أي أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه على
كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك)
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس إذ الجهر والمخافتة صفتان تعتوران على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت
بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ
بين ذلك سبيلا ... (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى

(ولم يكن له شريك في الملك) كما زعم المشركون (ولم يكن له ولي من الذل) أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وكبره تكبيراً) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي عليه السلام الآية آية العز وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية *(سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي)* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجاً) أي شيئاً من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة (قيماً) مستقيماً وانتصابه بمضمر ولم يجعل حالاً من الكتاب لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيماً على سائر الكتب مصدقاً لها شاهداً بصحتها (لينذر) أنذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذاباً قريباً فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأساً) عذاباً (شديداً) وإنما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه (من لدنه) صادراً من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أي بأن لهم (أجراً حسناً) أي الجنة وثبوتهم وعلى (ماكثين) حال من هم في لهم (فيه) في الأجر وهو الجنة (أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقدم ذكره (ما لهم به من علم) أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فإن قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه في نفسه محال (ولا لآبائهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة ... قولهم اتخذ الله ولداً ... (تخرج من أفواههم)

على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً وقيل إن كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده وإذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبده وقيل إن الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يكن مستحقاً للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الذل) ومعناه أنه لم يذل فيحتاج إلى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيراً) أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل إذا كان منزهاً عن الولد والشريك والولي كان مستوجباً لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الكهف)

وهي مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بإنعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن إنزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجاً) أي لم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقاً وروي عن ابن عباس في قوله تعالى قرآناً عربياً غير ذي عوج قال غير مخلوق (قيماً) أي مستقيماً وقال ابن عباس عدلاً وقيل قيماً على الكتب كلها ومصدقاً لها وناسخاً لشرائعها (لينذر بأساً شديداً) معناه لينذر الذين كفروا بأساً شديداً وهو قوله سبحانه وتعالى عذاباً شديداً (من لدنه) أي من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) يعني الجنة (ماكثين فيه) أي مقيمين فيه (أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم) أي بالولد وباتخاذه يعني أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فإن قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل إليه وقد يكون في نفسه محالاً لا يستقيم تعلق العلم به (ولا لآبائهم) أي ولا لأسلافهم من قبل (كبرت) أي عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم

تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (إن يقولون إلا كذباً) ما يقولون ذلك إلا كذباً هو صفة لمصدر محذوف أي قولاً كذباً (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أي آثار الكفار شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما داخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفاً) مفعول له أي لفرط الحزن والأسف المبالغة في الحزن والغضب (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) أي ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل إليها بقوله (وإنا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيداً) أرضاً ملساء (جرزاً) يابساً لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خراباً بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجباً) أي كانوا آية عجباً من آياتنا وصفاً بالمصدر أو على ذات عجب (إذ) أي اذكر إذ (أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهيئ لنا من أمرنا) أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشداً) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك رأيت منك أسداً

الشيء لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد (إن يقولون إلا كذباً) أي ما يقولون إلا كذباً قيل حد الكذب أنه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيد باطل لأن الله سبحانه وتعالى وصف قولهم بإثبات الولد بكونه كذباً مع أن الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلاً فعلم أن كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب ۞ قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (على آثارهم) أي من بعدهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعني القرآن (أسفاً) أي حزناً وقيل غيظاً (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والأنهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينة لها فإن قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان قيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (لنبلوهم) فمن نبلوه يجب أن لا يدخل في ذلك فمعنى لنبلوهم لنختبرهم (أيهم أحسن عملاً) أي أصلح عملاً وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها (وإنا لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعيداً جرزاً) يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت شيئاً ۞ قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي أظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه إنهم ليسوا بأعجب آياتنا فإن ما خلقنا من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الأحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال تعالى (إذ أوى الفتية إلى الكهف) أي صاروا إليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطري من الشبان (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك وهب لنا الهداية والنصر والأمن من الأعداء (وهيئ لنا) أي أصلح لنا (من أمرنا رشداً) يعني حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل أمرنا رشداً كله

(ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه)

قال محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد الأصنام أو يقتله فنزل مدينة أصحاب الكهف واسمها أفسوس فاستخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطاً من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم ويخرجونهم إلى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في

الاعيان فعلوا يساوون أنفسهم للعذاب والقتل فيأتون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على
أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا
بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية فبكوا وتضرعوا الى الله
عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن
عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم
أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن
أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة
وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة
أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم ان لنا الها ملء
السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه
نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك
كلامهم أمر بنزع لباسهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وانجز لكم ما أوعدتكم
من العقوبة وما يمنعني ان أعجل ذلك لكم الا اني أراكم شبانا حديثة أسنانكم ولا أحب أن أهلككم حتى
أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم فأخرجوا ثم انطلق دقيانوس الى
مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكرهم فائتمروا
بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى
كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بنجلوس [٢] فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه
فيصنع بهم ما شاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي
معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم
فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أحباب الله عز وجل
فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم
وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام
والتسبيح والتحميد ابتغاء وجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له يمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم
من المدينة سرا وكان من أجملهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة يلبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم
يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء ثم
يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا
للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان يمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو
يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة
ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم يمليخا يا اخوتاه ارفعوا
رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك عند غروب الشمس ثم
جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان
من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية
الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لأجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا
آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد [٣] كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا
لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتى بهم فقال
أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا بأموالنا

٢ قوله بنجلوس هكذا في بعض النسخ وفي بعضها بنحلوس وفي حياة الحيوان ينجلوس فليحرر اهـ

وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا الى حمل بعض نفقوس فلما قالوا له ذلك حمل بسبلهم وجعل ما بدرى ما
يصنع بالنفقة فالى الله سبحانه وتعالى فى نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم
بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
فى القبور فأمر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة
نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين
و[illegible] فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما أن
يكتبا شأن هؤلاء الفتية وأنسابهم وأسماءهم وأخبارهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت من
نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم
من فتح عليهم حين يقرأ الكتاب خبرهم فلما فعلا ذلك ثم هلك دقيانوس ما بقى ثم مات هو وقومه وقرون
بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك * وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى
ذوائب فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب
صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان فى قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه
وقال فى نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى
الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل أمره فجلس اليه من غير أن
يظهر على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه
من صاحبه مخافة على نفسه فقالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ثم يفشى كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك
فاذا هم جميعا على الايمان واذا بكهف فى جبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم
قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانسابهم فى لوح فلان وفلان أبناء
ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا
ليكون لهؤلاء الفتيان شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال جماعة من أهل العلم ان ملك تلك البلاد رجل صالح
يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا احزابا منهم من يؤمن
بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا
لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح
دون الاجساد فجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم ائمة فى الخير فلم يقبلوا منه وجعلوا
يكذبون بالساعة حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل
بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى
ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى
الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم
آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه فلا ينزع
منه ملكه ولا الايمان الذى اعطاه فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من اهل ذلك البلد الذى به ذلك
الكهف وكان اسمه أولياس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر
غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب
الكهف فحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف اذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة
والسلطان محيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم
فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم

قاموا إلى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه وإنهم كهيئتهم حين
رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم أنبئنا ما قال الناس
في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل إليهم
أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو
بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا افتقدتم في المدينة وهو يريد
أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا إخوتاه اعلموا
أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال
لنا بها وما الذي نذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بك أحدا وابتع لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام
الذي جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها
وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا
فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة
مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك
بثلاثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان إذ كان
أمر الإيمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر
فرأى مثل ذلك فخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أناسا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل
ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب منه ومن نفسه
ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون
بها واليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي
في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تحيرا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره إلى
جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الأرض
من يذكر عيسى بن مريم إلا قتل وأما الغداة فأسمع كل إنسان يذكر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه
لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم
هذه المدينة يا فتى فقال اسمها أفسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع
الخروج قبل أن أصاب فيها بشر فأهلك فمضى إلى الذين يبيعون الطعام فأخرج لهم الورق التي كانت معه
وأعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها
ثم ناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون
بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون
فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به
إلى ملكهم دقيانوس وجعل أناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا
علي فقد أخذتم ورقي فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت
كنزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت وإنك
إن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال قد وقعت في كل شيء كنت
أحذر منه فقالوا له يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف
حتى لم يحر على لسانه إليهم شيئا فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك
المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون إليه ويقولون
والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا
أن أباه وإخوته بالمدينة وأنه من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينظر من

يأتيه بعض أهله فخلصه من أيديهم إذا احتاطوه وانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران
أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به إليهما ظن
تمليخا أنه إنما يطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما
يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ علي اليوم صبرا
وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون
ما لقيت وأنهم يأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فإنا كنا تواثقنا على الإيمان بالله وأن لا نشرك
به أحدا أبدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس ورأى
أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيوس الورق ونظرا إليها وعجبا
منها وقالا أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة
وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت
أرى أني من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه
ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره إلى
الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي
يفلت منكم فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك ونصدقك أن هذا مال أبيك ونقش
هذه المدينة وضربها ولهذه الورق أكثر من ثلاثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا
ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من
هذا الضرب درهم ولا دينار وإني لأظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا
الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا أخبروني عما أسألكم عنه فإن أنتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا له
سل لا نكتمك شيئا فقال تمليخا فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الأرض من اسمه دقيانوس ولم
يكن إلا ملك هلك في الزمان الأول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا إني إذا لحيران وما
يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وإن الملك أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح
للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا إلى الكهف الذي في جبل ينجلوس ثم نمنا فلما انتبهنا خرجت
لأشتري لأصحابي طعاما وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي فلما
سمع أريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى
فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم
نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم
عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك
ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم إليهم ليؤتى
بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فإنه الآن
بين يدي الجبار وهو ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذ هم بأريوس
وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره
فقص عليهم الخبر كله فعرفوا أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمن الطويل وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس
وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما
بخاتم فضة فقام على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه
لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا وأمليخا ومرطونس وكشطونس ويبرونس وبكرنوس ودينموس
وبطنيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم
فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه

من

(فضربنا على آذانهم في الكهف) أي ضربنا عليها حجابا من النوم يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أي تعد عددا لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عد فأما دراهم معدودة فهي على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) أيقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين)

المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا مفعوله لا أحصى ومفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أنهم ضبطوا أمدا لأوقات لبثهم وأحاطوا علما بأمد لبثهم وقيل أحصى أفعل من الإحصاء وهو [illegible] لأن [illegible] [illegible] [illegible] الحزبين [illegible] الناس وإنما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] الكفار أو المراد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (إنهم فتية) جمع

[illegible] [illegible] وكتب الأدب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible]
الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] (وربطنا على قلوبهم) [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible]

من بعدهم ان عثر عليهم الملك وقومه واوجدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رجعوا إلى أصحابهم بحمد الله وثنائه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مسفرة وجوههم لم تبل ثيابهم [illegible] بيدروس وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا بالبعث وذلك أن فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع [illegible] وذهب همه وقال أحمدك اللهم رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركبوا وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن [illegible] الملك قائم إذ إنهم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل إن الذي جاء [illegible] الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية فقدوا في الزمان الأول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزانة فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فإذا هم مكتوبون وذكر أسماء الآخرين فقال هم أصحابي فلما سمع الملك [illegible] [illegible] من القوم [illegible] [illegible] الكهف قال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على أصحابي فأبشرهم فإنهم إن أبصروكم معي أرعبتموهم فدخل عليهم فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا إليهم فذلك قوله عز وجل إذ أوى الفتية إلى الكهف أي صاروا إلى الكهف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رشدا أي ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قوله سبحانه وتعالى (فضربنا على آذانهم) أي أنمناهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأصوات [illegible] [illegible] [illegible] إذا مع الصوت [illegible] (في الكهف سنين عددا) أي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أي من نومهم (لنعلم) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا (أي الحزبين) أي الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أي أحفظ لما مكثوا في كهفهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الكهف قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أي خبر أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق (إنهم فتية) أي شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي إيمانا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أي شددنا على قلوبهم

(إذ قاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) لن ندعو من دونه إلهاً) ولئن سميناهم آلهة (لقد قلنا إذاً شططاً) قولاً ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط يشط ويشط إذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو إخبار في معنى الإنكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بنسبة الشريك إليه (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أي وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم (إلا الله) استثناء متصل لأنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة أو منقطع أي وإذ اعتزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله (فأووا إلى الكهف) صيروا إليه واجعلوه مأواكم (١٩٢) (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً) مرفقاً مدني وشامي وهو ما يرتفق به أي ينتفع وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أو أخبرهم به نبي في عصرهم (وترى الشمس إذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاي كوفي تزور شامي تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم أي تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبداً ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل للذين يتكلمون فيهم ... عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) أي من أضله فلا هادي له (وتحسبهم) بفتح السين شامي وحمزة وعاصم وبكسرها غيرهم والخطاب لكل أحد (أيقاظاً) جمع يقظ (وهم رقود) نيام جمع راقد ...
[illegible]
[illegible]

بالصبر ... حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف (إذ قاموا) يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام (فقالوا) أي الفتية (ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً) إنما قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأصنام (لقد قلنا إذاً شططاً) قال ابن عباس يعني جوراً وقال قتادة كذباً يعني إن دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعني أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعني أصناماً يعبدونها (لولا) أي هلا (يأتون عليهم) أي على عبادة الأصنام (بسلطان بين) أي بحجة واضحة وفيه تبكيت لأن الإتيان بحجة على عبادة الأصنام محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) أي وزعم أن له شريكاً وولداً ثم قال بعضهم لبعض (وإذ اعتزلتموهم) يعني قومكم (وما يعبدون إلا الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأصنام والمعنى وإذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا عبادته (فأووا إلى الكهف) أي الجؤوا إليه (ينشر لكم) أي يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيئ) أي يسهل (لكم من أمركم مرفقاً) أي ما يعود إليه يسركم ورفقكم ۞ قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس إذا طلعت تزاور) أي تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب اليمين (وإذا غربت تقرضهم) أي تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) أي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة وقيل إن باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبداً لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك ... ولكن صرفها الله عنهم ... مصيفاً في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أي أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعني مثل أصحاب الكهف وفقه للإيمان ... (ومن يضلل) أي ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له ولياً) أي معيناً (مرشداً) أي يرشده ۞ قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أيقاظاً) أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة (وهم رقود) أي نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم وقيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقلبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلباً أغر وعنه أنه كان فوق القلطي ودون الكرزي والقلطي كلب صيني وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة تضرب إلى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل

(بالوصيد) بالفناء أو بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم (لوليت منهم) لأعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لأنه نوع من التولية أي وليت منهم فررت منهم (ولملئت منهم) وبتشديد اللام حجازي للمبالغة (رعبا) تمييز وبضم العين شامي وعلي وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد منع الله من هو خير منك فقال لوليت منهم فرارا فأرسل جماعة بأمره فأحرقتهم ريح (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إظهارا للقدرة على الإنامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالأدلة (١٩٣) أو بالإلهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر فيصيرون سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والمبعوث يمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر

(هذه إلى المدينة) هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أي أهلها فحذف كما في واسأل القرية وأي مبتدأ وخبره (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما) تمييز (فليأتكم برزق منه) ولتكن الألف (وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد منه فسمي ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه والضمير في (إنهم) راجع إلى الأهل المقدر في أيها (إن يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة (أو يعيدوكم في ملتهم) بالإكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم (ولن تفلحوا إذا أبدا) إذا يدل على الشرط أي ولن تفلحوا إن دخلتم في

فيهاب وقيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) أي بفناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما وقيل كان يقلب مع أصحابه فإذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها (لو اطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) أي خوفا من وحشة المكان وقيل لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس ولا إشعار وقيل إن الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك لما قال له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم ✽ قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعني كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) أي في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحدكم) يعني يمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه إلى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الأول أفسوس (فلينظر أيها أزكى طعاما) أي أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم وقيل أطيب طعاما وقيل أجود وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) أي يرفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرن) أي ولا يعلمن (بكم أحدا) أي من الناس (إنهم إن يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل معناه يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يضربوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) أي إن عدتم إليه ✽ قوله عز وجل

(وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على حالهم (أن وعد الله) وهو البعث (حق) كأن لانتباههم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وأن الساعة لا ريب فيها) فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (إذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل ردا لقول الخائضين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وروي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني إني أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقيل إن قيصر ... [illegible] ... ثم بعث الله رجلا صالحا مؤمنا ... [illegible] ... في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس (١٩٤) رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى [illegible] على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة ثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم [illegible] مرنوش وابتدأ بيمليخا [illegible] ... [illegible] ... حكم السين كذلك ... [illegible] ... [illegible] ... أي هم ثلاثة ... [illegible] ... رجما بالغيب ... [illegible] ... بالغيب [illegible] ... [illegible]

(وكذلك أعثرنا عليهم) أي أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) أي لا شك فيها [illegible] (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس [illegible] فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا وقال المشركون نبني عليهم بنيانا لأنهم على [illegible] وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الأجساد والأرواح وقال قوم تبعث الأرواح فأراهم الله آية أن البعث للأرواح والأجساد وقيل تنازعوا في قدر مكثهم وقيل في عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني بيدروس وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) أي وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار

رجماً بالغيب وهم غيرهم ذلك بأن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله رجماً بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بأنهم سبعة وثامنهم كلبهم (ما يعلمهم إلا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من ذلك القليل وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (إلا مراء ظاهراً) إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو تعنيف بهم [illegible] (ولا تستفت فيهم منهم أحداً) ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم (ولا تقولن لشيء) لأجل شيء تعزم عليه (إني فاعل ذلك) الشيء (غداً) أي فيما يستقبل من (١٩٥) الزمان ولم يرد الغد خاصة (إلا أن يشاء الله) أي إلا بأن تقول إن شاء الله أو ولا تقولنه إلا أن يشاء الله أي إلا متلبساً بمشيئته وهو في موضع الحال أي إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً إن شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن إني أفعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى لأن قول القائل إني أفعل ذلك إن شاء الله معناه إلا بمشيئة الله وهذا [illegible] تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين [illegible] (واذكر ربك) أي مشيئته [illegible] قل إن شاء الله (إذا نسيت) إذا فرط [illegible] [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى [illegible] قوله سبحانه وتعالى رجماً بالغيب أي ظناً [illegible] ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين [illegible] قول النصارى في كونه رجماً بالغيب [illegible] قوله سبحانه وتعالى (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) هذا هو الحق لأن العلم بتفاصيل العوالم والكائنات في الماضي والمستقبل لا يكون إلا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم (٢) مكسلمينا [illegible] ويمليخا ومرطونس [illegible] وكشفطط [illegible] وهو الراعي والثامن كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم (إلا مراء ظاهراً) أي إلا بظاهر ما قص الله عليك [illegible] (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحداً) أي لا ترجع إلى قول أحد منهم بعد أن أخبرك الله بقصتهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) [illegible] إذا عزمت على فعل شيء غداً فقل إن شاء الله [illegible] أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياماً ثم نزلت هذه الآية [illegible] (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس [illegible] إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

عباس رضي الله عنهما [illegible]

[illegible] ابن عباس رضي الله عنهما [illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible]

( ) [illegible]

وقد دل في الوصف (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلاثمائة ثلاثمائة سنين بالإضافة حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لأن زاد يقتضي مفعولين فازداد يقتضي مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أي (١٩٦) هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب

وقل الله أعلم ردعليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى انهم لبثوا في كهفهم كذا مدة (له غيب السموات والأرض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والأرض وخفي فيهما من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أي وأسمع به والمعنى ما أبصره لكل موجود وما أسمعه لكل مسموع (ما لهم) لأهل السموات والأرض (من دونه من ولي) من يتولى أمورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا يشرك على النهي ... كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فإنه (لا مبدل لكلماته) أي لا يقدر أحد على تبديلها ... (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجأ ... ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي

ما شاء الله ... من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء الله عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا اخبار عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه والكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والأصح أنه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعني إن نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان للفتية منذ دخلوا الكهف الى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله قال مسلم قال ... قوله سبحانه وتعالى ولبثوا في كهفهم ... فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على ... قولهم ... في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا ... نصارى نجران أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا ... أهل الكتاب ... والله سبحانه وتعالى ذكر ... والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين ... في مائة وتسع سنين قمرية (له غيب السموات والأرض) يعني انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فإنه العالم وحده فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع) معناه ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد ... لا يخفى عليه ... (ما لهم) أي ما لأهل السموات والأرض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) ... لا يشرك الله في علم غيبه أحدا ... قوله سبحانه وتعالى (واتل) أي واقرأ يا محمد (ما أوحي إليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه ... (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق إليه بتغيير أو تبديل ... فإن قلت ... لا يتطرق النسخ ... المنسوخ ... كالعارية ... لا مغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أي من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) أي ملجأ وحرزا ... قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون رضا الله لا يريدون عرض الدنيا ... نزلت في أصحاب الصفة وكانوا ... رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أي تطلب مجالسة

... الأغنياء ... وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) ... (بالغداة والعشي) ... على المداومة ... بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب العفو والمغفرة أو هما ... (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوز ... عداه إذا جاوزه وعدي بعن ... ضمن عدا معنى نبا ... (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) متجاوزاً عن الحق (وقل الحق من ربكم) أي الاسلام أو القرآن أو الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين) للكافرين فقيد بالسياق كما ترك ذكر المؤمنين الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) فسطاطها

الاغنياء والاشراف وهم أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني [illegible] (واتبع هواه) أي في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) [illegible] ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق [illegible] الخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شيء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم [illegible] الآية وقل الحق من ربكم أي لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر (انا أعتدنا) أي هيأنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) أي الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعين سنة أخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) أي من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين وقد تكلم فيه [illegible] وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوي الوجوه) أي ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) أي ذلك الذي يغاثون به (وساءت) أي النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلا [illegible] وأصل المرتفق المتكأ وانما ذكر ذلك لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لا نترك أعمالهم [illegible] بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وخبره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار اقامة [illegible] (تجري من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان يجري فيه الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب [illegible] الآية [illegible] (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) [illegible] (واستبرق) هو الديباج [illegible] (متكئين فيها) أي في الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ﴿ [illegible] (نعم الثواب) أي الجزاء (وحسنت) أي الجنات (مرتفقا) أي منزلا ومجلسا [illegible] ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) [illegible]

وعملوا الصالحات [illegible] (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب) [illegible] (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) [illegible] (واستبرق) [illegible] (متكئين فيها على الارائك) [illegible] (نعم الثواب) [illegible] (وحسنت) [illegible] (مرتفقا) [illegible]

[illegible]

ما أحاط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردي الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وقيل [illegible] (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهو لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار [illegible] (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) [illegible]

أرضا بألف دينار فقال أخوه اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وإني أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم إن أخاه بنى دارا بألف فقال اللهم إن أخي بنى دارا بألف دينار وإني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به

ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف دينار فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان

المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله (جعلنا لأحدهما

جنتين) بستانين (من أعناب) بساتين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها

مؤزرة بالأشجار المثمرة (١٩٨) إذا طافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء

مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعا) جعلنا أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق (كلتا الجنتين آتت) أعطت حمل على اللفظ لأن لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من أكلها (شيئا) (وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما (وكان له ثمر) أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره أي كان له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما وقيل الثمر بالضم الذهب والفضة وبالفتح حمل الشجر وقرأ عاصم وسهل الجنتين ثمر بفتح الثاء والميم وأبو عمرو بضمة وسكون الميم وغيرهما بضمتين (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام من حار

أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافرا وقيل هما المثل لعيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني أنه كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وإني قد اشتريت منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإني اشتريت منك دارا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم إني أشتري منك خدما ومتاعا بألف دينار في الجنة فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لعل صاحبي ينالني معروفه فجلس على طريقه حتى مر به في حشمه فقام إليه فنظر إليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتعينني بخير قال ما فعلت بمالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضي لهما ما قص الله في كتابه فأقبل أحدهما على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين وروي أنه لما مات أحدهما وجعل يطوف به وبريه أمواله فيرغبه بها واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لأحدهما جنتين) أي بستانين (من أعناب وحففناهما) أي أطفناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زرعا) أي وسط البستانين والأعناب الزرع ليتم النفع فيهما من كل جانب (كلتا الجنتين آتت) أي أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أي ثمرها كاملا (ولم تظلم منه شيئا) أي ولم تنقص منه شيئا (وفجرنا خلالهما) وسطهما (نهرا وكان له) أي لصاحب البستان (ثمر) قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة من الثمر من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعني صاحب البستان (لصاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره) أي يخاطبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي عشيرة ورهطا وقيل خدما (ودخل جنته) يعني الكافر أخذ بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه إياها (وهو ظالم لنفسه) أي بكفره (قال ما أظن أن تبيد) أي تهلك (هذه) يعني جنته (أبدا) وذلك أنه رآها حسنها وغزارة ثمرها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت إلى ربي) فإن قلت كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت إلى ربي على ما تزعم من أن الساعة آتية (لأجدن خيرا منها منقلبا) أي بعطيني هناك خيرا منها لأنه لم يعطني الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من

حور إذا رجع حين طاف به في الجنة ثم أسلم يطوف به فيها ويريه إياها ويفاخره بها من المال ويريه (أنا أكثر منك مالا)

(وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث (ودخل جنته) أحد جنتيه أو ما هما عبارة عنه لاتحادهما الحائط

من النهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أي أن تهلك هذه الجنة ... (وما أظن الساعة قائمة) كائنة

... (لأجدن خيرا منها منقلبا) ... (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من

تراب) أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له (ثم من نطفة) أي ثم خلقك من نطفة (ثم سواك رجلاً) عدلك وكملك
إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال جعله كافراً بالله لشكه في البعث (لكنا) بالألف في الوصل شاذ في الدوين نصير أنه بالألف في الوقف اتفاق
وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي)
هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبرانا والراجع منها إليه ضمير الشأن وهو استدراك لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكني
مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمراً حاضر وفيه حذف أي أقول هو الله ربي (ولا أشرك بربي أحداً ولولا) وهلا (إذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء
محذوف بمعنى أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافاً بأنها وكل ما فيها إنما حصل
بمشيئة الله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها (لا قوة إلا بالله) إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة
وتأييده من قرأ (إن ترن أنا أقل منك مالاً) نصب أقل مفعولاً ثانياً لترى وأنا فصلاً ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولاً
ثانياً لترى وفي قوله (وولداً) دليل على تفسير النفر بالأولاد في قوله وأعز نفراً (فعسى ربي (٢٩٩) أن يؤتين خيراً من جنتك) في الدنيا

تراب) أي خلق أصلك من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه له (ثم من نطفة ثم سواك رجلاً)
أي عدلك وصيرك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال (لكنا هو الله ربي) بحذف لكن أنا هو الله ربي (ولا
أشرك بربي أحداً ولولا) أي هلا (إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى
ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وأن أمرها بيده وأنه
إن شاء تركها عامرة وإن شاء تركها خراباً (لا قوة إلا بالله) أي وقلت لا قوة إلا بالله إقراراً بأن ما قويت به على
عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه إلا بالله وروي عن عروة بن
الزبير أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم قال
السائل (إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً) أي فلا جل ذلك تكبرت علي وتعظمت (فعسى ربي) أي فلعل ربي
(أن يؤتين) أي يعطين (خيراً من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسباناً) قال
ابن عباس ناراً وقيل مرامي (من السماء) وهي الصواعق فيهلكها (فتصبح صعيداً زلقاً) أي أرضاً جرداء
ملساء لا نبات فيها وقيل يزلق فيها الأقدام وقيل رملاً هائلاً (أو يصبح ماؤها غوراً) غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الأيدي
ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلباً) يعني إن طلبته لم تجده (وأحيط بثمره) يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك
أن الله تعالى أرسل عليها من السماء ناراً فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) يعني صاحبها الكافر (يقلب كفيه)
أي يضرب بكف على كف ويقلب كفيه ظهراً لبطن أسفاً وتلهفاً (على ما أنفق فيها) المعنى فأصبح نادماً على
ما أنفق في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوفها وقيل إن كرومها المعرشة سقطت عروشها
على الأرض (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً) يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتي من جهة
شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً (ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من
عذاب الله (وما كان منتصراً) أي ممتنعاً لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه
قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعني السلطان والملك (لله الحق) وقرئ بفتحها

أو في العقبى (ويرسل عليها حسباناً) عذاباً (من السماء فتصبح صعيداً زلقاً) أرضاً ملساء يزلق عليها لاستئصال نباتها (أو يصبح ماؤها غوراً) غائراً أي ذاهباً في الأرض (فلن تستطيع له طلباً) فلا يبقى له مطلب يوصلك إلى الوجود والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك (وأحيط بثمره) وهو عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل

إهلاك (فأصبح) أي الكافر (يقلب كفيه) يضرب إحداهما على الأخرى ندماً وتحسراً وإنما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر
لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح
يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها
الكروم (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله
بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون
على نصره (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصره لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصراً) وما كان
ممتنعاً بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) كسر الواو الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان
والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني
لم أشرك بربي أحداً كلمة ألجئ إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة

[illegible] ولو يقال (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لأوليائه [illegible] الإشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع
أبو عمرو وعلي صفة للولاية أو خبر مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق وغيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها
غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) أي هو كماء أنزلناه

(فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روي (فأصبح
هشيما) يابسا متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلي (وكان الله على كل شيء) من الإنشاء والإفناء (مقتدرا) قادرا شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) لا زاد القبر وعدة العقبى (والباقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لأن وعد الله صادق وأكثر الآمال كاذبة يعني أن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة (ويوم) واذكر يوم (نسير الجبال) تسير الجبال مكي وشامي وأبو عمرو أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن نجعلها هباء منثورا
(وترى الأرض بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم نغادر منهم أحدا) أي فلم نترك يقال غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز أن يكون عاملا في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة [illegible]
[illegible] ويرى الملائكة حشرهم [illegible] كل الأحوال كأنه [illegible]

في المال والولد فصرفه يعني أنهم يتولونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا)
أي أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير
إثابة وعاقبة ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب يا محمد لقومك (مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من
السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيما)
قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شيء
مقتدرا) أي قادرا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفتخر بها عيينة وأصحابه الأغنياء (زينة
الحيوة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث
الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال استكثروا من الباقيات الصالحات
قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله * عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض
الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب أن الباقيات الصالحات هي قول العبد الله
أكبر وسبحان الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله أخرجه مالك في الموطأ موقوفا عليه * وعن ابن عباس
أن الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الأعمال الصالحات (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير
أملا) أي ما يؤمله الإنسان ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن نجعلها هباء
منثورا كما يسير السحاب (وترى الأرض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات وقيل هو بروز
ما في بطنها من الموتى وغيرهم فصار باطن الأرض ظاهرها (وحشرناهم) يعني جمعناهم إلى موقف الحساب (فلم
نغادر منهم أحدا) أي لم نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وقيل قياما ثم يقال لهم صف
واحد [illegible] كل أمة وزمرة صفا ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء
وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون
إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم
القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي
فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله
العزيز الحكيم قال فيقال لي إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فأقول سحقا سحقا

قوله غرلاً أي غلفاً والغرلة القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقاً أي بعداً قال بعض العلماء إن المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلاً قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني إذا رأوها (يا ويلتنا) أي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (إلا أحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود حتى أنضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لموبقات [illegible] الصغائر [illegible] قوله لموبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضراً) أي مكتوباً مثبتاً في كتابهم (ولا يظلم ربك أحداً) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً ولا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله ٭ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإذ قلنا) أي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً وذلك أن قريشاً قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملك يسمى جناً ويعضده اللغة لأن الجن اسم مأخوذ من الاجتنان وهو الستر على هذا يدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل وصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال إنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته أثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء بأنه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً وقيل إنه كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغير وطرد ولعن ﴿ قوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة ربه (أفتتخذونه وذريته) يعني يا بني آدم أفتتخذون إبليس (وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) يعني أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم [illegible] والذين [illegible] عن جماعة من السلف قال مجاهد من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه وإذا أكل ولم يسم

(ووضع الكتاب) أي صحف الأعمال (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) أي لا يترك شيئاً من المعاصي (إلا أحصاها) حصرها وضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضراً) في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحداً) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية أو سجود ائتمام (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) وهو مستأنف كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره به ربه من السجود وهو دليل على أنه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمزة للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وذريته أولاده ومن ذريته لاقيس وسوس الصلاة والأعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب وطوس صاحب الأراجيف وداسم [illegible] إذا دخل ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

(بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ما أشهدتهم) أي إبليس وذريته (خلق السموات والأرض) يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الأشياء فأفردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم (٢٠٢) خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) أي وما كنت متخذهم (عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) أنهم شركائي فيه وهم الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا ووبقا إذا هلك وأوبقه غيره وهو مصدر كالموعد أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا أو الملك كعزير وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا يهلك فيه الأشد لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها) عن النار (مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا في

أكل معه قال الأعمش رحمه الله إذا دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم رأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فأقول باسم الله أعوذ بالله منه وروي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال فيلتزمه * قوله (بئس للظالمين بدلا) يعني بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته * قوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أي ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما أشهدتهم خلقها فأستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعني الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعني أنصاراً وأعواناً * قوله عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائي) يعني الأصنام (الذين زعمتم) يعني أنهم شركائي (فدعوهم) أي فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الأصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعني مهلكا قال ابن عباس هو واد في النار وقيل هو نهر يسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك (ورأى المجرمون) أي المشركون (النار فظنوا) أي أيقنوا (أنهم مواقعوها) أي داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لأن الملائكة تسوقهم إليها * قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) أي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الأصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا * قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الإسلام والبيان من الله تعالى وقيل إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى أنه لا مانع لهم من الإيمان لأن الإسلام والتوبة والعفو حاصلة والأعذار زائلة فلم يقدموا على الإيمان والاستغفار (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) يعني سنتنا في إهلاك الأولين إن لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة * قوله سبحانه وتعالى (وما نرسل المرسلين

هذا القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون إليه (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) تمييز أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أي الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب) أن الأولى نصب والثانية رفع [illegible]

[illegible]

الا مبشرين ومنذرين) تقدم تفسيره (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل
ملائكة ونحو ذلك (ليدحضوا به الحق) أي يزيلوا ويبطلوا بالجدال الحق (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من
الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب أو مصدرية أي وإنذارهم (هزوا) موضع استهزاء وقرئ بسكون الزاي والهمز حمزة وبإبدال الهمزة
واوا حفص وبضم الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير إليه مذكرا في قوله أن يفقهوه
(فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي ما قدمت يداه) عاقبة

ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي
غير متفكر فيها ولا ناظر في
أن المسيء والمحسن لا بد لهما
من جزاء ثم علل إعراضهم
ونسيانهم بأنهم مطبوع
على قلوبهم بقوله (إنا
جعلنا على قلوبهم أكنة)
أغطية جمع كنان وهو
الغطاء (أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا) ثقلا عن
استماع الحق وجمع بعد
الإفراد حملا على لفظ من
ومعناه (وإن تدعهم) يا محمد
(إلى الهدى) إلى الإيمان
(فلن يهتدوا) فلا يكون
منهم اهتداء البتة (إذا)
جزاء وجواب فدل على انتفاء
اهتدائهم لدعوة الرسول
بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن
يكون سبب وجود الاهتداء
سببا في انتفائه وعلى أنه
جواب للرسول على تقدير
قوله ما لي لا أدعوهم حرصا
على إسلامهم فقيل وإن
تدعهم إلى الهدى فلن
يهتدوا إذا (أبدا) مدة
التكليف كلها (وربك
الغفور) البالغ المغفرة
(ذو الرحمة) الموصوف
بالرحمة (لو يؤاخذهم بما
كسبوا لعجل لهم العذاب)
أي ومن رحمته تركه مؤاخذة
أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولا ملجأ يقال
وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك
القرى نصب بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل
مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته وبفتح
الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما أبو بكر أي لهلاكهم والموعد وقت أو مصدر (وإذ) واذكر إذ (قال موسى لفتاه) هو يوشع

الا مبشرين) أي بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على المعصية (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو
قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أي ليبطلوا (به الحق)
ويزيلوه (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه إضمار يعني اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء
❁ قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أي تولى عنها وتركها ولم
يؤمن بها (ونسي ما قدمت يداه) أي ما عمل من المعاصي من قبل (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية
(أن يفقهوه) يريد لئلا يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا وصمما (وإن تدعهم) يا محمد (إلى الهدى)
أي الدين (فلن يهتدوا إذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أي
البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم) أي يعاقب الكفار (بما كسبوا) من
الذنوب (لعجل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعني البعث والحساب (لن يجدوا من دونه
موئلا) أي ملجأ (وتلك القرى) يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا)
أي كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي أجلا لإهلاكهم ❁ قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال موسى
لفتاه) الآية أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوي
ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الأحبار أنه موسى بن ميشا من أولاد
يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الأول أصح بدليل أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر
في كتابه العزيز موسى إلا أراد به صاحب التوراة فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه ولو أراد شخصا
آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يعرفه بصفة علمنا أنه موسى بن عمران
صاحب التوراة وأما فتاه فالأصح أنه يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد
وفاته وقيل إنه أخو يوشع وقيل إنه فتاه لأنه كان يخدمه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي
ولكن فتاي وفتاتي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب
الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إن موسى عليه السلام قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب
الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى
يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل
فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى
لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به
فقال له فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا

[illegible] (لا أبرح) لا أزال [illegible]

كان سال سفر وأما الثاني فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي (٢٠٤) وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم وسمي خضرا لأنه أينما جلس اخضر ما حوله (أو أمضي حقبا) أو أسير زمانا طويلا [illegible] روي أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقر بها بعد هلاك القبط سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال وكيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل [illegible]

قال فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب أو قال تسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال له الخضر فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائل فقال الخضر بيده فأقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما [illegible]

[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في الأرض أحد أعلم منك [illegible] مجمع البحرين [illegible] في أصل الصخرة [illegible]

قوله سبحانه وتعالى (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) [illegible] بحر فارس والروم [illegible] (أو أمضي حقبا) [illegible]

[illegible] (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) [illegible] (نسيا حوتهما) [illegible] (فاتخذ) أي الحوت (سبيله في البحر سربا) [illegible]

(فلما جاوزا) مجمع البحرين ... (قال لفتاه آتنا غداءنا) ... (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يتعب ولا جاع
قبل ذلك (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) هي موضع الموعد (فإني نسيت الحوت) ثم اعتذر فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (إلا
الشيطان) بإلقاء الخواطر في القلب (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني (٥ ٣) ذكره إلا الشيطان (واتخذ سبيله

في البحر عجبا) وهو أن أثره بقي إلى حيث سار (قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب بالياء مكي وافقه أبو عمرو وعلي ومدني في الوصل وبغير ياء فيهما غيرهما اتباعا لخط المصحف وذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأن ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه (قصصا) يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الأثر (فوجدا عبدا من عبادنا) أي الخضر راقدا تحت ثوب أو على وجه الماء (آتيناه رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعني الإخبار بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الإلهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي علما ذا رشد أرشد به في ديني وهذا دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك

موسى السكوت على أثر الحوت فإذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى
صار صخرة وقد روي أنهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما فاضطرب الحوت فخرج فسقط في
البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ
موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك
الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا) أي تعبا وشدة وذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه
(قال) يعني يوشع (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعود (فإني نسيت الحوت)
أي تركته وفقدته وذلك أن يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسي أن يخبره فمكثا
يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر
لك أمر الحوت إلا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الإنسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله
دون النسيان الذي يضاد الذكر لأن ذلك لا يصح إلا من فعل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا
من قول يوشع يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروي في الخبر كان للحوت سربا
ولموسى وفتاه عجبا وقيل أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما أكل بعضه قوله عز وجل
(قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي رجعا يقصان الذي جاآ منه
ويتبعانه (فوجدا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجاء في التواريخ أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني إسرائيل
وقيل كان من أبناء الملوك الذين زهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي به لأنه جلس على فروة بيضاء
فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروة
بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لأنه كان إذا صلى اخضر
ما حوله وروي أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأنى بأرضك السلام قال أنا
موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا وفي رواية مسجى بثوب أي مغطى بثوب وقوله وأنى بأرضك السلام معناه
من أين بأرضك السلام وروي أنه لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر وقوله
سبحانه وتعالى (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة) أي نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أي علم
الباطن إلهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم وإن كانت ظاهر هذه الآيات تدل على أن الخضر كان
أعلم ... وكان موسى يطلب العلم واتبعه والأدب معه ... أن يكون الخضر ...
[illegible]
[illegible] ... فقال الله تعالى إني اصطفيتك على الناس
أي على عالمي زمانك (قال له موسى هل أتبعك) معناه أتأذن لي في صحبتك (على أن تعلمن مما علمت
رشدا) أي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الأخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وببني إسرائيل
شغلا فقال له موسى إن الله أمرني بهذا (قال) الخضر لموسى (إنك لن تستطيع معي صبرا) وإنما قال ذلك
لأنه علم أنه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للأنبياء الصبر على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال
(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي علما (قال) موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) إنما استثنى لأنه لم

طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن يشمئز إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيا فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) ... (صبرا) أي عن الإنكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) ... (قال ستجدني إن شاء الله صابرا) عن الإنكار والاعتراض

(ولا أعصي لك أمرا) أي ولا أعصيك في شيء ... (قال فإن اتبعتني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما إجماعا (عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) أي فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء فحملوهما بغير نول فلما لجج أخذ الخضر الفأس

فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه

ثم (قال أخرقتها لتغرق أهلها) لتغرق حمزة وعلي ... (لقد جئت شيئا إمرا) أي جئت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم (قال) أي الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يغرق السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) الذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني من أمري عسرا) رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري وهو اتباعه إياه أي ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) قيل ضرب رأسه بالحائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين إلى أن قال فلم يقل وقال خرقها بغير فاء لأن خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط

وصبر على ما منه وستر عليه الخضر (ولا أعصي لك أمرا) أي لا أخالفك فيما تأمرني به (قال فإن اتبعتني) أي فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه من شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني عن شيء) أي مما أعمله مما تنكره ولا تعترض علي (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدئ بذكره فأبين لك شأنه ﷺ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء وروي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما لجج البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال) يعني موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) أي أتيت أمرا عظيما منكرا وروي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمري عسرا) والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي أمري (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) في القصة أنهما خرجا من البحر فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروي أنه أخذ رأسه فاقتلعه بيده وروي عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروي أنه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفسا زكية إلا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي أذنبت ثم تابت (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا فتجب عليها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أي منكرا قطعا وقيل النكر أعظم من الأمر لأنه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الإمر أعظم لأنه فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه (قال) يعني الخضر (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لأنه نقض العهد مرتين وقيل إن هذه اللفظة توكيد للتقريع

بالشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زاكية مكي ونافع وأبو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها أذنبت أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف مدني وأبو بكر ويعقوب والنكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) زاد لك هنا لأن النكير فيه أكثر

أكثر (قال إن سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه الكرة أو المسألة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أعذرت فيما بيني وبينك في الفراق ولدني بتخفيف النون مدني وأبو بكر (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) هي أنطاكية أو الأيلة وهي أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) استضافا (فأبوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزله وجعله ضيفه وقال عليه السلام كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي تبخل بالقرى (فوجدا فيها) في القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط

استعير الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فأقامه) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال بصري وبإظهارها مكي وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الذال في التاء غيرهم والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء (قال هذا فراق بيني وبينك) هذا إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) أي يأخذ كل سفينة صالحة لا معيبة غصبا فإن كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وإنما قدم للعناية (وأما الغلام) وكان اسمه الحيسور (فكان أبواه مؤمنين

هذا (قال) موسى (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قال ابن يوشع كان يقول موسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه فقال موسى إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني (قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث إنه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بالذال المعجمة أي حياء وإشفاق من الذم واللوم يقال أخذته منه ذمامة يعني استحياء وتذمم وهذه قول الخضر هذا فراق بيني وبينك ﷺ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني أنطاكية وقيل الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء وقيل هي برقة بالأندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها استعير النظر للمقابلة كما استعير للجدار الإرادة (فأقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه (قال) يعني موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) يعني على إصلاح الجدار جعلا والمعنى إنك قد علمت أنا جياع وأن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجرا (قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا (سأنبئك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل إن موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته وأن حال الفقير أشد من حال المسكين لأن الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون السفينة (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والأول أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبتها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها ﷺ قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) أي فعلمنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا (أن

(وآتيناه من كل شيء) أراد من اقتراضه مقاصده في ملكه (شيئا) طريقا موصلا اليه (فأتبع سببا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا ثم أتبع كوفي وشامي بالقطع وصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم [illegible] الكتاب أحد [illegible] من عين الحياة [illegible] يشرق ظلما والمغرب [illegible] (وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة شامي وكوفي غير حفص [illegible] أي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله أعلم قال (٢١) فانها تغرب في عين حمئة وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية

(وآتيناه من كل شيء) يحتاج اليه الخلق [illegible] على فتح المدن وقهر الاعداء (سببا) أي علما يتسبب به الى كل ما يريد [illegible] في أقطار الارض [illegible] أراد وصل الى أقطار الارض (فأتبع سببا) أي سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأة وهي الطين الاسود [illegible] أي [illegible] في رأي العين [illegible] رآه تغرب الشمس [illegible] قال [illegible] تغرب في ماء وطين [illegible] أي [illegible] رأى الشمس [illegible] المغرب [illegible] العمران [illegible] تغرب في وهدة مظلمة [illegible] يرى أن الشمس كأنها [illegible] (ووجد عندها قوما) أي عند العين [illegible] قال [illegible] ومن سل [illegible] امنوا الصالح [illegible] أهلها [illegible] الشمس [illegible] (قلنا يا ذا القرنين) [illegible] كان [illegible] قال انه لم يكن [illegible] قال المراد [illegible] الالهام ووحي [illegible] (اما أن تعذب) [illegible] الاسلام (واما أن تتخذ فيهم حسنا) [illegible] عليهم الهدى [illegible] (قال اما من ظلم) أي كفر (فسوف نعذبه) [illegible] (ثم يرد الى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي منكرا [illegible] (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) [illegible] الجنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) [illegible] (ثم أتبع سببا) أي سلك طريقا [illegible] (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) [illegible] كانوا في مكان [illegible] الشمس [illegible] فاذا طلعت الشمس [illegible] لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس [illegible] الى معايشهم [illegible] انهم كانوا اذا طلعت الشمس [illegible] في الماء فاذا [illegible] أحدهم احدى [illegible] الاخرى [illegible] يوم [illegible] (كذلك) أي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها [illegible] أن حكمه في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كحكمه في القوم الذين عند [illegible] وهو الاصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) [illegible] الجند والعدد [illegible] والآلات [illegible] والاستدلال به [illegible]

فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرؤها فقال كما قرأ أمير المؤمنين [illegible] الى كعب [illegible] الشمس تغرب فقال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما أولا [illegible] أن تكون العين [illegible] (ووجد عندها) عند العين (قوما) [illegible] انهم [illegible] لباسهم [illegible] وكانوا كفارا (قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا) ان كان [illegible] والا [illegible] أمره [illegible] كان نبيا [illegible] الرسل [illegible] على [illegible] المراد [illegible]

[illegible] وأوال [illegible] و [illegible] الحسنى الا [illegible] الى [illegible] (قال) ذو القرنين (أما من ظلم [illegible]) بالقتل (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) في [illegible] دعوته الى الاسلام فان [illegible] العظيم [illegible] (وأما من آمن وعمل صالحا) أي عمل [illegible] الاعمال (فله جزاء الحسنى) [illegible] الحسنى التي هي كلمة [illegible] (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي ذا يسر أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل [illegible] (ثم أتبع سببا) [illegible] (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها سترا) من

[illegible]

قوله عز وجل (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) هما جبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك وقيل إن الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه إليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أي أمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا يا ذا القرنين) فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت كلم عنهم مترجم ممن هو مجاور لهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الأخرس (إن يأجوج ومأجوج) أصلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها سموا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا أن يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له إني باعثك إلى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها هاويل والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأي قوة أكابدهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى إني سأطوقك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيهم إلا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك ثم مضى حتى انتهى إلى منسك [illegible] ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيهم كعمله فيما قبلها ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين أمة من [illegible] يفترسون الدواب والوحوش والسباع [illegible] الأرض [illegible] فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا [illegible] والإنس [illegible] أعلم علمهم [illegible] طول أحدهم [illegible] مثل نصف الرجل [illegible] تواري أجسادهم [illegible]

الذي تغرب عليهم الشمس كفرة مثلهم وحكمه فيهم مثل حكمه في أولئك [illegible] على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان [illegible] القرنين بينهما السد [illegible] وأبو عمرو وحفص السدين [illegible] وعلى بضمهما [illegible] ما كان من عمل الله فهو مفتوح [illegible] منصوب على أنه مفعول به لبلغ [illegible] بالإضافة في هذا [illegible] منقطع [illegible] من الطرف [illegible] أرض الترك مما يلي المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يكادون يفهمونه إلا بعد بطء [illegible] أي لا يفهمون الناس [illegible] (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج) [illegible] أعجميان لقبيلتين فمنع الصرف [illegible] يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم

٢ قوله [illegible]

(مفسدون في الأرض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر (فهل نجعل لك خرجاً) خراجاً وجعلاً أي جعلاً نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني) بالإدغام وبفكه مكنني (فيه ربي خير) أي ما جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه (فأعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء (٢١٢) والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردماً) حاجزاً حصيناً موثقاً والردم أكبر من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ (حتى إذا ساوى بين الصدفين) بفتحتين جانبي الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان الصدفين مكي وبصري والصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أي قال ذو القرنين للعملة انفخوا في الحديد (حتى إذا جعله) أي المنفوخ فيه وهو الحديد (ناراً) كالنار (قال آتوني) أعطوني (أفرغ) أصب (عليه قطراً) نحاساً مذاباً لأنه يقطر وهو منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه قال آتوني بوصل الألف حمزة ... إذا ... كسر ... (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريب المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعلوا السد (وما استطاعوا له نقباً) أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده ... (فإذا جاء وعد ربي) فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي (جعله) أي السد (دكاً) أي مدكوكاً مبسوطاً مسوًّى بالأرض ... (وكان وعد ربي حقاً) آخر قول ذي القرنين ...

من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى ما بين السدين فقاس ما بينهما وحفر له الأساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج (مفسدون في الأرض) قيل فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديداً وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه أنهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجاً) أي جعلاً وأجراً من الأموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) أي حاجزاً فلا يصلون إلينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكني فيه ربي خير) أي ما قواني عليه ربي خير من جعلكم (فأعينوني بقوة) يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردماً) أي سداً قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتوني) أي أعطوني وقيل جيئوني (زبر الحديد) أي قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعني في النار (حتى إذا جعله ناراً) أي صار ناراً (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطراً) أي نحاساً مذاباً فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل إن السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل إن عرضه خمسون ذراعاً وارتفاعه مائتا ذراع وطوله فرسخ واعلم أن هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لأن الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما اسطاعوا أن يظهروه) أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقباً) أي من أسفله لشدته وصلابته (قال) يعني ذو القرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فإذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أي أرضاً ملساء مدكوكاً مستوياً مع الأرض (وكان وعد ربي حقاً) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين وفي رواية وعقد بيده تسعين وهي من موضوعات الحساب وهو أن يجعل رأس أصبعه السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا تبين إنها الإحاطة ... عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر منهم الناس وفي رواية فيحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع فيها كهيئة الدماء فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسوة وعلواً فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيهلكون والذي نفس محمد بيده إن

(وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى عليهم نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أي جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تأكيد

دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي وقوله فتسمن وتشكر أي غلظة وسمانة وتكثر الألبان وقد يكون في ألبان الإبل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا إذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى أنها تمتلئ أجسادها لحما وسمنا (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴿قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط إنسهم بجنهم حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاوة وستر (عن ذكري) أي عن الإيمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع القبول للإيمان والقرآن لغلبة الشقاوة عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له ﴿قوله تعالى (أفحسب) أي أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني أربابا يريد عيسى والملائكة كلا بل هم لهم أعداء يتبرؤون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله وقيل أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم وقيل معناه أفظنوا أنه ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (إنا أعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف ﴿قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) يعني الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا [illegible] تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لأنهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن صاروا كافرين بهذه الأشياء (فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا نقيم لهم ميزانا لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدري بهم وليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) أي الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي هزؤا بهما ﴿قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس في الجنان

(وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي أفظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم [illegible] (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) هو ما يقام للنزيل [illegible] (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) [illegible] والمراد [illegible] الأهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [illegible] (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) [illegible] (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا)

... (لا يبغون عنها حولا) تحولا ... أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه أو المراد نفي التحول وتأكيد الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (مدادا لكلمات ربي) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أي لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله) بمثل البحر (مددا) لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز نحو قولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفد حبر وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على ... (فليعمل عملا صالحا) ... ولا يعطى ثابته غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحى منه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) نهي عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه ... حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ... *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالأشجار التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبشة وقيل بالعربية نزلا هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى ﴿ قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما يستمد منه الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب والخلائق يكتبون (لنفد البحر) أي لنفد ماؤه (قبل أن تنفد كلمات ربي) أي علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة ﴿ قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقول أنا آدمي مثلكم إلا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) لا شريك له في ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير إليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير إليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما أن يراد به الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملا مراءاة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أي أسمعه المكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ولغير مسلم فأنا منه بريء هو للذي عمله عن أبي سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن محمود بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة مريم عليها السلام)

هي مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانمائة كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) قال السدي هو اسم الله الأعظم وقيل هو اسم السورة وقرأ علي وحفص بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمة ربك) خبر مبتدأ أي هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة (زكريا) بالقصر حمزة وعلي وحفص بدل من عبده (إذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنه كان ابن سبعين وستين أو ثمانين سنة (قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصارا (إني وهن العظم مني) ضعف وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنس وقصد إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أي فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار إذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا ألا ترى أن أصل الكلام يا رب قد شخت إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن (٢١٥) التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه

وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني وأقوى منه إني وهنت عظام بدني وأقوى منه إني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريقي الإجمال والتفصيل وأقوى منه إني وهنت العظام مني ففيه ترك توسط البدن وأقوى منه إني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيبا الإسناد الإسناد إلى الرأس لإفادة

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل اسم السورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده (ذكر) أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (إذ نادى) أي دعا (ربه) في المحراب (نداء خفيا) أي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في إخفاء دعائه لأن الجهر والإسرار عند الله تعالى سيان لكن الإخفاء أولى لأنه أبعد عن الرياء وأدخل في الإخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب إني وهن) أي رق وضعف (العظم مني) أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الأضراس (واشتعل الرأس) أي ابيض الشعر (شيبا) أي شمطا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان (وإني خفت الموالي من ورائي) أي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتي عاقرا) أي لا تلد (فهب لي من لدنك وليا) أي أعطني من عندك ولدا مرضيا (يرثني ويرث من آل يعقوب) أي يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والملك وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لأن زكريا كان رأس الأحبار والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأن الأنبياء لم يورثوا المال وإنما ورثوا العلم وبعيد من زكريا وهو من الأنبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه وإنما خاف أن يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضيا) أي برا تقيا مرضيا قوله تعالى

قول الاشتعال إلى الرأس إذ لو قال اشتعل شيب رأسي واشتعل الرأس شيبا لأن إسناد الاشتعال إلى الرأس يفيد شمول الشيب لجميع الرأس وترك الإضافة للإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيبا لما مر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا لإشعاره بعلم المخاطب أنه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعائك) مصدر مضاف إلى المفعول أي بدعائي إياك (رب شقيا) أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها توسل إليه بما سلف منه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت إليه وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته (وإني خفت الموالي) هم عصبته إخوته وبنو عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به في إحياء الدين (من ورائي) بعد موتي وبالقصر وفتح الياء كهداي مكي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي (وكانت امرأتي عاقرا) عقيما لا تلد (فهب لي من لدنك) اختراعا منك بلا سبب لأني وامرأتي لا نصلح للولادة (وليا) ابنا يلي أمرك بعدي (يرثني ويرث من آل يعقوب) بالرفع صفة أي هب لي ولدا وارثا مني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة أنه يصلح لأن يوحى إليه ولم يرد أن نفس النبوة تورث وبجزمهما أبو عمرو وعلي على أنه جواب الدعاء قال ... (من آل يعقوب) ... (واجعله رب رضيا) مرضيا ترضاه أو راضيا بقضائك وحكمك

فلبى الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) تولى الله تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف والتشديد (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد يحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا [illegible] (قال رب انى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا استبعادا بل هو استكشاف انه أي طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته على تلك الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أي [illegible] وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية [illegible] وعلى وحفص الا بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك)

(يا زكريا) المعنى فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا (انا نبشرك بغلام) أي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أي لم يسم أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبيها [illegible] لانه لم يعص الله ولم يهم [illegible] قال ابن عباس لم [illegible] ولدا [illegible] ولم يرد الله تعالى بذلك [illegible] الفضائل كلها [illegible] أراد [illegible] والحكم كان قبله [illegible] (قال رب انى يكون لى) أي من أين يكون لى (غلام وكانت امرأتي عاقرا) أي [illegible] (وقد بلغت من الكبر عتيا) [illegible] يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظام [illegible] (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي يسير (وقد خلقتك من قبل) أي من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) اى دلالة على حمل امرأتي (قال آيتك) أي علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي صحيحا [illegible] ولا خرس وقيل ثلاث ليال [illegible] الاول [illegible] لم يقدر ان يتكلم مع الناس [illegible] ذكر الله [illegible] قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) أي من الموضع الذي كان يصلى فيه [illegible] كان الناس من وراء المحراب [illegible] [illegible] زكريا [illegible] (فأوحى) أي أومأ وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم في الارض (ان سبحوا) أي صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا [illegible] فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم وأمرهم بالصلاة اشارة [illegible] قوله عز وجل (يا يحيى) [illegible] وقد أتاه الله يحيى (خذ الكتاب) أي التوراة (بقوة) أي بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعني النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله [illegible] وقيل الحكم [illegible] [illegible] الحكم [illegible] فهو ممن أوتى الحكم (وحنانا من لدنا) أي رحمة من عندنا قال الحطيئة [illegible] رضى الله تعالى عنه

[illegible] * [illegible]

أي [illegible] (وزكاة) قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح [illegible] (وكان تقيا) أي مسلما [illegible] (وبرا بوالديه) أي بارا بهما [illegible] الله تعالى [illegible] (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر [illegible] وهو من [illegible] (عصيا) [illegible] هو أبلغ من العاصى [illegible]

اولصب [illegible] وذلك اشارة
الى انهم يفسره (هو على
هين) أي خلق يحيى [illegible]
[illegible] (وقد خلقتك
من قبل) أوجدتك من
[illegible] (ولم تك شيئا) لان المعدوم
[illegible] (قال رب
اجعل لى آية) علامة أعرف
بها حمل امرأتي (قال
آيتك ان لا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا) [illegible]
[illegible] كلام أى [illegible]
[illegible] الاعضاء [illegible]
[illegible]
الكلام [illegible]
سليم الجوارح [illegible]
ولا [illegible]
[illegible]
[illegible] الكلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(فخرج على قومه من
المحراب) [illegible]

[illegible] (فأوحى اليهم) أشار [illegible] (أن سبحوا) (وسلام)

[illegible] صلاة الفجر والعصر (يا يحيى) أي [illegible] وأوان الخطاب اليحيى (خذ

[illegible] (وآتيناه الحكم) [illegible] (صبيا)

[illegible]

[illegible] (ولم يكن جبارا) [illegible]

(وسلام عليه) أمان من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتان القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الأكبر قال ابن [illegible] انه أوحش المواطن (واذكر) يا محمد (في الكتاب) القرآن (مريم) أي خبرها [illegible]
[illegible] عليها (إذ) بدل من مريم بدل اشتمال [illegible]
[illegible] (انتبذت من أهلها) أي اعتزلت (مكانا) شرقيا [illegible]
[illegible] (فاتخذت من دونهم حجابا) [illegible] من أهلها [illegible] (فأرسلنا إليها روحنا) جبريل عليه السلام [illegible] (٢١٧) [illegible] (فتمثل لها بشرا) أي [illegible]

(وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه أمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان [illegible] سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لأنه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لأنه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لأنه يرى [illegible] فأكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن كلها [illegible] بالسلامة فيها [illegible] قوله عز وجل (واذكر في الكتاب) أي في القرآن (مريم إذ انتبذت) أي تنحت واعتزلت (من أهلها) أي من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم [illegible] على رأسها [illegible] أن مريم كانت قد طهرت من الحيض [illegible] لهذا المعنى [illegible] (فاتخذت من دونهم حجابا) قال ابن عباس أي سترا [illegible] وقيل إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد [illegible] من الحيض [illegible] في صورة شاب أمرد [illegible] الوجه [illegible] الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أي سوي الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية [illegible] في صورة الإنسان لتأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت [illegible] ولم تقدر على استماع كلامه [illegible] الروح [illegible] في صورة [illegible] القول الأول أصح [illegible] جبريل عليه السلام [illegible] (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) [illegible]
[illegible]
(قال) [illegible] (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) [illegible] (قالت) مريم (أنى يكون لي) [illegible] (غلام ولم يمسسني بشر) [illegible] (ولم أك بغيا) [illegible] (قال كذلك قال ربك هو علي هين) [illegible] (ولنجعله آية للناس) [illegible] (ورحمة منا) [illegible] (وكان أمرا مقضيا) [illegible]

جبريل في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر (سويا) مستوي الخلق وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي [illegible] جبريل عليه السلام [illegible] (إنما أنا رسول ربك) [illegible] (لأهب لك) [illegible] (غلاما زكيا) [illegible] (قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) [illegible] (ولم أك بغيا) [illegible]

[illegible] (قال) [illegible] (كذلك) أي [illegible] (ولنجعله آية للناس) [illegible] (ورحمة منا) [illegible] (وكان) [illegible] (أمرا مقضيا) [illegible]

موضع الحال من امرءة الى رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل مدة أشهر وقيل ثمانية وقيل ستة أشهر

موفودومع لما است الاعتسي وقيل حملته في ساعة ووضعته في ساعة (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت

من قومها مخافة اللائمة (فأجاءها) جاء بها واضطرها ألجأها وهو منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول

جئت المكان وأجاءنيه زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكانت نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف مشعر بانها كانت

نخلة معروفة ويجوز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء أي طعامها (قالت) جزعا مما أصابها (٢١٨) (يا ليتني مت قبل هذا) اليوم مت بكسر الميم عن نافع وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات

(مكانا قصيا) اي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بالولادة من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدته لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد اجتهادا وعبادة منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فتحير في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وطهارتها وانها لم تغب عنه واذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال انه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرأيت أن الكلام به أشفى لصدري فقالت قل قولا جميلا قال أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تعلم أن الله أنبت الشجر بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها ان اخرجي من أرض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى أرض مصر فلما بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فذلك قوله تعالى (فأجاءها المخاض) أي ألجأها وجاء بها وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة البرد لم يكن لها سعف وقيل ألجأها اليها لتستتر بها وتعتمد عليها عند الطلق ووجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعني شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف وقيل معناه ما ذكر ولا أنجبت الحمل (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) اي نهرا قال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى عليه السلام وقيل جبريل عليه السلام برجله في الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي جعله أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أي عيسى وكان عبدا سريا رفيعا (وهزي اليك) أي حركي اليك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجني الذي بلغ الغاية وجاء أوان جنيه قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من

(وكنت نسيا منسيا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر ثم اوتيت بفتح النون وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو ما من شأنه أن يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) أي الذي تحتها فيه فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان تحتها في الأكمة وعيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها من أجل قراءة كوفي سوى أبي بكر الفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء في تحتها للنخلة والأولى أن يكون الضمير لعيسى لانه ليكون كلامه معها دليلا على براءتها (ألا تحزني) لان هي مفسرة أي لا تحزني لفقد الطعام والشراب وعدم الطعام والناس وانفردي (قد جعل ربك تحتك سريا) نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن ...

قوله عيسى عليه السلام روي أن خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمي الجدول السري فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله والرطب

فاني ولد ابن عباس ... الامر مثل ... الأرض ... الماء ...

وقوله (وهزي) حرك (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة اي هزي جذع النخلة

(تساقط) ... أبو عمرو ... أبو بكر ... تساقط

اللهم يا وقالوا التمر للنفساء عادتهن ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلي) من الجني (واشربي) من السري (وقري عينا) بالولد الرضي وعسى تعبيرا عن طيب نفسها وارضي عنا ما أحزنك (فاما) [illegible] الشرطية [illegible]

(ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما) أي فان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولي اني نذرت للرحمن صمتا [illegible]

الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب [illegible]

وكان صيامهم فيه الصمت فكان

الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلي واشربي) أي يا مريم كلي من الرطب واشربي من النهر (وقري عينا) أي طيبي نفسا [illegible] بولدك عيسى قال أهل اللغة [illegible] أي صادف فؤادك ما يرضيك [illegible] عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر أحدا) فيسألك عن ولدك (فقولي اني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا وقيل كان في بني اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لأمرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى في ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الأفضل أولى [illegible] كراهة مجادلة السفهاء وفيه أن السكوت عن السفيه واجب (فلن أكلم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ﴿ قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) وذلك انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته في الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار ذهب بمريم وابنها عيسى الى غار [illegible] أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أي عظيما منكرا وقيل معناه جئت بأمر عجيب بديع (يا أخت هرون) أي يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا في بني اسرائيل [illegible] في عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألوني فقالوا انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخاها من أبيها وقيل كان من أمثل رجل في بني اسرائيل [illegible] وقيل كان هرون في بني اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) [illegible] (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت اليه) أي أشارت مريم الى عيسى أن كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون هو المتكلم [illegible] القوم وقالوا [illegible] (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) [illegible] المهد وقيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع [illegible] وأقبل عليهم بوجهه [illegible] (قال اني عبد الله) [illegible] الطعن في اليهود فقال لعيسى [illegible] وقيل لم يتكلم [illegible] وقيل لم يقم [illegible] عبد الله [illegible] الذي [illegible] في ذلك الوقت [illegible] على [illegible] أولا [illegible] عبد الله [illegible] المعجزة [illegible]

البراءة البراءة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا وانما أمرت بأن تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا أطلق عنانه على الاعراض [illegible] [illegible] قد يسمى الاشارة كلاما [illegible] [illegible] (فأتت به قومها تحمله) [illegible] (قالوا يا مريم) [illegible] (لقد جئت شيئا فريا) [illegible] (يا أخت هرون) وكان [illegible]

موسى عليه السلام [illegible] (ما كان أبوك) [illegible] (امرأ سوء) [illegible] (فأشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم [illegible] (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) [illegible] (قال اني عبد الله) [illegible]

وتمهيد لقول النصارى (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا) روي عن الحسن انه كان في المهد نبيا وكلامه معجزة وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير (وأوصاني) وأمرني (بالصلاة والزكاة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن فعمل وأوصاني بأمر آمركم بالصلاة والزكاة (ما دمت حيا) نصب على الظرف أي مدة حياتي (وبرا بوالدتي) عطفا على مباركا أي بارا بها أكرمها وأعظمها (ولم يجعلني جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام علي يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو علي (ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أي ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي ان كان حرف التعريف للعهد (٣٣) وان كان للجنس فالمعنى وجنس السلام علي وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لانه

وتعالى فكان الامر كما قال بذلك أولى (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) قيل معناه سيجعلني نبيا ويؤتيني الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) معناه نفاعا [illegible] وقيل معلما للخير أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعني (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بهما وكلفني فعلهما فان قلت لم يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل المراد أوصاه بأدائهما في الوقت المعين لهم وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر في سياق قوله (ما دمت حيا) فانه يدل على ان هذا التكليف متوجه اليه في زمان حياته حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الى الارض بعد رفعه (وبرا بوالدتي) أي وجعلني برا بوالدتي (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي عاصيا لربه متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروي انه قال لي قلبي لين وأنا صغير في نفسي قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب (والسلام علي يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) أي من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أي ذلك الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) أي هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذي فيه يمترون) أي يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول هو الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك (سبحانه اذا قضى أمرا) أي اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أي لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي أراد (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني وان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أخبركم به ان الله أمرني به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث

اذا قال وجنس السلام علي فقد عرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مظنة لهذا التعريض (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبر (ابن مريم) نعته او خبر ثان أي ذلك الذي قال اني عبد الله كذا وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله او ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة أب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او بدل من عيسى ونصبه ابن عامر وعاصم على المدح او الحال أي اقول قول الحق هو ابن مريم وليس بابن له كما يدعونه (الذي فيه يمترون) يشكون من المرية الشك او يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى

ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغي له (أن يتخذ من ولد) جيء بمن لتأكيد النفي (سبحانه) نزه نفسه عن اتخاذ الولد (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب شامي أي كما قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزها أن يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعني كما أنا عبده فانتم عبيد علي وعليكم ان تعبدوه ومن فتح عطف على بالصلاة أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم أو علقه بما بعده أي ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه (هذا) الذي ذكرت (صراط مستقيم) فاتبعوه ولا تشركوا به (فاختلف الاحزاب) الحزب الفرقة المفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية [illegible] (من بينهم) [illegible] ان النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على [illegible] [illegible] الارض [illegible]
[illegible] الله [illegible]

(فويل للذين كفروا) من الأحزاب إذ هم اختلفوا فيه (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة ما شهدوا به في عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن أسماعهم وأبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا

فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد أي سيسمعون ويبصرون ما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) أي يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعني أنهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ﴿قوله تعالى﴾ (وأنذرهم يوم الحسرة) يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لأن المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد في الإحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يموت إلا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لا يكون نزع أي نزع عن المساوي الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي مناد يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده إلى الدنيا زاد الترمذي فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار قوله كبش أملح الأملح المختلط بالبياض والسواد وقوله فيشرئبون بالشين المعجمة أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي إذا تطلع ناظرا إليه وكذلك كل رافع رأسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثالا لأن الموت لا يطرأ على أهل الجنة وكذلك حال أهل النار بعد الاستقرار فيها (خ) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري ﴿وقوله تعالى﴾ (إذ قضي الأمر) أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما يراد بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نميت سكان الأرض ويبقى الرب سبحانه وتعالى وحده فنرثهم (وإلينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم ﴿قوله عز وجل﴾ (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) أي كثير الصدق وهو المبالغة في كونه صادقا وقيل الصديق الكثير الصدق وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق والنبي

قال قتادة إن عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كأكرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) أقيم الظاهر مقام المضمر أي لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر هو اعتقادهم عيسى إلها مع ظهور آثار الحدث فيه إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم (وأنذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة ... على ما فات ... (إذ قضي الأمر) فرغ من الحساب ... (وهم في غفلة) ... (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون

به وهم في حالان أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي ... عند ... الهالك والله الموفق ... (وإلينا يرجعون) بضم الياء وفتح الجيم ... أي يردون ... (واذكر) لقومك (في الكتاب) القرآن (إبراهيم) قصة (إنه كان صديقا نبيا) ... الصديق ... في الأحوال فالصديق ... والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله ... كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا ... إبراهيم ... وهو

(وسولا) اياه وقيل بمعنى الكتاب ان يتلوه الله على الناس ويبلغها اياهم [illegible] عليهم [illegible]

(لابيه يا أبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك (ولا يغني عنك شيئا) يحتمل أن يكون شيئا في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء وأن يكون مفعولا به من قولك أغن عني وجهك أي بعد (يا أبت اني قد جاءني من العلم) الوحي أو معرفة الرب (ما لم يأتك) ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني أهدك) أرشدك (صراطا سويا) مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا (يا أبت اني أخاف) قيل أعلم (أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في (٢٢٦) النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث

أوحى الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظا لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالغي المبين فكيف من يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيئات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضي له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شيئا من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فهب أني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجر اليه مع ذلك من مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال اني أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدر كل نصيحة بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا واستشعارا

رة بالصديق من رتبة الانبياء الى أفضل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة من ارسال الله اياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لابيه) يعني آزر وهو يعبد الاصنام (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) يعني صوتا (ولا يبصر) ولا يبصر شيئا (ولا يغني عنك) أي لا يكفيك (شيئا) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الالهية وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (يا أبت اني قد جاءني من العلم) يعني بالله والمعرفة (ما لم يأتك فاتبعني) أي على ديني (أهدك صراطا سويا) أي مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) اي عاصيا (يا أبت اني أخاف) أي أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائز في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف (أن يمسك) أي يصيبك (عذاب من الرحمن) أي ان اقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) اي قرينا في النار وقيل صديقا في النار واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامور احدها السعة تعلق قلبه بصلاح أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبي الهادي الى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب اولى (قال) يعني أباه مجيبا له (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) أي اتاركها انت وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أي ترجع وتسكت عن عيب آلهتنا وشتمك اياها (لارجمنك) قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرني) اي احذرني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا تصيبك مني معرة (مليا) أي دهرا طويلا (قال) يعني ابراهيم (سلام عليك) أي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربي)

قيل وتسمية ثمرته فرحا ...

ثم أجابه بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ الا أنه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لارجمنك) لاقتلنك بالرجم أو لاضربنك بالحجارة او لارجمنك بالشتم ... (واهجرني) عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك أي فاحذرني واهجرني (مليا) ظرف اي زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) سأسأل الله أن يوفقك للتوبة ... أهل المغفرة بان
[illegible] لانه

(إنه كان بي حفيا) ملطفاً بعموم النعم أو رحيماً أو مكرماً والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام (وما تدعون من دون الله) أي ما تعبدون من أصنامكم (وأدعو) وأعبد (ربي) ثم قال تواضعاً وهضماً للنفس ومعرضاً بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له إسحق) ولداً (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولاداً مؤمنين أنبياء (ووهبنا لهم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق) ثناء حسناً وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعاً مشهوراً (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصاً بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص عند الله من الشقاوة بأصل الفطرة ومخلص فيما ناط به من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الأيمن) من اليمين أي من ناحيته اليمنى والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين له والمعنى أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام (وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجياً كليماً كلمه بغير واسطة (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهرون كان أكبر سناً منه (واذكر في الكتاب إسمعيل) هو ابن إبراهيم في الأصح (إنه كان صادق الوعد) وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى ولم يعد ربه موعداً إلا أنجزه وإنما خصه بصدق الوعد وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء تشريفاً له وكأنه المشهور من خصاله (وكان رسولا) إلى جرهم (نبيا) مخبراً منذراً (وكان يأمر أهله) أمته لأن النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على أنه لم يداهن غيره (بالصلوة والزكوة) خص هاتين العبادتين لأنهما أما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا)

قيل إنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل الله لك توبة تنال بها المغفرة (إنه كان بي حفيا) أي براً لطيفاً والمراد أنه يستجيب لي إذا دعوته لأنه عودني الإجابة لدعائي (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك أنه فارقهم وهاجر إلى الأرض المقدسة (وأدعو ربي) أي أعبد ربي الذي خلقني وأنعم علي (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي أرجو أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام وفيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم ﴿قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجراً (وهبنا له) أي بعد الهجرة (إسحق ويعقوب) أي آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد أكرم على الله منهم (وكلا جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعني ثناء حسناً رفيعاً في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الأديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم ﴿قوله عز وجل (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختاراً اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الأيمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال إن اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي يا موسى إني أنا الله رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب أسمعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الأقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجياً (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك أن موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي فأجاب الله دعوته وأرسل إلى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى ﴿قوله عز وجل (واذكر في الكتاب إسمعيل) هو إسمعيل بن إبراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (إنه كان صادق الوعد) قيل إنه لم يعد شيئاً إلا وفى به وقيل إنه وعد رجلاً أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف إسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل وقيل إنه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف قيل سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاداً إلى أي وقت ينتظر فقال إن وعده نهاراً فكل النهار وإن وعده ليلاً فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال إن وعده في وقت صلاة ينتظر إلى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) إلى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم إسمعيل بوادي مكة حين خلفهما إبراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي مخبراً عن الله تعالى (وكان يأمر أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا قيل كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عند ربه مرضيا) أي قائماً لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز

في كل طاعة أعلى الدرجات ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذكر في الكتاب إدريس) هو جد أبي نوح واسمه أخنوخ سمي إدريس لكثرة دراسته الكتب وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبله يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم الحساب (إنه كان صديقاً نبياً) وذلك أن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكاناً علياً) قيل هي الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا وقيل إنه رفع إلى السماء وهو الأصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع إدريس إلى السماء الرابعة على ما قاله كعب الأحبار وغيره أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إني مشيت يوماً فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته فقال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فأذن له حتى أتى إدريس فكان مما سأله أن قال إني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي لعلي أزداد شكراً وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس قال إني أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً وقال وهب كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى الطعام فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال لي إليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون أشد استعداداً له ثم قال له إدريس لي إليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما هي قال أريد أن تسأل مالكاً حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل قال فكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك ما لك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكاناً علياً واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالأول وقال قوم هو حي واستدل بما ذكر وقالوا أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس واثنان في السماء وهما إدريس وعيسى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني إدريس ونوحاً (وممن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) يعني إسحق وإسمعيل ويعقوب (وإسرائيل) أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم رتب الله تعالى أحوال الأنبياء الذين

الناس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لأنه لو كان إفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة (إنه كان صديقاً نبياً) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكاناً علياً) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وذلك أنه حبب إليه الموت بعد ما أذيق الموت وتوقف عن الخروج فقال ملك الموت ... ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل بإذني دخل وما ... (أولئك) إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان مثل التي بعدها (من ذرية آدم) ...

... ابن نوح (وممن حملنا مع نوح) إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه ولد سام بن نوح ... ذكرهم ... (وإسرائيل) ... ومن ذرية إسرائيل ... موسى وهرون وزكريا ويحيى

وصيّ لابن عمّ من ذرية (وممن) عطف على الملك عطف من الأولى والثانية (هدينا) لمنهاج الإسلام (واجتبينا) من الأنام أو للشرح الشريعة وكشف الحقيقة (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أي إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف إن جعلت الذين خبرًا لأولئك وإن جعلته صفة له كان خبرًا يتلى بالتاء لتأنيث الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي (خرّوا سجدًا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيًا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي الأعلى ثلاثًا (فخلف من بعدهم) فعقب من بعد هؤلاء المصلين (خلف) أولاد سوء وبسكون اللام

العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود

ذكرهم على هذا الترتيب منبهًا بذلك على أنهم كما شرفوا بالآباء وفوا شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (وممن هدينا واجتبينا) أي هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا إلى الإسلام واجتبينا على الأنام (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدًا) جمع ساجد (وبكيًا) جمع باك أخبر الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعًا وخشوعًا وخوفًا وحذرًا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وفيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

(فصل) وهذه سجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة فإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وإن سجد سجدة ألم تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك ۞ قوله تعالى (فخلف من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن تبعهم وقيل هم في هذه الأمة (أضاعوا الصلوة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى يأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة (فسوف يلقون غيًّا) قال ابن عباس الغي واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعده الله للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحًا ودمًا وقيل هو واد في جهنم أبعدها قعرًا وأشدها حرًا فيه بئر يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتسعر بها جهنم وقيل معنى غيًّا خسرانًا وقيل هلاكًا وعذابًا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ۞ قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا) يعني إلا من تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحًا بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا) أي لا ينقصون شيئًا من ثواب أعمالهم ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساتين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فإنها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي إنهم لا يرونها وهي غائبة عنهم فهم غائبون عنها (إنه كان وعده مأتيًا) أي آتيًا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيًا أي يأتيه أولياؤه وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوًا) أي باطلًا وفحشًا وهو فضول الكلام (إلا سلامًا) يعني لكن يسمعون قولًا يسلمون منه والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة وذلك أن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم إنما يسمعون ما يسلمهم وقيل هو تسليم

(أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) كلذات الفسوق وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الأمة (فسوف يلقون غيًّا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (إلا من تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحًا) بعد إيمانه (فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (ولا يظلمون شيئًا) أي لا ينقصون شيئًا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون البتة شيئًا من الظلم (جنات) بدل من الجنة لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح (عدن)

معرفة لأنها علم لمعنى العدن وهو الإقامة وعلم لأرض الجنة لكونها مقام إقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (إنه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأتيًا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوًا) فحشًا وكذبًا أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها (إلا سلامًا) أي لكن يسمعون

[illegible]

عباده الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثم لأنهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عنده صباحا ومساء تريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا لأن الكفر موت حكما (من كان تقيا) عن الشرك * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما نتنزل الا بأمر ربك) والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول

أليق هنا يعني أن نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قدامنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان الى مكان الا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته الا اذا أذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرف انه من صفته هذه الصفات (فاعبده) فاثبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكابدة الحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لأجل عبادة الخلاق أي لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شبيها ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أي اذا صح

بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى تعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به بالبكرة والعشي فوصف الله تعالى الجنة بذلك * وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده * قوله عز وجل (وما نتنزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل واني كنت أشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى * وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أي كذلك قوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الأوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أي ناسيا أي ما نسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لأنه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لأنه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) أي اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله * قوله تعالى (ويقول الانسان) أي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين ينكرون البعث وقيل هو أبي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا بالبعث قال الله تعالى (أولا يذكر الانسان) أي يتذكر ويتفكر يعني

أن لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها أي من حلف عليها وقال [illegible] أأبعث بعدما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث أي اذا ما مت أبعث لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا يقال اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وأكد [illegible] خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا كأنه قال أحقا انا سنخرج من القبور أحياء حين تمكن فينا الموت والهلاك على وجه الانكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت [illegible] كارهم (أولا يذكر الانسان) عطف على يقول ووسط همزة الانكار [illegible] الدال

[illegible]

[illegible]

الشيء بالجواهر والاعراض من العدم الى الوجود وأما الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (أنا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه (ولم يك شيئا) بل كان عدما صرفا وفيه دليل على صحة القياس حيث أنكر عليه وهو دال على أن المعدوم ليس بشيء خلافا للمعتزلة (فوربك لنحشرنهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أي نحشرهم ونجمع قرناءهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشأن رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أي باركين على الركب وزنه فعول لأن أصله جثوو كسجود وساجد اي يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم (ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو فجورا أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب بتقديم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم (٢٢٧) لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه

منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى أولا ينكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليها اذ لا شك أن الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا ﴿ ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناولات للمناقضين العاق يجثون على ركبهم لما في ذلك من القلق أو لما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) أي لنخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جراءة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى انه يقدم في ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ولا يقال أولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار ﴿ قوله عز وجل (وان منكم الا واردها) أي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها يدل عليه ما روي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع أما والله أنت ستردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك قال ويدخل المؤمنون النار من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور ولأن الله تعالى أخبر عنهم

أيهم مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جيء به لاعرب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما أن حذف المضاف اليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبر وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد

عتيا وعلى يتعلق بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز أي دخولا والباء تتعلق بأولى (وان منكم) أحد (الا واردها) داخلها والمراد بالنار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمنين جز يا مؤمن فان نورك أطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم ويحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون واحتج به من قال ان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقادع أهل النار وعن مجاهد ورودها المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال

انهم لا يحزنهم الفزع الأكبر فإن قلت كيف يندفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل أن الله تعالى
يخمد النار فيعبرها المؤمنون ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة
والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام
وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فإن قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار
قلت فيه وجوه أحدها أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه وثانيها أن فيه مزيد غم على أهل
النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على
الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل
النار مؤمن أبداً لقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى
هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور
وقال عكرمة الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود أنه قال وإن منكم
إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إلى النار والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فإنهم جميعاً يدخلون النار
ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما
تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من
المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم أخرجه في الصحيحين أراد
بالقسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها (م) عن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى
يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن منكم إلا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال
لهم إنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي
وروي عن مجاهد في قوله تعالى وإن منكم إلا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير
من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم
فأبردوها بالماء قوله فيح جهنم أي وهجها وحرها ﴿وقوله تعالى (كان على ربك حتماً مقضياً) أي كان
ورودهم قضاء لازماً قضاه الله تعالى عليكم وأوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها
جثيا) أي جميعاً وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة
والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله تعالى بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق
لا يكون متقياً فبقي في النار أبداً وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا إله إلا الله ويشهد لصحة
ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح أن يقال إنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه
متق لأن المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة
متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي
توهموها دليلاً لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث المعقول أما من حيث النقل فقد وردت
أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه
وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان (ق)
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في القمر
ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول
الله قال فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئاً فليتبعه فمنهم من يتبع
الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول

فهم الفعل وهم الداخل
(كان على ربك حتماً
مقضياً) أي كان ورودهم
واجباً كائناً محتوماً والحتم
مصدر حتم الأمر إذا أوجبه
فسمي به الموجب كقولهم
ضرب الأمير (ثم ننجي) وعلي
بالتخفيف (الذين اتقوا)
عن الشرك وهم المؤمنون
(ونذر الظالمين فيها جثيا)
فيه دليل على دخول الكل
لأنه قال ونذر ولم يقل وندخل
والمذهب أن صاحب
الكبيرة يعاقب بقدر ذنبه
ثم ينجو ولا يخلد وقالت
المرجئة الخبيثة لا يعاقب
لأن المعصية لا تضر مع
الإسلام عندهم وقالت
المعتزلة إنه

أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت
ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ
إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان
قالوا نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من
يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا
من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود
فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من
القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول
يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت إن أفعل ذلك بك أن
تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به
على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول
الله أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك
فيقول فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد
وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن
يسكت فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت
العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم
يأذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه
حتى إذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة وعشرة أمثاله قال
أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى
عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها
فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي
يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ‹شرح غريب ألفاظ الحديث› والكلام على
الرؤية تقدم في تفسير سورة ن والقلم فكلام هنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك
السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعي الإبل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقه
الذنب أي أهلكه والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع
في النار قوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في
حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزور وجمعها حبب وقيل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني
ريحها أي آذاني والقشب السم فكأنه قال قد سمني ريحها وأحرقني ذكاؤها أي لهبها واشتعالها قوله
رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني
لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب
فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب
فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب
فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بي وأنت الملك
فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله
حتى بدت نواجذه أي أضراسه وقيل هي آخر الأسنان (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب
الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة

الأولى وجعلوه وحسبا (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا أفخر ثيابهم (للذين آمنوا) للفقراء ورؤسهم خشنة (أي الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكي وهو موضع الإقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثاثا) هو متاع البيت أو ما جدد من الفرش (ورئيا) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام أو من الري الذي هو النعمة (قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أي من كفر مده الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وإنما أخرج على (٢٣) لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لقطع معاذير الضلال

(حتى إذا رأوا ما يوعدون) هي متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أي لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين (إما العذاب) في الدنيا وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر (وإما الساعة) أي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فهما بدلان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وأنصارا أي فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز أن تتصل بما يليها

الفتح والسائلة كل ما جاءه السيل فدلت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والأحاديث أن الله تعالى أخرج منها المؤمنين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون ﴿ قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أخير ثيابهم (أي الفريقين خير مقاما) أي منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة (وأحسن نديا) أي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) أي متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورئيا) أي منظرا من الرؤية (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) أي الأسر والقتل في الدنيا (وإما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أي عند ذلك (من هو شر مكانا) أي منزلا (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير أم المؤمنون في الدار أم الموت وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴿ قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي إيمانا وإيقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) أي الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أي عاقبة ومرجعا ﴿ قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فأتيته أتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وإني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) إلى قوله ويأتينا فردا قال الله تعالى رد عليه قوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر في اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا)

والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أي المؤمنين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يفتخر به الكفار (وخير مردا) أي مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) حمزة وعلي بضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع هنا وفي الزخرف ونوح جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبروا والفاء أفادت التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وأولاده لأوتين جواب قسم مضمر (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه الهمزة للاستفهام
[illegible] (أم اتخذ)

الرحمن عهدا) موثقا بان يؤتيه ذلك او العهد كلمة الشهادة يعني الشفعي أنزلت في الوليد بن المغيرة والشهور انها في العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة فانا اقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطاء وهو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه (سنكتب ما يقول) اى قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اى تعلم وتبين بالانتساب أنى لست ابن لئيمة (ونمد له من العذاب) ونزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى (مدا) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه ما يقول) اى نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حال اى بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدي عليه تمنيه (٢٣١) وتأليه (واتخذوا من دون الله آلهة)

عهدا) يعني قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) رد عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب ما يقول) اى سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى تكتب ما يقول (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه ما يقول) معناه أى ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل نزيل عنه ما عنده من مال وولد ونعود الارث الى من جعله له وابطل ذلك نتى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعني يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد ولا نصيب له مما تمنى في الآخرة من مال وولد ﴿ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أى منعة يعني يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب (كلا) أى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعني تجحد الاصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أى اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم (تؤزهم أزا) أى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تهيجهم وتحرضهم على المعاصي تحريضا شديدا وفي الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) أى لا تعجل بطلب عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي أجل لعذابهم ﴿ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو هريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها ياقوت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) أى الكافرين (الى جهنم وردا) اى مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القائلة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل

اى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون أو للمشركين أى ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوا اى

يكونون عليهم لا لهم عزا وان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اى اعداءهم ضدا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم عطف عليه السلام قوله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) اى خليناهم واياهم من ارسلت البعير اطلقته او سلطناهم عليهم بالاغواء (تؤزهم أزا) تغريهم على المعاصي اغراء والاز والهز اخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) اى اعمالهم للجزاء او انفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورود المسير الى الماء فسمي به الواردون فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف او باذكر يوم نحشر ... الموت ... الذي ... على ... الا انهم ... الكافرين ... ياتون

[illegible] (لا يملكون الشفاعة) [illegible]

والمرمين لا يم على هذا القسم ويجوز أن يكون علامة الجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك بأني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا ادا) (٢٣٢) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو الالتفات أو أمر نبيه عليه السلام بانه يقول لهم ذلك والادّ العجب أو العظيم المنكر والادة الشدة وأدّني الامر أثقلني وعظم علي اذا (تكاد السموات) تقرأ بالتاء والياء (يتفطرن) وبالنون بصري وشامي وحمزة وخلف وابو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه (منه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تخسف وتنفصل أجزاؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعا أو هدما والهد صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أي تهد هدا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهدودة (أن دعوا) لان دعوا وتحتمله جر بدل من الهاء في منه أو نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أي هدها دعاؤهم (للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بغى اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة [illegible] اسمه وهو منزه عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (في السموات والارض) وخبر كل (الا آتي الرحمن) ووحد آتي [illegible] لا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أي يأتيه (عبدا) حال أي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس الا هو يأتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية [illegible] حتى لو ملك الاب ابنه [illegible] الجمع [illegible] ابن مسعود آتي الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي [illegible] (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي كل احد منهم آتيه يوم القيامة فردا [illegible] ولا ولد أو لا [illegible]

[illegible] (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) [illegible]

يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذي ﴿قوله عز وجل﴾ (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا المؤمنون وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أي لا يشفع الا للمؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيئا ادا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أي تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أي من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال من أين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت أن أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا أعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لابد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سرور به واستعانة به وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) أي الا يأتيه يوم القيامة مقرا له بالعبودية خاضعا ذليلا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شيء ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قيل يحبهم الله

الحديث يعطي المؤمن مقتا في قلوب الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) شدادا في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل لديد أي شق من المراء والجدال جمع ألد يريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم *(سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي)* *(بسم الله الرحمن الرحيم طه)* فخم الطاء لا ستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا والاول أوجه لما روي انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة) لمن يخشى [illegible]

تعالى وتحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم ابن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ﴿قوله تعالى (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به) أي بالقرآن (قوما لدا) أي شدادا في الخصومة وقيل جماعة الخصومة وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) خوف الله تعالى بهذه السورة وعظا بقوله لهم اذا علموا وأيقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا قال الحسن باد قومهم فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة طه)

(وهي مكية وهي مائة وأربع وقيل خمس وثلاثون آية وألف وثلثمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا)

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة الله أعلم بالزيادة والله أعلم بذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك بالسريانية وقيل هو بالسريانية وقيل بالنبطية وقيل هذا يكون بلغة عك وقيل بلغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو بالنسب لعك وعلى هذا قوله نزلت في العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به التهجد لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره ان يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعب (الا تذكرة لمن يخشى) أي لكن أنزلناه عظة لمن

الله (ممن خلق الأرض والسموات) من يتعلق بتنزيلا صلة له (العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرحمن) رفع على المدح أي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أي ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأسا والمذهب قول

علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما في السموات وما في الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما بينهما) أي ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين او هو الصخرة التي تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما أسررته الى غيرك (وأخفى) منه وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك وما ستسره فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا لقولهم انك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) أي وقد (أتاك حديث موسى) خبر فقصة موسى عليه السلام لتأسى به في تحمل أعباء النبوة بالصبر على المكاره ولتنال الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أي حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكثوا) أقيموا في مكانكم (اني آنست) أبصرت (نارا) والايناس رؤية شئ يؤنس به (لعلي آتيكم منها) بالامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبسة في رأس عود وفتيلة (أو أجد على النار هدى) ذوي هدى أو قوما يهدونني الطريق ... (فلما أتاها) أي النار ... شجرة خضراء من

يعني وأعظم من يعني بالذكر لامهم هم المنتفعون بها (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) أي من الله الذي خلق الارض والسموات العلى الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) أي انه مالك لجميع ما في الارض ... الاجسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست

قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أي تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر به غدا وقيل السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسر الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل معنى الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) الحسنى تأنيث الاحسن والذي فضلت به أسماؤه في الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن

قوله عز وجل (وهل أتاك حديث موسى) أي وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليأتسي به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا تدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فألجأه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة ... شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فأخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أي أقيموا (اني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي بشعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتاها) أي أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تتقد

من الشجرة إلى أهلها فإن كانت شجرة العناب أو العوسج ولم تجد عندها أحداً أو رأى أنه كما طلبها بعدت عنه فإذا ردها فزعت ثم (نودي)
موسى (يا موسى إني) بكسر الهمزة أي نودي فقيل يا موسى إني أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح مكي وأبو عمرو أي نودي
بأني (أنا ربك) أنا مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله
عز وجل أنا ربك فعرف أنه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه (فاخلع نعليك) ارفعهما لتصيب
قدميك بركة الوادي المقدس أو لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لأن الحفوة تواضع (٢٣٥) لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين والقرآن يدل على
أن ذلك احترام للبقعة
وتعظيم لها فخلعهما
وألقاهما من وراء الوادي
(إنك بالواد المقدس) المطهر
أو المبارك (طوى) حيث
كان منون شامي وكوفي
لأنه اسم علم للوادي وهو
بدل منه وغيرهم بغير
تنوين بتأويل البقعة
وقيل أي بولد بكسر الطاء
بلا تنوين (وأنا اخترتك)
اصطفيتك للنبوة وأنا
اخترناك حمزة (فاستمع
لما يوحى) إليك للذي يوحى
أو للوحي واللام يتعلق
باستمع أو باخترتك (إنني
أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني)
وحدني وأطعني (وأقم
الصلوة لذكري) لتذكرني
فيها لاشتمال الصلاة على
الأذكار أو لأني ذكرتها
في الكتب وأمرت بها أو
لأن أذكرك بالمدح والثناء
أو لذكري خاصة لا تشوبه
بذكر غيري أو لتكون
لي ذاكراً غير ناس أو
لأوقات ذكري وهي مواقيت
الصلاة لقوله إن الصلاة
كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي وهذا دليل على أنها لا فرض بعد التوحيد أعظم
منها (إن الساعة آتية) لا محالة (أكاد) أريد عن الأخفش وقيل صلة (أخفيها) قيل هو من الأضداد أي أظهرها أو أسترها عن العباد فلا
أقول هي آتية فلا أدري إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها
في كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل
للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالله فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدقها (واتبع هواه) في مخالفة أمره

كأنه ضوء أبيض يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة
عوسجة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روي ذلك عن
ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه
الصلاة والسلام حسبه ناراً قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي إحدى
حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه
النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه أخرجه مسلم وقيل إن موسى أخذ شيئاً
من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت منه وإذا نأى دنت منه فوقف متحيراً وسمع تسبيح
الملائكة وألقيت عليه السكينة بعد ذلك (نودي يا موسى إني أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقيل
يا موسى فأجاب سريعاً وما يدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك
ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله تعالى فأيقن به وقيل إنه سمعه بكل أجزائه
حتى إن كل جارحة منه كانت أذناً ﴿قوله﴾ (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعاً
في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وإنما أمر بخلعهما صيانة للوادي
المقدس وقيل أمر بخلعهما لتنال قدميه بركة الأرض المقدسة لتباشرها قدماه وقيل إنه أمر بخلعهما
احتراماً للبقعة وتعظيماً لها فلما سمع موسى ذلك خلعهما وألقاهما من وراء الوادي (إنك بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم الوادي الذي حصل فيه
وقيل طوى وادٍ مستدير عميق مثل الطوي في استدارته (وأنا اخترتك) اصطفيتك برسالاتي وبكلامي (فاستمع
لما يوحى) قيل سمعها فيه الهيبة والجلال لكأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (إنني أنا الله لا إله إلا أنا
فاعبدني) ولا تعبد غيري (وأقم الصلوة لذكري) أي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر
غيري وقيل لإخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضاً آخر وقيل معناه إذا تركت
صلاة ثم ذكرتها فأقمها (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل
إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ولمسلم قال أقم الصلوة لذكري وفي رواية إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل
عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول وأقم الصلوة لذكري (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) قال
أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة
العرب إذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سرك من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى
عليه شيء والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل
وقت وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت على الإنسان لأنه إذا عرف وقت موته ربما اشتغل بالمعاصي
إلى أن يقرب من ذلك الوقت ثم يتوب ويصلح العمل فيخلص من عقاب المعاصي بتعريف الموت وأنه إذا
لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة
الأجل ﴿قوله تعالى﴾ (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
بها) أي فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة فتهلك من لا يؤمن بها (واتبع هواه) أي مراده وخالف أمر الله

أو لأنه ... وسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطئة لما يريد أن يريه من الآيات وقيل للإيناس ورفع الهيبة للمكالمة (قال هي عصاي أتوكأ عليها) أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمي) أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل (ولي فيها) حوائج (مآرب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة (أخرى) والقياس أخر وإنما قال أخرى ردا إلى الجماعة أو لنسق الآي وكذا الكبرى ولما (٢٣٦) ذكر بعضها شكرا أجمل الباقي حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الإكرام

(تردى) أي فتهلك ﷺ قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنه معجزة عظيمة (قال هي عصاي) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) أي أعتمد عليها إذا مشيت وإذا أعييت وعند الوثبة (وأهش بها على غنمي) أي أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها مآرب أخرى) أي حاجات ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها إذا قعد وروي عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها (فألقاها) أي فطرحها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة (فإذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) أي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كأنها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع أن الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والأنثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فإنها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن إسحاق نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الإبل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأنيابها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) أي بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لقي آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينته وذهاب الخوف عنه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها (سنعيدها سيرتها الأولى) أي إلى هيئتها فنردها عصا كما كانت قيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون ﷺ قوله

والمآرب الأخر أنها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا أو لأنه انتظر سؤالا آخر لأنه لما قال هي عصاي فسئل فما تصنع بها فأخذ يعدد منافعها (قال ألقها يا موسى) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليها فلا تسكن إليها ولترى فيها كنه ما فيها من المآرب فيعتمد على الطالب (فألقاها) فطرحها (فإذا هي حية تسعى) تمشي سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما رآها يبتلع كل شيء خاف ونفر ووصفت بالجان وهو الدقيق وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالحية وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها أو أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان (قال) له ربه (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها (سنعيدها سيرتها الأولى) تأنيث الأول والسيرة الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة [illegible] على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وأري ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عند فرعون [illegible] إلى آية أخرى [illegible]

(واضمم يدك إلى جناحك) إلى جنبك تحت العضد وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران والمعنى أدخلها تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنؤتيك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز أن ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به اللام (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب إلى فرعون إنه طغى) جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي وعرف أنه كلف أمرا عظيما يحتاج إلى صدر فسيح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه لتحمل الوحي والمشاق ورديء الأخلاق من فرعون وجنده (ويسر لي أمري) وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ (٢٣٧) الرسالة إلى فرعون واشرح لي صدري آكد من اشرح صدري لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل لأنه يقول اشرح لي ويسر لي علم أن ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر (واحلل) افتح (عقدة من لساني) وكان في لسانه رتة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك أن موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فأراد قتله فقالت آسية أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نارا وفي طشت ياقوتا ووضعتهما لدى موسى فقصد الياقوت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروي أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها ومن لساني صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بأنه لم يزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا) ظهيرا أعتمد عليه والوزير من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره أو معينا من الموازرة وهي المعاونة ووزيرا مفعول أول لاجعل والثاني (من أهلي) أو لي ووزيرا مفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزيرا وقوله (أخي) بدل أو عطف بيان آخر ووزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة (اشدد به أزري) قو به ظهري والأزر القوة (وأشركه في أمري) اجعله شريكي في النبوة والرسالة واشدد وأشركه على حكاية النفس شامي على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كي نسبحك) نصلي لك وننزهك تسبيحا (كثيرا ونذكرك كثيرا) في الصلوات وخارجها

تعالى (واضمم يدك إلى جناحك) أي إلى إبطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة (من غير سوء) أي من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته ﴿ قوله عز وجل (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي جاوز الحد في العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا إلى الكل لأنه ادعى الإلهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره أولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي وإن معك يدي وبصري وإني ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وإني أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فإن ناصيته بيدي ولا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي قال فسكت موسى سبعة أيام ثم جاءه ملك فقال له أجب ربك (قال) يعني موسى (رب اشرح لي صدري) أي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق صدرا بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله تعالى وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر لي أمري) أي سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية إن هذا عدوي وأراد أن يقتله فقالت له آسية إنه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية أن أم موسى لما فطمته ردته إلى فرعون فنشأ في حجره وحجر امرأته آسية ربياه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب إذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك إنه صبي لا يعقل جربه إن شئت فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر فوضعتهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهر فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على الجمر فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولي) أي احلل العقدة كي يفقهوا قولي (واجعل لي وزيرا من أهلي) أي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخي) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا وأجمل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى جعدا (اشدد به أزري) أي قو به ظهري (وأشركه في أمري) أي في أمر النبوة وتبليغ الرسالة (كي نسبحك كثيرا) أي نصلي لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) أي

كقول ... وتسولك بلاهمز أبو عمرو (ولقد مننا) أنعمنا (عليك مرة) كرة (أخرى) قبل هذه ثم فسرها فقال (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) إلهاما أو مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك وإذ ظرف لمننا ثم فسر ما يوحى بقوله (أن اقذفيه) ألقيه (في التابوت) وأن مفسرة لأن الوحي بمعنى القول (فاقذفيه في اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمي ساحلا لأن الماء يسحله أي يقشره والصيغة أمر لتناسب ما تقدم ومعناه الإخبار أي يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدو لي وعدو له) يعني فرعون والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت يفضي إلى تنافر النظم والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت روي أن أمه جعلت في التابوت قطنا محلوجا ووضعته فيه وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه فرعون حبا شديدا

نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا (إنك كنت بنا بصيرا) أي عالما (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) أي ما يلهم ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال (أن اقذفيه في التابوت) أي ألهمناها أن اجعليه في التابوت (فاقذفيه في اليم) يعني نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعني شاطئ البحر (يأخذه عدو لي وعدو له) يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية إذا هو بتابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه إلى خلقه قيل ما رآه أحد إلا أحبه لملاحة كانت في عيني موسى (ولتصنع على عيني) لتربى وتحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ونظر إليه (إذ تمشي أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أي على امرأة ترضعه وتضمه إليها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) أي بلقائك وبقائك (ولا تحزن) أي وليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة (فنجيناك من الغم) أي من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء وقال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاؤه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا (فلبثت) أي مكثت (سنين في أهل مدين) هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر ابنته صفورا وثماني عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتي عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) أي جئت على القدر الذي قدرت أنك تجيء فيه وقيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى إلى الأنبياء فيه (واصطنعتك لنفسي) أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي

فذلك قوله (وألقيت عليك محبة مني) متعلق بألقيت يعني أني أحببتك ومن أحبه الله أحبه الناس فما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة كانت في عيني موسى ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عيني) أي لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك مراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على أنه أمر (إذ تمشي) بدل من إذ أوحينا لأن مشي أخته كان منة عليه (أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله) روي أنها لما فشا الخبر بأن آل فرعون أخذوا غلاما في النيل وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيربيه وأرادت بذلك المرضعة الأم وبذكر الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (إلى أمك) كما وعدناها بقولنا إنا رادوه إليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقتلت نفسا) قبطيا كافرا (فنجيناك من الغم) من القود والغم القتل بلغة قريش وقيل إن الغم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بإيقاعك في المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أو جمع ... والفتون كل ما يبتلي الله به عباده ... بالسراء والضراء (فلبثت سنين في أهل مدين) هي بلدة شعيب ... على ثماني مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشرا منها مهرا لصفورا وأقام عنده ثماني عشرة ... (ثم جئت على قدر يا موسى) أي موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسي) اخترتك واصطفيتك

لتصرف على إرادتي ومحبتي قال الزجاج اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتي) بمعجزاتي (ولا تنيا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (في ذكري) أي لا تنسياني حيثما تقلبتما أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا إلى فرعون) كرر لأن الأول مطلق والثاني مقيد (إنه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) الملاطفة في القول لما له من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت أو هو قوله هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أي يتعظ ويتأمل فيذعن (٣٣٩) للحق (أو يخشى) أي يخاف أن يكون الأمر كما يصفان فجره إنكاره إلى الهلكة وإنما قال لعله يتذكر مع علمه أنه لا يتذكر لأن الترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع أمرا دونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف بمن قال أنت الإله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الأعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الأعلى (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط ... فرط عليه أي عجل (أو أن يطغى) يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قال لا تخافا إنني معكما) أي حافظكما وناصركما (أسمع) أقوالكم (وأرى) أفعالكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه) أي فرعون (فقولا إنا رسولا ربك) إليك (فأرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولا تعذبهم) بتكاليف المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية فقال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) أي سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب) في الدنيا والعقبى (على من كذب) بالرسل (وتولى)

لتصرف على إرادتي ومحبتي وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني الذي أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتي) أي بدلائلي قال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعث بهن موسى عليه السلام (ولا تنيا) أي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا (في ذكري) أي لا تقصرا في ذكري بالإحسان إليكما والإنعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا) أي دارياه وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك إلى أن تزكى الآية وقيل أمرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الإيمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هرون وأوحى الله إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحي إليه ﷺ وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أي يتعظ ويخاف فيسلم فإن قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو إلزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش إذا رأى بري وألطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيى وقال إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعني موسى وهرون (ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى) أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قال) الله تعالى (لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) أي أرسلنا إليك ربك (فأرسل معنا بني إسرائيل) أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور ونقل الأثقال وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ... (قد جئناك بآية) معجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام التحية إنما معناه سلم من العذاب من أسلم (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) أي إنما

وأدبا بالرسالة وقالا له ما أمرا به (قال فمن ربكما يا موسى) خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة به وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاءه (ثم هدى) عرفه كيف يرتفق بما أعطي للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى (قال فما بال القرون الأولى) فما حال الأمم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربي) مبتدأ وخبر (في كتاب) أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئا يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علمه فيذكره بالكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه (٢٤) (الذي) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الأرض مهدا) كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وسلك) أي جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأنزل من السماء ماء) أي مطرا (فأخرجنا به) بالماء نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس (أزواجا) أصنافا (من نبات) هو مصدر سمي به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع (شتى) صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أي إنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (إن في ذلك) في الذي ذكرت (لآيات) لدلالات (لأولي النهى) لذوي العقول واحدها نهية لأنها تنهى عن المحظور أو ينتهى إليها في الأمور (منها) من الأرض (خلقناكم) أي أباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة ببعض من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لأن النطفة من الأغذية وهي من الأرض (وفيها نعيدكم) إذا متم ودفنتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها سبلا يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي تفرعوا منه وأمهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم إذا ماتوا (ولقد أريناه) أي فرعون (آياتنا كلها) وهي تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع

يعذب الله من كذب بما جاء به وأعرض عنه (قال) يعني فرعون (فمن ربكما يا موسى) أي من إلهكما الذي أرسلكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الأتان ثم هدى ألهمه كيف يأتي الذكر الأنثى (قال) يعني فرعون (فما بال القرون الأولى) أي فما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث وإنما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الأمم الخالية فقال فرعون فما بال القرون الأولى (قال) يعني موسى (علمها عند ربي) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك إلى الله تعالى لأنه لم يعلم ذلك لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا ينسى) أي ما كان من أمرهم وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الأرض مهادا) أي فراشا وقيل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أي أدخل في الأرض لأجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها (وأنزل من السماء ماء) يعني المطر تم الإخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلف الألوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أي أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالأكل والرعي (إن في ذلك) أي الذي ذكر (لآيات لأولي النهى) أي لذوي العقول وقيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من الأرض خلقنا آدم وقيل إن الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) أي عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي يوم القيامة للبعث والحساب ﷺ قوله تعالى (ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاها الله

والهم وتنتق البيل (وكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك يا موسى) هذا دليل على انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أي مكان موعد والضمير في (لا نخلفه) للموعد وقرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف وجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر حجازي وأبو عمرو وعلي وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا أي منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على أن بل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة (وأن يحشر الناس) أي يجمع في موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة (ضحى) أي وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل الوبر والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا اثنين (٢٤١) وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى) أي للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) كوفي غير أبي بكر فيهلككم وبفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والاسحات بمعنى الاهلاك وانتصب على جواب النهي (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا كلام السحرة أو لا تفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم وأسروا النجوى) أي تشاوروا في السر وقالوا إن كان ساحرا فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر والنجوى تكون مصدرا واسما ثم أفضوا

موسى (وكذب وأبى) يعني فرعون وزعم انها سحر وأبى أن يسلم (قال) يعني فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعني مصر (بسحرك يا موسى) يريد أن يغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي اضرب أجلا وميقاتا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أي مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعني موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس ضحى) أي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع كيده) يعني مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) أي يهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) أي خسر من ادعى مع الله إلها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى ❁ قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون وقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسروا النجوى) أي المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (إن هذان لساحران) يعني موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) يعني من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعني بسراة قومكم وأشرافكم وقيل معناه أشرافكم وجوه الناس [illegible] وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو إسرائيل يعني يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما وقيل معناه يذهبا بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه (فأجمعوا كيدكم) أي لا تدعوا شيئا من كيدكم إلا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم (ثم ائتوا صفا) أي جميعا مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي فاز من غلب (قالوا) يعني السحرة

هذا الكلام يعني (قالوا إن هذان لساحران) يعني موسى وهرون قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه خالف الامام وابن كثير وحفص إن هذان لساحران بالتخفيف وهو أعرف بالنحو والمعنى إن هذان لساحران [illegible] واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الا أي ما هذان الا ساحران [illegible] غيرهم إن هذان لساحران قيل هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم وكنانة فانهم يجعلون الاسم المثنى بالالف في الجر والنصب كعصا وسعدى قال إن أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها وقال [illegible] وقد ذكر [illegible] أنه أي نعم والهاء للرفع وهذان مبتدأ لساحران خبره [illegible] واللام داخلة على [illegible] هذان لهما ساحران [illegible] الابتداء [illegible] (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) مصر [illegible] (المثلى) [illegible] (فأجمعوا كيدكم) [illegible] (كيدكم) هو ما كادوا به (ثم ائتوا صفا) مصطفين حال [illegible] (قالوا) أي السحرة

محذوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه كأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصل إليهم بركته وعلم موسى اختيار إلقائهم أولا حتى (قال بل ألقوا) أنتم أولا ليبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه وينسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فألقوا (فإذا حبالهم وعصيهم) يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي (يخيل) وقرأ ابن ذكوان (إليه) إلى موسى (من سحرهم أنها تسعى) رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيل أي يخيل الملقى روي أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوفا ظنا منه أنها تقصده للجبلة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى) الغالب القاهر وفي ذكر أن وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة (وألق ما في يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وبالفتح ابن ذكوان تلقف (٢٤٢) (ما صنعوا) زورا وما افكوا اي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها أي لا تبال بكثرة حيلهم فإن ما في يمينك أعظم منها أو تحقيرا أي لا تبال بالكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الذي في يمينك فإنه بقدرة الله تلقفها على وحدته وكثرتها (إنما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم أي ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أو مصدرية وإنما وحد ساحر ولم يجمع لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنس لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس (حيث أتى) أينما كان قيل لا يؤمن الساحر حيث وجد ثم ذكر ما فعلوا لما رأوا من الآية ووقعوا إلى السجود بقوله (فألقي السحرة سجدا) قال الأخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وروي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤوسهم ثم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وإنما قدم هرون هنا لأجل السجع محافظة للفاصلة ولأن الواو لا توجب ترتيبا (قال آمنتم) بهمزة واحدة حفص وبهمزتين كوفي غير حفص وبصري وشامي وحجازي وهمزة بين بين عندهم (له قبل أن آذن لكم) أي لموسى يقال آمن له وآمن به (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) لعظيمكم أو لمعلمكم يقول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعني لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلهذا قال (ولأصلبنكم في جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أينا أشد عذابا) [illegible] يريد نفسه وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له [illegible]

[illegible] (وأبقى) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البينات)

(قالوا يا موسى إما أن تلقي) أي عصاك (وإما أن نكون أول من ألقى) أي عصينا (قال) يعني موسى (بل ألقوا) يعني أنتم أولا (فإذا حبالهم) فيه إضمار أي فألقوا فإذا حبالهم (وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وذلك أنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى كأن الأرض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا في ميل من كل جانب ورآها كأنها تسعى (فأوجس) أضمر وقيل وجد (في نفسه خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده وقيل إنه خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره ولا يتبعوه (قلنا لا تخف) أي قال الله تعالى لموسى لا تخف (إنك أنت الأعلى) أي الغالب عليهم والمستعلي عليهم والظافر (وألق ما في يمينك) أي عصاك والمعنى لا يهولنك كثرة حبالهم وعصيهم فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها (تلقف) أي تلتقم وتبتلع (ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر) أي حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أي من الأرض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وقيل إنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وقيل إنهم لما سجدوا أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة (قال) يعني فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم) أي لرئيسكم ومعلمكم يعني إنه أسحركم وأعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) أي على إيمانكم أنا أو رب موسى على ترك الإيمان به (وأبقى) أي أدوم (قالوا) يعني السحرة (لن نؤثرك) أي لن نختارك (على ما جاءنا من البينات) يعني الدلالات الواضحات وقيل هي اليد البيضاء والعصا

القاطعة الدالة على صدق موسى (والذي فطرنا) عطف على ما جاءنا أي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم عليه (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القطع والصلب قال * وعليهما مسرودتان قضاهما * أي صنعهما وأحكم ما أنت حاكم (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي في هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أي إنما تحكم فينا مدة حياتنا (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) الكفر والمعاصي (وما أكرهتنا عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر وحضر فرعون حوله به ومعهم عليهم بالسحر وكيف تعلم السرع (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (إنه) الضمير للشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فإن له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الإيمان (قد عمل الصالحات) بعد الإيمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العليا (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا في البحر) فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما (يبسا) أي يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لا تخاف) حال من الضمير في فاضرب أي اضرب لهم طريقا غير خائف حتى على الجواب (دركا) لحوقا من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده (ولا تخشى) الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استئناف أي وأنت لا تخشى أو تكون الألف للإطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا خرج بهم موسى في أول الليل وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا فأخبر فرعون فاتبعهم في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ما غشيهم) هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم إلى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بني إسرائيل بعدما أنجاهم من البحر وإهلاك فرعون وقومه بقوله (يا بني إسرائيل) أي أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي وقلنا يا بني إسرائيل

وقيل كان أسد لأنهم إنهم قالوا لو كان هذا سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل إنهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات (والذي فطرنا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا (فاقض ما أنت قاض) أي فاصنع ما أنت صانع (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي إنما أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) فإن قلت كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم في الابتداء على تعلم السحر لكي لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى إذا هو نام فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم فأكرههم على أن يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقى) أي خير منك ثوابا وأبقى عقابا وقيل خير منك إن أطيع وأبقى عذابا إن عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (إنه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة ومعناه من مات على الشرك (فإن له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) أي من مات على الإيمان (قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الرفيعة العالية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) أي تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما أخرجه الترمذي قوله وأنعما قال أحسن فلان إلى فلان وأنعم أي أفضل وزاد في الإحسان والمعنى أنهما منهم وزادا وتناهيا إلى غايته ﴿ قوله تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) أي أسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) أي اجعل لهم طريقا (في البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) أي يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله تعالى أيبس لهم الطريق في البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك (فأتبعهم) أي فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) أي أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) أي ما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴿ قوله عز وجل (يا بني إسرائيل

[illegible] (من فرعون) أي فرعون وقومه [illegible]
المكان وكيف يسمعون وبينهم وبين فرعون مسافة بعيدة والواعد لهم هو الله تعالى إذ أنهم كانوا جميعًا مخاطبين بالمواعدة لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي
قام بها شرعهم ودينهم والأيمن نصب لأنه صفة للجانب وقرئ بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) في التيه وقلنا لكم (كلوا من
طيبات) حلالات (ما رزقناكم) أبو عمرو وأنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم
وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضًا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطًا لا نهوض
بعده وأصله أن يسقط من جبل فيموت وبقيته يسقط من شرف بيت الإنسان إلى حفرة من حفر النيران فيحل وعلى الباقون
بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه والمضموم في معنى النزول (وإني لغفار لمن تاب) عن

الشرك (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحًا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك يا موسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقًا إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي أي شيء أوجب عجلتك استفهام إنكار وما [illegible] وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثري) أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم إلا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت إليك رب) أي إلى الموعد الذي وعدت (لترضى) لتزداد عني رضا وهذا دليل على جواز
الاجتهاد (قال فإنا قد فتنا قومك) ابتليناهم في قصة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم [illegible]
مع هرون (وأضلهم السامري) بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان
علجًا من كرمان فاتخذ عجلًا [illegible] (فرجع موسى) من [illegible] (إلى قومه غضبان أسفًا) شديد الغضب أو
حزينًا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكان فيها ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل
أسفارها سبعون جملًا ولا وعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي إياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك أي طال
زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلًا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي)
وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوه بعبادتهم العجل (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم مدني
[illegible] أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفنا الموعد

فقد أغناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة في
نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وإنما قال
وواعدناكم لأن الخطاب كان لنبيهم ورجعت منافعه إليهم وبها قوام دينهم وشرعهم وفيها
أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا
وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تنفقوا نعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم
غضبي) أي يجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (وإني لغفار لمن
تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحد الله وصدق رسوله (وعمل صالحًا) أي أدى الفرائض
(ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الإسلام حتى مات عليه وقيل علم أن
لذلك ثوابًا وقيل أقام على السنة ﴿ قوله عز وجل (وما أعجلك) أي وما حملك على العجلة (عن قومك يا موسى)
وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلًا حتى يذهبوا معه إلى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل
موسى من بينهم شوقًا إلى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك
يا موسى فأجاب ربه (قال هم أولاء على أثري) أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي فإن قلت لم
يطابق السؤال الجواب فإنه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثري قلت كان هم
موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير ثم أعقبه بجواب
السؤال فقال (وعجلت إليك رب لترضى) أي لتزداد رضا (قال فإنا قد فتنا قومك) أي فإنا ابتلينا الذين خلفتهم
مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفًا (من بعدك) أي من بعد انطلاقك إلى الجبل
(وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم إلى الضلال وهو عبادة العجل وإنما أضاف الضلال إلى السامري
لأنهم ضلوا بسببه فهو سبب فأضيف إليه [illegible] في الظاهر وإن كان الموجد له في الأصل هو
الله تعالى فلذلك قوله وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها
السامرة وقيل كان من القبط وكان جار موسى وآمن به وقيل كان علجًا من علوج كرمان رفع إلى مصر وكان
من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا) أي حزينًا جزعًا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم
وعدًا حسنًا) أي صدقًا أنه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي إياكم (أم أردتم أن يحل
عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلًا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فأخلفتم موعدي)
يعني ما وعدوه من الإقامة على دينه إلى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل

ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده (ولكنا حملنا) بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم) أثقالا من حلي القبط أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن لنا غدا عيدا فقال السامري إنما احتبس موسى لشؤم حرمتها لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فخبأ في حفرة النار فالسبك فلما صاغت لا تحرقها فغار بدخول الريح في مخارمه أسماه العرب وقد ألقي بعض سيفه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فخار ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه (فقذفناها) في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي (فكذلك ألقى السامري) ما معه من الحلي في النار أو ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام (فأخرج لهم) السامري من الحفرة (عجلا) خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكها النار لأنه (جسدا) مجسدا (له خوار) صوت يكون مثل خوار العجل (فقالوا) أي السامري وأتباعه (هذا إلهكم وإله موسى) فأجاب عامتهم إلا اثني عشر ألفا (فنسي) أي فنسي موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أي نسي السامري ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر أو نسي السامري الاستدلال على أن العجل لا يكون إلها بدليل قوله (أفلا يرون أن لا يرجع) أي أنه لا يرجع فأن مخففة من الثقيلة (إليهم قولا) أي لا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه إلها وقيل إنه ما خار إلا مرة (ولقد قال لهم) أي لعبدة العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى إليهم (يا قوم إنما فتنتم به) أي ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وإن ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني) كونوا على ديني الذي هو الحق (وأطيعوا أمري) في ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع إلينا موسى) فننظر هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا فلما رجع موسى

بالحمار به وذلك أن المرأة إذا وقع في القلب لم يملك نفسه (وإنا كنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي حملنا مع أنفسنا ما كنا استعرناه من قوم فرعون والأوزار الأثقال سميت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الأوزار الآثام أي حملنا آثاما وذلك أن بني إسرائيل استعاروا الحلي من القبط ولم يردوها وقت خروجهم من مصر وقيل إن الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو إسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم (فقذفناها) أي ألقيناها قيل إن السامري قال لهم احفروا حفيرة وألقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل إن هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل إن هرون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال أصنع ما يضر ولا ينفع فادع لي فقال هرون اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه فألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لأنه لا يجوز إظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخارق بحيث إذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني أنه صار حيا وخار كما يخور العجل (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله (فنسي) قيل هو إخبار عن قول السامري أي إن موسى نسي إلهه وتركه هاهنا وذهب يطلبه وقيل معناه إن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه موضعه في طريق آخر فأخطأ الطريق وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري أنه نسي الاستدلال على حدوث الأجسام وأن الإله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) أي أن العجل لا يرد لهم جوابا إذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم إذ عبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا نفعا من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني إسرائيل قوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (يا قوم إنما فتنتم به) أي ابتليتم بالعجل (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني في عبادة الله (وأطيعوا أمري) أي في ترك عبادة العجل اعلم أن هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم أولا عن الباطل بقوله إنما فتنتم به ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى بقوله وإن ربكم الرحمن ثم دعاهم إلى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم إلى الشرائع بقوله وأطيعوا أمري فهذا هو الترتيب الجيد لأنه لا بد من إماطة الأذى عن الطريق وهي إزالة الشبهات ثم معرفة الله فإنها هي الأصل ثم النبوة ثم الشريعة وإنما قال وإن ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لأنه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالإصرار والجحود (قالوا لن نبرح) أي لن نزال (عليه) أي على عبادة العجل (عاكفين) أي مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) كأنهم قالوا لا نقبل حجتك ولا نقبل قولك ولكن نقبل قول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر

(قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الا تتبعني) ان لا زائدة والمعنى ما منعك ان تتبعني

أى مادعاك الى ان لا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشئ وبين الداعى الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى اى شئ منعك أن تتبعني

حين لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتصيرنى أو ما منعك ان تتبعني فى الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت تباشره

انا لو كنت شاهدا (أفعصيت أمرى) أى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه

لان الغيرة فى الله ملكته (قال يا ابن أم) وتخصيص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه لامه والجمهور على انه كان لابويه ولكن ذكر الام استعطافا

وترقيقا (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) ثم ذكر عذره فقال (انى خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل) أو خفت

أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحقوا بى (٢٤٦) فرقتهم وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) اخلفنى فى

رأسه بيمينه ولحيته بشماله (قال) له (يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أى اشركوا (الا تتبعنى) أى تسمع أمرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه (أفعصيت أمرى) أى خالفت أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذوائبه (انى خشيت أن تقول) اى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) أى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) أى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) أى فما امرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (يا سامرى قال) يعنى السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) اى فقذفتها فى فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ان امه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من تحت حافر فرسه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول الذى يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عمامته لما يريد الله ان يظهر من الفتنة على يديه فهو قوله (وكذلك سولت) أى زينت (لى نفسى) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فعله غيرى واتبعت فيه هواى (قال) يعنى موسى للسامرى (فاذهب فان لك فى الحياة) أى ما دمت حيا (ان تقول لا مساس) أى لا تخالط احدا ولا يخالطك احد فعوقب فى الدنيا بعقوبة لا شئ اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامرى يهيم فى البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه احد حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) اى يا سامرى (موعدا) اى لعذابك فى الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح اى لن يكذبه ولن يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) اى الذى تزعم (الذى ظلت عليه عاكفا) أى دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) اى لنذرينه (فى اليم) أى فى البحر (نسفا) روى ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه بالنار ثم ذراه فى البحر وقيل معناه

موسى واسلخ وقد دل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى منكرا عليه (قال فما خطبك) ما أمرك الذى تخاطب عليه (يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) وبالياء بصروا على قال الزجاج بصر علم وابصر نظر أى علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذاك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فالقى فى نفسى ان أقبض من اثره فما ألقيته على شئ الا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبصت قبصة فالاول بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع (من أثر الرسول) أى من أثر فرس الرسول وقرئ اثر (فنبذتها) فطرحتها فى

جوف العجل (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى) ان افعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطا واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك فى الحياة) ما عشت (ان تقول) لمن أراد مخالطتك اذا خالطك (لا مساس) أى لا تمسنى احد ولا أمسه

ع من مخالطة الناس ... حرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق ان مس أحدا منهم الناس والممسوس وكان يهيم فى البرية

... لا مساس ... ذلك ... ولاد الى الآن ... وحرم عليه السلام ان يعطله ... (وان لك موعدا

لن تخلفه) اى لن يخلفك الله موعده ... فى الآخرة بعدما عاقبك الله فى الدنيا ... مكى

... (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه) واصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقيما

... (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه فى البحر ... على ... الذهب

(إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) تمييز أي وسع علمه كل شيء وفعل للتكاثر (كذلك) نعت أي مثل ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الأمم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك (وقد آتيناك) أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقي عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم (خالدين) حال من الضمير في يحمل وإنما جمع على المعنى ووحد في فإنه حملا على لفظ من (فيه) في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة ننفخ أبو عمرو (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أي ننفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أي عميا (٢٤٧) كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون (بينهم) أي يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (إن لبثتم) ما لبثتم في الدنيا (إلا عشرا) أي عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار أو لأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لأنها أبد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم بقوله (نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (إن لبثتم إلا يوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسألونك عن الجبال) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسأل وتقديره إن سألوك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي ويسألونك عن الروح قل الروح ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو لأن تلك سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم تذكر الفاء (ينسفها ربي نسفا) أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها (فيذرها) فيذر مقارها أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وإن كان في المعاني كان المفتوح في الأعيان والأرض عين لكن لما نفى عن الأرض العوج نفيا بليغا لا يمكن أن يوجد فيها عوج ما ألحق بالمعاني واللطف جريه مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال أي يوم إذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) إلى المحشر أي صوت الداعي وهو إسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية

لنحرقنه أي لنبردنه على هذا الوجه بل لم يطلب الجار دماء فإن ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن أن يقال صار لحما ودما فذبح ثم برد عظامه بالمبرد حتى صار بحيث أمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وإبطال ما ذهب إليه السامري رجع إلى بيان الدين الحق فقال مخاطبا للسامري (إنما إلهكم الله) أي المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء فهو يعلم من يعبده

﴿قوله عز وجل﴾ (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الأمم الخالية وقيل ما سبق من الأمور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أي عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) أي حملا ثقيلا من الإثم (خالدين فيه) أي مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أي بئس ما حملوا أنفسهم من الإثم (يوم ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر والمراد منه النفخة الثانية لأنه أتبعه قوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) أي يتسارون (بينهم) ويتكلمون خفية (إن لبثتم) أي ما مكثتم في الدنيا (إلا عشرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك أن العذاب يرفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي يتسارون فيما بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أي أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا (إن لبثتم إلا يوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) أي يدع أماكن الجبال من الأرض (قاعا صفصفا) أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا أي لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف يوم القيامة وهو إسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها

يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الأصوات للرحمن) هيبة وإجلالاً (فلا تسمع إلا همساً) صوتاً خفياً
لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة
إلا من أذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أي أذن
للشافع في الشفاعة (ورضي له قولاً) أي رضي قوله لأجله بأن يكون المشفوع له مسلماً أو نصب على المدح لا به مفعول تمع (يعلم

ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علماً) أي بما أحاط به علم الله وقيل يرجع الضمير إلى ما أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل للأسير عان (الوجوه) أي أصحابها (للحي) الذي لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يئس من رحمة الله (من حمل ظلماً) من حمل إلى موقف القيامة شركاً لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يشترط الإيمان لقبول الأعمال الصالحة وأن الإيمان شرط قبولها (فلا

العظام البالية والجلود الممزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أي لا عوج لهم عن
دعائه ولا يزيغون عنه [illegible] بل يتبعونه سراعاً (وخشعت الأصوات للرحمن) أي سكنت وذلت
وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الأصوات وقيل خضعت الأصوات من شدة الفزع (فلا تسمع إلا همساً)
وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الأقدام
إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لأحد من الناس (إلا من أذن له الرحمن) أي إلا
من أذن له أن يشفع (ورضي له قولاً) قال ابن عباس يعني قال لا إله إلا الله وفيه دليل على أنه لا يشفع غير المؤمن
وقيل إن درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل إلا لمن أذن الله له فيها وكان عند الله مرضياً (يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله ما قدموا من الأعمال وما خلفوا
من الدنيا وقيل الضمير يرجع إلى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا يشفع الشافع إلا لمن أذن له الرحمن
أن يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي أيدي الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علماً) قيل الكناية ترجع
إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى أن العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم
علماً وقيل الكناية راجعة إلى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علماً (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في
ذلك اليوم وصار الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لأن [illegible] من صفات
المكلفين لا من صفات الوجوه وإنما خص الوجوه بالذكر لأن الخضوع بها يتبين وفيها يظهر ۞ وقوله تعالى
(للحي القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلماً) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله (ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال ابن عباس معناه لا يخاف أن يزاد على سيئاته ولا ينقص
من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها ۞ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أي كما
بينا في هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآناً عربياً) أي بلسان
العرب ليفهموه ويقفوا على إعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد)
أي كررنا ووصفنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد
فيهما [illegible] تكرره وأظهر [illegible] بيان الأحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون
الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكراً) أي إنما أنزلنا القرآن ليصيروا [illegible]
بالإيمان [illegible] يحدث لهم القرآن ذكراً [illegible] في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يحدث لهم القرآن
عبرة وعظة [illegible] بذكر عقاب الله الأمم السالفة ۞ قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أي
جل الله وعظم عن إلحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل [illegible] على ما لزم خلقه من
تعظيمه [illegible] ووصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير
ولا غيره أولى به (ولا تعجل بالقرآن) أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن بادره
فقرأه معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك
وقال تعالى ولا تعجل بالقرآن أي ولا تعجل بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ

يخاف) أي فهو لا يخاف ولا تخف على النهي مكي (ظلماً) أن يزاد في سيئاته (ولا هضماً) ولا ينقص من حسناته [illegible]
وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال (أنزلناه قرآناً عربياً) بلسان العرب (وصرفنا)
كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكراً) عظة أو شرفاً بإيمانهم به [illegible]
[illegible] (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزه عن مضاهاة الأنام [illegible] (الملك) [illegible]
[illegible] (ولا تعجل بالقرآن) [illegible]
[illegible]

(وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (ولقد عهدنا إلى آدم) أي أوصيناه أن لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم فخالف إلى ما نهي عنه كما أنهم يخالفون يعني أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فنسي) العهد أي النهي والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصدا إلى الخلاف لأمره أو لم يكن آدم من أولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما أو بمعنى نقيض العدم أي وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد (وإذ قلنا) منصوب باذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه (فسجدوا إلا إبليس) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبليس كان جنا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم وإنما صح استثناؤه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك (فلا يخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سببا لإخراجكما (فتشقى) فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقيا مراعاة للفواصل أو دخلت فيه لأن الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه (إن لك ألا تجوع فيها) في الجنة (ولا تعرى) عن الملابس لأنها معدة أبدا فيها (وأنك) بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على إن الأولى وغيرهما بالفتح عطفا على ألا تجوع ومحله نصب بأن وجاز للفصل كما تقول إن في الدار زيدا وأن عليا منطلق (لا تظمأ فيها) لا تعطش لوجود الأنهار فيها (ولا تضحى) لأنه ليس فيها شمس فأهلها في ظل ممدود (فوسوس إليه الشيطان) أي أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فأكلا) أي آدم وحواء (فبدت لهما سوآتهما) عوراتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كاد في وقوع الخبر فعلا [illegible] إلا أنه للشروع في أول الأمر وكاد للدنو منه (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان الورق بسوآتهما للستر وهو ورق التين

جبريل من الإبلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فإن لك في كل شيء علما وحكمة وقيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وإيمانا ويقينا ﴿ قوله عز وجل (ولقد عهدنا إلى آدم) يعني أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسي) أي فترك ما عهد إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على القيام على المعصية فيكون إلى المدح أقرب ﴿ قوله عز وجل (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم إن هذا) أي إبليس (عدو لك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج إليه وإن كان الله تعالى هو المخرج لأنه لما كان بوسوسته فعل آدم ما ترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه وإنما لم يسند الشقاء إلى آدم دون حواء ففيه وجهان أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعادته سعادتهم لأنه القيم عليهم الثاني أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعي على زوجته (إن لك ألا تجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها) أي تعطش (ولا تضحى) أي تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى أن الشبع والري والكسوة والكن هي الأمور التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إليه أهل الدنيا (فوسوس إليه الشيطان) أي أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي إن أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان [illegible] الذي رغبه فيه آدم زعما لنفسه لا أن الله تعالى وقع ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وأنه [illegible] على الإقدام عليها وآدم مع كمال عقله يعلم بأن الله تعالى هو خالقه ومربيه ومولاه وناصره وأن إبليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد [illegible] ومن تأمل هذا الأمر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه ﴿ وقوله تعالى (فأكلا منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أي عريا من النور الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي

يلزقان بسوأتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي بأكل الشجرة (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز إلى الذل ومن الراحة إلى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني بأربعين عاما فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فهل تلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

(الكلام على معنى الحديث وشرحه)

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة قال أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم أن قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكتسابهم ومباشرتهم الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد وتقدم إرادة واختيار فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وإنما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وإنما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله إلى الأرض التي خلق لها وإنما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومني على أمر قدره الله علي من قبل أن يخلقني

(فصل في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك) قال الإمام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الأنبياء وضبط القول فيها يرجع إلى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فإن ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض وإلا لارتفع الوثوق بالأداء واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لأن الاحتراز منه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجاز بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة إلا على جهة التأويل وهو قول الجبائي الرابع أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ الخامس أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب إلى أنهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب إلى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الإمام والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين حال النبوة ويدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من آحاد الأمة وذلك غير جائز لأن درجة الأنبياء في غاية الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه لوجب أن لا يكون مقبول الشهادة لكان

(وعصى آدم ربه فغوى) فضل عن الرأي وقيل عن عيشه خاب والحاصل أن العصيان وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيا لأن الغي خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر

أقل حالاً من عدول الأمة وذلك غير جائز الثاني أن معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضاً فإنه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب لوجب الاقتداء به وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل أنه لا شيء أقبح من رجل رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفة في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحاً للذة وأجمعت الأمة على أن الأنبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ولو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه الخامس قال الله تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظة الخيرات للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الأنبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل شر وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير وقال تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول إن كلامنا إنما هو في زمان النبوة وإنا لا نسلم أن ذلك كان حال النبوة وذلك لأنه لم لا يجوز أن يقال إن آدم حال ما صدرت عنه هذه الزلة ما كان نبياً ثم بعد هذه الواقعة كان نبياً وإن الله تعالى قال ثم اجتباه ربه فشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله تعالى أخبر بعذره في قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً أي نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالاً لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزماً أي قصداً للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولاً وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فإن قلت فإذا قد نفيتم عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر إلا من شيء قلت فالجواب أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها ثم أوخذوا عليها أو عوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفين وجلين وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل فكان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كالسيئات وقد ذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه إن شاء الله تعالى ﷺ قوله عز وجل (ثم اجتباه ربه) أي اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أي عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أي هداه إلى التوبة حتى رجع إلى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعاً) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته وقيل لآدم وإبليس فعلى هذا الخطاب لآدم وحواء لأنهما أصل البشر فجعلا كأنهما البشر مخاطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل في معنى هذا الظاهر معناه أن يكون الإنس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض البشر لبعض عدواً (فإما يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) أي الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة

(ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقربه وأصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) فقبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعاً) يعني آدم وحواء (بعضكم) يا ذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين (فإما يأتينكم مني هدى) كتاب وشريعة (فمن اتبع هداي فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في العقبى قال ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه

(ومن أعرض عن ذكري) عن القرآن (فإن له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث [illegible]
سببه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الإعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله
مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن
ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا
(قال كذلك) أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر فقال (أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين
المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك (٢٥٢) اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينك (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات
ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي (أفلم يهد لهم) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور في لهم (في مساكنهم) يريد قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) لذوي العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على
كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة
(فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) في موضع الحال واستعانة بحمد ربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع
الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها
(ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أي وتعمد آناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقد تناول التسبيح في آناء الليل
صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وإنما
جمع أطراف النهار وهما طرفان لأمن الإلباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن

ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل أي في الدنيا ولا يشقى أي في الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكا) روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاوة وقال كل ما أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وإن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي بصير العين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أتتك آياتنا فنسيتها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقيل تنسى من الخير والرحمة ولم تنس من العذاب (وكذلك نجزي من أسرف) أي كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزي من أسرف أي أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) أي مما نعذبهم الله به في الدنيا والقبر (وأبقى) أي وأدوم ﴿ قوله تعالى (أفلم يهد لهم) أي أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم إذا سافروا وذلك أن قريشا كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) أي لذوي العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) نسختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) أي صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) أي صلاة العصر (ومن آناء الليل) أي ومن ساعاته (فسبح) يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر سمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل ترضاه الرب (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها الآية

قال عبد الله فيه ترضى نفسك بشرتك وترضى على ذا أبو بكر أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبهجتها (٢٥٣) وانتصب على الذم أو على إبداله من محل به أو على إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي (خير وأبقى) مما رزقوا (وأمر أهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلاة واصطبر) وداوم (عليها لا نسألك رزقا) أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) وإياهم ولا تهتم لأمر الرزق وفرغ بالك لأمر الآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية ماله من ذا ... وفي بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي وحسن العاقبة لأهل التقوى يعني المتقين (وقالوا) أي الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية تدل على صحة نبوته (أولم تأتهم) أولم يأتهم مدني وحفص وبصري (بينة ما في الصحف الأولى) أي الكتب المتقدمة يعني أنهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم

لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى أنكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته ويروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أي لا تزدحمون ولا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهي فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون ﴿ قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي فقال قل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظرا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا له (إلى ما متعنا به) أي أعطينا (أزواجا) أي أصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن يزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) أي في المعاد يعني الجنة (خير وأبقى) أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس طال حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه ﴿ قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) أي المحافظة عليها (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فإن الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول (لا نسألك رزقا) أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أي الخاتمة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أي بالآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) أي بيان ما فيها وهو القرآن لأنه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معناه ما في الصحف ما في التوراة والإنجيل وغيرهما من أخبار الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الأولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثه (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت إلينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث

(ثم يقولوا) إنهم (مستعلون) إذا استقبلتم (من المغضوب) عليهم ويعلمون المعتقد (العزائم السورة) ...

النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة إلا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب *(سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية مدني وبصري)* (بسم الله الرحمن الرحيم)* (اقترب) دنا (للناس) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة وإنما وصفه بالاقتراب لأنه ما بقي بالإضافة إلى ما مضى ولأن كل آت قريب (وهم في غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا وقت لقاء المولى والأول إنما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب (٢٥٤) وتتنبه للعرض قبل أن تتنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين للفوز للعاقبة العالمين (ما يأتيهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربهم محدث) في التنزيل إتيانه متجددا تلاوته من بعد تجدده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (إلا استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حال من الضمير استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم واربعة (قلوبهم) لاهية وهي من لها عنه إذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد منها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا في إخفاء (النجوى) وهي اسم من التناجي ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا إيذانا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى مقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (قل ربي) حمزة وعلي وحفص أي قال محمد وغيرهم قل ربي أي قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يعلم القول في السماء والأرض) أي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بما في ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام

[illegible]

السهر فإذا مات عليه ما قال الله تعالى (فتربصوا) أي فانتظروا (فستعلمون) أي إذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)

وهي مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمانية وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت في منكري البعث واختار ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب إلى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون فهذا من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم في غفلة معرضون) أي عن التأهب له وقيل معناه إنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم إذا انتبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه أن الله يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (إلا استمعوه وهم يلعبون) أي لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم) أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أي بالغوا في إخفاء المناجاة وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا إلا بشر مثلكم) يعني أنهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر لأن الإنسان إلى الإنسان أقبل من أشكاله أقرب (أفتأتون السحر) أي أتحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والأرض) أي لا يخفى عليه شيء (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم ﴿ قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراه) أي اختلقه (بل هو شاعر) وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما

ثم قالوا بل هو شاعر وهكذا الباطل يتلجلج والقائل به متحير لا يثبت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (فليأتنا بآية) معجزة (كما أرسل الأولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث انه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية يعني أن الآيات المقترحة لا تنفعهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا يعني أنهم أعتى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (نوحي اليهم) نوحي حفص (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالكتابين فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لا تعلمون) ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحد الجسد (٢٥٥) لارادة الجنس (لا يأكلون الطعام)

يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاء كم به شعر (فليأتنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) أي ان كان صادقا (كما أرسل الأولون) أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية أتتهم الآيات (أهلكناها) أي بالتكذيب (أفهم يؤمنون) أي ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء ﴿ قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الأولين انما أرسلنا رجالا نوحي اليهم مثلك (فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لأن المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) ﴿ قوله عز وجل (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) أي في الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) أي من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أي المشركين لأن المشرك مسرف على نفسه ﴿ قوله عز وجل (لقد أنزلنا اليكم) أي يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم وذكركم وهو شرف لمن آمن به وقيل فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه ذكر لكم لتحذروا وقيل الذكر يعني الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل ﴿ قوله تعالى (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أي كافرة والمراد أهل القرية (وأنشأنا بعدها) أي أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) أي عاينوا عذابنا بحاسة البصر (اذا هم منها يركضون) أي يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا) أي قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) أي نعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسألون)

بقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام ومنهم من قال بل افتراه ومنهم من قال بل هو شاعر (فليأتنا بآية) كما أرسل الأولون (وما جعلناهم جسدا) لا يأكلون الطعام جسدا لا يأكلون الطعام يعني لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) لا يموتون كالملائكة وهذا الرد على المشركين في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم والاصل في الوعد ... أي من قومهم (فأنجيناهم) مما حل بقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ... باهلاك المشركين على ان ... (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به أو لأنه ... أو فيه موعظتكم أو ...

ذكركم ... أي فيه ذكركم فيما ... (أفلا تعقلون) فتؤمنوا (وكم) نصب بقوله (قصمنا) أي أهلكنا (من قرية) أي أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهي واردة عن غضب شديد ... والقصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء ... فانه كسر لا ... (وأنشأنا) خلقنا (بعدها) ... (قوما آخرين) ... (فلما أحسوا) أي المهلكون (بأسنا) عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة (اذا هم منها) من القرية واذا للمفاجأة ... (يركضون) يسرعون والركض ضرب الدابة بالرجل ... يركضون دوابهم ... لما أدركتهم مقدمة العذاب ... فقيل لهم (لا تركضوا) ... (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) ... من الدنيا ... (ومساكنكم لعلكم تسألون) أي ... ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ... ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم ... حتى ... أمركم ... وقيل ...

... لا تركضوا

[illegible] وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون [illegible]

يا ويلنا إنا كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فما زالت تلك) هي إشارة الى يا ويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على أنه اسم زالت ودعواهم الخبر وقيل العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أي جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد (٢٥٦) الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق للهو واللعب وإنما سويناها لنستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أي ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لاتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (إن كنا فاعلين) أي إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وإن أدري أي ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو بل من سنتنا أن نقذف أي نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان أو بالإسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسر ويمحق الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوي الضعيف (فإذا هو) أي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله به من الولد ونحوه (وله من في السموات والأرض) خلقا وملكا فأنى يكون شيء منه ولدا له وبينهما تناف وتوقف على الأرض لأن (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا يعني الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر [illegible] ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وتجهيلا أم الى [illegible] الأرض [illegible] (أم اتخذوا آلهة من الأرض) [illegible]

قال ابن عباس عن قتل بختنصر فيهم نزلت هذه الآية في أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فإنكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أي لا نفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) أي ميتين ﴿ قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعبث واللهو وإنما سويناهما لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه أنه الولد (لاتخذناه من لدنا) أي من عندنا من الحور والعين لا من عندكم من أهل الأرض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في حكمتنا لاتخذناه بحيث لا يظهر لكم ويستتر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وقيل إن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (إن كنا فاعلين) أي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لا يليق بالربوبية (بل) أي دع ذلك الذي قالوه فإنه كذب وباطل (نقذف) أي نرمي ونسلط (بالحق) أي بالإيمان (على الباطل) أي على الكفر وقيل الحق قول الله إنه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فإذا هو زاهق) أي ذاهب والمعنى إنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) الله تعالى به من الصاحبة والولد (وله من في السموات والأرض) أي عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة وإنما خص الملائكة وإن كانوا داخلين في جملة من في السموات إكراما لهم ومزيد الاعتناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) أي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك أن تسبيحهم متصل دائم لا يتخلله فترة أو ضعف لأنه لا تعتريه فراغ أو شغل آخر قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الأرض) يعني الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الأرض (هم ينشرون) أي يحيون الأموات إذ لا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد

[illegible] من الارض ... أو تكون فيه بيان غاية
الاحياء (هم ينشرون) ... على الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض
الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح أن يكون الها اذ (٢٥٧) لا يستحق هذا الاسم الا القادر على
كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها (لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصف آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله لا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود

من العدم والانعام بالنفع وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة الا الله) أي غير الله (لفسدتا) أي لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان استناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم أن كل من طعن في دلالة التمانع فسر الآية بأن المراد لو كان في السماء والارض آلهة تقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فيلزم فساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن تختص الدلالة به ﴿ وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) فنزه الله سبحانه وتعالى نفسه عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل الله عما يفعله ويقضي في خلقه (وهم يسئلون) أي والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب المالك للاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ فيقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته ﴿ قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطل الله تعالى أن يكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه

العاصي وجواز الخطأ عليه وعدم المبالاة ... ومالك الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بأن لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطاؤن فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة أي هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافي الجسمية والمسئولية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد

(قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك [illegible]
الأوثان في توحيده وتنزيهه عن الأنداد (هذا) أي القرآن (ذكر من معي) يعني أمته (وذكر من قبلي) يعني أمم الأنبياء من قبلي وهو وارد في
توحيد الله ونفي الشركاء عنه فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي القرآن وهو نصب
بيعلمون وقرئ الحق أي هو الحق (فهم) لأجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه) إلا
نوحي كوفي غير أبي بكر وحماد (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد
مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة (لا يسبقونه بالقول) أي بقولهم فأنيبت اللام مناب الإضافة والمعنى أنهم
يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله (٢٥٨) ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بأمره يعملون) أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا
مبني على أمره لا يعملون
عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم) أي ما
قدموا وأخروا من أعمالهم
(ولا يشفعون إلا لمن
ارتضى) أي لمن رضي الله
عنه وقال لا إله إلا الله (وهم
من خشيته مشفقون)
خائفون (ومن يقل منهم)
من الملائكة (إني إله من
دونه) من دون الله إني
مدني وأبو عمرو (فذلك)
مبتدأ أي فذلك القائل
خبره (نجزيه جهنم) وهو
جواب الشرط (كذلك
نجزي الظالمين) الكافرين
الذين وضعوا الإلهية في غير
موضعها وهذا على سبيل
الفرض والتمثيل لتحقق
عصمتهم وقال ابن عباس
رضي الله عنهما يريد به
إبليس [illegible]
في الناس فإنه ادعى الإلهية
لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه
وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم يعلموا (أن السموات والأرض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الأرض فلذا لم يقل كن هذا
(رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح أن يقع موقع مرتوقتين (ففتقناهما) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين
والرتق ضد الفتق فإن قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا إنه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد ولأن الرؤية
بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله
ثم إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء أو كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها الله تعالى فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين أو كانت السماء رتقا
لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله
[illegible]

آلهة فهو إثبات دعواهم إنكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا
(هذا) يعني القرآن (ذكر من معي) أي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم
من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) أي خبر (من قبلي) أي من الأمم السالفة
وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة
والإنجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدا أو
كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) ۞ قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من
رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) أي فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم
بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أي عن التأمل والتفكر وما يجب عليهم من
الإيمان بأنه لا إله إلا هو ۞ قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله
(سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أي هم عباد يعني الملائكة (مكرمون) أي أكرمهم الله واصطفاهم
(لا يسبقونه) أي لا يتقدمونه (بالقول) أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى أنهم
لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم
وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) قال ابن عباس لمن قال لا إله إلا الله وقيل إلا لمن رضي
الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم إني إله من
دونه) قيل عنى به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه فإنا لا نعلم أحدا من الملائكة قال إني إله من دون الله (فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها ۞ قوله عز وجل (أولم ير
الذين كفروا) أي ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا
ملتزقتين (ففتقناهما) أي فصلنا بينهما بالهواء وقال كعب خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم
خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات
وكذلك الأرض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات
(وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه
النبات والشجر وذلك لأنه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل
يعني النطفة فإن قيل قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان فليس خرج

(أفلا يؤمنون) يشكرون بما يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالا ثوابت من رسا الشيء ثبت (أن تميد بهم) أي لئلا تضطرب بهم فحذف لا
واللام وإنما ارتكب ذلك لعدم الالتباس كما زاد لا في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجا) أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق
الواسع ونصب على الحال من (سبلا) بعده فهو بمعناه قلت أي فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الأول للإعلام بأنه جعل
فيها طرقا واسعة والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وجعلنا
السماء سقفا محفوظا) فيمنعها من السقوط كما قال ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أو محفوظا بالشهب عن الشياطين كما قال
وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) أي الكفار (عن آياتها) عن الأدلة التي فيها كالشمس (٢٥٩) والقمر والنجوم (معرضون) غير
متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذي خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبصروا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) لتكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (في فلك) عن ابن عباس رضي الله عنهما الفلك السماء والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل ما دار حركته (يسبحون) يسيرون أي يدورون والجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفإن مت) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر (فهم الخالدون) والفاء الأولى لعطف جملة على جملة والثانية لجزاء
الشرط كانوا يقدرون أنه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فإن مت أنت أيبقى هؤلاء (كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم) ونختبركم أي نعاملكم معاملة المختبر ... (بالشر) بالفقر والضر
(والخير) الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (وإلينا ترجعون) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر
وعن ابن ذكوان يرجعون (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك) ما يتخذونك (إلا هزوا) مفعول ثان ليتخذون نزلت في أبي جهل مر به النبي
صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يذكر) بسوء (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فإن كان الذاكر
صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هم كافرون) لا يصدقون به أصلا

هذا القطع رجح الأخفش والأكثر يعني أن أكثر ما على وجه الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرساها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فجاجا) أي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) أي من أن تسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الأفلاك أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بالخبر الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة عز اسمه. قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعني الدوام والبقاء في الدنيا (أفإن مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فشمتوا بموته فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم فإن مت أفيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فإن الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) أي نختبركم (بالشر والخير) أي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون (فتنة) أي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (وإلينا ترجعون) أي للجزاء والحساب. قوله عز وجل (وإذا رآك الذين كفروا إن) أي ما (يتخذونك إلا هزوا) أي سخرية نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة

موضع الحال أي يقصدون الكفر وهم على حال هي أصل الكفر والسخرية ويدعى الكفر بالله تعالى وكفرهم الثابت كذا أولئك الذين ...

وبين الجملة فائدة التقييد (خلق الإنسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته وقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * النخل ينبت بين الماء والعجل * والمنع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه (٢٦٠) كأمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة

ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نقماتي (فلا تستعجلون) بالإتيان بها وهو بالياء يعقوب وافقه سهل وعباس في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) إتيان العذاب أو القيامة (إن كنتم صادقين) قيل هو أبو جهل وصحبه استعجالهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم

(بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم (فلا يستطيعون ردها) ولا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه إن أتاكم ليلا أو نهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل أي ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فمن لا يقدر على نصر نفسه فكيف ينصر غيره ولا يصحب بنصر من جهة الله (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر)

الكذاب ﴿قوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) قيل معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الإنسان من عجل أي من طين قال الشاعر * والنبع في الصخرة الصماء منبته * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أي بين الماء والطين وقيل أراد بالإنسان النوع الإنساني يدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم إنما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين حال هؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولا هم ينصرون) أي يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب ولما قالوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعني الساعة (بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون لتوبة ولا معذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي يا محمد كما استهزأ بك قومك (فحاق) أي نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي كذلك يحيق بهم ولا يعود بالاستهزاء بهم ﴿قوله تعالى (قل من يكلؤكم) أي يحفظكم (بالليل) إذا نمتم (والنهار) إذا تصرفتم في معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواعظه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعني الكفار (وآباءهم) أي في الدنيا بما أنعمنا عليهم وأمهلناهم (حتى طال عليهم العمر) أي

أي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) أي ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام وذكر يأتي تشعر بأن الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين (٢٦١) وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها

(أفهم الغالبون) أم كفار مكة يغلبون بعدما ننقصها من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظاهراً (قل إنما أنذركم بالوحي) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (إذا ما ينذرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفح يدل على القلة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه ومنها مع أن بناءها للمرة وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله يا أيها الرسل والموازين صحائف الأعمال في قول (القسط) وصف الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لأهل يوم القيامة أي لأجلهم (فلا تظلم نفس شيئاً) من الظلم (وإن كان مثقال حبة) وإن كان الشيء مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتينا بها)

أمد عليهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون) يعني هؤلاء المشركين (أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) يعني ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضاً فأرضاً وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في إتيان الأرض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وإدخالها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤوس المشركين المتمتعين بالدنيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن إرادتنا بهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (إنما أنذركم بالوحي) أي أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) أي يخوفون (ولئن مستهم) أي أصابتهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل قليل (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك ﴿ قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل ووصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها (ليوم القيامة) أي لأهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس قيل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لأنه يقدر الأعمال الموزونة فيه وروي أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وعلى هذا في كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة والثاني أن تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فإن قلت كيف الجمع بين قوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزناً قلت هذه في حق الكفار لأنهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر ﴿ وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيئاً) أي لا ينقص مما لها وما عليها من خير وشر شيئاً (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه أنه لا ينقص من إحسان محسن ولا يزاد في إساءة مسيء وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أي أحضرناها [illegible] عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير وأصله من السجل لأنه يجمع أحكاماً والبطاقة رقعة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب

(وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضي الله عنهما لأن من حسب شيئا حفظه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) أي التوراة وهي الفرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة وذكرا أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج إليه الناس في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما أتبع بذلك المتقين خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو (٢٦٣) نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء (وهم من الساعة) القيامة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ أي جاحدون أنه منزل من عند الله (ولقد آتينا إبراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنا به) بإبراهيم أو برشده (عالمين) أي علمنا أنه أهل لما آتيناه (إذ) أما أن يتعلق بآتينا أو برشده (قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) أي الأصنام المصورة على صور السباع والطيور والإنسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التي أنتم لها عاكفون) أي لأجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أراد أن العابدين والمعبودين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل وأكد بأنتم ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع (قالوا أجئتنا بالحق) [illegible] (أم أنت من اللاعبين) أي أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم إنكاره عليهم واستبعادا لأن يكون ما هم عليه ضلالا [illegible] (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) [illegible] (وأنا على ذلكم) [illegible] (من الشاهدين) [illegible] (وتالله) أصله والله [illegible] (لأكيدن أصنامكم) لأكسرنها (بعد أن تولوا مدبرين) بعد

فما اكتسبوا [illegible] يدل على أن صحائف الأعمال هي التي توزن لأن الأعمال ليست جواهر فتوزن والله أعلم ﴿قوله تعالى (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لأن من حسب شيئا علمه وحفظه والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون في أشد الخوف منه ويروى عن الشبلي أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فأعتقوا   هكذا شيمة الملوك * بالمماليك يرفقوا

﴿قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الأعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء (وذكرا للمتقين) يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات إذا غابوا عن الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) أي كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) أي جاحدون ﴿قوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده) أي صلاحه وهداه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكنا به عالمين) أي إنه من أهل الهداية والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) يعني الصور والأصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أي فاقتدينا بهم (قال) يعني إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجئتنا بالحق) أي بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي على أنه الإله الذي يستحق العبادة وقيل شاهد على أنه خالق السموات والأرض (وتالله لأكيدن أصنامكم) أي لأمكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أي منطلقين إلى عيدكم قيل إنما قال إبراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وقال إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة فإذا هن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلناه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم

ذهابكم عنها الى عيد لكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرفه بقوله انى سقيم اى ساسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام (فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذيذ اى جذذ كخفيف وخفاف (الا كبيرا لهم) للاصنام او للكفار اى فكسرها كلها بفاس فى يده الا كبيرها فعلق الفاس فى عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه او الى ابراهيم ليحتج عليهم او الى الله لعلهم اذا عجزوا آلهتهم (قالوا) اى الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) اى ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم اى يعيبهم لابد منه للسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الثانى وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال (٢٦٣) فالمراد الاسم لا المسمى اى الذى يقال له هذا الاسم (قالوا) اى نمرود واشراف قومه (فأتوا به) احضروا ابراهيم (على أعين الناس) فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه او بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائى انه يقف عليه اى فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز فالجائز ان يكون الفاعل مسندا الى الفتى المذكور فى قوله فتى يذكرهم او الى ابراهيم فى قوله يا ابراهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر والاكثر انه لا وقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف او بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده

لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق الفأس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) اى كسرا وقطعا (الا كبيرا لهم) اى تركه ولم يكسره ووضع الفأس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وانت صحيح والفأس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) اى فى تكسيرها واجترائه عليها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) اى يعيبهم ويسبهم (يقال له ابراهيم) اى هو الذى نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) اى جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس واعينهم قاله نمرود (لعلهم يشهدون) اى عليه انه الذى فعل ذلك كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) يعنى ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب من ان تعبدوا معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) اى حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه انا فعلت ذلك (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختى لفظ الترمذى قيل فى قوله انى سقيم اى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم واما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه على تقدير شرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختى اى فى الدين والاسلام قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة كل هذه الالفاظ صدق فى نفس الامر فما كذب فان قلت قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز ان يكون الله اذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حين امر مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين

بغير نفسه واسنده اليه على اسلوب تعريضى تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لا يصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمى فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى لان اثباته للعاجز منكما والامر دائر بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويحكى أن يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو السبب فى استهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا او يحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها فكسرهن او هو معلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمحال اى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسألوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير واعيابه اليه بصيغة لانه اكبرهم فى الحرمة (فاسألوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وانتم تعلمون عجزهم عنه

فيسأل لامن يلتمس منه و حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فانه من لا يدفع عن رأسه الفأس كيف يدفع عن عابديه البأس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم فقال نكسه قلبه (٢٦٤) فجعل أسفله أعلاه أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا

عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولي علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجا عليهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) هو في موضع المصدر أي نفعا (ولا يضركم) إن لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف أفلا تتدبرون وتتفكرون أفلا تعقلون عبادتهم (أفلا تعقلون) أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلها فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (إن كنتم فاعلين) أي إن كنتم ناصرين آلهتكم

نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول العقاب وهو الإحراق بالنار وإلا فرطتم في نصرتها والذي أشار بإحراقه نمرود أو رجل من أكراد فارس روي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا أصناف الخشب ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحرق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما إليك فلا [illegible] حسبي الله ونعم الوكيل

الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الأنبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة إلى كلها والحديث محمول على المعاريض فإن فيها مندوحة عن الكذب ﴿ وقوله (فرجعوا إلى أنفسهم) أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم (فقالوا) ما نراه إلا كما قال (إنكم أنتم الظالمون) يعني بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول وهو إقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى حالهم الأولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أي ردوا إلى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) أي إن عبدتموه (ولا يضركم) أي إن تركتم عبادته (أف لكم) أي تبا لكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى أنه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أي أليس لكم عقل تعقلون به أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) يعني أنكم لا تنصرونها إلا بحرق إبراهيم لأنه يعيبها ويطعن فيها (إن كنتم فاعلين) أي ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الأكراد وقيل اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

(ذكر القصة في ذلك)

فلما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لأجمعن حطبا لإبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب من ماله لإبراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى أن الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فإن استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه وقال إن أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة فقال أما إليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم

حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم. قال كعب الأحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على إبراهيم (قلنا) أي قال الله عز وجل (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها وفي بعض الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال إبراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى إن أقمت أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك قاعدا إلى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال إبراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه ﴿ قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) أي أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الأخسرين) قيل معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل إن الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته ﴿ قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعني من نمرود وقومه (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) يعني إلى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها ومعنى البركة أنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لأن أكثر الأنبياء منها (ق) عن أبي قتادة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لأهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي * عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن إسحق استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناحور لأنهم أولاد تارح وهو آزر فخرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا إلى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا إلى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴿ قوله تعالى (ووهبنا له إسحق

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلام مبالغة في ذلك كأن ذاتها برد وسلام (على إبراهيم) أراد ابردي فيسلم منك إبراهيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها والمعنى أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير (وأرادوا به كيدا) إحراقا (فجعلناهم الأخسرين) فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فأهلكته (ونجيناه) أي إبراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) أي أرض الشام وبركتها أن أكثر الأنبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهي أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقير وقيل ما من ماء عذب في الأرض إلا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس روي أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم (ووهبنا له إسحق

[illegible] (ومن بائه) قيل هو مصدر كالعاقبة من غير لفظه الفعل السابق أي وهبناه هبة وقيل هي ولد الولد وقد سأل ولدا فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي ابراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهدون) الناس (بأمرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهي جميع الاعمال الصالحة وأصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (وإقام الصلوة وايتاء الزكوة) والأصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين) لا للأصنام فأنتم يا معشر العرب أولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهي ما يجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلما) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبائث) اللواطة والضراط وحذف الحصى بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وأدخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا أو في الجنة (انه من الصالحين) أي جزاءله على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (ونوحا) أي واذكر نوحا (اذ نادى) أي دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أي دعاءه (فنجيناه وأهله) أي المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أي بإهلاكهم (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم [illegible] (وداود وسليمان) أي واذكرهما (اذ) بدل منهما (يحكمان في الحرث) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلا فأكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع (وكنا لحكمهم) أراد بهما والمتحاكمين اليهما (شاهدين) [illegible]

(ويعقوب نافلة) أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لأن الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم أئمة) أي يقتدى بهم في الخير (يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس الى ديننا بأمرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي العمل بالشرائع (وإقام الصلوة) أي المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) أي الواجبة وخصهما لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) أي موحدين

﴿قوله عز وجل﴾ (ولوطا آتيناه حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعني الانبياء

﴿قوله تعالى﴾ (ونوحا اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل معناه على (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين)

﴿قوله عز وجل﴾ (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) أي رعته ليلا فأفسدته وكانت بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا وبمرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول ان أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فأفسدته فلم تبق منه شيأ فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار فأفسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه وألهمناه حكم

وتصنعه أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلاً فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فأما في شريعتنا فلا ضمان (٢٦٧) عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها أو نسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا صلحاً وما فعله داود كان حكماً والصلح خير (وكلا) من داود وسليمان (آتينا حكماً) نبوة (وعلماً) معرفة بموجب الحكم (وسخرنا) وذللنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلاً قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لأنها جماد روي أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكنا فاعلين) بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجباً عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لتحصنكم) شامي وحفص أي الصنعة وبالنون أبو بكر وحماد أي الله عز وجل وبالياء غيرهم أي اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الأمر أي فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لأنها تجري باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته (تجري بأمره) بأمر سليمان (إلى الأرض التي باركنا فيها) بكثرة الأنهار والأشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها

القصة (وكلا) يعني داود وسليمان (آتينا حكماً وعلماً) أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطؤوا فلا إثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر وقال قوم إن داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عنه بالوحي واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد أن للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهداً ووجه الاجتهاد في هذا الحكم أن داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساوياً لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر أن يغرم بمثله فلا جرم سلم الغنم إلى المجني عليه وأما سليمان فإن اجتهاده أدى إلى أنه يجب مقابلة الأصول بالأصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الأصول بالزوائد فغير جائز ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ۞ قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود إذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه إذا صلى وقيل كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه (وكنا فاعلين) يعني ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقاً داود وكانت من قبل صفائح قالوا إن الله ألان الحديد لداود بأن يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) أي تحرزكم (من بأسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) أي يقول ذلك لداود وأهل بيته ۞ قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أي شديدة الهبوب فإن قلت قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني الشام

وذلك لما كانت تجري بسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم تعود إلى منزله بالشام (وكنا بكل شيء عالمين) أي بصحة التدبير فيه وعلمنا أن ما نعطي سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأً غزّاءً قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً قال وهب ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الإنس أو من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من إيلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروي أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها إلى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياماً وغدا منها فقال بكسكر ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وفي ذلك يقول النابغة

إلا سليمان إذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيّس الجن إني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملاً دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية ويجاوزون في ذلك إلى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكنا لهم حافظين) أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك أنهم كانوا إذا عملوا عملاً في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه وقيل إن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه) أي دعا ربه

(ذكر قصة أيوب عليه السلام)

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال حوران من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة وأربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين يطعمهم ويكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله مؤديا

(وكنا بكل شيء عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أي وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها (ويعملون عملاً دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وأيوب) أي واذكر أيوب (إذ نادى ربه

فلو الله فقد اسمع من عدو الله إبليس أن يصيبه بما أصيب من أهل البيت من العزة والعظمة والتشاغل عن
أمر الله عما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له اليفز
ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما بلدد وللآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان إبليس لا يحجب
عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها إلا من استرق السمع فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب
وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك إبليس الحسد والبغي فصعد سريعاً حتى وقف من السماء حيث كان
يقف وقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو
ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق
فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين
وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها
الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار فأحرق كل شيء أتى
عليه فقال إبليس اذهب فأت الإبل ورعاتها فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من
تحت الأرض إعصار من نار فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قيمهم ممن
كانوا عليها على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها
غيري فقال أيوب بعد أن فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وإنها مال الله أعارنيها وهو أولى
بها إذا شاء نزعها قال قد تركت الناس مبهوتين يقفون عليها يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان
إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل
ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عرياناً خرجت من
بطن أمي وعرياناً أعود إلى التراب وعرياناً أحشر إلى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك
وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك
الأرواح وصرت شهيداً ولكنه علم منك شراً فأخرك فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً فقال ماذا عندكم من
القوة فإني لم أكلمه فقال عفريت من الجن عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح
إلا خرجت روحه فقال إبليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتاً من عند
آخرها ومات رعاتها ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الأول فرد
عليه أيوب مثل الرد الأول فرجع إبليس إلى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب فقال
عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفة تنسف كل شيء تأتي عليه فقال فأت الفدادين
في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمانهم إلى أيوب وهو قائم يصلي
فقال له مثل قوله الأول فرد عليه أيوب مثل رده الأول وجعل إبليس يصيب ماله مالاً مالاً حتى مر على آخره
كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعاً حتى وقف في الموقف
الذي يقف فيه وقال إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده
فإنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله
حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها
بعضاً يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم فصاروا منكسين وانطلق إلى
أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف قلبوا منكوسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت

بعاوتهم وتشاغرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من
التراب فوضعها على رأسه وقال ليت أمي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب
مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله
وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهي انما هون على أيوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه
فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده
ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب
ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو
الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه
نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره
حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نغل
لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم
غير امرأته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى
الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه
أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد
آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن تركتم
من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم
وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم
وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل
الأرض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره مذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا
ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه
الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي
المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه
ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان
لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه
ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها
الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا
أسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله ولكنهم اذا
ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لأمر
الله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين
وانهم لأبرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لأكياس أقوياء فقال أيوب عليه السلام ان الله يزرع
الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة
من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم يسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون
من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل أن
تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني
قربانا لعل الله أن يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم ولو
نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم
فيما خلا توقرونني وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا

كلام

كلام مثلكم وأنتم كنتم أشد عليّ من مصيبتي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً إليه
فقال يا رب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت
فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا
وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف
يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع
الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي وأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي
لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلما قال
ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله يقول ها أنا ذا قد دنوت
منك ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار
يخاصم جبارا إن استطعت فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما يبلغ لمثله
مثلك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها هل علمت بأي مقدار
قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء
أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت مني يوم أنبعت الأنهار
وسكبت البحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها
أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال
وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من
أي شيء أنشأت السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة
النهار بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق
الأسماع والأبصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الأرزاق بحكمته في كلام كثير
يدل على آثار قدرته ذكرها لأيوب فقال أيوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا
الأمر الذي تعرض علي إلهي قد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك
وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية إلهي أوهتني المصيبة فتكلمت ولم أملك نفسي
فكان البلاء هو الذي أنطقني ليت الأرض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت
بغمي في أشد بلائي قبل ذلك إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن
أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك وأستجير
بك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فأغثني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل عليك
فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى يا أيوب نفذ
فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن
أصحابك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك وروي عن أنس رفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة
سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة
لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه تصدق وكانت تأتيه
بالطعام وتحمد الله معه إذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ إبليس
صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا ما أحزنك قال أعياني هذا العبد الذي لم
أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد إلا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه إلا امرأته

فاستغيث بكم لتعينوني عليه فقالوا له فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب
فأشيروا علي قالوا فمن أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل
امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امرأة
أيوب وهي تتصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد
الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم
والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم أنها قد
جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال
أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أتاك عدو
الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت
ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء
ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله
طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام أن أذوق منه شيئا اغربي عني فلا أراك فطردها فذهبت فلما
نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (إني مسني الضر وأنت أرحم
الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم
يبق عليه من درنه ودائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين
أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان
له وما كان له من أهل ومال إلا وقد ضعفه الله وذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا
من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها فخرج
حتى جلس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت أرأيت إن كان طردني إلى من أكله أدعه يموت جوعا وتضيع
فتأكله السباع لأرجعن إليه فرجعت إليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التي كانت تعرف إذا الأمور قد
تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله
عن أيوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة
لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منه فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه إذا رأيته قالت وهل
يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت أما إنه أشبه خلق الله به إذ كان صحيحا قال فإني أنا
أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين
وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة
ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وقال
لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت
بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل
ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي ثم أراها إياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب أن إبليس
قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال
لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك
مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له ودعائه إياها وإياي إلى الكفر ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة
أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود
صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل إنما قال مسني الضر حين قصد الدود إلى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن
الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل فيه لو كان لك
عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وأتته بطعام

(أني) أي دعا بأني (مسني الضر) الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض أو هزال (وأنت أرحم الراحمين) ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه عن أنس رضي الله عنه أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له إنا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل إنما شكا إليه بالنداء النجوى لا منه قصورا بالشكوى والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد

والثالث قول إبليس أي أذاه به على أن يقول أنت شفيعي وقيل مسني الضر أي من شماتة الأعداء حتى
روي أنه قيل له بعدما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء فإن قلت كيف سماه الله صابرا
وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية
وإنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى إنما تكون إلى الخلق لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب
إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله
تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روي أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال
كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجدني مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه ﴿قوله
تعالى (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله
فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب
برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه
فصار كأصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين رد الله إليه
أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله
رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس يرفعه أنه كان
له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت
الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروي أن الله تعالى بعث إليه ملكا وقال له إن ربك يقرئك السلام
بصبرك فاخرج إلى أندرك فخرج إليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها إلى
أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي
في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقيل آتى الله
أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لأيوب إن أهلك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن
شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى
هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد (رحمة من عندنا)
أي نعمة (وذكرى للعابدين) أي عظة وعبرة لهم ﴿قوله عز وجل (وإسماعيل) هو ابن إبراهيم صلى الله عليهما
وسلم (وإدريس) هو أخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء
أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما إسماعيل صلى الله عليه وسلم فإنه
صبر على الانقياد إلى الذبح وأما إدريس فقد تقدم ذكره وقصته وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل إنه كان نبيا
من بني إسرائيل وكان ملكا أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل أنه
يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك إليه ففعل ذلك فقام
شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال لو أني
استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي أنظر كيف يعمل فجمع الناس وقال من يتقبل مني بثلاث
أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال
مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف
حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ
كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه
حتى ذهبت القائلة فقال إذا رحت فأتني حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ
فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع إلى القائلة
وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك إذا قعدت فأتني قال

(فاستجبنا له) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) فكشفنا ضره إنعاما عليه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روي أن أيوب عليه السلام كان روميا من ولد إسحق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكرى للعابدين) يعني رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (وإسماعيل) بن إبراهيم (وإدريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أي اذكرهم وهو إلياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمي به لأنه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

أنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد فالزمني تعطك حقك وإذا قمت يجحدوني قال فانطلق فإذا جلست فأتني
وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله
لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق علي النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن
له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسوّرها فإذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ
فقال يا فلان ألم آمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا
الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم بالباب فنظر إليه فعرفه فقال أعدوّ الله قال نعم أعييتني ففعلت
ما فعلت لأغيظك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا
وهو إلياس وقيل هو زكريا وقيل إنه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به
عليهم من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب (إنهم من الصالحين) ﴿قوله عز وجل﴾ (وذا النون) أي
واذكر صاحب الحوت أضيف إلى الحوت لابتلاعه إياه وهو يونس بن متى (إذ ذهب مغاضبا) قال ابن
عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي
منهم سبطان ونصف فأوحى الله إلى شعيا النبي أن سر إلى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فإني ألقي في قلوب
أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الأنبياء قال يونس إنه
قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك بإخراجي قال لا قال فهل سماني الله
لك قال لا قال فههنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب
وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم
جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة
من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أنهم
يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة هنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أي غضبان وقال ابن عباس
أتى جبريل يونس فقال انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم فقال التمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب
وانطلق إلى السفينة وقال وهب إن يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أعباء النبوة تفسخ
تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم
من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت
وقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أي أن لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن
أن لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجزنا ولا نقدر عليه وقيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه
واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه في بطن
الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل إن الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم
الأرض السابعة فتاب إلى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أي حيث عصيتك وما صنعت من شيء
فلم أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى إلى الحوت أن
خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر
سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت
فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول
فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم
وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له
ونجيناه من الغم) أي من تلك الظلمات (وكذلك ننجي المؤمنين) أي من الكرب إذا دعونا واستغاثوا

قوله وذا النون أي واذكر صاحب الحوت
والنون الحوت فأضيف
إليه (إذ ذهب مغاضبا) حال
أي مراغما لقومه ومعنى
مغاضبته لقومه أنه أغضبهم
بمفارقته لخوفهم حلول
العقاب عليهم عندها
وروي أنه برم بقومه لطول ما
ذكرهم فلم يتعظوا
وأقاموا على كفرهم فراغمهم
وظن أن ذلك يجوز حيث
لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا
للكفر وأهله وكان عليه أن
يصابر وينتظر الإذن من
الله تعالى في المهاجرة عنهم
فابتلي ببطن الحوت (فظن
أن لن نقدر) لن نضيق (عليه)
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه دخل يوما على
معاوية فقال لقد ضربتني
أمواج القرآن البارحة
فغرقت فيها فلم أجد لنفسي
خلاصا إلا بك قال وما هي
يا معاوية فقرأ الآية فقال
أو يظن نبي الله أن لا يقدر
عليه قال هذا من القدر
لا من القدرة (فنادى في
الظلمات) أي في الظلمة
الشديدة المتكاثفة في بطن
الحوت كقوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات
أو ظلمة الليل والبحر وبطن
الحوت (أن) أي بأنه
(لا إله إلا أنت) أو بمعنى
أي (سبحانك إني كنت من
الظالمين) لنفسي في خروجي
من قومي قبل أن يأذن لي
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم (فاستجبنا له
ونجيناه من الغم) من غم الالتقام (وكذلك ننجي المؤمنين) إذا دعونا واستغاثوا بنا

المعنى لأن النون لا تدغم في الجيم وقيل تقديره نُجّي النجاء المؤمنين فأسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وقيل أصله ننجي من الإنجاء فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين في تنزل الملائكة (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث أي باق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجه) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (إنهم) أي الأنبياء المذكورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي إنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرهبة منا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذكر التي (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وإنما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة هي ولادتها إياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (إن هذه أمتكم أمة واحدة) الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام وهي ملة جميع الأنبياء وأمة واحدة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ربكم واحد أراد فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة (كل إلينا راجعون) فنجازيهم على أعمالهم (فمن

فإن قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الأنبياء منها قوله إذ ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله إني كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب المفصل فقوله إذ ذهب مغاضبا فحمله على أنه لقومه أو للملك أولى بحال الأنبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن نضيق عليه وذلك أن يونس ظن أنه مخير إن شاء أقام وإن شاء خرج وأن الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه الأشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من المفصل والله أعلم ۞ قوله عز وجل (وزكريا إذ نادى ربه) أي دعا ربه فقال (رب لا تذرني فردا) أي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز وكقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أي ولدا (وأصلحنا له زوجه) أي جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) يعني الأنبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لأنها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعني أنهم ضموا إلى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفزع إلى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفا من الوقوع في الإثم ۞ قوله تعالى (والتي أحصنت فرجها) أي أحصنته إحصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم أك بغيا وهي مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وإضافة الروح إليه للتشريف والتخصيص لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) أي دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فإن قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها إياه من غير أب آية ۞ قوله تعالى (إن هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي دينا واحدا وهو الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل إلينا راجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فمن

يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا نجحد ولا نبطل سعيه بل نشكره ونثيبه عليه (وإنا له كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بإهلاكهم أن يتقبل أعمالهم لأنهم لا يتوبون ﴿قوله عز وجل (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك أن الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال إنهم تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما أن المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الأصح بدليل ما روي عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشأم والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام إلى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم* (شرح غريب ألفاظ الحديث)* قوله حتى ظنناه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع أي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في أمره وقيل معناه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والخوف منه من أمره وقوله إنه شاب

وقطط

فمثل لحرمان الثواب بالكفران الشكر مثل في إعطائه ونفي نفي الجنس ليكون أبلغ (وإنا له) للسعي أي الحفظة بأمرنا (كاتبون) في صحيفة عمله فنثيبه (وحرام) وحرم كوفي غير حفص وهما لغتان كحل وحلال وزنا وصفة فعل والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) والمعنى وممتنع على مهلك غير ممكن أن لا يرجع إلى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهلكناها أي قدرنا إهلاكهم أو حكمنا بإهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور أنهم لا يرجعون من الكفر إلى الإسلام (حتى) هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (إذا) وما في حيزها (فتحت يأجوج ومأجوج) أي فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى قرية فتحت شامي وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين فتح السد (من كل حدب) نشز من الأرض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

(واقترب الوعد الحق) أي القيامة وجواب إذا (فإذا هي) وهي إذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فإذا هي شاخصة أو إذا هي شاخصة كان سديدا وهي ضمير مبهم توضحه الأبصار ويفسره (شاخصة أبصار الذين كفروا) أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم (٢٧٧) فيه (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (إنكم وما تعبدون من دون الله) يعني الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم (حصب) حطب وقرئ حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ما وردوها) ما دخلوا النار (وكل) أي العابد والمعبود (فيها) في النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (وهم فيها لا يسمعون) شيئا لأنهم صاروا صما وفي السماع نوع أنس فلم يعطوه (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش إنكم وما تعبدون من دون الله إلى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح و بنو مليح الملائكة على أن قوله وما تعبدون لا يتناولهم لأن ما لما لا يعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد في البيان (أولئك) يعني عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لأنهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روي أن عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم ...

قطعا أي حصد الشجر قوله طائفة أي جماعة من بعدها قوله إنه خارج خلة أي أنه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والخلال الدخول في الشيء قوله فعاث أي أفسد قوله أقدر واله قدره أي قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته قوله فيروح عليهم سارحتهم أي ماشيتهم قوله فيصبحون ممحلين أي مقحطين قد أجدبت أرضهم وعلت أسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة والمعجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الأصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لأحد بقتالهم أي لا قدرة ولا قوة لأحد بقتالهم والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم أي زنخهم ونتنهم قوله كالزلفة أي كالمرآة وجمعها زلف ويروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله بأكل العصابة أي الجماعة قوله ويستظلون بقحفها وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون أي يتسافدون والتهارج الاختلاط وأصله القتل (الوجه الثاني) في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون فقيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ﴿قوله عز وجل﴾ (واقترب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة قوله (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية أن القيامة إذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا من شدة الأهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا إنه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضع العبادة في غير موضعها ﴿قوله عز وجل﴾ (إنكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الأصنام (حصب جهنم) أي حطبها ووقودها وقيل يرمون في النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ما وردوها) أي ما دخل الأصنام النار وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو أن يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة أنينهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحدهم أن في النار أحدا يعذب غيره ﴿قوله تعالى﴾ (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء إن هنا بمعنى إلا أي إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) يعني عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم

لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لا يحزنهم الفزع الأكبر) النفخة الأخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا، العامل في (يوم نطوي السماء) لا يحزنهم أو تتلقاهم تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر بمعنى نطويها (كطي السجل) أي الصحيفة (للكتب) حمزة وعلي وحفص أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من (٢٧٨) المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة أي لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف إلى الفاعل وعلى الأول إلى المفعول (كما بدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق إيجاده أي فكما أوجده أولا يعيده ثانيا تشبيها للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء والتنكير في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة للإعادة (علينا) أي وعدا كائنا لا محالة (إنا كنا فاعلين) ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتاب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (أن الأرض) أي الشام (يرثها عبادي) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح لأن الكل أخذ منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور والأرض أرض الجنة (إن في هذا) أي القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ (لبلاغا) لكفاية وأصله ما تبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح تعبد الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون، وزعم جماعة أن المراد من الآية الأولى الأصنام لأن الله تعالى قال إنكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال ومن تعبدون لأن من لمن يعقل وما لما لا يعقل (لا يسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركتها إذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقيمون. قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الأخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا. قوله عز وجل (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذا رفعت إليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والمعنى لا يحزنهم الفزع الأكبر في ذلك اليوم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أي غلفا. قوله تعالى (وعدا علينا إنا كنا فاعلين) يعني الإعادة والبعث بعد الموت. قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الأنبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعدما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد بمعنى قبل (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ وفي كتب الأنبياء أن الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين وقيل أراد الأرض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (إن في هذا) أي في القرآن (لبلاغا) أي وصولا إلى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد إلى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون أحدا من

وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك إلا رحمة) وقال عليه السلام إنما أنا رحمة مهداة (للعالمين) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن لم يتبع فإنما أتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له أو حال أي ذا رحمة (قل إنما) إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن (يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد) والتقدير يوحى إلي وحدانية إلهي ويجوز أن يكون المعنى أن الذي يوحى إلي فتكون ما موصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الأمر أي أسلموا (فإن تولوا) عن الإسلام (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أي مستوين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى (٢٧٩) لم يطلعني عليه ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة أو لا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) إنه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام وما تكتمونه في صدوركم من الأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه (وإن أدري لعله فتنة لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع إلى حين) وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قال حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم ربي أحكم يزيد بلفظ يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو المستعان على ما تصفون *(سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفزاع والزلزلة شدة التحريك والإزعاج وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تزلزل الأرض على المجاز الحكمي أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار وهي أن تكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ...

دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا رحمة مهداة (قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى إلي من إخلاص الإلهية والتوحيد لله والمراد منه الاستفهام الأمر أي أسلموا (فإن تولوا) أي أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أي إنذارا بينا نستوي في علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الإيمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وإن أدري) أي وما أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) يعني يوم القيامة لا يعلمه إلا الله (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي لا يخفى عليه شيء منكم في علانيتكم وسركم (وإن أدري لعله فتنة لكم) أي لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم (ومتاع إلى حين) أي تتمتعون إلى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أي افصل بيني وبين من كذبني (بالحق) أي بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أي من الشرك والكفر والكذب والأباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا إلى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الحج)

وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان إلى قوله وهدوا إلى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية وألف ومائتان وإحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي احذروا عقابه واعملوا بطاعته (إن زلزلة الساعة شيء عظيم)

الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر وتهويله لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأهما عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين مفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا ۞ قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وإحياء من صار ترابا (ويتبع) أي في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) أي المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان أحدهما المراد شياطين الإنس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم إلى الكفر والثاني إبليس وجنوده (كتب عليه) أي قضي على الشيطان (أنه من تولاه) أي اتبعه (فأنه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه إلى عذاب السعير) وفي الآية زجر عن اتباع الشيطان والمعنى كتب عليه أنه من تولاه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال

[illegible] (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة [illegible] (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذ المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به (وتضع كل ذات حمل) أي حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالإمالة حمزة وعلي وهو كعطشى في عطشان روي أنه نزلت الآيتان ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلي أو هي عامة في كل من تخاصم في الدين بالهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مريد) عات مستمر في الشر ولا وقف على مريد لأن ما بعده صفته (كتب عليه) قضي على الشيطان (أنه) أن الأمر والشأن وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أي تبع الشيطان (فأنه) فإن الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه إلى عذاب السعير) النار قال الزجاج الفاء في فأنه للعطف وأن مكررة للتأكيد ورد [illegible] وقال إن كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وإن كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالأمر أنه يضله [illegible] الأول [illegible] كتب على الشيطان إضلال من تولاه وهدايته إلى النار ثم ألزم الحجة على منكري البعث

فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) يعني إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فإنا خلقناكم) أي أباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة) أي قطعة دم جامدة (ثم من مضغة) أي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة السالمة من النقصان والعيب كأن الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على إعادة ما بدأه (ونقر) بالرفع مستأنف بعد الفصل مستأنف بعد وقف أي نحن نقر (في الأرحام ما نشاء) ثبوته (إلى أجل مسمى) أي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس ولذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من ألفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أخسه يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي لكيلا يعلم شيئا من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الأرض هامدة) ميتة يابسة (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقيل ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظر إليه (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو أن الله هو الحق أي الثابت الوجود (وأنه يحيي الموتى) كما أحيا الأرض (وأنه على كل شيء قدير) قادر

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أي شك (من البعث) أي بعد الموت (فإنا خلقناكم من تراب) يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذريته من المني وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) أي من دم جامد غليظ وذلك أن النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة إلى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الأحوال كلها وروي عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الأجل ما العمل ما الرزق بأي أرض تموت فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ۞ وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغيير المضغة إلى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فإن القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزا عن الإعادة (ونقر في الأرحام ما نشاء) أي لا نسقطه ولا نعدمه (إلى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا وإنما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ۞ ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الأرض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي ارتفعت وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات (وأنبتت) هو مجاز لأن الله تعالى هو المنبت وأضيف إلى الأرض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نضر والبهيج هو البهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم إن الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذلك الذي ذكرنا لتعلموا (بأن الله هو الحق) وأن هذه الأشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي إنه إذا لم يستبعد منه إيجاد هذه الأشياء فكيف يستبعد منه إعادة الأموات (وأنه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان

(وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي أنه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد
(ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لأنه يهدي إلى
المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحي والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء
وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه إلى غيره (ليضل) تعليل للمجادلة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا
خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي جمع له عذاب الدارين (ذلك بما قدمت يداك) أي السبب في عذاب
الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لأن اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير
ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أي وبأن الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولأن قليل الظلم
منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطربا (فإن أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وإن أصابته فتنة) شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتد ورجع إلى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا
وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا [illegible]
وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي
الآخرة بالخلود في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعني الصنم
فإنه بعد الردة يفعل كذلك (ما لا يضره) إن لم يعبده (وما لا ينفعه) إن عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعو لمن ضره أقرب
من نفعه) والإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك
أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله أنه ينتفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين
يرى استضراره بالأصنام ولا يرى أثر ...

قادرا على جميع الممكنات (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي فاذكروا من
الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وأنها حق وأن البعث بعد الموت حق ۞ قوله تعالى (ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحارث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا
كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لاوي عنقه وعطفه متكبرا معرضا عما
يدعى إليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهوان وهو
أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك (بما
قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد تصرف في
عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم ۞ قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم
من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصح بها جسمه
ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وإن
أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرا
فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شك وأصله من
حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي القائم عليه غير مستقر فقيل للشاك في الدين إنه يعبد الله على
حرف لأنه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون
وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله
بلسانه دون قلبه (فإن أصابه خير) أي صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضي به وسكن إليه
(وإن أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع على عقبه إلى
الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا حق في غنيمة وماله
مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود في النار (ذلك هو الخسران المبين)
أي الظاهر (يدعو من دون الله ما لا يضره) إن عصاه ولم يعبده (وما لا ينفعه) أي إن أطاعه وعبده (ذلك
هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فإن قلت قد قال الله تعالى في الآية
الأولى يدعو من دون الله ما لا يضر وما لا ينفعه وقال في هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض
فكيف الجمع بينهما قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى قال في الآية الأولى ما لا يضره
أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أي ضر عبادته وقيل إن الأصنام لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب
الضرر وذلك يكفي في إضافة الضرر إليها وقيل إن الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو

(لبئس المولى) أي الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) المعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بحبل (إلى السماء) إلى سماء (٢٨٣) بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصري وشامي (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أي الذي يغيظه أو ما مصدرية أي غيظه والمعنى فليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدي من يريد) أي ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) في الأحوال والأماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر إن الذين آمنوا إن الله يفصل بينهم كما تقول إن زيدا إن أباه قائم (إن الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل إن الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سمي مطاوعته غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها بمطاوعة سجود المكلف الذي كل خضوع دونه

أن يمد بحبله وصلاتها به يقطع به حتى يستخشن وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون إليهم لأنه يصح منهم أن ينصروا وينفعوا وعلى هذا القول إن الله تعالى بين في الآية الأولى أن الأوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها أنصارا ونفعا فلو كان المذكور في هذه الأوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء فتلك قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أي الناصر والصاحب المعاشر ﴿قوله عز وجل﴾ (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) أي بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الهوان ﴿قوله تعالى﴾ (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (في الدنيا) أي بإعلاء كلمته وإظهار دينه (والآخرة) أي وفي الآخرة بإعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) أي بحبل (إلى السماء) أي سقف البيت على قول الأكثرين والمعنى ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أي الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده) أي صنعه وحيلته (ما يغيظ) أي بالخنق غيظه وليس هذا على سبيل الحتم لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه فليقطعه من أصله فإن أصله في السماء فليطلب سببا يصل به إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه فلينظر هل يمكنه الوصول إلى السماء بحيلة وهو لا يقدر على ذلك فيذهب غيظه بهذا الفعل فإذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفي الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه وروي أن الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكننا أن نسلم لأنا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المخالفة بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يؤووننا وقيل النصر بمعنى الرزق ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يغير القدر وما تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطيني أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الأوثان قيل الأديان ستة واحد لله وهو الإسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا الإسلام (إن الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد (إن الله على كل شيء شهيد) أي إنه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية في تفسير سورة البقرة ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر) أي ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الأشياء تحول ظلالها وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصف الله به أهل السموات والأرض وهذا مذهب أهل السنة وهو أن هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي يخلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن قلت هذا

التأويل بطاله قوله (وكثير من الناس) فإن السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فإسناده إلى كثير
من الناس يكون تخصيصاً من غير فائدة فالمعنى الذي ذكرته وإن كان عاماً في حق الكل إلا أن بعضهم
تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وإن كان ساجداً بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فإنه ساجد
بذاته وبظاهره أيضاً فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من
في السموات ومن في الأرض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الأول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى
الطاعة والعبادة فإن قلت قوله من في السموات ومن في الأرض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من
الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لأوهم أن كل الناس يسجدون فبين أن كثيراً من الناس يسجدون طوعاً
دون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم
وتركهم السجود ومع كفرهم فإنه تسجد ظلالهم لله عز وجل (ومن يهن الله فما له من
مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه أحد (إن الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة
من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الإكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب
(فصل) هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع
تلاوتها ۞ قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين
الخصمين فروي عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن هذه الآية هذان خصمان اختصموا
في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة
أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة
قال قيس بن عباد وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة
وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن إسحق خرج يوم بدر
عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة أخوه والوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة
عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الأنصار فقالوا حين
انتسبوا أكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا
أنفسهم فقالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فأما
حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة
وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما أتوا به إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيداً يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حياً لعلم أنا
أحق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً
ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب
وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسداً فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي
ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني
إلا ضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من
عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا
تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من
خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقاً وللبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول
ضعيف والأقوال الأول أولى بالصحة لأن حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالإشارة إلى سبب تقدم

(وكثير من الناس) أي
ويسجد له كثير من الناس
سجود طاعة وعبادة أو هو
مرفوع على الابتداء ومن
الناس صفته والخبر محذوف
وهو مثاب ويدل عليه قوله
(وكثير حق عليه العذاب)
أي وكثير منهم حق عليه
العذاب بكفره وإبائه
السجود (ومن يهن الله)
بالشقاوة (فما له من
مكرم) بالسعادة (إن الله
يفعل ما يشاء) من الإكرام
والإهانة وغيرهما وظاهر
هذه الآية والتي قبلها
ينقض على المعتزلة قولهم
لأنهم يقولون شاء أشياء ولم
يفعل وهو يقول يفعل
ما يشاء (هذان خصمان)
أي فريقان مختصمان
فالخصم صفة وصفهما
الفريق وقوله (اختصموا)
للمعنى وهذان للفظ والمراد
المؤمنون والكافرون
وقال ابن عباس رضي الله
عنهما رجع إلى أهل
الأديان المذكورة فالمؤمنون
خصم وسائر الخمسة خصم
(في ربهم) في دينه وصفاته
ثم بين جزاء كل خصم بقوله

فكر

(فالذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنيّ بقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق (يصب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يصهر) يذاب (به) بالحميم (ما في بطونهم والجلود) أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سياط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتمال من منها بإعادة الجار أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعني كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور) جمع أسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدني وعاصم على ويؤتون لؤلؤا والجر غيرهم عطفا على من ذهب وترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو بكر وحماد (ولباسهم فيها حرير) أبريسم (وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) أي أرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد وإلى صراط الحميد أي الإسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن الدخول في الإسلام ويصدون حال من فاعل كفروا أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن إلى الفقراء فإنه يراد به استمرار وجود الإحسان منه في الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذي جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فإن أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها وإن أريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وعن المقيم بالباء مكي وافقه أبو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ

ذكره وهو أهل الأديان الستة وإضافته ذكر صفة أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما لكل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمي اشتد حرارته وسمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار الذي انتهت حرارته (يصهر به) أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم (ما في بطونهم) من الشحوم والأحشاء (والجلود) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوف أحدهم فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أي سياط من حديد وهي الجرز من الحديد وقيل الجرز لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم (أعيدوا فيها) أي ردوا إليها بالمقامع وقيل إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أي يقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق أي المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الإبريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية بن حيدة بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ۞ قوله تعالى (وهدوا) من الهداية أي أرشدوا (إلى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهدوا إلى صراط الحميد) أي إلى دين الله وهو الإسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله ۞ قوله عز وجل (إن الذين كفروا) أي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالمنع من الهجرة والجهاد والإسلام (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) أي قبلة لصلاتهم ومناسكهم وعبادتهم (سواء العاكف) أي المقيم (فيه) قال بعضهم يدخل فيه الغريب إذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أي

الطارئ البادي أن النازل من غيره وأجمعوا على أن المعنى بالآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يزعج أحد أحدا إذا كان قد سبق إلى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها قالوا إن أرض مكة لا تملك ولو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد وإليه ذهب أبو حنيفة قالوا المراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وإجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار وإليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار إلى مالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الديار إليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها ﴿وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أي في المسجد الحرام (بإلحاد بظلم) أي يميل إلى الظلم فقيل الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة يدل عليه ما روي عن يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم قال السدي إلا أن يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله ﴿قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن على قدري فبنى عليه (أن لا تشرك بي شيئا) أي عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا (وطهر بيتي) أي من الشرك والأوثان والأقذار (للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين (والركع السجود) أي المصلين ﴿قوله عز وجل (وأذن) أي أعلم وناد والأذان في اللغة الإعلام (في الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الأذان وعلينا البلاغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار كأطول الجبال فأدخل إصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروي أن إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى وزعم الحسن أن المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة

ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالإلحاد العدول عن القصد (نذقه من عذاب أليم) في الآخرة وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أن) هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له (لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي) من الأصنام والأقذار وقرئ بيتي مدني وحفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن في الناس بالحج) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ إلى مقصد منيع وروي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام لبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الوداع

[illegible] الوداع والأول [illegible] ابن عباس

(يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجالا كأنه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فأنتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال

زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

واللام (في ليشهدوا) للعصر وامتعلق بأذن أو بيأتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهجر البلاد والأوطان وفرقة الأولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء (٢٨٧) فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده وكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران وكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغائب أوزارها سائلين حطها طمعا وهم ما بين مردود ومقبول كوقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف الى الجنة من الى سماء السادسين وحلق الرأس والتقصير كالخروج من السيئات بالرحمة والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الانداء والنقمان يشبه دار السلام التي هي من نزلها بقي سالما من الآفات والزوال وعرفات الجمعة يعني مكاره الأنفس العادية كأن الملك يحض ... القادمين بالمنى ... الى البقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يبين لها أن المهيمنة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والأمر للاباحة ويجوز الأكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فأشبه الأضحية ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه وقيل قضاء التفث قص الشارب والأظافر ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن

الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يأتوك رجالا) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم (يأتين) أي جماعة الابل (من كل فج عميق) أي من كل طريق بعيد الى مكة حاجا فكأنه قد أتى ابراهيم لانه مجيب نداءه قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الأسواق وقيل ما يرضي به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين وقيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وهذا يدل على ان الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام (فكلوا منها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بيده ونحر علي ما غبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل منه شيئا قال الشافعي لا يأكل منه شيئا وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذور وعند أصحاب الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا شيء له قوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد به الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم

[illegible] الحج كلها (وليوفوا نذورهم) [illegible]
عليهم في نذرهم والنذر ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي
هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبي عمرو (بالبيت العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس
بناه آدم ثم جدده إبراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية أو لأنه أعتق من
الغرق لأنه رفع زمن الطوفان أو من (٢٨٨) أيدي الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدي الملاك ولم يملك قط وهو مطاف
أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء فإن الطالب إذا أخذته مخمصة الطلب وجذبته جواذب الطالب جعل يقطع بأكباد الأرض مراحل ويجد مسالك المهالك منازل فإذا عاين البيت لم يزده التسلي به إلا اشتياقا ولم يفده التسلي باستلام الحجر إلا احتراقا فيزيده الأسف لهبانا ويزيده اللهب جولانا في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الإحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام حتى لا ينقض بارتكاب ما هو محظور فيه ويمضي عقده مع ما يفسده ونحوه كما أن عقد الإسلام لا ينحل بارتكاب الآثام وثانيها الوقوف بعرفات يشبه الاعتراف في صحة الإيمان وصدق الاعتراف عن ذوق الأركان على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف
أي الأمر ذلك أو تقديره افعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة [illegible] وحسنا
من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام
والشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة
والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الأنعام) أي كلها (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى أن الله
تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتحريم البحيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم
[illegible] قوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)

الإظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج أشعث أغبر إذا لم يزل هذه الأوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء
التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج
أي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره
أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الإفاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي
والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الأسود
إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة أن أول شيء بدأ به
حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف الطواف الأول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد في رواية ثم يصلي
ركعتين ثم يسعى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان إذا طاف في الحج والعمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين
والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (خ) عن عائشة قالت حاضت صفية
ليلة النفر فقالت ما أراني إلا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم
قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشؤومة
مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم لا أم له وتربت يمينك وفيه
دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر والثالث طواف الوداع لا رخصة
لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة
الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف
آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل مختص بطواف القدوم ولا رمل
في طواف الإفاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لأن الله أعتقه من
أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله
أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك ۞ قوله عز وجل (ذلك) أي الأمر ذلك يعني
ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها
وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا
مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام
والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب
تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الأنعام) أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل
والبقر والغنم (إلا ما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية
(فاجتنبوا الرجس من الأوثان) أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان

(واجتنبوا قول الزور) لأن ذلك من أعظم المحرمات وأسبقها خطوا (من الأوثان) بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وسمى الأوثان رجسا على طريقة التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لأن الشرك من الزور إذ المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحنفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أي تسلبه بسرعة فتخطفه أي تتخطفه فدل (أو تهوي به الريح) أي تسقطه والهوي السقوط (في مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي أشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة (ذلك) أي الأمر ذلك (ومن يعظم شعائر الله) تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان (فإنها من تقوى القلوب) أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (إلى أجل مسمى) إلى أن تنحر (ثم محلها) أي وقت وجوب نحرها منتهية (إلى البيت العتيق) والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك بلغت البلد وإنما

رجسا لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أي الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور (ق) وروي عن أيمن بن خريم قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي روايته ولا نعرف لأيمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ۞ قوله تعالى (حنفاء لله) أي مخلصين له (غير مشركين به) فيه دلالة على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أي تستلبه وتذهب به (أو تهوي به الريح) أي تميل وتذهب به (في مكان سحيق) أي بعيد ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير وتفرقت أجزاؤه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ۞ قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) أي تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أي في البدن (منافع) قبل أن يسميها ويقلدها وقيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها (إلى أجل مسمى) أي إلى أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد إنه يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة أخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها ما فضل عن ري ولدها وقال أصحاب الرأي لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى أي إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روي عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم

... وتعظيمها التقرب بها وحملها إلى البيت العتيق بالنحر (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند نحرها وذبحها (فإلهكم إله واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك وقوله (فله أسلموا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا (٢٩٠) وقيل تفسيره ما بعده أي (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبته (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمي الصلاة) في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشرع تناول الإبل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفعولي جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والأجر في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن (فإذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) إن شئتم (وأطعموا القانع) السائل من قنعت إليه إذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) الذي يريك نفسه يتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال (كذلك سخرناها لكم) أي كما أمرناكم فيها بهذا سخرناها لكم وهو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أي ذللناها لكم مع قوتها وعظم أجرامها لتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا إنعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بالدم فلما حج ... (كذلك سخرها لكم) أي البدن ... (لتكبروا الله) ... (على ما ...

محلها أي محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة ۞ قوله تعالى (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيدها بالأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين وإن جاز أكلها ۞ قوله عز وجل (فإلهكم إله واحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد (فله أسلموا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المخبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا ثم وصفهم فقال تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن ينتصر فيه وله أن يصبر لنفسه (والمقيمي الصلاة) أي في أوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون ۞ قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بذلك لعظمها وضخامتها يريد الإبل العظام الضخام الأجسام ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من أعلام دينه قيل لأنها تشعر وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك أنها هدي (لكم فيها خير) أي النفع في الدنيا والثواب في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويديها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض (فكلوا منها) أمر إباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل روي عن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم (كذلك) أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) أي ذللناها لكم نعمة منا لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) أي إنعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون أن ذلك قربة إلى الله تعالى فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أي لن يرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) أي ولكن يرفع إليه الأعمال الصالحة والإخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ما هداكم)

على ما أرشدكم إليه (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب (إن الله يدفع) مكي وبصري وغيرهم يدافع أي يبالغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (إن الله لا يحب كل خوان) في أمانة الله (كفور) لنعمة الله أي لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (أذن) مدني وبصري وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا (الذين) في محل جر بدل من للذين أو نصب بأعني أو رفع بإضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ومحل أن يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدني ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف حجازي (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أي لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أي كنائس وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من الهدم (يذكر فيها اسم الله كثيرا) في المساجد أو في جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه وأولياءه (إن الله لقوي) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقامه من أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الأمور) أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم (وإن يكذبوك) هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل

وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين ۞ قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وسمى عليها غير اسم الله فهو خوان كفور ۞ قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد لما ظلموا قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء (وإن الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ووصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الإخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وإقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه ونبيه (إن الله لقوي) أي على نصر من ينصره (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريده ۞ قوله عز وجل (الذين إن مكناهم في الأرض) أي نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأن قوله الذين إن مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه وذلك أنه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ۞ قوله تعالى (وإن يكذبوك) فقد

(وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره (فأمليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) إنكاري وتغييري حيث أبدلتهم بالنعم نقمة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب (فكأين من قرية أهلكناها) أهلكتها بصري (وهي ظالمة) حال أي وأهلها مشركون (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم إذا سقط (على عروشها) يتعلق بخاوية والمعنى أنها

(٢٩٢)

تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وإن كذبك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فإن قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل لم يكذبوه وإنما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فأمليت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أي عاقبتهم (فكيف كان نكير) أي إنكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ﴿قوله عز وجل﴾ (فكأين من قرية أهلكناها) وقرئ أهلكتها على التعظيم (وهي ظالمة) أي وأهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على سقوفها (وبئر معطلة) أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل إن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا إلى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك وابتنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فأقاموا دهرا ثم إنهم تناسلوا حتى كثروا ثم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله تعالى إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ﴿قوله تعالى﴾ (أفلم يسيروا في الأرض) يعني كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أي يعلمون بها (أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) المعنى أن عمى القلب هو الضار في أمر الدين لا عمى البصر لأن البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلب هو البصر النافع (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) أي أنه أنجز ذلك يوم بدر (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعني يوما من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل إن يوما من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه أن

ساقطة على سقوفها أي خربت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية من الإعراب لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا إذا جعلنا كأين منصوب المحل على تقدير كم من القرى أهلكناها (وبئر معطلة) أي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها أو هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أي أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن ورادها والأظهر أن البئر والقصر

على العموم (أفلم يسيروا في الأرض) هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الضمير في فإنها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الأبصار أي فما عميت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل إنسان أربع أعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فإذا أبصر ما في القلب وعمي ما في الرأس لم يضر وإن أبصر ما في الرأس وعمي ما في القلب لم ينفع وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولئلا يقال إن القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شيء (ويستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستعجلونه كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وجل لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يعدون

ويكون اليوم عندهم أي كيف يستعجلون بعذابه ويوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لأن أيام الشدائد طوال (وكأين
من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا (ثم أخذتها) بالعذاب (وإليّ المصير) أي المرجع
إليّ فلا يفوتني شيء وإنما كانت الأولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بالواو لأن الأولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير وأما هذه
فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين)
وإنما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا
ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا أو يقدر نذير مبين وبشير فبشر أولا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين)
حال معجزين مكي وأبو عمرو عاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه
والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن
كيدهم للإسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) أي النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من لابتداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفي (ولا نبي) هذا دليل بيّن على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي
حافظ شرع غيره (إلا إذا تمنى) قرأ قال تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان في أمنيته) تلاوته قالوا إنه عليه
السلام كان في نادي قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ولم يفطن
له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضي لأنه لا يخلو إما
أن يتكلم النبي عليه السلام بها عمدا وإنه لا يجوز لأنه كفر ولأنه بعث طاعنا للأصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه
السلام جبرا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
ففي حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل
الاعتماد على قوله ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فلما بطلت
هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الأخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة
النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم
في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روي أنه نادى يوم أحد ألا إن محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم

يوما عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته
وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية أمليت لها) أي
أمهلتها (وهي ظالمة) أي مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) أي أنزلت بهم العذاب (وإلي المصير)
يعني مصيرهم إلي في الآخرة فأعذبهم بذنوبهم * قوله عز وجل (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير
مبين) أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والإنذار وأن يقول لهم إنما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول إنما أنا نذير
مبين أردف ذلك بأن أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين
سعوا في آياتنا) أي عملوا في إبطال آياتنا (معاجزين) أي مثبطين الناس عن الإيمان وقرئ معاجزين أي
معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم زعموا أن لا بعث
ولا نشور ولا جنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) * قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا
إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله
ما يقارب به بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم
فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على
لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك
فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون
بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن
المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها
لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم

ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه
تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال
يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً
وخاف من الله تعالى خوفاً كثيراً فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيماً وسمع بذلك من كان بأرض
الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع
أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام
أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على
ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قوله وما أرسلنا من قبلك
من رسول الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً ولا نبي النبي هو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً فكل
رسول نبي وليس كل نبي رسولاً إلا إذا تمنى أي أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان
في أمنيته أي في مراده وقال ابن عباس إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً وقيل المعنى ما من نبي
إلا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال
أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته قال حسان في عثمان

تمنى كتاب الله أول ليله * وآخرها لاقى حمام المقادر

فإن قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار
عن شيء بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه
وسلم في التلاوة وهو معصوم فيه قلت ذكر العلماء عن هذا الإشكال أجوبة أحدها توهين أصل هذه القصة
وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون
والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة
اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة
وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها
فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وإن النبي صلى الله
عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح
من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن
شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته فقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافراً أخرجه
البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والإنس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
تلك الألفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو
ضعيف جداً فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح
وإجماع الأمة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح آلهة
غير الله وأن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عن ذلك
فهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا قرأ يرتل القرآن ويفصل الآي تفصيلاً كما صح عنه في قراءته فيحتمل أن
الشيطان ترصد لتلك السكتات ودس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً صوت النبي صلى الله عليه وسلم

(فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يذهبه ويبطله ويظهر بطلانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر أن ذلك ليبتلي الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وإن الظالمين) أي المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لفي شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (أنه) أي القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) فيتأولون ما تشابه في الدين بالتأويل اللائق ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا في مرية) شك (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعني يوم بدر فهو يوم عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أي يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم (لله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضي ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريقين الأولين بفضل فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) في الجهاد (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) هو الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا (وإن الله لهو خير الرازقين) لأنه المخترع للخلائق لا مثال والمستقل بالرزق لا لعلة (ليدخلنهم مدخلا) فيه النعيم مدخلا والمراد الجنة (يرضونه) لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين (وإن الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بإمهال من قاتلهم معاندا روي أن طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فنزلتا (ذلك) أي الأمر ذلك

فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوا أنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده وأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الأوثان وعيبها وإنما سجدوا لأنهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وهو أنه تقدم أن التمني يكون بمعنى حديث النفس ويكون بمعنى التلاوة فعلى الأول يكون معنى قوله ألقى الشيطان في أمنيته أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور ولا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الأفعال الظاهرة وعلى الثاني يكون تفسير التمني بالتلاوة ويكون معنى قوله ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا الغرض من هذه الآية أن الأنبياء والرسل وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم ۞ قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يبطله ويذهبه (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها (والله عليم حكيم) ۞ قوله عز وجل (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) أي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (أنه الحق من ربك) أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يعتقدوا أنه من الله عز وجل (فتخبت له قلوبهم) أي تسكن إليه (وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق قويم وهو الإسلام ۞ قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ۞ قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين (وإن الله لهو خير الرازقين) فإن قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وإن الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم لكن الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأن الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وإن الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم ۞ قوله عز وجل (ذلك) أي الأمر ذلك الذي قصصنا

[illegible] (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) [illegible] (ثم بغي عليه

لينصرنه الله) أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله أن ينصره (إن الله لعفو) يمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية أن المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغي وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف وأنه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت في النهار الأصوات (٢٩٦) بصير بالأفعال يبصر بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وإن توالت الظلمات

(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقي غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجري فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن الله الحق الثابت الإلهية وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطراً (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وإنما رفع فتصبح ولم ينصب جواباً للاستفهام لأنه لو نصب لبطل الغرض وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر (إن الله لطيف) واصل علمه أو فضله إلى كل شيء (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الأرض) ملكاً وملكاً (وإن الله لهو الغني) المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الأرض (الحميد) المحمود بنعمه قبل ما في السموات ومن في الأرض (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) من البهائم مذللة للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفاً على ما وتجري حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) أي يحفظها من أن تقع (إلا بإذنه) بأمره أو بمشيئته (إن الله بالناس لرؤوف) بتسخير ما في الأرض (رحيم) بإمساك السماء لئلا تقع على الأرض عدد آلاءه مقرونة بما يوجب الشكر على آلائه ويذكروا بأسمائه وعن أبي حنيفة رحمه الله أن اسم الله الأعظم في الآيات الثمان يستجاب لقارئها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لإيصال جزائكم (إن الإنسان لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أو لا يعرف نعمة الإيجاد [illegible]

عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغي عليه) أي ظلم بإخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله إن الله لعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الإيلاج قولان أحدهما أنه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى (وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق) أي ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وأن ما يدعون) يعني المشركين (من دونه هو الباطل) يعني الأصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع (وأن الله هو العلي) أي العالي على كل شيء (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) أي بالنبات (إن الله لطيف) أي باستخراج النبات من الأرض رزقاً للعباد والدواب (خبير) أي بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم (له ما في السموات وما في الأرض) أي عبيداً وملكاً (وإن الله لهو الغني) أي الغني عن عباده (الحميد) أي المحمود في أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويمسك السماء أن تقع) أي لكي لا تسقط (على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم) يعني أنه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الإنعام والإحسان فهو إذاً رؤوف رحيم بكم (وهو الذي أحياكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئاً (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم البعث للثواب والعقاب (إن الإنسان لكفور) أي لجحود لنعم الله عز وجل قوله تعالى

المذكى او سيودولاالامماء المقربة الى المرعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل امة) اهل دين (جعلنا منسكا) شريعة وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (في الامر) أمر الذبائح أو الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا (وان جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله (٢٩٧) للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيهما (في كتاب) في اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به) تنزل بمعنى ينزل (سلطانا) حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي (وما للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم (واذا تتلى

عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم أن لله تعالى شريكا جارية في الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) تدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) لن لتأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وتسميته ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) لخلقه

(لكل أمة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعنك في الامر) أي في أمر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت ﴿ قوله تعالى (وادع الى ربك) أي الى الايمان به والى دينه (انك لعلى هدى مستقيم) أي على دين واضح قويم (وان جادلوك) أي خاصموك في أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أي من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) اي فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى ﴿ قوله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب) اي في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) أي حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما ليس لهم به علم) أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي (وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) اي مانع يمنعهم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن وصفه بالبيان لما فيه من بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أي الانكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يقعون ويبسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) اي محمدا وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أي قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) اي بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تسمعون (النار) أي هي النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ﴿ قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائعة الملقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) اي تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لي شبه وسمي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركائي فعبدوها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (لن يخلقوا ذبابا) اي واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي لخلقه والمعنى ان

[illegible] ومن أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالألهية التي تقتضي الاقتدار على المقدور وأن كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورًا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وإن يسلبهم الذباب شيئًا) سيأتي مفعولي يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئًا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الصنم بطلب ما سلبه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية (٢٩٨) بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكًا له (إن الله لقوي عزيز) أي إن الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهًا به أو لقوي بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه (الله يصطفي) يختار (من الملائكة رسلًا) كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلًا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (إن الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الأمم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) ما لم يأت أو ما عملوا وما سيعملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (وإلى الله ترجع الأمور) أي إليه مرجع الأمور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله رجع سائق وحرمة على (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولًا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري [illegible] صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون)

هذه الأصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على صغرها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودًا له (وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فاستلبه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الأصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (إن الله لقوي عزيز) أي غالب لا يقهر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله يصطفي من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلًا) جبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم (ومن الناس) أي ويختار الله من الناس رسلًا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فأخبر الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه لرسالته (إن الله سميع) أي لأقوالهم (بصير) أي لا تخفى عليه خافية ﴿قوله تعالى﴾ (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم (وإلى الله ترجع الأمور) أي في الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أي وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

(فصل في حكم سجود التلاوة هنا) لم يختلف العلماء في السجدة الأولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد واحتج بما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال إن هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم إلى أن في الحج سجدة واحدة وهي الأولى وليست هذه سجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل أنه قرن السجود بالركوع فدل ذلك أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم

الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه فعنده أن السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا تكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روي عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال إسناده واه ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة ما روي عن عمرو بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ وإذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب ۞ قوله عز وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله وأن تكون كلمة الله هي العليا لقوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ذكره البغوي بغير سند وقيل أراد بالأصغر جهاد الكفار وبالأكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فأي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا إلى الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده فقد أعطى الله هذه الأمة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني إسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة (ملة أبيكم إبراهيم) لأنها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت لم يكن إبراهيم أبا للأمة كلها فكيف سماه أبا في قوله ملة أبيكم إبراهيم قلت إن كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وإن كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى أن وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الأب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم كالوالد وقوله (هو سماكم المسلمين من قبل) فيه قولان أحدهما أن الكناية ترجع إلى الله تعالى يعني أن الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة من قبل نزول القرآن والقول الثاني أن الكناية راجعة إلى إبراهيم يعني أن إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يعني يوم القيامة أن قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعني تشهدون يوم القيامة على الأمم أن رسلهم قد بلغتهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل

أي كي تفوزوا وافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو أن لا تخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله

ويوم شهدناه سليما وعامرا

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالإيماء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم إبراهيم) أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أبا وإن لم يكن أبا للأمة كلها لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قراءة أبي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في القرآن أي فضلكم على سائر الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة (فأقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها (واعتصموا بالله)

تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم أن يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم

(تفسير سورة المؤمنين وهي مكية)

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فأنزل الله عليه يوما فمكثنا ساعة ثم سري عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي

﴿ قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا إلى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا بأبصارهم إلى موضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر ﴿ قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكاة فاعلون) أي للزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنها فعل وقيل الزكاة هنا

(ونعم النصير) أي الناصر هو حيث لا مساعد لكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب *(سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثمان عشرة آية)* (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفلح المؤمنون) قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي (ن ٣) الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا والإيمان في اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مراء لأنه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية (الذين هم في صلاتهم خاشعون) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو إخلاص المقال وإعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام وأضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما المصلى له فغني عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكاة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو

الأداء ودخل اللام لتقدم المعمول وضعف اسم الفاعل في العمل فإنك تقول هذا ضارب زيدا ولا تقول ضارب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (إلا على أزواجهم) في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه وقال الفراء إلا من أزواجهم أي من نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي إمائهم ولم يقل من لأن المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما يباع البهائم (فإنهم غير ملومين) أي لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لأمانتهم مكي وسهل يسمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإنما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كوفي غير أبي بكر (يحافظون) يداومون في أوقاتها وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها أولا لها وحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أعدادها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) أي آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر وقيل إنما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لأنه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الأوثان (ثم جعلناه) أي نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأن آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الإنسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة سلالة أي ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا

هي العمل الصالح والأول أولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (إلا على أزواجهم) أي من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الإماء والجواري والآية في الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فإنهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ فرجه من امرأته وأمته فإنه لا يلام على ذلك وإنما لا يلام فيما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فإنه محظور ولا يجوز ومن فعله فإنه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى الأزواج والولائد وهن الجواري المملوكة (فأولئك هم العادون) أي الظالمون المجاوزون الحد من الحلال إلى الحرام وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت أن قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ قوله عز وجل (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والأمانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والأسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يداومون ويراعون أوقاتها وإتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فإن قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرار وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها ﴿ قوله عز وجل (أولئك) يعني أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعني يرثون منازل أهل النار من الجنة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤول أمرهم إلى الجنة وينالوها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ قوله عز وجل (ولقد خلقنا الإنسان) يعني ولد آدم لأن الإنسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هي التي لأن النطفة تسل من الظهر من طين يعني طين آدم لأن السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الإنسان هو آدم وقوله من سلالة أي سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعني الذي هو

(فِي قَرَارٍ) مستقر يعني الرحم (مَكِينٍ) حصين (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ) أي صيرنا النطفة البيضاء (عَلَقَةً) قطعة دم حمراء (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لحما قدر ما يمضغ (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) فصيرناها عظاما
(فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظاما العظم شامي وأبو بكر عظما العظام يزيد وعن يعقوب عظاما العظم عن أبي
زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ) الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور (خَلْقًا آخَرَ)
أي خلقا مباينا للخلق الأول حيث (٣٠٢) جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا إذا غصب

بيضة فأفرخت عنده يضمن
البيضة ولا يرد الفرخ لأنه
خلق آخر سوى البيضة
(فَتَبَارَكَ اللَّهُ) فتعالى أمره
في قدرته وعلمه (أَحْسَنُ)
بدل أو خبر مبتدأ محذوف
وليس بصفة لأنه نكرة وإن
أضيف لأن المضاف إليه
عوض من من (الْخَالِقِينَ)
المقدرين أي أحسن
المقدرين تقديرا فترك
ذكر المميز لدلالة الخالقين
عليه وقيل إن عبد الله بن
سعد بن أبي سرح كان يكتب
للنبي عليه السلام فنطق
بذلك قبل إملائه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتب هكذا نزلت فقال
عبد الله إن كان محمد نبيا
يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي
فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم
الفتح وقيل هذه الحكاية
غير صحيحة لأن ارتداده كان
بالمدينة وهذه السورة مكية
وقيل القائل عمر أو معاذ
رضي الله عنهما (ثُمَّ إِنَّكُمْ
بَعْدَ ذَلِكَ) بعد ما ذكرنا
من أمركم (لَمَيِّتُونَ) عند انقضاء
آجالكم (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) تحيون
للجزاء (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) جمع طريقة وهي السموات لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وَمَا كُنَّا عَنِ) ذلك
الخلق (غَافِلِينَ) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم
الأرزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (بِقَدَرٍ) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى
المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) كقوله فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض فماء الأرض كله
من السماء ثم استأنف تهديدهم بقوله (وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر

الإنسان جعلنا نطفة (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) أي حريز وهو الرحم وسمي مكينا لاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة
(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) أي جعلنا الدم الجامد قطعة
لحم صغيرة (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل
إن بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي مباينا للخلق الأول قال ابن عباس هو نفخ
الروح فيه وقيل جعله ذكرا أو أنثى بعدما كان جمادا وناطقا بعدما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان
أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال إن ذلك تصريف أحواله بعد
الولادة من الاستهلال إلى الرضاع إلى القعود والقيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ
الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها (فَتَبَارَكَ اللَّهُ) أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ) أي المصورين والمقدرين فإن قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شيء
وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الإيجاد والإبداع ولا موجد ولا مبدع إلا الله تعالى ومنها
التقدير كما قال الشاعر ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
معناه أنت تقدر الأمور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين
وقيل إن آخر وهو أن عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله إني أخلق لكم من
الطين كهيئة الطير فقال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ) أي بعد ما ذكر من تمام الخلق
(لَمَيِّتُونَ) أي عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) أي للحساب والجزاء ﴿ قوله عز وجل
(وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) أي سبع سموات طرائق لأن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق
الملائكة في الصعود والهبوط (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء
عليهم فتهلكهم وقيل معناه إنا خلقناهم فوقهم لننزل عليهم الأرزاق والبركات منها وقيل معناه
وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا يخفى علينا خافية (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
بِقَدَرٍ) أي يعلمه الله من حاجتهم إليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع
المنفعة (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند
انقطاع المطر وقيل أسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع فالعيون والآبار وكل ماء في الأرض من السماء
(وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله
عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها
الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض
فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم

(فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخيل والأعناب (ومنها تأكلون) أي من الجنات أي من ثمارها وزروعها. قوله فلان يأكل من حرفته يحترفها ومن ضيعته يغلها أي إنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء (تنبت بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وأبو عمرو إما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله حتى إذا أنبت البقل أولأن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونه وفيه (٣٠٣) الدهن (وصبغ للآكلين) أي إدام

كالحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الإمام الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فأنشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) إنما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام والإدام والفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن وقيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالأشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أي تنبت ومعها الدهن وقيل تنبت ثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الإدام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة إداما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل إن أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل إنها تبقى في الأرض نحو ألف سنة ﴿ قوله عز وجل (وإن لكم في الأنعام لعبرة) أي آية تعتبرون بها (نسقيكم مما في بطونها) أي ألبانها وجه الاعتبار أن اللبن يخلص إلى الضرع من بين فرث ودم بإذن الله تعالى فيستحيل إلى الطهارة وإلى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء ويقدم بسط الكلام على هذه الكلمة في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للأكل (وعليها) أي وعلى الإبل (وعلى الفلك تحملون) أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) أي ما لكم معبود سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الأمور (يريد أن يتفضل عليكم) أي أنه يحب الشرف والرياسة فيريد أن تكونوا له تبعا (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) يعني بإبلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) أي الذي يدعونا إليه نوح (في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة) أي جنون (فتربصوا به حتى حين) أي إلى الموت فيستريحوا منه (قال رب انصرني

لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه إداما ودهنا فالإدام الزيتون والدهن الزيت وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع (وإن لكم في الأنعام) جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامي ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (مما في بطونها) أي يخرج لكم من بطونها ألبانا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الألبان وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار (ومنها تأكلون) أي لحومها (وعليها) وعلى الأنعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك

التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد ناقته (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من إله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي أشرافهم لعوامهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) إرسال رسول (لأنزل ملائكة) لأرسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أي بإرسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة) جنون (فتربصوا به حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه (قال رب انصرني

[illegible] أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي أو انصرني بدل ما
كذبون كقولك هذا بذاك أي بدل ذاك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم (فأوحينا إليه) أي أجبنا دعاءه فأوحينا إليه
(أن اصنع الفلك بأعيننا) أي تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إياك أو بحفظنا وكلاءتنا كأن معك من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم
لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أمرنا وتعليمنا إياك صنعتها روي أنه أوحي إليه أن
يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فإذا جاء أمرنا) أي عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أي فار الماء من تنور الخبز أي أخرج سبب الغرق من
موضع الحرق ليكون أبلغ في الإنذار والاعتبار روي أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما
نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل
بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فأدخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق
والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض من كل حفص والمفضل
أي من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (وأهلك) ونساءك وأولادك (إلا من سبق عليه القول) من الله بإهلاكه وهو ابنه
واحدى زوجتيه فجيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت (فيهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) ولا تسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فإذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا لأن نوحا كان فإذا استويت أنت ومن معك في معنى إذا استويتم لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلني منزلا) أي
إنزالا أو موضع إنزال (منزلا) أبو بكر أي مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج وكثرة
منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (إن في ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبرا ومواعظ (وإن) هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر
من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد
قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على إثر قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء (فأرسلنا
فيهم) الإرسال يعدى بإلى ولم يعد في هنا وفي قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية ولكن الأمة والقرية جعلت موضعا للإرسال
كقول رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) أن مفسرة
لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملأ من قومه) ذكر مقالة قوم هود في جوابه في الأعراف وهود بغير واو لأنه على
تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وهاهنا مع الواو لأنه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول
هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء وجيء بالفاء في قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع
عقيبه (الذين كفروا) صفة للملأ من قومه

بما كذبون) أي أعني بإهلاكهم بتكذيبهم إياي (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي بمرأى
منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل إن
جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فإذا جاء أمرنا) أي عذابنا (وفار التنور) قيل هو
التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور وجه الأرض والمعنى إنك إذا رأيت الماء يفور من
التنور (فاسلك فيها) أي فأدخل في السفينة (من كل زوجين اثنين) أي من كل حيوان ذكرا وأنثى
(وأهلك) أي وسائر من آمن بك (إلا من سبق عليه القول) أي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار
وقيل أراد بأهله أهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبني في الذين
ظلموا إنهم مغرقون) قوله عز وجل (فإذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي
في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أي الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا)
قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الأرض بعد الخروج من السفينة وأراد
بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الإنجاء (وأنت خير المنزلين) معناه أنه قد يكون الإنزال من
غير الله كما يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لأنه يحفظ من أنزله ويكلؤه في سائر أحواله
ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فإنه لا يقدر على ذلك (إن في ذلك) أي الذي ذكر من
أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله (لآيات) أي دلالات على قدرتنا (وإن كنا) أي وما كنا (لمبتلين)
أي إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى
(ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعد إهلاكهم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني
هودا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والأول أصح (أن اعبدوا الله ما لكم من إله
غيره أفلا تتقون) أي هذه الطريقة التي أنتم عليها مخافة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا

(وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب أو بيوم يدرك ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحيوة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد (ما هذا) أي النبي (إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (إنكم إذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم (لخاسرون) بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم أنكم إذا متم) بالكسر نافع وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثني أنكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الأول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الأول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد وروي عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد وفاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (إن هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة (إلا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها ودنيانا لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفي الجنس (نموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا) أي ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه وفيما يعد من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني بما كذبون) فأجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) إذا عاينوا ما يحل بهم (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله تعالى فلان يقضي بالحق أي بالعدل (فجعلناهم غثاء) شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاكا كما يقال بعدا بعدا أو بعدا أي هلاكا وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة) من صلة أي ما تسبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذي حد لهلاكها وكتب (وما يستأخرون) لا يستأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والألف للتأنيث ككسكرى لأن الرسل جماعة ولذا لا ينون لأنه غير منصرف تترى بالتنوين مكي وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى وهو نصب على الحال في القراءتين أي متتابعين واحدا بعد واحد وتاؤها بدل من الواو والأصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) أضاف الرسول إلى الأمة والمرسل إليها والإضافة تكون بالملابسة وتصح إضافته إليهما (فأتبعنا) الأمم والقرون (بعضهم بعضا) في الإهلاك (وجعلناهم أحاديث) أخبارا يسمع بها ويتعجب منها والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للأحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة

(وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بالمصير إليها (وأترفناهم) أي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحيوة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) أي لمغبونون (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) أي من قبوركم أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أي بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالا منهم للتفكر في بدء أمرهم وقدرة الله على إيجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبدا (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل فيه تقديم وتأخير لأنهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الأبناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) أي بعد الموت (إن هو) يعنون رسولهم (إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الأرض (فبعدا) أي ألزمهم الله بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لأن بين كل رسولين زمنا طويلا (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) أي بالهلاك فأهلكنا بعضهم في إثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أي سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم (فبعدا لقوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) أي بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما

(إلى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الإيمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أي بنو إسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أي قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على ما نشاء لأنه خلق من غير نطفة ووحد لأن الأعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلنا مأواهما أي منزلهما (إلى ربوة) شامي وعاصم ربوة غيرهما أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء يعني أنه (٦ ٣) لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار على وجه الأرض أو أنه مفعول أي مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه أو فعيل لأنه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والأمر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفيه والإباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشريعة (إني بما تعملون عليم) فأجازيكم على أعمالكم (وإن هذه) كوفي على الاستئناف وأن حجازي وبصري بمعنى ولأن أي فاتقون لأن هذه أو معطوف على ما قبله أي بما تعملون عليم وبأن هذه أو تقديره واعلموا أن هذه (أمتكم) أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها (أمة واحدة) ملة واحدة وهي شريعة الإسلام وانتصاب أمة على الحال والمعنى وأن الدين دين واحد وهو الإسلام ومثله إن الدين عند الله الإسلام (وأنا ربكم) وحدي (فاتقون) فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أي قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا وقيل تفرقوا في دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع زبرة أي قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين في دينهم (بما لديهم) من الكتاب أو الدين أو من الهوى والرأي (فرحون) مسرورون معتقدون أنهم على الحق (فذرهم في غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) أي إلى أن يقتلوا أو يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين) ما بمعنى الذي وخبر أن (نسارع لهم

(إلى فرعون وملئه فاستكبروا) أي تعظموا عن الإيمان (وكانوا قوما عالين) أي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعني فرعون وقومه (أنؤمن لبشرين مثلنا) يعني موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) أي مطيعون متذللون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) أي بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (لعلهم يهتدون) أي لكي يهتدي به قومه ﴿قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أي دلالة على قدرتنا لأنه خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد فإن قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لأن عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناهما إلى ربوة) أي مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الإيواء أنها فرت بابنها ﴿وقوله (ذات قرار) أي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجاري الذي تراه العيون ﴿قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أي استقيموا على ما توجبه الشرع (إني بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم ﴿قوله عز وجل (وإن هذه أمتكم) أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها (أمة واحدة) أي ملة واحدة وهي الإسلام (وأنا ربكم فاتقون) أي فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فأمركم واحد وأنا ربكم فاتقون (فتقطعوا) أي تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الأديان المختلفة (أمرهم) أي دينهم (بينهم زبرا) أي فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أي كتبا يعني دان كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أي مسرورون معجبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (في غمرتهم) قال ابن عباس في كفرهم وضلالهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم (حتى حين) أي إلى أن يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين) أي ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين في الدنيا (نسارع لهم

في الخيرات) والعائد من خبر أن إلى اسمها محذوف أي نسارع لهم به والأمر ليس كذلك بل هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له في الدين وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أيحسبون أي أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراج أو مسارعة في الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم لا يشركون) كمشركي العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ما أتوا بالقصر أي يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم (أنهم (٣٠٧) إلى ربهم راجعون) الجمهور على أن التقدير لأنهم وخبر أن الذين (أولئك يسارعون في الخيرات) يرغبون في الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أي لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس (ولا نكلف نفسا إلا وسعها) أي طاقتها يعني أن الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (ولدينا كتاب) أي اللوح أو صحيفة الأعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى إذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (إذا هم يجأرون) يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فقال لهم (لا تجأروا اليوم) فإن الجؤار غير نافع لكم (إنكم منا لا تنصرون) أي من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة (قد كانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى والنكوص أن يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ما وراءه (مستكبرين) حال من تنكصون (به) بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي لأنها في معنى كتابي ومعنى

في الخيرات) أي نعجل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثوابا لأعمالهم لمرضاتنا عنهم (بل لا يشعرون) أي أن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) أي خائفة أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم إلى ربهم راجعون) أي لأنهم يوقنون أنهم إلى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذي ﴿قوله﴾ (أولئك يسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى الأعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي إليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الأمم إلى الخيرات ﴿قوله عز وجل﴾ (ولا نكلف نفسا إلا وسعها) أي طاقتها من الأعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أي يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) أي القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (لها) أي لتلك الأعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (إذا هم يجأرون) أي يضجون ويستغيثون ويجزعون (لا تجأروا اليوم) أي لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم (إنكم منا لا تنصرون) أي لا تمنعون ولا ينفعكم تضرعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الإيمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي

[illegible] بالقرآن [illegible] مكذبين [illegible] (سامرا) [illegible]
القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان وتهجرون نافع من أهجر في منطقه إذا أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الأخلاق أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الأبلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه إلى الجنون (وأكثرهم للحق (٣٠٨) كارهون) وفيه دليل على أن أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه كأبي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فيما يعتقدونه من الآلهة (لفسدت السموات والأرض) كما قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لأن غيرهم تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين الآية (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير) حجازي وبصري وعاصم خرجا فخراج شامي وحمزة وعلي خراجا فخراج
وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الأولى يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) وهو دين الإسلام فحقيق أن يستجيبوا لك (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب (للجوا) أي لتمادوا (في طغيانهم يعمهون) يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتملق له ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب

بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الأول أظهر (سامرا) يعني أنهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الإهجار وهو الإفحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهذون وتقولون ما لا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) يعني فأنكروا يريد أنا قد بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) ۞ قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) أي شرفهم (معرضون أم تسألهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفسيره (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) أي إلى دين الإسلام (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لناكبون) أي لعادلون عنه ومائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدوبة (للجوا) أي لتمادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال إنهم قد أكلوا القد والعظام وشكا إليه الضر فادع الله أن

فما استكانوا لربهم ثم وما يتضرعون استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولاً بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم
فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما
تضرعوا ووزن استكان استفعل من السكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا
يريد (عليهم بابا ذا عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء
أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا
بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانه
يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى
انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ولم تعرفوا مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم في آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا فلم تكونوا عرفوا المنعم
ولم تشكروا له شيأ (وهو الذي ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (في الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد

يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا
لربهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد) قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) أي
آيسون من كل خير ﴿ قوله عز وجل (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) أي لتسمعوا بها
وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم
(واليه تحشرون) أي تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبير الليل والنهار
في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض (أفلا تعقلون) أي
ما ترون من صنعه فتعتبروا (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا
البعث مثل ما أنكر الاولون مع وضوح الادلة (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي لمحشورون
قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) اي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد
آباؤنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة (ان هذا الا اساطير الاولين) أي أكاذيب الاولين ﴿ قوله
تعالى (قل) أي يا محمد لاهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) اي خالقها ومالكها
(سيقولون لله) اي لابد لهم من ذلك لانهم مقرون انها مخلوقة لله (قل) اي قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك (أفلا
تذكرون) اي فتعلموا ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت (قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) اي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون
عقابه (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء (وهو يجير) اي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي
لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمنع منه من أراده بسوء (ان كنتم تعلمون) أي
فاجيبوا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) اي فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته والمعنى كيف يخيل
لكم الحق باطلا (بل أتيناهم بالحق) اي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من الشريك والولد

تفرقكم (وهو الذي يحيي
ويميت) اي يحيي النسم
بالانشاء ويميتها بالافناء
(وله اختلاف الليل والنهار)
أي مجيء أحدهما عقيب
الآخر واختلافهما في
الظلمة والنور أو في الزيادة
والنقصان وهو مختص به
ولا يقدر على تصريفهما
غيره (أفلا تعقلون) فتعرفوا
قدرتنا على البعث او
فتستدلوا بالصنع على
الصانع فتؤمنوا (بل قالوا)
أي أهل مكة (مثل ما قال
الاولون) أي الكفار قبلهم
ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أئنا لمبعوثون) بضم الميم وكسرها نافع
وحمزة وعلي وحفص (لقد
وعدنا نحن وآباؤنا هذا)
اي البعث (من قبل) مجيء
محمد (ان هذا الا أساطير الاولين) جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة
والسلام باقامة الحجة على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بأنه الخالق فاذا قالوا
(قل أفلا تذكرون) فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا ان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية
تذكرون بالتخفيف حمزة وعلي وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون)
أفلا تخافونه فلا تشركوا به او أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل
شئ) الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة (وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه
ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تخدعون عن الحق أو عن توحيده
وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذ السؤال لمن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من
رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزالف والقرى * ورب الجياد الجرد قيل لخالد أي لمن المزالف ومن
قرأ لله فهو على الظاهر لان اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بأن نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون)

(ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذي خلقه واستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعلا بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ولا يقال اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لذلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اما تريني ما يوعدون) ما والنون مؤكدان أي ان كان لابد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي فلا تجعلني قرينا لهم

ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن رضي الله عنه أخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره متى وقتها فأمر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له عليه الصلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي (هي أحسن السيئة) هو أبلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أي من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعلا بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ وهو قادر على كل شئ ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أي من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أي تعظم من أن يوصف بهذا الوصف قوله عز وجل (قل رب) أي يا رب (اما تريني ما يوعدون) أي ما وعدتهم من العذاب (رب) أي يا رب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) أي من العذاب (لقادرون ادفع بالتي هي أحسن) أي بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني اذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) أي امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شئ من أموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له * عن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء مفسرا في بعض الالفاظ في متن الحديث وانما سمى نفثا لانه يشبه النفث لان الشعر يخرج من الفم فشبه بالنفث ونفخه الكبر لان المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة فانما هي الجنون لان الجنون يحدثه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم كأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) أي ضيعت وقيل تركت أي مفت وقيل خلفت

وقع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك او الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك او بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين) من وساوسهم ونخساتهم والهمز النخس والهمزات جمع المرة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تهمز الرائضة الدواب حثا لها على المشي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون يشركون الى وقت مجئ الموت أولا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) اي ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلي اعمل صالحا فيما تركت)

في الموضع الذي تركته وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبى قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلّي ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد (إنها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن ورائهم) أي أمامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (إلى يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة (فإذا نفخ في الصور) قيل إنها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) وبالإدغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم بالأنساب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وإنما يكون بالأعمال (ولا يتساءلون) (٣١١) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لأن كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ضيعوها (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) وتزعمون أنها ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدر أي شقيت بنا أعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يحتمل أن يعطى لهم الاعتذار لأنفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فإن عدنا) إلى الكفر والتكذيب (فإنا ظالمون) لأنفسنا (قال اخسئوا فيها) اسكنوا سكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير ... ارجعون ولا تكلمون بالياء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلا ياء

من التركة أو المعنى أقول لا إله إلا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الأعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أي لا يرجع إليها (إنها) يعني مسألة الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا ينالها (ومن ورائهم برزخ) أي من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (إلى يوم يبعثون) فيه أقوال بينهم وبين الرجعة حائل ومانع من الرجوع وهو القبر وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث إنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ﴿ قوله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس إنها النفخة الأولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس أنها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الأنساب تنقطع فإن قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس إن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون ﴿ قوله عز وجل (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم في جهنم خالدون تلفح) أي تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿ قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي التي كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فإن عدنا) أي لما تكره (فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها) أي ابعدوا فيها كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) أي في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام

[illegible]

وبالضم مدني وحمزة وعلي وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكري) فتركتموه أي كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (أنهم) أي لأنهم (هم الفائزون) ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا أي جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدى إلى اثنين وخزاهم بما صبروا إنهم حمزة وعلي على الاستئناف أي إنهم هم الفائزون لا أنتم (قال) أي الله أو (٣١٢) المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكي وحمزة وعلي أمر للملك أن يسألهم (كم لبثتم في الأرض) في الدنيا (عدد سنين) أي كم عدد سني لبثكم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذاب النار لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة (فاسأل العادين) أي الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسل بلا همز مكي وعلي (قال إن لبثتم إلا قليلا) أي ما لبثتم إلا زمنا قليلا أو لبثا قليلا (لو أنكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها قال إن حمزة وعلي (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث (وأنكم إلينا لا ترجعون) وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على أنما خلقناكم أو على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء * فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن أن يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكريم لأن الرحمة تنزل منه والخير أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان) أي لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه وهي صفة لازمة جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فإنما حسابه) أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أي فهو مجاز به لا محالة (إنه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علم سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وأنت خير الراحمين) لأن

يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي عن عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء قوله فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل إذا قال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (إنه كان فريق من عبادي) يعني المؤمنين (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أي تسخرون منهم وتستهزئون بهم (حتى أنسوكم ذكري) أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزلت في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على أذاكم واستهزائكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) أي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعني أن الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم في الأرض) أي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاسأل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم (قال إن لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (إلا قليلا) سماه قليلا لأن الواقف وإن طال لبثه في الدنيا فإنه يكون قليلا في جنب ما لبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي قدر لبثكم في الدنيا ۞ قوله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم إلينا لا ترجعون) أي في دار الآخرة للجزاء وروى البغوي بسنده عن الحسن أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أي هو الملك الجامع لأصناف المملوكات (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) أي لا حجة ولا بينة له به إذ لا يمكن إقامة برهان ولا دليل على إله غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فإنما حسابه) أي جزاؤه (عند ربه) أي هو مجازيه بعمله (إنه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

ورحمه إذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته ‫*(سورة النور مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية)*(بسم الله الرحمن الرحيم)*(سورة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة (أنزلناها) صفة لها ومن نصبها جعله مفعولا على إضمار فعل يفسره أنزلناها والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أي فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعا بها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا وتتقوا وقرئ بتخفيف الذال حمزة وعلي وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) ورفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما أو الخبر فاجلدوا وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كقولك من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن (٣١٣) يتجاوز الألم إلى اللحم والخطاب للأئمة لأن إقامة الحد من الدين وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن إذ حكم المحصن الرجم وشرائط إحصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لأن الفاء إنما تدل على الجزاء وهو إنما يتم بالكافي والتغريب المروي منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والأذى في قوله فأمسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما من قبل نزول الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة والفتح لغة وهي قراءة ابن كثير وقيل الرأفة في دفع المكروه والرحمة في إيصال المحبوب والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (في دين الله) أي في طاعة الله وحكمه (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والإلهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر أي فاجلدوا ولا تعطلوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على أنه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة إلى أربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب في خبيثة من شكله أو في مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين فالآية تزهيد في نكاح البغايا إذ الزانية شاكلت السرك في الفسق والإيمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الإسلام ثم نسخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لأن غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها

(تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي واضحات (لعلكم تذكرون) أي تتعظون قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا من الكبائر وموجب للحد وهو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ وشرط الإحصان في الرجم ويجب على الحر والأمة نصف الحد ولا رجم عليهما لأنه لا ينتصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلده إذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة أنه يجلد مائة ويغرب عاما وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب إلى رأي الإمام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب ويجلد المرأة ولا تغرب وإن كان الزاني محصنا فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرأفة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله روي أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهييج والإلهاب للغضب لله تعالى ولدينه ومعناه إن كنتم تؤمنون فلا تتركوا إقامة الحدود (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حدهما إذا أقيم عليهما (طائفة) أي نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب ابن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هارون إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة إن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم والدليل على جواز نكاح الزانية ما روي عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن امرأتي لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال إني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فأمسكها إذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة إلى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام وقيل في معنى الآية إن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وإنما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاح الصلحاء من الرجال وإنما يرغب في نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالكلية إلى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية ۞ قوله تعالى (والذين يرمون) أي يقذفون بالزنا (المحصنات) يعني المسلمات الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) إن حكم الآية أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يا زاني أو يا زانية فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف حرا وإن كان عبدا يجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لأن الحد إنما وجب عليه لأجل الفرية وقد ثبت صدقه وأما الكناية مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر

لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه يبدأ الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف مزاوجة الزواني والقحاب (والذين يرمون المحصنات) بكسر الصاد على أي يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بأن يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على الزنا لأن القذف بغير الزنا بأن يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفي فيه شاهدان وعلى القاذف التعزير وشروط إحصان [illegible] (فاجلدوهم ثمانين جلدة) [illegible]

أو يا خبيث أو يا فاجر أو قال امرأتي لا ترد يد لامس فهذا وشبهه لا يكون قذفا إلا أن يريد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زنيت أو ليست امرأتي بزانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب فيها الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا ﴿قوله تعالى﴾ (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الفاسق لا يقع إلا على صاحب كبيرة (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى إلا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف يردونها في أحسن حاليه ويقبلونها في شر حاليه وذهب الشافعي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فإن قلت إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قلت معنى أبدا ما دام مصرا على القذف لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد به ما دام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته ﴿قوله عز وجل﴾ (والذين يرمون) أي يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أي يشهدون على صحة ما قالوا (إلا أنفسهم) أي غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال له يا عاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجاه في الصحيحين وزاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه قوله أسحم أي أسود والأدعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين أي ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كأنه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالأرض وأراد بها [illegible] وقصره (خ) عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة

القاذف حرا وتنصب ثمانين نصب المصادر كانتصاب مائة جلدة ونصب جلدة على التمييز (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أي القذف (وأصلحوا) أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه (فإن الله غفور رحيم) أي يغفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لأنه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم ولما ذكر حكم قذف الأجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) أي يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) أي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (إلا أنفسهم) رفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفي غير أبي بكر على أنه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لأنه في حكم المصدر والإضافة إلى المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا

والا حد في ظهرك فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وفي رواية عن البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة له واجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فبينماهم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدرى من أبوه الاورق هو الاسمر وروى ابن عباس ان عويمر العجلاني زوجه بخولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين

(والخامسة) لا خلاف في رفع الخامسة في المشهور والمعنى والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه) فهي مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا

ثم قال في الرابعة أشهد بالله إني فارقتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله إنه ما رأى شريكا على بطني وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله إنه ما رآني قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي ثم قال تحينوا الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق بشريك ﴿فصل﴾ في حكم الآية إن الرجل إذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الأجنبية في وجوب الحد عليه إن كانت محصنة أو التعزير إن كانت غير محصنة غير أن المخرج منهما مختلف فإذا قذف أجنبيا أو أجنبية يقام عليه الحد إلا أن يأتي بأربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه إقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين وإذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنا وإن كان قد رماها برجل سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الإمام وإن كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به فلانة وإذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الإمام لا يحسب فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج ﴿قوله عز وجل﴾ (ويدرأ) أي يدفع (عنها العذاب) أي الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) حكم الآية أن الزوج إذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فإن أرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها إلا هذا الحكم الواحد وهو إسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فإن لم يلاعن حبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الأكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان إلا بين مسلمين حرين غير محدودين فإن كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن

(ويدرأ عنها العذاب) ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أي الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماني به من الزنا (والخامسة أن غضب الله عليها إن كان) أي الزوج (من الصادقين) فيما رماني به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وأن غضب الله خبره وخفف نافع أن لعنة الله وأن غضب الله بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة وأن غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب في جانبها لأن النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللعن على ألسنتهن وسقوط وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن والأصل أن اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالأيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزنا في حقها لأن الله تعالى سماه شهادة فإذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما وإذا التعنا كما في النص لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة

وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد ولما نزلت آية اللعان في هلال بن أمية أو عويمر جاء فقال وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما

حقان قال ويجري اللعان بينهما لأن الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بعدد الألفاظ وبالمكان والزمان وأن يكون بحضرة جماعة من الناس أما بعدد الألفاظ فهو ولا يعفو والإخلال بشيء منها وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن فإن كان بمكة فبين الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وأن الله تواب) أي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة (حكيم) أي فيما فرض من الحدود * قوله عز وجل (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم) الآيات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله ابن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت يا هنتاه أولم تسمعي ما قال قالت وما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر

(عليكم ورحمته) لفضحكم (وأن الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف أي لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (إن الذين جاؤوا بالإفك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعدما نزلوا فهلك في من هلك فاعتللت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوي لا يرقأ لي دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشري يا حميراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة إلى الأربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم (منكم) من جماعة المسلمين ... وإن الإفك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

من

من قبلهما فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت
يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت
فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم
ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث
الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه
من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم
يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا
قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي
إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي قالت فقام سعد بن معاذ
أخو بني عبد الأشهل فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من
إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان
بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا
تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله
لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت
يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي
أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي
إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء
قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن
كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه
ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت
لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي
أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس
حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت
لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقوني وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي
ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم
الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله
عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل
القول الذي أنزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وكان أول كلمة تكلم بها
أن قال لي يا عائشة احمدي الله وفي رواية قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل
إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم العشر الآيات فأنزل الله عز وجل هذه الآيات في براءتي قالت فقال أبو
بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل
الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة إلى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي
فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي
وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك قال ابن شهاب فهذا
الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط وزاد في رواية قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان
الله والذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله شهيداً هذا حديث متفق
على صحته أخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن
أبي ابن سلول وقال عروة وأخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة ولم يسم
لي من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم
عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال

فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعراً يشبب بأبيات له فقال

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم * شرح غريب ألفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة أي قطعة من حديثها قوله
كان أوعى أي أحفظ له قولها آذن أي أعلم بالرحيل قولها فإذا عقد لي من جزع أظفار هو نوع من الخرز
وهو الخرز اليماني المعروف قولها لم يهبلن أي يكثر لحمهن بالسمن فيثقلن قولها العلقة من
الطعام هو بضم العين أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب أي
ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جواباً قولها فتيممت أي قصدت قولها معرسين من وراء الجيش فأدلج
التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والإدلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله
قولها باسترجاعه هو قوله إنا لله وإنا إليه راجعون قولها فخمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي إزاري قولها
موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أولها قولها والناس يفيضون أي يخوضون
ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء يريبني أي شككني فيه قولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه
وسلم اللطف أي الرفق بها واللطف في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام قولها حتى نقهت أي أفقت من
المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط
كساء من صوف أو خز قولها تعس مسطح أي عثر وهو من الدعاء على الإنسان أي سقط لوجهه قولها يا هنتاه
أي يا هذه كأنها نسبتها إلى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لي دمع أي لا ينقطع وقول بريرة إن رأيت عليها
أي ما رأيت فيها أمراً أغمصه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيوت وتقيم به قوله صلى الله
عليه وسلم من يعذرني أي من يقوم بعذري إن أنا كافأته على سوء صنيعه فعاقبته أو عاقبته فلا تلوموني على
ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية أي حملته العصبية
والأنفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها فثار الحيان أي ثاروا وقاموا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل
يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم إن كنت ألممت فهو من اللمم وهو صغار الذنوب

(لا تحسبوه) أي الإفك (شراً لكم) عند الله (بل هو خير لكم) لأن الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة ثماني عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) أي على كل امرئ من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وقع الخائضون فقال (لولا) هلا (إذ سمعتموه) أي الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا أنفسكم (خيراً) عفافاً وصلاحاً وذلك نحو (٣٢١) ما روي أن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون ملطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان إن الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحداً من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحداً من تلويث عرض زوجتك وكذا قال علي رضي الله عنه إن جبريل أخبرك أن على نعليك قذراً وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين ما يقال فقال لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوءاً قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك وإنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه مقتضٍ أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخواته (وقالوا هذا إفك مبين) كذب ظاهر لا يليق بهما (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) هلا جاءوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء (فإذ لم يأتوا بالشهداء) الأربعة (فأولئك عند الله) أي في حكمه وشريعته (هم الكاذبون) أي القاذفون لأن الله تعالى جعل الفصل بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين

وقيل معناه مفارقة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي أي انقطع جريانه قولها ما رام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه أي كشف عنه قولها يرحمك الله أحمي سمعي وبصري أي أمنعهما من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والعلية فعصمها الله أي منعها من الوقوع في الشر بالورع قول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أنثى قوله وتبت وسنه أي استخرجه بالبحث والاستقصاء وقول حسان في عائشة حصان بفتح الحاء امرأة حصان أي متعففة رزان أي ثابتة ما تزن أي ترمى ولا تتهم بريبة أي بأمر يريب الناس تصبح غرثى أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى أنها لا تغتاب أحداً ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان إنه كان ينافح أي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل (إن الذين جاءوا بالإفك) أي بالكذب والإفك أسوأ الكذب لكونه مصروفاً عن الحق وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالإفك (عصبة) أي جماعة (منكم) أي عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فإن قلت عبد الله بن أبي ابن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الأغلب فإن حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شراً لكم) يعني الإفك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولأبويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان (بل هو خير لكم) يعني أن الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم بشهادته بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الإثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام بإشاعته وهو عبد الله بن أبي ابن سلول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين قوله عز وجل (لولا إذ سمعتموه) أي الحديث الكذب وهو قول أهل الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بإخوانهم وأهل دينهم (خيراً) والمعنى كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك أن يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا إلى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه عتاب للمؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) أي كذب بين لا حقيقة له (لولا) أي هلا (جاءوا عليه) أي على ما زعموا (بأربعة شهداء) أي يشهدون بذلك (فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) أي في حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر فإن قلت كيف يصير القاذف عند الله كاذباً إذا لم يأت بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا

[illegible] (لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) ولولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره [illegible]
أي ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع (إذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بألسنتكم) أي إن بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه) أي خوضكم في عائشة رضي الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة جزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف (٣٢٢) لأن للظروف شأنا وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من سمعه (عظيم) وقد ذكر فيما تقدم هذا اللفظ [illegible] أن يكونوا أمروا بهما لما العفى الا برى (يعظكم الله أن تعودوا) في أن تعودوا (لمثله) إلى مثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) ما دمتم أحياء مكلفين (إن كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصاد عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) بكم وبأعمالكم (حكيم) يجزي على وفق أعمالكم أو عليم بصدق براءتها حكيم ببراءتها (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبتها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها إن لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الأمور وسرائر الصدور (وأنتم لا تعلمون) أي أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم (وأن الله رءوف) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف إذا تاب

في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فإن الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف إذا لم يأت بالشهود يجب زجره ﴿ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (إذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول له بلغني كذا وكذا فيتلقونه تلقيا حتى أفاضه بعضهم إلى بعض (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي من غير أن تعلموا أنه حق (وتحسبونه هينا) أي وتظنون أنه سهل لا إثم فيه (وهو عند الله عظيم) أي في الوزر (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) أي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته روي أن أم أيوب الأنصاري قالت لأبي أيوب الأنصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) أي في الأمر والنهي (والله عليم) أي بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم ببراءتهما ﴿ قوله عز وجل (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم وكل من أحب أن تشيع الفاحشة أو يظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والذم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله يعلم) أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأنتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لولا إنعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة (وأن الله رءوف رحيم) ﴿ قوله

تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبائح من الأقوال والأفعال وكل ما يكرهه الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لأن كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح والآية عامة عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الإفك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكي) أي يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لأقوالكم (عليم) أي بما في قلوبكم ❁ قوله عز وجل (ولا يأتل) أي ولا يحلف من الألية وهي القسم (أولو الفضل منكم والسعة) يعني الغنى يعني أبا بكر الصديق (أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه فأنزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) أي عن خوض مسطح في أمر عائشة (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لأن الفضل المذكور في الآية قد ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولو الفضل وقوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته ومنها أنه احتمل الأذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفق عليه وهذا من أشد الجهاد لأنه جهاد النفس ومنها أنه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الأخلاق وفي الآية دليل على أن من حلف على شيء فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وفيه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ❁ قوله تعالى (إن الذين يرمون المحصنات) أي العفائف (الغافلات) أي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وروي عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات إلى قوله إلا الذين تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة وقيل لهم توبة أيضا لهذه الآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل أن يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) يروى أنه يختم على الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون أن الله

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) فإن الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك (ولكن الله يزكي من يشاء) يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم وإخلاصهم (ولا يأتل) ولا يحلف من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية أو ولا يقصر من الألو (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا (أن يؤتوا) أي لا يؤتوا كان من الألية (أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها (وليعفوا) العفو الستر (وليصفحوا) الصفح الإعراض أي وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور (المؤمنات) بما يجب الإيمان به عن ابن عباس رضي الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريد بعائشة رضي الله عنها وحدها وإنما جمع لأن من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) [illegible] على (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما أفكوا أو بهتوا والعامل في (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بأن ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (أن الله

[illegible]
نبيها وشرف ذلك وأفظع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذاك إلا لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته
إلا من خاض في أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الإفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها
وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم رضي الله عنها بإنطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام
في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على إنافة محله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من
القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون) أي هم وأولئك إشارة إلى الطيبين وإنهم مبرؤون مما يقول
الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام (٣٢٤) جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة
والطيب ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وإنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث يتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافي لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحاً بما تلا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجني وتزوجني بكراً وما تزوج
بكراً غيري وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجري وقبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وينزل عليه الوحي وأنا كما
في لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً وقال حسان معتذراً في حقها
حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * حليلة خير الناس ديناً ومنصباً * نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل * مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل (يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) أي بيوتاً لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وقد قرأ به والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أي حتى تستعلموا أيطلق لكم
الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة أو تنحنح (وتسلموا على أهلها) والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن
أذن له وإلا رجع وقيل إن تلاقيا قدم التسليم وإلا فالاستئذان

هو الحق المبين) أي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم
في الدنيا وقال ابن عباس وذلك أن عبد الله بن أبي ابن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو
الحق المبين ۞ قوله عز وجل (الخبيثات للخبيثين) قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول
للخبيثين من الناس وقيل (والخبيثون) أي من الناس (للخبيثات) من القول (والطيبات) أي من القول
ومعنى الآية أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق إلا بالطيب من
الناس وعائشة لا يليق بها الخبيث من القول لأنها طيبة فيضاف إليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق
بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث إلا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم
بالطيب من القول إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤوها بالطهارة والمدح لها وقيل معنى
الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله
ابن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤون) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع مبرؤون (مما
يقولون) يعني أصحاب الإفك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة روي أن عائشة
كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير
وقال هذه زوجتك وروي أنه أتى بصورتها في راحته ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في
اللحاف ونزلت براءتها من السماء وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة
ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق
حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير
بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من
الكاتب وفي هذه الرواية نظر لأن القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس
طلب الأنس وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنه أني داخل وقيل هو من آنست أي أبصرت وقيل هو
أن يتكلم بتسبيحة أو تنحنح حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) إن حكم الآية أنه لا يدخل بيت
الغير إلا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أأدخل سلام عليكم

كان الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الأكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الأول إعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع * عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن أخرجه أبو داود وقيل إذا وقع بصره على إنسان قدم السلام وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على أمي قال نعم فقال الرجل إني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل إني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مرسلا ۞ وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من الهجوم بغير إذن (لعلكم تذكرون) أي هذه الآداب فتعملوا بها ۞ قوله عز وجل (فإن لم تجدوا فيها) أي في البيوت (أحدا) أي يأذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعني إذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أزكى لكم) أي الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فإن للناس أحوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال وإذا حضر إلى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي دور الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج إليه الرجل فإذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم وإذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه إذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به رأسه وفي رواية يرجل به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الإذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) أي من الدخول بالإذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي إثم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) أي منفعة لكم قيل إن هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤووا

(ذلكم) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان (فإن لم تجدوا فيها) في البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه (وإن قيل لكم ارجعوا) أي إذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك عن أبي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط (هو أزكى لكم) أي الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا) في أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالاستكنان

[illegible] والتابعين [illegible] (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

وعند الذين يدخلون أطراف البيوت والدور [illegible] ممن أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفيها وقدميها في رواية وإلى رأس المحارم (٣٢٦) والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أي أطهر من دنس الإثم (إن الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وإنما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدين زينتهن) الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة وهي الحلي ونحوها إذ لا حرج فالمراد بها مواضعها إلا إظهارا عاما ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال شعورهن (إلا ما ظهر منها) إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وليضربن) ليضعن من قولك ضربت يدي على الحائط إذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوبهن) [illegible] وعاصم [illegible] وكانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة

أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها النزول وإيواء المتاع والبرد والحر وإيواء الأمتعة فيها وقيل هي الخانات والحوانيت في الأسواق يدخلها الناس للبيع والشراء وهو المنفعة بها فليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لأن الاستئذان إنما جعل لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) ﴿قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عما لا يحل النظر إليه وقيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من فيه للتبعيض لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه وإنما أمروا أن يغضوا عما لا يحل النظر إليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد ﴿وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فإن قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفيها للحاجة إلى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما استثني منه فإن قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) أي غض البصر وحفظ الفرج (إن الله خبير بما يصنعون) أي إنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم ﴿قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عما لا يحل لهن روي عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فبينا نحن إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود ﴿قوله تعالى (ولا يبدين) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن (إلا ما ظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الأجنبي النظر إليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات إذا لم يخف فتنة وشهوة فإن خاف شيئا من ذلك غض البصر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) أي ليلقين بمقانعهن (على جيوبهن) أي موضع الجيب وهو النحر والصدر أي ليسترن بذلك

شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز وكان وقيل هو الإزار وقيل هو الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (إلا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها (أو نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة الذمية أو الكافرة لأن الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الأجنبي كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنهن من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفا وأن ينظر إلى مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى إلى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالأجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الإماء دون العبيد (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والإربة والأرب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الإربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الأحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجه إلى البيداء يدخل كل جمعة يستطعم قوله أقبلت بأربع أي أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وقوله بثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفل اسم للصبي ما لم يحتلم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل إن الرجل يغلب عليه الشهوة إذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على أن الذي لأجله نهي عنه أن يعلم زينتهن من الحلي وغيره (وتوبوا إلى الله جميعا) أي من التقصير الواقع في أمره ونهيه وقيل راجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة وقيل إن أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن

فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها (ولا يبدين زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (إلا لبعولتهن) لأزواجهن جمع بعل (أو آبائهن) ويدخل فيهم الأجداد (أو آباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (أو أبنائهن) ويدخل فيهم النوافل (أو أبناء بعولتهن) فقد صاروا محارم أيضا (أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة (أو نسائهن) أي الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أو ما ملكت أيمانهن) أي إمائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها خصيا كان أو فحلا وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فإنها في الإماء دون الذكور وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها (أو التابعين غير) بالنصب شامي ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية (أولي الإربة) الحاجة إلى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصي أو المجبوب وفي الإربة المجبوب والإربة الوصفة (من الرجال) حال (أو الطفل الذين) هو جنس يصلح أن يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان إذا قوي عليه (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الأرض برجلها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سمي صوت الحلي وسواسا

التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا وقيل أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافي الإيمان

ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح إذا تابوا واستغفروا وأكد ذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الأغر المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم وعن ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ۞ قوله عز وجل (وأنكحوا الأيامى منكم) جمع الأيم يطلق على الذكر والأنثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أي من عبيدكم (وإمائكم) إن حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر ندب واستحباب لإجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبته أن يتزوج وإن لم يجد أهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح يكنى به عن الجماع أيضاً والوجاء بكسر الواو والمد وهو نوع من الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي قد ذكر الله عبداً أكرمه فقال سيداً وحصوراً وهو الذي لا يأتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن إلى النكاح وفي الآية دليل على أن تزويج الأيامى إلى الأولياء لأن الله خاطبهم به كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز وإليه ذهب الثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها وقال مالك إن كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وإن كانت شريفة فلا والدليل على أن الولي شرط في النكاح ما روي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له ۞ وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) قيل الغنى هاهنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم إن الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) أي إنه ذو الإفضال والجود (عليم) أي بما يصلح خلقه من الرزق ۞ قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً) أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه

(وأنكحوا الأيامى منكم) الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلاً كان أو امرأة بكراً كان أو ثيباً وأصله أيائم فقلبت (والصالحين) أي الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وإمائكم) أي من غلمانكم وجواريكم والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه (إن يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفي الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضي الله عنه مروي مثله (والله واسع) غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفي الآية دليل على أن تزويج النساء والأيامى إلى الأولياء كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالي فالرجل لا يلي على الرجل إلا بإذنه فكذا لا يلي على المرأة إلا بإذنها لأن الآية تشملهما (وليستعفف الذين) وليجتهد في العفة كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحاً) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الأوامر فأمر أولاً بما (والذين

( ) قوله [illegible]

يعصمني الله تعالى بعد عن مواقعة المعصية وهو عين التصبر ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن

الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أي المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول المملوك كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر (ان علمتم فيهم خيرا) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندب معلق بهذا الشرط (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح (٣٢٩) مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى

(والذين يبتغون الكتاب) أي يطلبون المكاتبة (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين في الحرب * بيان حكم الآية وكيفية الكتابة وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته فلا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روي ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تمام الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمني أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فأحب أن لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغا فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق ۞ وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للموالي يجب على السيد أن يحط

فنزلت واعلم ان العبيد أربعة مقتنى للخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولي العزلة الذي حصل العزلة بالذات الخلوة وترك العشرة والثاني ولي العشرة فهو يبقى الخصومة يخالط الناس للعبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم معرفته ومحبته والقرآن كتاب الاذن من مولاه فهو كائن في الناس يطوف بجبره بائن منهم بسره فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله

(٤٢ — (خازن) — ثالث)

ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون وما يدرون منه انه يرى السموات والارض فاشتاقا بأمره وكأنه ميت فان بقي الايام واستمر بهم * فان المسك بعض دم الغزال فقال ولي العزلة أصفى وأحلى وقال ولي العشرة أوفى وأعلى وقيل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة آدم من الور ثة الا ماطلب أما الثاني عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن السعدين ومجمع الحالين مع الرجال بباطن أحواله مقتدي ولي العزلة وظاهر أعماله مقتدي ولي العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة خمس وفي المائتين من درهما خمسة وفي السنة شهر وفي العمر حجة فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فسعى في كل نجم وقام بالطاعة بتمام الوفاء وطمعا في ثمرات الحرية التسريح في رياض الجنة فمنهم من يفعل ما يساوي بهواه والرابع الآبق فأكثرهم فمنهم العاصي الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائي والواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل ما لا يعنيه فضول فضلا عن السارق والزاني والعاصي ... عليه الصلاة والسلام ... الذين ... الآية

من مكاتبه من مال الكتابة شيئاً وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعاً وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاماً له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع إليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف العلماء فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً وترتفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة وإليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك وفاء بما عليه من مال الكتابة كان حراً وإن فضل له مال كان لأولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء وقد وجد ويتبعه أولاده وأكسابه كما في الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ﴿ قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) أي إماءكم (على البغاء) أي الزنا (إن أردن تحصناً) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيئاً قال فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً وفي رواية أخرى أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم وقال المفسرون أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية وروي أن إحدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الإسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا إليه فأنزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله إن أردن تحصناً على أقوال أحدها أن الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية فخرج النهي على صفة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه الثاني إنما شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن فأما إذا لم ترد المرأة التحصن فإنها تبغي بالطبع طوعاً الثالث أن إن بمعنى إذا أي إذا أردن وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن تحصناً كقوله وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم مؤمنين القول الرابع أن في هذه الآية تقديماً وتأخيراً تقديره وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا) أي لتطلبوا (عرض الحياة الدنيا) أي من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) يعني على الزنا (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) يعني بالمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله ﴿ قوله تعالى (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) أي من الحلال والحرام (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) أي شبهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أي للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر ﴿ قوله عز وجل

شابة فهو مصدر لنعت (إن أردن تحصناً) تعففاً عن الزنا وإنما قيد بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرهاً ولا أمره إكراهاً ولأنها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة وفيه توبيخ للموالي أي إذا رغبن في التحصن فأنتم أحق بذلك (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتبتغوا بإكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) أي لهن وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف وكانت آثمة أولهم إذا زنوا (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) بفتح الياء حجازي وبصري وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود وجاز أن يكون الأصل مبيناً فيها فاتسع في الظرف أي أجري مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أي بينت هي الأحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازاً أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) ومثلاً من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به [illegible] (الله [illegible])

أي هم المعنيون بأولئك كأنه من غاية الشكل لطيفة (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره من يشاء ... نحو قوله يخرجهم من الظلمات إلى النور ... ونحود ثم تقول بعض الناس كرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إليهما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض أو على أن المراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج (٣٣١) ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة)

(الله نور السموات والأرض) قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والأرض نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء وقيل معناه مزين السموات والأرض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الأرض بالنبات والأشجار وقيل معناه أن الأنوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

إذا سار عبد الله من مرو ليلة * فقد سار منها نورها وجمالها

(مثل نوره) أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تشريفا وتفضيلا (كمشكاة) هي الكوة التي لا منفذ لها وقيل هي لغة الحبشة (فيها مصباح) أي سراج وأصله من الضوء (المصباح في زجاجة) يعني القنديل وإنما ذكر الزجاجة لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب دري) من درأ الكوكب إذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم إذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الإنارة نسب إلى الدر في صفائه وحسنه وإن كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بضيائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لأنهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) أي اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به ويدهن به وهو إدام وهو أصفى الأدهان وأضوؤها قيل إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لأنها هي الأرض المباركة وهي شجرة لا تسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي ﴿وقوله﴾ (لا شرقية ولا غربية) أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت بل هي ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فيكون زيتها أضوأ وهذا قول ابن عباس وقيل معناها أنها ليست في مقنأة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناها أنها معتدلة ليست في شرق تضرها الحر ولا في غرب تضرها البرد وقيل معناها هي شامية لأن الشام وسط الأرض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لأنها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضيء) أي من صفائه (ولو لم تمسسه نار) أي قبل أن تمسه النار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة

في قنديل من زجاج شامي بكسر الزاي (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب إلى الدر لفرط صفائه وضيائه وبالكسر والهمزة حمزة وعلي كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة شبه في زهرته بأحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما (توقد) بالخطاب حمزة وعلي وأبو بكر أي الزجاجة ويوقد بالخطاب شامي ونافع وحفص وتوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء ثقوبه من شجر الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها تنبت في الأرض التي بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة نعت (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية (يكاد زيتها) دهنها (يضيء ولو لم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار (نور على نور) أي هذا النور الذي مثل به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا شيء لأن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدني محسوس معهود لا بعلي غير معاين ولا مشهود فأبو تمام لما قال في المأمون

(فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه أن هدايته تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فإذا كان كذلك كان كاملاً في صفائه وصلح أن يجعل مثلاً لهدايته تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الأحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين سمى الله محمداً مصباحاً كما سماه سراجاً منيراً والشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً لأن اليهود تصلي إلى الغرب والنصارى تصلي إلى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم وقيل وقع هذا المثل لنور قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الإيمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الإخلاص لله وحده لا شريك له فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور وقال الكلبي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقيل نور الإيمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل يكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الإسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الأمثال للناس) أي يبين الله الأشياء للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك (والله بكل شيء عليم) ❁ قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح توقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً (أذن الله أن ترفع) أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر عن الأنجاس والأقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلي له فيها (بالغدو والآصال) أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد بالغدو صلاة الصبح وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وإنما وحد الغدو لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات والآصال

...تنوير وأضمر في نوره مثلاً للبشر وداخل التذكي والناس فالله قد ضرب الأول لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس (يهدي الله لنوره) أي هذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أي يوفق لإصابة الحق من يشاء من عباده بإلهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريباً إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شيء عليم) فهو يبين كل شيء بما يمكن أن يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنه مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بمشكاة أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو بيسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت (أذن الله) أي أمر (أن ترفع) تبنى كقوله وإذ يرفع سمكها فسواها وإذ يرفع إبراهيم القواعد أو تعظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) هو عام في كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وإنما وحد الغدو لأن صلاته صلاة واحدة وفي الآصال صلوات والآصال

جمع أصيل وهو العشي (رجال) فاعل يسبح ومن قرأ يسبح بفتح الباء أسند الى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أي يسبح له (لا تلهيهم) لا تشغلهم (تجارة) في السفر (ولا بيع) في الحضر وقيل التجارة الشراء إطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعدما عم لأنه أوغل في الإلهاء من الشراء لأن الربح في البيع ناجز وفي الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب (وإقام الصلاة) أي وعن إقامة الصلاة التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما قلبت الواو ألفا اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطوها (وإيتاء الزكاة) أي وعن إيتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير [illegible] كأرباب العشرة (يخافون يوما) أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في تلهيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) تتقلب فيها الى الحناجر (والأبصار) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب الى الإيمان بعد الكفران والأبصار الى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فأما الذين ضلوا عنه فالمذكورون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء الى ما توهم أنه ماء (لم يجده شيئا) كما ظن

التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأن النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لا تلهيهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل الإنسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لأنه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي ولا يشغلهم بيع (عن ذكر الله) أي حضور المساجد لإقامة الصلوات (وإقام الصلاة) يعني إقامة الصلاة في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة (وإيتاء الزكاة) يعني المفروضة قال ابن عباس إذا حضر وقت أداء الزكاة لا يحبسونها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) يعني أن هؤلاء الرجال وإن بالغوا في ذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك خائفون لعلمهم أنهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل إن القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الأبصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الأبصار الأغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل تتقلب القلوب في الجوف فترتفع الى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتتقلب الأبصار فتشخص من هول الأمر وشدته (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالأحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وقيل إنما ذكر الأحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل إنه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعني أنه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه وفضله ﴿قوله تعالى﴾ (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وأنه في الدنيا والآخرة في نور وأنه فائز بالنعيم المقيم أتبعه بضرب مثل لأعمال الكفار وشبهها بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فإذا قرب منه لم يره شيئا والقيعة القاع وهو المنبسط من الأرض وفيه يكون السراب (يحسبه) أي يتوهمه (الظمآن) أي العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء ما قدر أنه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيئا) أي لم يجده على ما قدر وظنه وكذلك حسبان الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد أن له ثوابا عند الله وليس

(ووجد الله) أي جزاء الله [illegible] عنده [illegible]
كاملا وقد يعد تقدم الجميع حالا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب
أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه
من عذابه ثم تخيب في العاقبة آماله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد
ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا وقيل نزلت في عتبة بن (٣٣٤) ربيعة بن أمية كان ترهب ملتمسا للدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات في بحر)
أو هي كظلمات أو كذي ظلمات (لجي) عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) يغشى البحر أو من فيه أي يعلوه ويغطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الأعلى سحاب (ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (إذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده
الزبانية تعتله إلى النار وثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج بعضها
والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج وفي الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الإيقان (أن الله يسبح له من في السموات
والأرض والطير) عطف على من (صافات) حال من الطير أي يصففن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو
لله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون
إليها (والله عليم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (ولله ملك السموات والأرض) لأنه خالقهما ومن خلق شيئا أو أنشأه فإنه مالكه (وإلى الله المصير)
مرجع الكل (ألم تر أن الله يزجي) يسوق الريح (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذكيره للفظ أي يضم بعضه إلى

كذلك فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب في البرية تعلق قلبه به فإذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أغنى عنه شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وإن كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه مثل أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر لجي) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي متراكم (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه أن البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمور الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها إلا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الإنسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه أن الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له وقيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر وعاند والأصح أن الآية عامة في حق جميع الكفار ﴿ قوله عز وجل (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات) أي باسطات أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل إن ضرب أجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه أن كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض) أي أن جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وهو خالقها ومنشئها ومبدعها وهو واحد الوجود قيل معناه أن خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها أحد سواه (وإلى الله المصير) أي وإلى الله مرجع العباد بعد الموت ﴿ قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي) أي يسوق (سحابا) بأمره إلى حيث يشاء من أرضه وبلاده (ثم يؤلف بينه) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة

بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل) وينزل بمكي ومدني وبصري (من السماء) لابتداء الغاية لأن ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان أو الأوليان للابتداء والآخر للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه عن من يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عن من يشاء فلا يعذبه (يكاد سنا برقه) ضوء برقه (يذهب بالابصار) يخطفها ابذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لعبرة لأولي الابصار) لذوي العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكر فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل) خالق كل حيوان على (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها اناسي وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على أن لها خالقا ومدبرا والا لم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لأن المقصود ثم أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان اول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت وسمي الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر قد مشى هذا الامر أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم وقدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل أو غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع (يخلق الله ما يشاء) كما يشاء (ان الله على كل

بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أي متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد وقال ابن عباس أخبر الله أن في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيهلكه وأمواله (ويصرفه عن من يشاء) أي فلا يضره (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه في أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف يقع به التأثير كما يقع بكم وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لأولي الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده وقوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشي على بطنه) أي كالحيات والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشي على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشي على أربع) يعني كالبهائم والسباع فان قلت لم قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات لم تخلق من الماء قلت ان يكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فان قلت لم قال فمنهم من يمشي ومن لا يستعمل في غير العقلاء قلت لان الله تعالى ذكر ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفي الخلق ما يمشي على أكثر من أربع كالعنكبوت والعقارب والرتيلا ونحو ذلك مما له أكثر من أربع أو أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الخلائق اعتمادها على أربع في المشي وانما الزائد تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل

... (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء) بلطفه ومشيئته (إلى صراط مستقيم) إلى دين الإسلام الذي [illegible]
إلى جنته والآيات لا تلزم الاهتداء ولما ذكر إنزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون
وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون وعلى هذا الترتيب ورد أما المنافقون فقال (ويقولون
آمنا بالله وبالرسول) بألسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أي من
بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أي المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا لا إلى الفريق المتولي وحده
وفيه إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والإعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلهم
(وإذا دعوا إلى الله ورسوله) أي إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم إذا فريق منهم معرضون)
أي فاجأ من فريق منهم الإعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا (وإن يكن لهم الحق) أي إذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا إليه)
إلى الرسول (مذعنين) حال أي (٣٣٦) مسرعين في الطاعة طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة والمعنى
أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل المحض يعرضون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أشداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون)
أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس [illegible]
رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة إليه (إنما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين
بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل بخلاف قول المؤمنين (إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم) النبي عليه الصلاة والسلام
ليحكم أي ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذي أنزل عليه (أن يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن
يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض
الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهي جامعة لأسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر [illegible] بالوقف وبسكون القاف
وكسر الهاء حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بلغوا بها
[illegible] من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله
عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر ووضع موضعه مضافا إلى
المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أي لئن أمرتنا بالخروج

[قـ]دير) أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يعني إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته ۞ قوله تعالى (ويقولون) يعني المنافقين (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) أي يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا ويدعو إلى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمدا يحيف علينا فأنزل الله هذه الآية (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي الرسول يحكم بحكم الله بينهم (إذا فريق منهم معرضون) يعني عن الحكم وقيل عن الإجابة (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) أي مطيعين منقادين لحكمه أي إذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفي قلوبهم مرض) أي كفر ونفاق (أم ارتابوا) أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أي لأنفسهم بإعراضهم عن الحق ۞ قوله عز وجل (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله) أي إلى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (أن يقولوا سمعنا) أي الدعاء (وأطعنا) أي بالإجابة (وأولئك) أي من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أي ما عمل من الذنوب (ويتقه) أي فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) أي الناجون ۞ قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال لهم

أي أمرتنا بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها (إن الله خبير بما تعملون) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم (فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه (وإن تطيعوه تهتدوا) أي وإن أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم والنفع في اهتدائكم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وما على الرسول إلا أن يبلغ ما له نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات

ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (ليستخلفنهم في الأرض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين من قبلهم) وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم) وليبدلنهم بالتخفيف مكي وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يظهر الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدونني) إن جعلته استئنافا فلا محل له كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى وإن جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحله النصب (لا يشركون بي شيئا) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون [illegible] بدلا من الحال الأولى

نزل فيمن كرهوا حكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا أفنكف عن القتال فلا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) أي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أي هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة أي أمر عرف منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل (إن الله خبير بما تعملون) أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي بقلوبكم وصدق نياتكم (فإن تولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فإنما عليه) أي على الرسول (ما حمل) أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) أي ما كلفتم من الإجابة والطاعة (وإن تطيعوه تهتدوا) أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ الواضح البين ﴿ قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وكما استخلف بني إسرائيل وأهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمنين (لا يشركون بي شيئا) فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة فلم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك

حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه أخرجه البخاري وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لأن في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الأمن والتمكين وظهور الدين * عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثني عشرة سنة وعلي ستا قال علي قلت لحماد القائل لسفينة أمسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه إجمال وتفصيله أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كذا ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلي كذا ولم يبين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الأربعة تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وتكملة الثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم ۞ وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) أي العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا * عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارج خير لي منك داخل فخرج عبد الله إلى الناس فقال أيها الناس إن لله سيفا مغمودا وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة فقالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا ۞ قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أي افعلوها على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أي فائتين عنا (في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير) ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عليها عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الأمر وفيه قولان أحدهما أنه على الندب والاستحباب والثاني أنه على الوجوب وهو الأولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والإماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على أن الاحتلام بلوغ [illegible] خمس عشرة سنة ولم [illegible]

في قتله بهم حتى كفروا تلك النعمة الجسيمة وحسدوا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة وقتله عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا إخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وإن طال (وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم إليه مكرر طاعة الرسول لتأكيد وجوبها (لعلكم ترحمون) أي لكي ترحموا فإنها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض) أي فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها فالخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وبالياء شامي وحمزة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (ومأواهم النار) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت [illegible] قال
[illegible] منكم) [illegible]

(ثلاث مرات) في اليوم والليلة وهي (من قبل صلاة الفجر) لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة (ومن بعد صلاة العشاء) لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أي هي أوقات ثلاث عورات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وبالنصب كوفي غير حفص بدلاً من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الأعور والمختل العين دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بإذن فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح (٣٣٩) بعدهن) أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله (طوافون عليكم) أي هم طوافون بحوائج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلاً من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان مراده (وإذا بلغ الأطفال منكم) أي الأحرار دون المماليك (الحلم) أي الاحتلام أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الأوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأناس يقولون أعظمكم بيتاً وقوله وإذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) بما يبين من الأحكام (حكيم) بمصالح الأنام (والقواعد) جمع قاعد لأنها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء)

قال أبو حنيفة لا يكون بالغاً حتى يبلغ الغلام ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفاً وتجري عليه الأحكام وإن لم يحتلم (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت القيلولة (ومن بعد صلاة العشاء) وإنما خص هذه الثلاثة الأوقات لأنها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الأوقات (ثلاث عورات لكم) سمي هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبيد والخدم والصبيان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الأوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير إذن (بعضكم على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا لابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر كان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي قال لا والله قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية إن ناساً يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس وقيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتاً وقوله وإذا حضر القسمة أولو القربى الآية ۞ وقوله عز وجل (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الأحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) أي دلالاته وقيل أحكامه (والله عليم) أي بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فإنما نزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم إن لم تفعل رأيت منها ما تكره ۞ قوله (والقواعد من النساء) يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا

حال (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للقواعد والخبر (فليس عليهن جناح) أدخلت الفاء لما في
المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام (أن يضعن) في أن يضعن (ثيابهن) أي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار (غير
متبرجات) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن
التخفيف وحقيقة التبرج تكلف (٣٤) إظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ

خبره (خير لهن والله سميع) لما يقال (عليم) بما يقصدن (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله
عنه هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته والمراد بملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل
أراد به بيت عبده لأن العبد وما في يده لمولاه (أو صديقكم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته
وتصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها

بالولد ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الأزواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي إذا رآهن
الرجال استقذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس
عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب
والقناع الذي فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب
والرداء إظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستعففن)
أي فلا يلقين الجلباب ولا الرداء (خير لهن والله سميع عليم) ﴿قوله عز وجل﴾ (ليس على الأعمى حرج)
اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد
نهانا الله عز وجل عن أكل الأموال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يتمكن من
الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فأنزل
الله هذه الآية فعلى هذا التأويل تكون على بمعنى في أي ليس في الأعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى
والمريض والأعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس
يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الأعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الأعرج الأعمى
ربما أخذ مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في الأكل من بيوت من سماهم الله
في باقي الآية وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيت
أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى وكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى
غير بيته فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون إذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم إلى الزمنى ويقولون
لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غيب
فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند
قوله (ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام منقطع عما قبله
لما نزلت ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله تعالى
ولا على أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال
عيالكم وبيوت أزواجكم لأن بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الأولاد إلى
الآباء لما جاء في الحديث أنت ومالك لأبيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو
بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم
مفاتحه) قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة
ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك
منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز أن يكون المفاتيح الذي يفتح به وإذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا
بأس أن يأكل الشيء اليسير وقيل ما ملكتم مفاتحه أي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه (أو صديقكم)
الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت أن آكل من

طعامك

سرور وابتهاج فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بإذن (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت. نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لأنها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (من عند الله) أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة (٣٤١) وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فإذا استأذنوك) في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فوض الأمر إلى رأي رسوله عليه الصلاة والسلام (واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم إلا بإذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

طعامك بغير إذنك فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أنه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا من غير أن تتزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول والله إني لأجنح أي أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا جميعا أي مجتمعين أو أشتاتا أي متفرقين (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته وقال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس إذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب فيها لما فيه من الثواب والأجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وآدابه ﴿قوله عز وجل﴾ (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه) أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل (لم يذهبوا) أي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن وإذا استأذن الإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن وهذا إذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكونوا في المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) أي إن رأيت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة (إن الله غفور رحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

[illegible]

دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لواذا) حال أي ملاوذين واللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه والضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسلط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الأمر للإيجاب (ألا إن لله ما في السموات والأرض) ألا تنبيه على أن (٣٤٢) لا تخالفوا أمر من له ما في السموات والأرض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها (ويوم يرجعون إليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أي ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه خافية وروي أن ابن عباس رضي الله عنه قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم *(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)* (بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والإنس ولم يكن عموم الرسالة إلا من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لأن المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به أو نصب على المدح (له ملك السموات والأرض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود

بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم لواذا) أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب وقيل كانوا في حفر الخندق وكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم الله تهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره وينصرفون بغير إذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لئلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (ألا إن لله ما في السموات والأرض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الإيمان والنفاق (ويوم يرجعون إليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف لا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن البيع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

*(تفسير سورة الفرقان وهي مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون
كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة وقيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعاظم (الذي نزل الفرقان) أي القرآن سماه فرقانا لأنه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لأنه نزل مفرقا في أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لكثرة التفريق (على عبده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للإنس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والأرض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد في وحدانيته

والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما تقوله
المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان وأهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول إن الله شيء ويقول بخلق القرآن لأن الفاعل بجميع صفاته لا
يكون مفعولا له على أن لفظ شيء اختص بما يصح أن يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد (فقدره تقديرا)
فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أو قدره للبقاء
إلى أمد معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو لدلالة نذيرا عليهم لأنهم المنذرون (من دونه آلهة) أي الأصنام
(لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) أي إنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شيء وهم
يخلقون (ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها (ولا يملكون موتا) إماتة (ولا حياة) أي
إحياء (ولا نشورا) إحياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا (٣٤٣) إن هذا) ما هذا القرآن (إلا إفك) كذب

ردا على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المتفرد بالإلهية وفيه رد على الثنوية وعباد الأصنام
(وخلق كل شيء) مما يطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) أي سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا
تفاوت وقيل قدر كل شيء تقديرا من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ﴿ قوله تعالى (واتخذوا)
يعني عبدة الأوثان (من دونه آلهة) يعني الأصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم
ضرا ولا نفعا) أي دفع ضر ولا جر نفع (ولا يملكون موتا) أي إماتة (ولا حياة) أي إحياء (ولا نشورا) أي
بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (إن هذا) أي ما هذا القرآن (إلا إفك)
أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل
عبد بن الحضرمي الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا يكتبون من أهل الكتاب فزعم
المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤوا) يعني قائلي هذه المقالة (ظلما
وزورا) أي بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالإفك والافتراء (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها)
يعني النضر بن الحرث كان يقول إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث
رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب أن
تكتب له لأنه كان لا يكتب (فهي تملى عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لأنه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعني
غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أنزله) يعني القرآن (الذي يعلم السر) أي الغيب (في
السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما) أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) أي كما نأكل نحن (ويمشي في الأسواق) أي يلتمس المعاش كما نمشي
نحن وإذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست أنت بملك لأنك
تأكل والملك لا يأكل ولست بملك لأن الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه
آدميا ولم يدع أنه ملك ومشيه في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن صخابا في الأسواق
وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولأنه لم يدع أنه ملك من الملوك (لولا أنزل إليه ملك) أي يصدقه ويشهد له
(فيكون معه نذيرا) أي داعيا (أو يلقى إليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى التصرف
في طلب المعاش (أو تكون له جنة) أي بستان (يأكل منها) أي هو ولا أقل من ذلك إن لم يكن له كنز

(افتراه) اختلقه واخترعه
محمد من عند نفسه (وأعانه
عليه قوم آخرون) أي
اليهود وعداس ويسار
وأبو فكيهة الرومي قاله النضر
ابن الحرث (فقد جاؤوا ظلما
وزورا) هذا إخبار من الله
رد لكفرهم فيرجع الضمير
إلى الكفار وجاء يستعمل
في معنى فعل فيعدى تعديته
أو حذف الجار وأوصل
الفعل أي بظلم وزور
وظلمهم أن جعلوا العربي
يتلقن من العجمي الرومي
كلاما عجز بما فيه من فصاحته
جميع فصحاء العرب والزور
أن بهتوه بنسبة ما هو بريء
منه إليه (وقالوا أساطير
الأولين) أي هو أحاديث
المتقدمين وما سطروه كرستم
وغيره جمع أسطار وأسطورة
كأحدوثة (اكتتبها) كتبها
لنفسه (فهي تملى عليه)

أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا (قل) يا محمد (أنزله) أي القرآن (الذي يعلم السر
في السموات والأرض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض يعني أن القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه
الصلاة والسلام من غير تعلم دل ذلك على أنه من عند علام الغيوب (إنه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة إن أصروا وحيث
حكى عنهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم إياه بالرسول سخرية منهم كأنهم
قالوا أي شيء لهذا الزاعم أنه رسول (يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) حال والعامل فيها هذا (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو
يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أي إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد
يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا في الإنذار
والتخويف ثم نزلوا إلى أن يكون مرفودا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا إلى أن يكون رجلا له بستان
يأكل منه كالمياسير أو نأكل نحن كذا على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لأن أنزل في حكم المضارع
تكون بمعناه أو ينزل فيكون على القراءة نصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمها حكم الاستفهام أراد الظالمين وقوله

[illegible] (إن تتبعون إلا رجلا

مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) الأشباه أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا إليه (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) أي تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور ويجعل بالرفع مكي وشامي وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضيا (٢٤٤) جاز في جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة في الاستعار (إذا رأتهم) أي النار أي قابلتهم (من مكان بعيد) أي إذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أو إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار (وإذا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) صفة لمكانا لأن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذا وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال لا أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلاكا أي قالوا واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أي إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أي المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدها فالراجع إلى الموصول محذوف وإنما قال أذلك خير ولا خير في النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وإنما قيل كانت لأن ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل أن يخلقهم (لهم فيها ما يشاءون) أي ما يشاءونه

(وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) أي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي الأشباه التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) أي عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة ﴿قوله تعالى (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) أي من الذي قالوا وأفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتا مشيدة عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما وقال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوي بغير سند ﴿قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أي القيامة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أي نارا مستعرة (إذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فإن قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله إذا رأتهم قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها (سمعوا لها تغيظا) أي غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) أي صوتا فإن قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث إن أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة ﴿قوله عز وجل (قل أذلك خير) أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها (أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) أي ثوابا ومرجعا قال تعالى (لهم فيها ما يشاءون) أي إن جميع المرادات لا تحصل إلا في الجنة لا في غيرها فإن قلت قد يشتهي الإنسان شيئا وهو

(خالدين) حال من الضمير في يشاؤن والضمير في (كان) لما يشاؤن (على ربك وعدا) أي موعودا (مسؤلا) مطلوبا أو حقيقا أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم يحشرهم) للبعث عند الجمهور وبالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي يعني الأصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنهم أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون شامي (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بإدخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وإنما لم يقل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيد أنتم وهم لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فتزيد حسرتهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من (٣٤٥) دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى إلى مفعول واحد نحو اتخذ وليا وإلى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم خليلا فالقراءة الأولى من المتعدي لواحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدي إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء لأن من لا تزاد في المفعول الثاني بل في الأول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم) بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل إلى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا (بما تقولون) فيكم إنهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) أي فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص أي فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أي يشرك لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم ويؤيده قوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق إلا على قول المعتزلة والخوارج (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم -

---

لا يحصل في الجنة كان يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة فلما أن الله تعالى يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره (خالدين) أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما إذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) أي مطلوبا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد وعدا وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك الوعد وقيل الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿قوله تعالى﴾ (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعني من الملائكة والإنس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الأصنام ثم يخاطبهم (فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أي أخطؤا الطريق (قالوا) يعني المعبودين (سبحانك) نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقيل عبدتك (ولكن متعتهم وآباءهم) أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والإيمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى أي غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون (بما تقولون) أي إنهم آلهة (فما تستطيعون) أي الآلهة (صرفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أي يشرك (نذقه عذابا كبيرا) ﴿قوله عز وجل﴾ (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين إلا إنهم

[illegible] الطعام ويمشون في الأسواق [illegible]
قيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وتسلية للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة)
أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء
والغني من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكي أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه
فخرج ضجرا فرأى خصيا في مواكب ومراكب فخطر بباله شيء فإذا بقارئ يقرأ هذه الآية فقال بلى نصبر ربنا أو جعلتك فتنة لهم لأنك لو
كنت غنيا صاحب كنوز وجنان (٣٤٦) لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة
لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلي به أو بمن يصبر ويجزع (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ في إفراطه أي أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام في
لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أي يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه (لا بشرى) أي يوم لا بشرى لأنهم
يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكد ليوم يرون أو منصوب بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى
يومئذ ولا يكون يوم يرون منصوبا بلا بشرى لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا بشرى لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن المنفي بلا لا يعمل
فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر في موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الأسماء
يتناول أكمل المسميات (ويقولون) أي الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم إنما البشرى
للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره إذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها ومحجورا
لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو قصد ولا قدوم هنا ولكن مثلت حالهم ولا

ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة
من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا إلا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي
يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا
بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهدى فقيل نزلت في ابتلاء
الشريف بالوضيع وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده
فيكون له السابقة والفضل علي فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت
في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا أبا ذر وابن
مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد أسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل
هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا
محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (أتصبرون) أي على هذه الحالة
من الفقر والشدة والأذى وقيل إن الغني فتنة الفقير يقول مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض
والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) أي بمن يصبر وبمن يجزع (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو دونه في المال والخلق لفظ
البخاري ولمسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
عليكم ﴿ قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا
أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في
أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) أي طغوا وغلوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم
طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به ﴿ قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لا بشرى
يومئذ للمجرمين) وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل
لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن
يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما
محرما عليكم أن تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك أن العرب كانت إذا نزلت بهم
شدة أو رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك إذا عاينوا الملائكة ﴿ قوله عز وجل (وقدمنا إلى
ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له

وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك فعالم من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون (٣٤٧) (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكان استرواحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ الأحسن تهكم بهم (ويوم) واذكر يوم (تشقق السماء) والأصل تتشقق فحذف التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم أدغموا التاء في الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) وننزل الملائكة مكي وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه (للرحمن) خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه تيسيره على المؤمنين ففي الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام في الظالم للعهد وأريد به عقبة بن أبي معيط أو للجنس فيدخل فيه عقبة وغيره من الكفار (يقول يا ليتني اتخذت) في الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سبيلا)

لأنهم لم يعملوه لله عز وجل وفي الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار ﴿قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر أول النهار إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وإنما قال مقيلا لأنه الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ﴿قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الإنس والجن ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴿قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أنه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما ودعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف فأسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر وارتد فأنزل الله (ويوم يعض الظالم) يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (على يديه) أي ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين ثم تنبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يداه أكلهما على ما فعل تحسرا وندامة (يقول يا ليتني اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم

[illegible] (ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) فلان كناية عن الأعلام [illegible]
ضيافته فدعا النبي رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبي بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد فالمعنى يا ليتني لم أتخذ أبياً خليلاً فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلني عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان (بعد إذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) أي خليله سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضله الشيطان أو إبليس لأنه الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (للإنسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أي من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول) أي محمد عليه الصلاة (٣٤٨) والسلام في الدنيا (يا رب إن قومي) قريشاً (اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) متروكاً أي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا اشتكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسلياً وواعده النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) أي كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصراً لك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحداً وجمعاً والباء زائدة أي وكفى ربك هادياً وهو تمييز (وقال الذين كفروا) أي قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أي مجتمعاً (واحدة) يعني هلا نزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وما له أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بلا طائل [illegible] لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً ونزل هنا بمعنى أنزل وإلا لكان متدافعاً بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا إلى الحجج (كذلك) جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقاً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين وذلك في كذلك إشارة إلى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لأن معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقاً فأعلم أن ذلك (لنثبت به) فؤادك (فؤادك) حتى نعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء وجزءاً عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت أو بيناه تبييناً والترتيل التبيين في ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان (إلا جئناك بالحق)

واتخذت معه طريقاً إلى الهداية (يا ويلتا) دعا على نفسه بالويل (ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) يعني أبي بن خلف (لقد أضلني عن الذكر) أي عن الإيمان والقرآن (بعد إذ جاءني) يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والإنس (للإنسان خذولا) أي كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل متحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ﴿قوله عز وجل﴾ (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) أي متروكاً وأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا أنه سحر وشعر والمعنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى الله عز وجل يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلنا لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدواً من المجرمين) أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فإني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هادياً ونصيراً) ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) أي أنزلناه متفرقاً ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون وأنزل القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أدعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وبيناه بياناً والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقاً آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) أي بمثل يضربونه لك في إبطال أمرك (إلا جئناك بالحق) أي بما

[illegible]

لانه في الكلام دليلا عليه كالوقلت رأيت زيدا وعمرا وإن كان عمرو أفضل وجوابه قد يسلل على أن ترتيبه في زيد وإنما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحدّيهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الاعجاز من أن ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك وأولئك مع وشر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعني الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أي مكانه ومنزله أو مسكنا ومنزلا (وأضل سبيلا) أي وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازي والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزله ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه ومنزله وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقه قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاهم على أقدامهم

يرد به ما جاؤا به من المثل وبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبهة حقا (وأحسن تفسيرا) أي أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يساقون ويجرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) أي منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أي معينا وظهيرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه اضمار أي فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) أي أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعتدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا أليما) أي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادا وثمود) أي أهلكنا عادا وثمود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس قعودا عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وآذوا شعيبا فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر فخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) أي في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) أي أهلكنا هم اهلاكا ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى أهلك الله منها أربعا وبقيت واحدة وهي أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم

يمشيهم على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدل أو عطف بيان (وزيرا) هو في اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه ويعني فذهبا اليهم وأنذراهم فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بأمر عجيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة أعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أي ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعني نوحا وادريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا انه أراد تظليمهم فأظهر أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عذابا أليما) أي النار (وعادا) ودمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحي أو لانه اسم الأب الأكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبينما هم حول الرس وهي البئر غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أو هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبوهم فأهلكوا (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أي أهلكنا اهلاكا وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له (ولقد أتوا) يعني أهل مكة (على القرية) سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (التي أمطرت مطر السوء) أي أمطر الله عليها الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشأم على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أي امطار السوء (أفلم

لا يخافون تبعة فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم (وإذا رأوك إن يتخذونك) ما يتخذونك (إلا هزوا) إلا موضع هزؤ أو مهزوءا به (أهذا الذي) محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء أي قائلين أهذا الذي (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد إلى الذي محذوف أي بعثه (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن طال مدة الإمهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا فإنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال إذ لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى يروى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مر بحجر أحسن منه تركه (٣٥٠) الأول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي

حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه أن إليه ما على البلاغ فقط (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أم منقطعة أي بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الأنعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي وقالوا إن الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمي مجمع الكل ابتلاء فإن غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام وإن غلبه الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وإنما ذكر الأكثر لأن فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولأن فيهم من آمن (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته (كيف مد الظل) أي بسطه فعم الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل ممدود إذ لا شمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالأشياء تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) أي أخذنا ذلك الظل الممدود (إلينا) إلى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أي شيئا فشيئا بالشمس التي تأتي عليه ... الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من الثاني ... تباعدا ما بينها في الفصل ... الحوادث في الوقت

تكونوا يرونها) يعني إذا مروا بها في أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم في ممرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) أي لا يخافون بعثا ﴿ قوله تعالى (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا) نزلت في أبي جهل كان إذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا) أي قد قارب أن يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) أي على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أي في الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فإذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الأحسن فعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى إله يعبد (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) أي ما تقول سماع طالب الإفهام (أو يعقلون) أي ما تعاينون من الحجج والأعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لأنهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالأنعام فقال تعالى (إن هم) أي ما هم (إلا كالأنعام) أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولأن الأنعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك ﴿ قوله تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدودا لأنه ظل لا شمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) يعني الظل (إلينا قبضا يسيرا) أي بالشمس التي تأتي عليه والمعنى أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت

(وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتاً) راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم وأصل السبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور في مقابلته (وجعل النهار نشوراً) إذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أي ينتشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذي أرسل الرياح) الريح مكي والمراد به الجنس (بشراً) تخفيف بشر جمع بشور (بين يدي رحمته) أي قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأنزلنا

من السماء ماء) مطراً (طهوراً) بليغاً في طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أي طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهوراً حسناً ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة وما حكي عن ثعلب هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى إن كان هذا زيادة لبيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لأن بناء الفعول للمبالغة فإن كان الفعل متعدياً فالفعول متعد وإن كان لازماً فلازم (لنحيي به) بالمطر (بلدة ميتاً) ذكر ميتاً على إرادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) أي ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاماً وأناسي أي أنعاماً وأناسي مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمي ونسقيه والأناسي جمع إنسي على القياس ككرسي وكراسي أو إنسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت وقدم إحياء الأرض على سقي الأنعام والأناسي لأن حياتهما بحياة أرضهما وخص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسي متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقي الأنعام كالإنعام بسقيهم ونكر الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس يجتنبون بالقرب من الأودية والأنهار فبهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذا تنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراماً لهم وبياناً أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لأن الطهور شرط الإنعام (ولقد صرفناه بينهم)

الشمس فيقبض الله الظل جزءاً فجزءاً فيقبضها (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) أي ستراً تستترون به يريد أن ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه (والنوم سباتاً) أي راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم (وجعل النهار نشوراً) أي يقظة وزماناً تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) يعني المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطهر والماء المطهر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة فثبت أن التطهير يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والمرق ونحوهما ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضأ به مرة وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل يزول طهوره فينظر إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الأشجار يجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتغير ريح الماء برائحته يجوز الطهارة به لأن تغير المجاورة لا المخالطة وإن كان شيئاً يمكن صون الماء عنه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما يزول طهوره فلا يجوز الوضوء به وإن لم يغير أحد أوصافه ينظر إن كان الواقع شيئاً طاهراً لا يزيل طهوره فيجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً وإن كان الواقع شيئاً نجساً ينظر فإن كان الماء أقل من قلتين ينجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي بدليل ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب فقال إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وجماعة من أهل الحديث أن الماء إذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يغير أحد أوصافه وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيها لحوم الكلاب والحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله أتتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يطرح فيها محايض النساء ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء ﴿ قوله تعالى (لنحيي به) أي بالمطر (بلدة ميتاً) قيل أراد به موضع البلد (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (أنعاماً وأناسي كثيراً) أي بشراً كثيراً والأناسي جمع إنسي وقيل جمع إنسان ﴿ قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم)

السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) فأبى أكثرهم إلا كفران
النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود
ورذاذ وديمة فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل
مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف
فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله
تعالى كفر وإن رأى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين)
أي لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة (٣٥٢) جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين
بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشديد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الأنبياء فآثر رضائي على جميع الأهواء وأريد بهذا تهييج المؤمنين وتحريكهم (وجاهدهم به) أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة
القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده والآتي
من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما
متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين (هذا) أي أحدهما (عذب فرات) صفة
لعذب أي شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة لملح أي شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حائلا من قدرته يفصل
بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا) وسترا ممنوعا عن الأعين كقوله حجابا مستورا (وهو
الذي خلق من الماء) أي النطفة (بشرا) إنسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال
فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وكان ربك قديرا) حيث
خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أي قرابة وصهرا مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن
التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما

يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض وقرأ
هذه الآية وهذا كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء
وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق
فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي
حول الله ذلك إلى غيرهم وإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف
المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع إلى الريح (ليذكروا) أي ليتذكروا
ويتفكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أي جحودا وكفرهم هو أنهم إذا مطروا قالوا
مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية
في إثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما
من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ۞ قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا) أي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا
لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم
(وجاهدهم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) أي شديدا ۞ قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي
خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في مجاريهما (هذا عذب فرات) أي شديد العذوبة
يميل إلى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) أي شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا بقدرته فلا
يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد
الملح العذب ۞ قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء) أي من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) أي جعله ذا
نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا
يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله
بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها في قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في
تفسير سورة النساء (وكان ربك قديرا) على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر

(ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم) إن عبدوه (ولا يضرهم) إن تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسألكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) والمراد إلا فعل من شاء واستثناؤه من الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب وأن كأنه يقول إن حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المثاب بالثواب ولعمري إنه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالإنفاق إلى رضا ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا اتخاذ المدعو سبيلا إلى ربه بطاعته فذلك أجري لأن الله يأجرني عليه (وتوكل على الحي الذي لا يموت) اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك إلى من يموت ذليلا يعني ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حي يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه في كل (٣٥٣) أمر (وسبح) من أن يكل إلى غيره من توكل عليه (بحمده) وقيل الذي يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أي كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعني أنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) أي في مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل روي عن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليما للخلق الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أي هو الرحمن فالرحمن خبره أو بدل من الضمير في استوى أو الذي خلق مبتدأ والرحمن خبر (فاسأل) أيها المخبر وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم والباء كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحثت عنه وفتشت عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أي فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (وإذا قيل لهم) أي إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) للذي تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا علي وحمزة كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفيه عناد لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من أبنية المبالغة تقول رجل عطشان إذا كان في نهاية العطش

والأشياء (ويعبدون من دون الله) يعني هؤلاء المشركين (ما لا ينفعهم) أي إن عبدوه (ولا يضرهم) أي إن تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي معينا أعان الشيطان على ربه بالمعاصي لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا أي ذليلا من قولك ظهرت به إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والأصح أنه عام في كل كافر ۞ قوله تعالى (وما أرسلناك إلا مبشرا) أي بالثواب على الإيمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فيقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا نتبعه (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء أن يتخذ بإنفاق ماله سبيلا إلى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسي أجرا ولكن أمنع من إنفاق المال إلا في طلب مرضاته واتخاذ السبيل إلى جنته ۞ قوله عز وجل (وتوكل على الحي الذي لا يموت) معناه أنه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره أن يتوكل عليه في جميع أموره وإنما قال على الحي الذي لا يموت لأن من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فإنه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) أي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعني أنه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه أنه لا يحتاج معه إلى غيره لأنه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفي هذا شديد وعيد كأنه قال إذا أقدموا على مخالفة أمره كفاهم علمه في مجازاتهم بما يستحقون من العقوبة ۞ قوله عز وجل (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) أي فاسأل أيها الإنسان بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أي ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا)

...كوكبة سيارة تنزل منها الشمس ويشترك القمر... فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأن هذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها

سرجا حمزة وعلي أي نجوما (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف أي يذكر الله أو المنسي فيقضي (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعده صفة والإضافة إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لأنه وصف أولياءه بعدما وصف أعداءه (على الأرض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هينا والهون الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر ولا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ولقوله ويمشون في الأسواق (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإفك أو تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة وهذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) هلاكا لازما ... [illegible]

[illegible]

أمرنا محمد (وزادهم) أي قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) أي عن الإيمان والسجود

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعها وقراءتها

﴿ قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها للكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فإن الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن أراد أن يذكر) أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما ﴿ قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل وإلا فالخلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الأرض هونا) يعني بالسكينة والوقار والتواضع غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين وقيل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (وإذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلاما) أي سدادا من القول يسلمون فيه من الإثم وإن سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم إذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة ﴿ قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) أي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار عن نعمه فلم يؤدوها فأغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه إلا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (إنها) يعني جهنم (ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) أي

في حكم شئت وما ضمه المبهم تفسير مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبراً لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقراً حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالإسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقاً فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف (وكان) إنفاقهم (بين ذلك) أي الإسراف والإقتار (قواما) أي عدلاً بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أي بين ذلك قواماً خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبه أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية وقيل أولئك (٣٥٥) أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) أي لا يشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أي حرمها يعني حرم قتلها (إلا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعي في الأرض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) أي المذكور (يلق أثاماً) جزاء الإثم (يضاعف) بدل من يلق لأنهما في معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هي لقاء الآثام كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا فجزم تلمم لأنه بمعنى تأتنا إذ الإتيان هو الإلمام يضعف مكي ويزيد ويعقوب يضعف شامي يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أي يعذب على مرور الأيام في الآخرة عذاباً على عذاب وقيل إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويخلد) جزمهما غير شامي ويضاعف ويخلد رفعه لأنه معطوف عليه (فيه) في العذاب فيهي مكي وحفص بالإشباع وإنما خص حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع (مهاناً) حال أي ذليلاً (إلا من تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملاً صالحاً) بعد توبته (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففاً البرجمي (وكان الله غفوراً) يكفر السيئات (رحيماً) يبدلها بالحسنات

موضع قرار وإقامة (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلت والإقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق حتى يدخل في حد التبذير والإقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يشبع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أي قصداً وسطاً بين الإسراف والإقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفاً أن لا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) (ق) عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال أن تدعو لله نداً وهو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أي ومن يفعل شيئاً من ذلك يلق أثاماً قال ابن عباس إثماً وقيل عقوبة وقيل الأثام واد في جهنم وروي في الحديث أن الغي والأثام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخلد فيه مهانا) أي ذليلاً ﴿ قوله تعالى (إلا من تاب) أي عن ذنبه (وآمن) أي بربه (وعمل عملاً صالحاً) أي فيما بينه وبين ربه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر الآية ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط فرحه بها وفرحه بإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿ وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً)

(ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه تائب إلى الله متاباً مرضياً
عنده مكفراً للخطايا محصلاً للثواب (والذين لا يشهدون الزور) أي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا
يقربونها تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة إلى ما لم تسوغه الشرع يعدهم شركاء فاعليه في الآثام
لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام إياكم ومجالسة الخاطئين أو لا يشهدون شهادة
الزور على حذف المضاف وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء (وإذا مروا باللغو)

بالفحش وكل ما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به (مروا كراماً) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر رضي الله عنه إذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صماً وعمياناً) هذا ليس بنفي الخرور بل هو إثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه لا يلقاني زيد مسلماً هو نفي للسلام لا للقاء يعني أنهم إذا ذكروا بها خروا سجداً وبكياً سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى ومن هديناً واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) بلا تاء كأنه
قيل هب لنا قرة أعين ثم بين القرة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد أولا بيانية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفي غير حفص
لإرادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرة أعين) وإنما نكر لأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال
هب لنا منهم سروراً وفرحاً وإنما قيل أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى
وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً
وأعقاباً عمالاً لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن

قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فيبدلهم بالشرك إيماناً وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل إن الله تعالى يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحاً) قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحاً يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فإنه يتوب إلى الله) أي يعود إليه بعد الموت (متاباً) أي حسناً يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الأولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله وقوله يتوب إلى الله خبر بمعنى الأمر أي تب إلى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله تعالى ۞ قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق وقيل لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق (وإذا مروا باللغو) هو كل ما ينبغي أن يلغى ويترك (مروا كراماً) يعني إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً أي مسرعين معرضين وقيل هو أن يمر المرء بسفه فيكرم نفسه عن هذه المجالس السيئة (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً) قال ابن قتيبة ليس فيه نفي الخرور وإنما هو إثباته ونفي الصمم والعمى والمعنى إذا ذكروا بها أكبوا على استماعها بآذان واعية متدبرين لها وعلى المذكر بها ناظرين بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صماً وعمياناً كأنهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيتبعونه ۞ قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي أولاداً أبراراً أتقياء صالحين يقرون أعيننا بالطاعة

ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون بنا في الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا إماما وقيل في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار وإقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له أي إنه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم (فقد كذبتم) رسولي يا أهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أي ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة أخر

(سورة الشعراء مكية) وهي مائتان وعشرون وسبع آيات *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(طسم) طس ويس وحم ممالة كوفي غير الأعشى والبرجمي وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر إعجازه وصحته من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين

فقيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل إن العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الهم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه اجعلنا سألوا الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار إليهم ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على أن الرياسة في الدين تطلب ويرغب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مقتدين بهم ثم (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد والياقوت في الجنة والواو والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) أي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل إليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات قوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أي موضع قرار وإقامة قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربي) أي ما يصنع وما يفعل بكم وقيل يعبأ بكم وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) إياه وقيل معناه لولا إيمانكم وقيل لولا عبادتكم وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما خلقتكم ربي ولي بكم حاجة إلا لتسألوني فأغفر لكم وأعطيكم والمعنى أنه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبأ أي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني أن الله دعاكم إلى توحيده وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتلا والمعنى يكون التكذيب لازما لكم [illegible] حتى تجازوا بعملكم وقيل معناه [illegible] كالغريم [illegible] بمصارعهم وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الشعراء)

وهي مكية إلا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) أي هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والإعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الأحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية

(لعلك باخع) [illegible]
(يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (إن نشأ) إنزال عليهم (ننزل عليهم من السماء آية) دلالة [illegible]
(فظلت) أي فتظل لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول إن زرتني أكرمتك أي أكرمك كذا قاله الزجاج
(أعناقهم) رؤساؤهم ومقدموهم أو جماعاتهم يقال جاءني عنق من الناس لفوج منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت فينا وفي بني أمية فستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث إلا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه
وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (أنباء) أخبار (ما كانوا به يستهزئون) وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب
الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم
(أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا) كم نصب بأنبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجي إيمانهم (وإن ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة
(الرحيم) لمن آمن منهم ٣ وآية مع الإخبار بكثرتهم إلا أن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا أو المراد أن في كل واحد من تلك (ولهم)
الأزواج لآية أي آية (وإذ) مفعول به أي اذكر إذ (نادى) دعا (ربك موسى أن ائت) أن بمعنى أي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر
وبني إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم
فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد (ألا يتقون) أي ائتهم زاجرا فقد آن لهم أن يتقوا وهي كلمة حث وإغراء ويحتمل
أنه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال (قال رب إني أخاف) الخوف غم يلحق
الإنسان لأمر سيقع (أن يكذبون ويضيق صدري) بتكذيبهم إياي مستأنف أو عطف على أخاف (ولا ينطلق لساني) بأن تعتريني الحبسة على
ما أرى في الحال وانتصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده
على الرفع (فأرسل إلى هرون) أي أرسل إليه جبريل واجعله

٣ قوله وآية هكذا بالأصل ولعله سقط منه وأفرد أو نحو ذلك اهـ مصححه

المنسلخ عن الأحكام (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (ألا يكونوا مؤمنين) أي لأن لم يؤمنوا وذلك
حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (إن نشأ ننزل
عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد
منهم عنقه إلى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده
معصية فإن قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت
الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين
وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أي فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالأعناق الجماعات
يقال جاءني عنق من الناس أي جماعة ﴿ قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن) أي وعظ وتذكير
(محدث) أي محدث إنزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول (إلا
كانوا عنه معرضين) أي عن الإيمان به (فقد كذبوا فسيأتيهم) أي فسوف يأتيهم (أنباء) أي أخبار
وعواقب (ما كانوا به يستهزئون أولم يروا إلى الأرض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد أن لم يكن فيها
نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام وقال
الشعبي الناس نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (إن في ذلك) أي الذي ذكر
(لآية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرته وتوحيده كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وإن ربك
لهو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لأوليائه ﴿ قوله تعالى (وإذ نادى) أي
واذكر يا محمد إذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) يعني
الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم
فرعون) يعني القبط (ألا يتقون) أي يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والإيمان به (قال)
يعني موسى (رب) أي يا رب (إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي بتكذيبهم إياي (ولا ينطلق
لساني) أي للعقدة التي كانت على لسانه (فأرسل إلى هرون) أي ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة

لتا يعينني على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس
عون في تبليغ الرسالة وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على
التعلل (ولهم على ذنب) أي تبعة ذنب بل القبطي فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فأخاف أن يقتلون)
أي يقتلوني به قصاصا وليس هذا تعللا وانما استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة
الردع وجمع له الاستجابتين معا في قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه
فأجابه بقوله اذهبا أي جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت
وهرون (بآياتنا) مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك (انا معكم) أي معكما بالعون والنصر (٣٥٩) ومع من أرسلتما اليه بالعلم والقدرة

(ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت أجراهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) فان قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوو رسالة كما قال كثير لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول أي برسالة وقيل انهما لاتحادهما في الرسالة والشريعة والاخوة صارا كأنهما رسول واحد فقيل لكل واحد منهما رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني اسرائيل) أي أرسلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون بها فأخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلني الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون وأديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته (فقال) له (ألم نربك فينا وليدا) أي صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) أي ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتلك القبطي (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا فكافأتنا بأن قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهي رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية لان الكفر غير جائز على الانبياء قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين فرعون والهيته (قال) يعني موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) أي من الجاهلين بأن ذلك يؤدي الى قتله لانه فعل الوكز على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين (ففررت منكم) أي الى	(مستمعون) خبران ومعكم لغو أو هما خبران أي سامعون والاستماع في غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع فلان حديثه أي أصغى اليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) لم يثن الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بني اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى

فلسطين وكانت مسكنهما فأتياه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه
فأديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) وانما خاطب به موسى فرعون دون هرون لان موسى كان المقصود بالرسالة والوليد الصبي لقرب
عهده من الولادة أي ألم نكن صغيرا فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي
وعرض اذ كان لكا (وأنت من الكافرين) بنعمتي حيث قتلت خبازي أو كنت على ديننا الذي تسميه كفرا وهذا افتراء عليه لانه
معصوم من الكفر وكان يعاشرهم بالتقية (قال فعلتها اذا) أي اذ ذاك (وأنا من الضالين) الجاهلين بأنها تبلغ القتل والضال عن الشيء هو
الذاهب عن معرفته ... الكافرين ... والمعنى ... فرعون ... الكلام ...
... (ففررت منكم) ...

(لما خفتكم) أن تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لي ربي حكما) النبوة
وعلما وزال عني الجهل والضلالة (وجعلني من المرسلين) من جملة رسله (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) كر على امتنانه عليه
بالتربية فأبطله من أصله وأبى أن تسمى نعمة لأنها نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم
هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه أبواه فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه وإخراجه من حجر أبويه إذا حققت
وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده لكن
منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك إشارة إلى خصلة شنعاء
مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها (٣٦٠) ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك أي تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي (قال فرعون
وما رب العالمين) أي إنك تدعي أنك رسول رب العالمين فما صفته لأنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره (قال) موسى مجيبا له على وفق سؤاله (رب السموات والأرض وما بينهما) أي وما بين الجنسين (إن كنتم موقنين) أي إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلا أو إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع والإيقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن (قال) أي فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) تعجبا من جوابه لأنهم
يزعمون قدمهما وينكر حدوثهما وأن لهما ربا فاحتاج موسى إلى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه سوالف
فاستدل بـ(قال ربكم ورب آبائكم الأولين) أي هو خالقكم وخالق آبائكم فإن لم تستدلوا بغيركم فاستدلوا بأنفسكم وإنما قال رب آبائكم لأن فرعون
كان يدعي الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أي فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) حيث يزعم أن في الوجود إلها
غيري وكان فرعون ينكر إلها غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) فسر لهم ما أول بما [illegible] وجعلوا بالإرشاد
[illegible] عليهم أولا خلق السموات والأرض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد
منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر
على [illegible] [illegible]

مدين (لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) يعني النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها
علي أن عبدت بني إسرائيل) أي اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل
ولدان بني إسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني
إسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الإنكار ومعنى الآية أوتلك نعمة على طريق الاستفهام
فحذف الألف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفتها * وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة * تتركني هكذا وتنطلق

أي أتتركني والمعنى أتمن علي أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو
يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه فقد ذل فتعبيد بني إسرائيل قد أحبط إحسانك
إلي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع إليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من أهلي من يربيني ولم
يلقوني في اليم (قال فرعون وما رب العالمين) يقول أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله أي تستوصفه
إلهه الذي أرسله إليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزه عن الجنس والماهية فلهذا عدل موسى عن
جوابه وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها (قال رب السموات والأرض وما
بينهما إن كنتم موقنين) أنه خالقهما فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم فإن أيقنتم بذلك لزمكم أن
تقطعوا أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال إلا ما ذكرته من الجواب وقال أهل المعاني أي كما توقنون هذه
الأشياء التي تعاينونها فأيقنوا أن إله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير
فرعون في جواب موسى (قال لمن حوله) أي من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم
الأسورة (ألا تستمعون) وإنما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني أنا أطلب منه
الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بأفعاله وآثاره وقيل إنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم فزادهم
موسى في البيان (قال ربكم ورب آبائكم الأولين) يعني أن موسى ذكر ما هو أقرب إليهم فقال ربكم يعني
أنه خالقكم وخالق آبائكم الأولين (قال) يعني فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) يعني
المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي
الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه [illegible] يتكلم كلاما لا يقبله ولا يعرف صحته وكان
عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم
تعقلون) فعدل إلى طريق ثالث أوضح من الثاني ومعنى إن كنتم تعقلون فقد عرفتم أنه لا جواب عن

والإبانة على مرودين كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية فلاح حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أنه موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يحسب من غرور تموآ بارضه فقال مخاطبهم من جواب موسى ألا تسمعون فعاد موسى إلى المثل قوله الأول فجسه فرعون وأعجبه أنه حائد عن الجواب فعاد بالثالث مثل كلامه الأول فبان المراد الحقيق إنما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال والإشارة في قوله تعالى إن كنتم تعقلون أي إن كان لكم عقل علمتم أنه لا يمكن معرفته إلا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت إلها غيري) أي غيري إلها (لأجعلنك من المسجونين) أي لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر (قال أولو جئتك) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك (بشيء مبين) أي بآية المعجزة (قال فأت به) بالذي يبين صدقك (إن كنت من الصادقين) إن الله أرسلك وجواب الشرط مقدر أي فأحضره (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر روي أن العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول (٣٦١) يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) فيه دليل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نورانيا روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق (قال) أي فرعون (للملإ حوله) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب

سؤالك الأول كرر (قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان مهوى فيه إلى الأرض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعده بالسجن (أولو جئتك بشيء مبين) أي بآية مبينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتك بحجة بينة وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بالبيان (قال) يعني فرعون (فأت به) أي بالبيان (إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) قيل لما ألقاها صارت حية عظيمة ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملإ حوله إن هذا) يعني موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر ولهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التغرير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرون) يعني ما رأيكم فيه وما الذي أعمله فيه بعد ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أي أخره وأخاه (وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) قيل إن فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فإنك إن قتلته دخلت الناس شبهة في أمره لكن أخره واجمع له سحرة يقاومونه ولا يثبت له عليك حجة ﴿قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أرادوا بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك

في المحل وهو النصب على الحال من الملإ أي كائنين حوله والعامل فيه قال (إن هذا لساحر عليم) بالسحر أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا) منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الآيتين زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما ولا تعجل بهما حتى ترى ما يكون (وابعث في المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون إن هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) فجاءوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلنا نتبع السحرة) في دينهم (إن كانوا هم الغالبين) أي غلبوا ... موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين)

[illegible] على وجه الغلبة (قالوا ان لنا لاجرا) ... (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) [illegible]

الرياسة والجاه فتكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم
اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر
فسوف ترون عاقبته (فألقوا حبالهم) ستين ألف حبل (وعصيهم) ستين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصي
(وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبتلع (ما
يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى (فألقي السحرة ساجدين)
عبر عن الخرور بالالقاء لطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الالقاآت ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آمنا برب العالمين) عن
عكرمة رضي الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا أن
يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع (٣٦٢) منهم آمنا برب العالمين قال اياي تعنون فقالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم)

<table>
<tr>
<td>

كلهوا ... كذه بقوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) أي بعظمة فرعون (انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
ما يأفكون) أي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون أن عصا موسى صارت حية واستلعت كل ما رموه
من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت أول مرة (فألقي السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا
ما جاء به موسى علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا أن خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا عزله (قال آمنتم له
قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك
الوعيد فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون) أي
لا ضرر علينا فيما يلحقنا في الدنيا لأنا نتقلب وننصرف الى ربنا في الآخرة ومن يؤمن بعمرانه وهو قولهم (انا
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر (أن) أي لأن (كنا أول المؤمنين) أي من أهل زماننا
وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع ❁ قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي
انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج وذلك أن الله أوحى الى موسى أن اجمع
بني اسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر
الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه
أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم
فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعار واحليهم ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل الى جهة البحر فلما
سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فأرسل فرعون في
المدائن حاشرين) يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن ألف مدينة واثني عشر ألف قرية فأرسل
فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مائتي ألف
ملك مسورين مع كل ملك ألف فلذلك قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) قال أهل التفسير كانت الشرذمة

</td>
<td>

بذلك (انه لكبيركم الذي
علمكم السحر) وقد تواطأتم
على أمر ومكر (فلسوف
تعلمون) وبال ما فعلتم ثم
صرح فقال (لأقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف) من
أجل خلاف ظهر منكم
(ولأصلبنكم أجمعين) كأنه
أراد به ترهيب العامة لئلا
يتبعوهم في الايمان (قالوا
لا ضير) لا ضرر وخبر
لا محذوف أي في ذلك أو
علينا (انا الى ربنا منقلبون
انا نطمع أن يغفر لنا ربنا
خطايانا أن كنا) لأن كنا
(أول المؤمنين) من أهل
المشهد أو من رعية فرعون
أراد ولا ضير علينا في ذلك
بل انا أعظم النفع لما يحصل
لنا في الصبر عليه لوجه الله
من تكفير الخطايا أو لا ضير

</td>
</tr>
</table>

علينا فيما تتوعدنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير [illegible] الذي
علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى
أن أسر) بوصل الهمزة حجازي (بعبادي) بني اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه والمعنى أسر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة
(انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه علل الأمر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعني اني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا
ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج
موسى بقومه وروي أن الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم
فاني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي
الى البحر فيأتيك أمري (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) أي جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة
الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة
الذي هو للقلة [illegible]

الكفار من مقالهم في الضحك كأنه اشتقوا لا ألف (وإنهم لنا لغائظون) أي إنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم أبكارنا (وإنا لجميع حاذرون) شامي وكوفي وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزاً لأنهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) حسن بهيج وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب (٣٦٣) على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا أو الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك (وأورثناها بني إسرائيل) من بعد ما أغرقنا فرعون وقومه فأعطيناهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة (فأتبعوهم) فلحقوهم فأتبعوهم ثم (مشرقين) حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أي أدركوهم وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي ما إذا تقاربا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي قرب أن يلحقنا عدونا وأمامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله إياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (إن معي ربي) بالحفظ والنصر (سيهدين) أي سيهديني طريق النجاة وإضرارهم سيهديني بالياء يعقوب (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانفلق) أي فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقاً على عدد الأسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد في السماء (وأزلفنا) قربنا (ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث فإنهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم وروي أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم بأولكم فلما انتهى موسى إلى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشينا آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء

الذين قتلهم فرعون سبعمائة ألف مقاتل لم يعد وادون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفاً ولا يحصى عدد أصحاب فرعون (وإنهم لنا لغائظون) الغيظ الغضب يعني إنهم أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا (وإنا لجميع حاذرون) أي خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أي مؤدون ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر المخوف من الملابس يحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه إلا خائفاً (فأخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزاً لأنه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس حسن قيل أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت لهم وقيل إنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى إنا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومنازلهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثناها بني إسرائيل) وذلك أن الله عز وجل رد بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو إضاءتها (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعني موسى ثقة بوعد الله تعالى إياه (كلا) أي لن يدركونا (إن معي ربي سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) أي فضربه فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يواري حافر دابته وقال الذي يكتم إيمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا فرعون وقومه إلى البحر وقدمناهم إلى الهلاك وقيل إن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويقول للقبط رويداً ليلحق آخركم بأولكم فكان بنو إسرائيل يقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا أحسن دعة من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعني أنه تعالى جعل البحر

(...) ... (وما كان أكثرهم مؤمنين) ... لم يؤمن منهم

إلا آسية وخربيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلتهم على قبر يوسف (وإن ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالإنعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ إبراهيم) خبره (إذ قال لأبيه وقومه) هو إبراهيم أبو قوم الأنبياء (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس مستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ما تعبدون أصناما كقيس ثاوبلك ماذا ينفقون قل العفو وماذا قال ربكم قالوا الحق لأنه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وإنما زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد (فنظل لها عاكفين) فنقيم على عبادتها طول النهار وإنما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قال) أي إبراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (إذ تدعون) عليه (أو ينفعونكم) إن عبدتموها (أو يضرون) (٣٦٤) أي إن تركتم عبادتها (قالوا بل) إضراب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشيء من ذلك ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) الأولون (فإنهم) أي الأصنام (عدو لي) العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي في يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أي فإني عدوهم وفي قوله عدو لي دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم إلى القبول ولو قال فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة (إلا رب العالمين) استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنه قال لكن رب العالمين (الذي خلقني) بالتكوين في القرار المكين (فهو يهدين) لمناهج الدين ولمصالح الدين والاستقبال في يهدين مع سبق الهداية بالهداية لأنه يهديني للأهم الأفضل والأتم الأكمل أو الذي خلقني لأسباب خدمته فهو يهديني إلى آداب خلته (والذي هو يطعمني) أضاف الإطعام إلى نفسه لأن الإنعام لأن الركون إلى الأسباب عادة الأنعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذي يغذيني بطعام الرضى ويرويني بشراب التقوى (وإذا مرضت) وإنما لم يقل أمرضني لأنه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف إليه ما يؤدي إلى الضر قال ابن عطاء إذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفين) بمشاهدة الحق وقال الصادق إذا مرضت برؤية الأفعال فهو يشفين بكشف منة الإفضال (والذي يميتني ثم يحيين) ولم يقل إذا مت لأنه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء إلى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم في الإحياء لتراخيه عن الإفناء وأدخل الفاء في الهداية والشفاء لأنهما يعقبان الخلق والمرض لا محالة (والذي أطمع) طمع العبد في المولى بالإفضال لا على الاستحقاق بالسؤال (أن يغفر لي خطيئتي) قال هو قوله إني سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي أختي وما هي إلا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا تطلب لها الاستغفار وإنما استغفر لهم هضما لنفسه وتعليما للأمم في طلب المغفرة (يوم الدين) الجزاء

ساحل خرج موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وذلك أنهم لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فأغرقهم (إن في ذلك لآية) يعني ما حدث في البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعني أهل مصر قيل لم يؤمن منهم إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) ۞ قوله تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وإنما قال إبراهيم ذلك مع علمه بأنهم عبدة الأصنام ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أي نقيم على عبادتها وإنما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم (إذ تدعون أو ينفعونكم) يعني بالرزق (أو يضرون) أي إن تركتم عبادتها وإذا كان كذلك فكيف تستحقون العبادة فلم يأتوا بحجة قاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى إنها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على إبطال التقليد في الدين وذمه ومدح الأخذ بالاستدلال (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) أي الأولون (فإنهم عدو لي) أي أعداء لي وإنما وحده على إرادة الجنس فإن قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت معناه فإنهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل إن الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فإني عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك (إلا رب العالمين) أي ولكن رب العالمين فإنه ربي ووليي وقيل إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل ما تعبدون أعداء لي إلا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقني فهو يهدين) إلى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقين) أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب (وإذا مرضت) أضاف المرض إلى نفسه استعمالا للأدب وإن كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أي يبريني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحيين) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة (والذي أطمع) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعه قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(رب هب لي حكماً) حكمة أو حكماً بين الناس بالحق أو نبوة لأن النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (وألحقني بالصالحين) أي بالأنبياء ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسناً وذكراً جميلاً في الأمم التي تجيء بعدي فأعطي ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به (واجعلني من) يتعلق بمحذوف أي وارثاً من (ورثة جنة النعيم) أي من الباقين فيها (واغفر لأبي) اجعله أهلاً للمغفرة بإعطاء الإسلام وكان وعده الإسلام يوم فارقه (إنه كان من الضالين) الكافرين (ولا تخزني) الإخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا أيضاً من الاستغفار كما مر (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لأنه معلوم أو للضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه أي ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الأول (ولا بنون) أحد (إلا من أتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض أي إن المال إذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فإنه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولاً لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم (٣٦٥) الشرائع ويجوز على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الخليل استثناء الخليل إكراماً له ثم جعله صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً عن أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمه من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأدباء ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وأزلفت الجنة للمتقين) أي قربت معطوف على الصلة أي يرونها من الموقف فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها (وبرزت الجحيم) أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها (للغاوين) للكافرين (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) توبيخ على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار (فكبكبوا) أكبوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في الجحيم (هم) أي الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها (وجنود إبليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم) نعدلكم أيها الأصنام (برب العالمين) في العبادة (وما أضلنا إلا المجرمون) أي رؤساؤهم الذين أضلوهم أو إبليس وجنوده ومن سن الشرك (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء إذ لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي ...

وهذا كما احتج به إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للإلهية إلا من يفعل هذه الأفعال (رب هب لي حكماً) قال ابن عباس معرفة بحدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (وألحقني بالصالحين) أي بمن قبلي من الأنبياء في المنزلة والدرجة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسناً وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الأمم التي تجيء بعدي فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي ممن تعطيه جنة النعيم لأنها السعادة الكبرى (واغفر لأبي إنه كان من الضالين) قيل دعا له بالمغفرة على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزني) أي ولا تفضحني (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) أي خالص من الشك والشرك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة (وأزلفت الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أي أظهرت (للغاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم القيامة (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أي يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم (فكبكبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤوسهم (فيها) أي في جهنم (هم والغاوون) يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود إبليس أجمعون) يعني أتباعه ومن أطاعه من الإنس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني العابدين والمعبودين (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم) أي نعدلكم (برب العالمين) فنعبدكم (وما أضلنا) يعني دعانا إلى الضلال (إلا المجرمون) يعني من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس وقيل الأولون الذين اقتدوا بهم وقيل يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) يعني من يشفع لنا كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء (ولا صديق حميم) أي قريب

[illegible]

هم هم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والجن من الاهتمام وهو الاهتمام الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة

الصديق الخاص وجمع الشافع وحده الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وأما الصديق وهو الصادق في وداده الذي يهمه ما أهمك فقليل

وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يراد بالصديق الجمع (فلو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو

محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو في مثل هذا بمعنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي (ان في ذلك) فيما ذكر من

الانباء (لآية) أي لعبرة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيما فرط منهم آنفا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم ممن كذب ابراهيم

اواتخيم (الرحيم) المسلم كل ذي قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح فارس آدم عليه

السلام وتظاهر قوله المرسلين والمراد (٣٦٦) نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة أو برد أو كانوا يكذبون

سمع لما يقول ذلك الكفار حين يسمع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق في المودة مع

موادعة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في

الجنة ما فعل بصديق فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول

من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من

الاصدقاء فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من

المؤمنين) أي لآمنا والرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع

هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم

قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مؤنثة وتصغيرها

قويمة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان

الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي

أخوهم في النسب لا في الدين (ألا تتقون) أي ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي (اني لكم رسول أمين)

أي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما آمركم

به من الايمان والتوحيد (وما أسألكم عليه من أجر) أي من جعل وجزاء (ان أجري) أي ثوابي (الا على

رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى

الاول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في عدم الطمع واني لست أحمد منكم

أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني الغافة وقيل هم الحاكة والاساكفة

(قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم

وأحوالهم شيء انما كلفت أن أدعوهم الى الله تعالى ومالي الا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر

في الديانات وقيل معناه اني لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم (ان حسابهم الا على ربي لو

تشعرون) أي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي عني وذلك أنهم قالوا (ان أنا الا

نذير مبين) معناه أخوف من كذبني فمن آمن فهو القريب مني ومن لم يؤمن فهو البعيد عني (قالوا لئن لم تنته

يا نوح) أي عما تقول (لتكونن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من

نعت الرسل أصلا واذا جمع أولا من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسبا لا دينا (نوح ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة الاصنام (اني لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام في قريش (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به وأدعوكم اليه من الحق (وما أسألكم عليه) على هذا الامر (من أجر) جزاء (ان أجري) بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (الا على رب العالمين) فلذلك أريد (فاتقوا الله وأطيعون) كرره ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل

واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه أمينا فيما بينهم وعلة الثاني حسم طمعه منهم كأنه قال اذا عرفتم رسالتي وأمانتي المسيرين

فاتقوا الله اذا عرفتم احترازي من الاجر فاتقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضمرة بعدها وقرأ يعقوب وأتباعك

جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم

من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية والصناعة لا تزري بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى

المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء علمي (بما كانوا يعملون) من

الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال ما علي

الا اعتبار الظاهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما أنا بطارد

المؤمنين) أي ليس من شأني أن أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ما علي الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان

الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة

(قال رب إن قومي كذبون) ليس هذا إخباراً بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنهم كذبوني في وحيك ورسالتك (فافتح بيني وبينهم فتحاً) أي فاحكم بيني وبينهم حكماً والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لأنه يفصل بين الخصومات (ونجني ومن معي) بفتح الياء حفص (من المؤمنين) من عذاب عملهم (فأنجيناه ومن معه في الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد أي الذي يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أي بعد إنجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز) المنتقم بإهلاكه من جحد وأصر (الرحيم) المنعم بإغاثة من وحد وآمن (كذبت عاد المرسلين) هي قبيلة وفي الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله) في تكذيب الرسول الأمين (وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري (٣٦٧) إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع)

مكان مرتفع (آية) لبرج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تعبثون بمن مر بهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء أو قصوراً مشيدة أو حصوناً (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا (وإذا بطشتم) أخذتم أحداً بالعقوبة (بطشتم جبارين) لا بالسيف وضرباً بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش (وأطيعون) فيما أدعوكم إليه (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) من الخير ثم عددها عليهم بقوله (أمدكم بأنعام وبنين) قرن الأنعام بالبنين لأنهم هم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) إن عصيتموني (قالوا سواء

المشحون (قال رب إن قومي كذبون فافتح) أي احكم (بيني وبينهم فتحاً) أي حكماً (ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي بعد إنجاء نوح ومن معه (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) ﴿ قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين) أي أمين على الرسالة فكيف تتهمونني اليوم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) أي علامة وهي العلم (تعبثون) أي بمن مر بالطريق والمعنى أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل إنهم بنوا بروج الحمام فأنكر عليهم هود اتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أبنية وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً مانعة وقيل مآخذ الماء يعني الحياض (لعلكم تخلدون) أي كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (وإذا بطشتم) أي وإذا أخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) أي قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) فيه زجر لهم عن حب الدنيا والسرف والتفاخر (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فيه تنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (إني أخاف عليكم) قال ابن عباس إن عصيتموني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي إنهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (إن هذا إلا خلق الأولين) قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الأولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أي عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي إنهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكارهم المعاد (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) ﴿ قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين) أي في الدنيا من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي ثمرها الذي يطلع منها (هضيم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل الهضيم هو المتهشم المتفتت إذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج

علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤوس الآي (إن هذا إلا خلق الأولين) ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الأبنية إلا عادة الأولين أو ما جئت به إلا عادة الأولين الأخلاق الأولين مكي وبصري ويزيد وعلي أي ما جئت به اختلاق الأولين وكذب المتقدمين كقولهم أساطير الأولين أو خلق الأولين نحيا ونموت كما حيوا وماتوا (وما نحن بمعذبين) في الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هوداً (فأهلكناهم) بريح صرصر عاتية (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون) إنكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم لا يزالون (فيما هاهنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع أن الجنة تتناول النخل أولاً تفضيلاً للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما [illegible]

[illegible] (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) شامي وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والفراهة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الذين يفسدون في الأرض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالإيمان والعدل والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا إنما أنت من المسحرين) المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر (ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين) في دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تزاحمكم هي فيه روي أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها في العظم وصدرها ستون ذراعا وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وإذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لأن قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة (ولا تمسوها بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (٣٦٨) (فعقروها) عقرها قدار ولكنهم راضون به فأضيف إليهم روي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فأخذهم العذاب) المقدم ذكره (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتطؤون الذكور من الناس مع كثرة الإناث أو أتطؤون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران أي أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم أدبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد أي بل أنتم قوم أحق بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن إنكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال إني لعملكم من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد بأنه مساهم لهم في العلم والقلى البغض الشديد وفيه دليل على عظم المعصية لأن [illegible] ولا من حيث الدين (رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعني بناته ومن آمن معه (إلا عجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وإن لم يشاركهم في الإيمان (في الغابرين) صفة لها أي في الباقين في العذاب فلم تنج منه والغابر في اللغة الباقي كأنه قيل إلا عجوزا غابرة أي مقدرا غبورها [illegible] ولم يكن [illegible] (ثم دمرنا

أو المعقومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرئ فرهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الأشر والبطر وقيل معناه متجبرين وقيل معجبين بصنعكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الأرض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا إنما أنت من المسحرين) أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب (ما أنت إلا بشر مثلنا) والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك (فأت بآية) يعني على صحة ما تقول (إن كنت من الصادقين) يعني أنك رسول الله (قال هذه ناقة لها شرب) أي حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) أي بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين) أي على عقرها لما رأوا العذاب (فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) يعني نكاح الرجال من بني آدم (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) يعني أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون إلى أدبار الرجال (بل أنتم قوم عادون) أي معتدون متجاوزون الحلال إلى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) أي من قريتنا (قال إني لعملكم من القالين) أي من التاركين المبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا) أي امرأته (في الغابرين) أي بقيت في المهلكين (ثم دمرنا الآخرين)

الآخرين) أي أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) يعني الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) ۞ قوله عز وجل (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (إذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل إليهم (ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) إنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) يعني الخليقة والأمم المتقدمة (قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا) أي قطعا (من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون) أي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أشد حرا من ذلك فخرجوا فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الأعراف وهود فأغنى عن الإعادة هنا والله أعلم بمراده ۞ قوله عز وجل (وإنه) يعني القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعني أن ما فيه من أخبار الأمم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين (نزل به الروح الأمين) يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لأنه خلق من الروح وسماه أمينا لأنه

الآخرين) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وأمطرنا عليهم مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشامي وكذا في ص علم لبلد قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين نجوا إلى غيضة إذ ألح عليهم الوهج والأصح أنهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين وفي الحديث إن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة (المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) ولا تنقصوا الناس حقوقهم بالكيل والوزن وهو مأمور به والطفيف وهو منهي عنه والزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعل فلا شيء عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهو الميزان أو القبان فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ولا تبالغوا فيها في الإفساد نحو قطع (٣٦٩) الطرق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الأرض إذا أفسد وعثي في الأرض أفسد عثا (واتقوا الذي خلقكم والجبلة) الخلقة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة (الأولين) الماضين (قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا) إدخال الواو هنا يفيد معنى كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وترك الواو في قصة ثمود لم يقصد إلا معنى واحدا هو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وإن نظنك لمن الكاذبين) إن مخففة من الثقيلة واللام

(٤٧ — (خازن) — ثالث) دخلت للفرق بينهما وبين النافية وإنما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه لأن أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيدا لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهي القطعة وكسفة قطعة (من السماء) أي السحاب أو المظلة (إن كنت من الصادقين) أي إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أي قطعا من السماء عقوبة (قال ربي) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أي إن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلتهم بعدما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا للمعاني في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به (وإنه) أي القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخففا والفاعل (الروح الأمين) أي جبريل لأنه أمين على الوحي الذي فيه الحياة حجازي وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله والباء للتعدية سمى جبريل الروح لأنه ...

(على قلبك) أي حفظكه وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربي) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء إما أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام أو بنزل أي نزله بلسان عربي لتنذر به لأنه لو نزله بلسان أعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا إلا إلى معاني الكلام وإن كلم بغيرها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها وإن كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (وإنه) وإن القرآن (لفي زبر الأولين) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وفيه دليل على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة (أولم تكن لهم آية) شامي جعلت آية اسم كان وخبره (أن يعلمه) أي القرآن لوجود ذكره في التوراة وقيل في تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وأن يعلمه بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أي أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره (٣٧٠) وأن يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل آية (علماء بني إسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين وخط في المصحف علمؤا بواو قبل الألف (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) جمع أعجم وهو الذي لا يفصح وكذلك الأعجمي إلا أن في أعجمي زيادة ياء النسبة تأكيدا ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والعجمي الذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح وقرأ الحسن الأعجميين وقيل الأعجمين بحذف ياء النسب كما قالوا الأشعرون أي الأشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه عجماء (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) والمعنى إنا أنزلنا القرآن على رجل عربي مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على أن البشارة بإنزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (في قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والإصرار عليه يعني بمثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وموقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به

على وجه لا تنساه (على قلبك) يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وإنما خص القلب لأنه هو المخاطب في الحقيقة وأنه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الأعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين ومن المعقول أن موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فإذا فرح القلب أو حزن تغير حال سائر الأعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنها أن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فإذا ثبت ذلك كان القلب هو الأمير المطلق وهو المكلف لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى (لتكون من المنذرين) أي المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه (وإنه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لفي زبر الأولين) أي كتب الأولين (أولم يكن لهم آية) يعني أولم يكن لهؤلاء المنكرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه) يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم (علماء بني إسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد قوله تعالى (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجمين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأه عليهم) يعني القرآن (ما كانوا به مؤمنين) أي لقالوا لا نفقه قولك وقيل معناه لو أنزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي

(حتى يروا العذاب الأليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك إيمان يأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بإتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجابون إليها (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخ لهم وإنكار عليهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن إلى مألوفاته والله تعالى يقول (أفرأيت إن متعناهم سنين) قيل هي مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم

حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم * وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فأبلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لأن أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لأجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة فكأنهم أهلكنا

والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم لتكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون إن الشياطين تلقي القرآن على محمد أنزل (وما تنزلت به) أي القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (إنهم عن السمع لمعزولون) لمرجومون بالشهب (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) ورد النهي لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الإخلاص (وأنذر عشيرتك الأقربين) خصهم لنفي التهمة إذ الإنسان يساهل قرابته وليعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيئا وأن النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله إني لا أملك لكم من الله شيئا

القرآن (حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) أي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) قيل لما أوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفرأيت إن متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) يعني أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (إنهم عن السمع لمعزولون) أي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك ﴿ قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) روى محمد بن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة وايم الله إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي فإن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم لي ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني

(واخفض جناحك) وألن جانبك وتواضع وأصله أن الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضي الله عنه التوكل أن تقبل بالكلية على مولاك وتعرض بالكلية عمن سواه فإن حاجتك إليه في الدارين فتوكل مدني وشامي عطفا على فقل أو فلا تدع (الذي يراك حين تقوم) متهجدا (وتقلبك) أي ويرى تقلبك (في الساجدين) في المصلين أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويعلم أنهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية (إنه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة المشاق حيث أخبره بأنه بمرأى منه لأن من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه هان عليه ما يحمل المحملون ولما قال المشركون إن الشياطين تلقي السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم) أي هل أخبركم (على من تنزل الشياطين) ثم أنبأ فقال (تنزل على كل أفاك أثيم)

عبد المطلب إني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية وقد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا إليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا (م) عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف إني نذير لكم إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الآية أن الإنسان إذا بدأ بنفسه أولا وبالأقرب فالأقرب من أهله ثم بالغير لم يكن لأحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع (واخفض) أي ألن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين من المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بألسنتهم وهم المنافقون (فإن عصوك) أي فيما تأمرهم به (فقل إني بريء مما تعملون) أي من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذي يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته (الذي يراك حين تقوم) إلى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك في الساجدين) قال ابن عباس أي يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك إذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فإنه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة (إنه هو السميع) أي لقولك ودعائك (العليم) أي بنيتك وعملك قوله تعالى (هل أنبئكم) أي أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم تنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل أفاك) أي كذاب (أثيم) أي فاجر وهم الكهنة وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع

[illegible] أثيم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الأفاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين
عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن حجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه
من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم ويلقون حال أي تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع فيكون في محل الجر أو
استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم
ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو
يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم والأفاك الذي يكثر
الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك وأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وإنما فرق بين (وإنه لتنزيل رب العالمين) و(ما تنزلت به الشياطين) و(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) وهن أخوات لأنه إذا فرق بينهن بآيات ليست في معناهن ثم رجع إليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما إذا حدثت حديثا وفي صدرك اهتمام بشيء فيه تذكره ولا تنفك عن الرجوع إليه * ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاوون) أي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب ومدح من لا
يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاوون أي السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج إذا مدح أو هجا شاعر بما لا
يكون واستحسن ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون نافع يتبعهم (ألم تر أنهم في كل واد) من الكلام (يهيمون) حيران أي في كل فن من الكذب
يتحدثون أو في كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى
يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله * فبتن بجانبي مصرعات *
وبت أفض أغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد بقوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب
والخلف في الوعد ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت

ثم يلقون ذلك إلى أوليائهم من الإنس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) أي ما يسمعونه من الملائكة فيلقونه
إلى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لأنهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال أهل
التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي
وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبد الله الجمحي وأمية بن أبي الصلت الثقفي
تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون
أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم
الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي
رواية أن رجلين أحدهما من الأنصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من
قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (ألم تر أنهم في كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) يعني حائرين
وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل
يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل إنهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي
مثل لفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) أي إنهم يكذبون في شعرهم
وقيل إنهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون
الناس بأدنى شيء صدر منهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا
حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الكفار ويهجونهم
وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك
فقال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روي أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله
أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده
لكأن ما ترمونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في
عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي
وقد روي في غير هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين
يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد
ذلك قلت الصحيح هو الأول لأن عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فإن جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا * رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي إن لم تروها * تثير النقع من طرفي كداء
ينازعن الأعنة مصعدات * على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم * يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا * هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

(فصل في مدح الشعر) (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر لحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد في رواية إن كاد ليسلم في شعره * عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فيه حسن وقبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر وينشد في المسجد فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قال فيها

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة إلى آخرها وهي قريب من سبعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من بعد ما ظلموا) أي انتصروا من المشركين لأنهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا) أي أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أي منقلب ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون إليه بعد الموت قال ابن عباس إلى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

رضي الله عنهم (وذكروا الله كثيرا) أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (وانتصروا) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هجوا أي ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك *وختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البالغ وقوله (الذين ظلموا) وإطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنه حين عهد إليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عما افترضنا عليه أي مصيبة يقع وعلى الصدر لا علم لأن ... الإلا ... وهم لا يعملون ... أي الا ...

*(تفسير

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين وتلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبين للناظرين فيه إبانة أو القرآن وإبانته أنه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخي والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل إنما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لأن القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى) في محل النصب على الحال من آيات أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة أو الجر على أنه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هي هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أي تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة في هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلاة) يديمون على فرائضها وسننها (ويؤتون الزكاة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

(إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والأسر يوم بدر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وإنك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (إذ) منصوب باذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (إذ قال موسى لأهله) لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين إلى مصر (إني آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق لأنه كان قد ضله (أو آتيكم بشهاب) بالتنوين كوفي أي شعلة مضيئة (قبس) نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الإضافة لأنه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم ولعلي آتيكم في القصص مع أن أحدهما ترج والآخر تيقن لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة وأتى بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وأتى بأو لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الألفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزويج (لعلكم تصطلون) تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك)

(تفسير سورة النمل وهي تسعون وثلاث آيات وألف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أي الخمس بشرائطها (ويؤتون الزكاة) إذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعني أن هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) أي القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل إن المزين هو الله تعالى والتزيين هو أن يخلق الله العلم في القلب بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه من المضار والآفات (فهم يعمهون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده وهو القتل والأسر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) أي إنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا إلى النار قوله تعالى (وإنك لتلقى القرآن) أي تؤتاه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل إليك فإن قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالأمور العملية فقط والعلم أعم منه لأن العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية أشرف (إذ قال) أي واذكر يا محمد إذ قال (موسى لأهله) أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر (إني آنست) أي أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) أي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة وتسمى العود الذي في أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك

[illegible] تعالى ... فى الكلام كسبيرا ... فى ... القول أى قيل له بورك أى قدس أو جعل فيها البركة والخير (من فى النار ومن حولها) أى بورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه وإظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين)

وهو من جملة ما نودى به فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير فى إنه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو يرجع إلى ما دل عليه ما قبله أى إن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات (وألق عصاك) عطف على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك ويدل عليه ما ذكر فى سورة القصص وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إنى أنا الله على تكرير حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تتحرك حال من الهاء فى رآها (كأنها جان) حية صغيرة حال من الضمير فى تهتز (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أو لم يرجع يقال قد عقب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولى فنودى (يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى إياهم [illegible] مرسل أو لا يخاف لدى المرسلون من عذابى (إلا من ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لأن الأنبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين بما فعله مما أذنب له مما يجوز على الأنبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم بدل حسنا) أى أتبع توبته (بعد سوء) زلة (فإنى غفور رحيم) أقبل توبته وأغفر زلته وأرحمه فأجعله ... وكأنه تعريض بما قال موسى حين وكز القبطى رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) ... (تخرج بيضاء) ... (من غير سوء) ... [illegible]

من فى النار) أى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة إلى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك أن النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها ولم تكن البركة راجعة إلى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى أنه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى أنه مكتوب فى التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثه موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح ومن جبال فاران بعثه محمدا صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى إحدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف إلى موسى بصفاته فقال إنه (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) قيل معناه أن موسى قال من الذى قال إنه أنا الله وهذا تمهيد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وألق عصاك) فيه حذف تقديره فألقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت ﴿قال الله تعالى (يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون) يريد إذا أمنتهم لا يخافون أما الخوف الذى هو شرط الإيمان فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم) قيل هو ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريض اللطيف وسماه ظلما لقول موسى إنى ظلمت نفسى ثم إنه خاف من ذلك فتاب قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى إنما أخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم فإن أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا لتناهى الخبر عن الرسل عند قوله إلا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون إنما الخوف على غيرهم من الظالمين فهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف فإن تاب وبدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم أى أغفر له وأزيل خوفه وقيل إلا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فإنى غفور رحيم ثم إن الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا أزرار فأدخل يده فى جيبها وأخرجها فإذا هى تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أى من غير برص (فى تسع آيات) أى آية مع تسع آيات أنت

حال (في تسع آيات) كلام مستأنف وفي يتعلق بمحذوف أي اذهب في تسع آيات أو وألق عصاك وأدخل يدك في جملة تسع آيات (إلى فرعون وقومه) أي يتعلق بمحذوف أي مرسلاً إلى فرعون وقومه (إنهم كانوا قوماً فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما جاءتهم آياتنا) أي معجزاتنا (مبصرة) حال أي ظاهرة بينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لأنهم لابسوها وكانوا بسبب نظرهم والتفكر فيها أو جعلت كأنها تبصر فتهدي لأن الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلاً أن يهدي غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وجحدوا بها) فعل الجحود لا يكون إلا ممن علم من الجاحد وهذا ليس بجحد لأن الجحود هو الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتاً كذا ذكر في شرح التأويلات وذكر في الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو في (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الإيقان (أنفسهم) أي جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم (ظلماً) حال من الضمير في جحدوا وأي ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات من عند الله ثم سماها سحراً بيناً (وعلواً) ترفعاً عن الإيمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الإغراق هنا والإحراق ثم (ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علماً) طائفة من العلم أو علماً سنياً غزيراً والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) والآية حجة لنا على المعتزلة في ترك الأصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علماً فعملا به وعلماه وعرفا حق

فعلى هذا تكون الآيات إحدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين) أي خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصر بها (قالوا هذا) أي الذي نراه (سحر مبين) أي ظاهر (وجحدوا بها) أي أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا أنها من عند الله والمعنى أنهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلماً وعلواً) أي شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني الغرق ﴿ قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علماً) أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) أي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علماً أو لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفيه أنهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع ﴿ قوله تعالى (وورث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابناً فأعطي سليمان ما أعطي داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبداً من سليمان وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمى صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه وروي عن كعب الأحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فإنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيراً تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن

النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضي الله عنه (وورث سليمان داود) ورثه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكأنه ورثه وإلا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيراً لنعمة الله تعالى واعترافاً بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض روي أنه صاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه وصاحت رخمة فقال

من مكة قاسم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس (وأوتينا من كل شيء) المراد به كثرة ما أوتي كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله وأوتيت من كل شيء (إن هذا لهو الفضل المبين) قوله وارد على (٣٧٨) سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا والنون

في علمنا وأوتينا من الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس الشكر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر

ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء على
والأرض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال اني جئت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع [illegible] ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن (حتى اذا أتوا على وادي النمل) أي [illegible]

مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها ولا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في صعقته والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم أما القنبرة فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فأسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروي عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ ۞ وقوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) اي مما أوتي الأنبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا لهو الفضل المبين) أي الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا وروي ان سليمان أعطي مشارق الأرض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع أهل الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أي جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الأماكن المختلفة في مسيره (فهم يوزعون) أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم فقيل كان على كل صنف وزعة من النقباء ترد أولاها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالمربع ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والأرض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح وأخبرتك به ۞ قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادي النمل) اي أشرفوا على وادي النمل روي عن كعب الأحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام يسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك

النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدي بعلى لأن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء تمشي وهي تتكاوس وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال من قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهي مستأنف وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقه لا أرينك ها هنا أي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قيل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بمكانكم أي لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصحها للنمل أو فرحا لظهور عدله وضاحكا حال مقدرة لأن التبسم يعني ضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعني) ألهمني وحقيقته كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدي) لأن الإنعام على الوالدين إنعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) في بقية عمري (وأدخلني برحمتك) وأدخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي إذ لا يدخل الجنة أحد إلا برحمته كما جاء في الحديث (في عبادك الصالحين) أي في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وتفقد الطير فقال ما لي) مكي وعلي وعاصم وغيرهم بسكون الياء طلب ما غاب عنه (لا أرى الهدهد

على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوز سليمان البيت فبكى البيت فأوحى الله إليه ما يبكيك قال يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فإني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض عليهم فريضة يزفون إليك زفيف النسور إلى وكرها ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل كذا قال كعب الأحبار وقيل إنه بالشام وقيل هو واد تسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل إن ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور أنه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل حرمى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنه جعل لهم عقولا كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا من عجيب قدرة الله تعالى فيها عقلا ونطقا فإنه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطئوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح حتى تلقيه في مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فإن قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على متن الريح قلت كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الأنبياء التبسم وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي فإن قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئان أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا ما فعلوا الثاني سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراك همسها وفهم غرضها وقيل إن الإنسان إذا رأى أمرا لا عهد له به تعجب وضحك ثم إن سليمان حمد ربه على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلني الجنة مع عبادك الصالحين. قوله عز وجل (وتفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير (فقال ما لي لا أرى الهدهد) وكان سبب تفقد الهدهد وسؤاله عنه إخلاله بالنوبة وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلا يظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروي عن ابن عباس أنه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى

فيمر ذلك ثم لا يحل له أن يعاقب فاصبر عن ذلك وأحد يقول بل هو غائب وذكر أن سليمان عليه السلام لما خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقت
الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد (٣٨٠) مناقبه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين

في الزجاجة وتعرف قربه من بعده فينقر الأرض فتجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الأزرق يا وصاف انظر ما تقول إن الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك إذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج إلى الماء فطلبوه فلم يجدوه ففقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالي لا أرى الهدهد على تقدير أنه مع حضوره وهو لا يراه ثم إنه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أي أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لأعذبنه عذابا شديدا) قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لأودعنه القفص وقيل لأفرقن بينه وبين إلفه (أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ما شاء الله أن يقيم وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضره من أشرافهم إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله قال يدين بالحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء ظهرا أي وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فانظر إلى الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا إذ رأى بستانا لبلقيس فنزل إليه فإذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان بن داود قال ملك الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت يا عفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكت اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال الهدهد اليماني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الإنس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى مكان فغضب سليمان وقال لأعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه

الماء ففقده لذلك وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفع فنظر فإذا هو مقبل فقصده فناشده الله وتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لأعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه والقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين إلفه أو بإلزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع أضداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل تأكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة (أو لأذبحنه أو ليأتيني) بالنون الأولى مشددة ليشاكل قوله لأعذبنه وحذف نون العماد لاجتماع النونات

بنونين مكي الأولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والإشكال أنه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنه من أين درى أنه يأتي بسلطان حتى قال والله ليأتيني بسلطان وجوابه أن معنى كلامه أنه إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس

فقال سليمان فقال الهدهد أو ما سيئتي يا نبي الله قالوا بلى وإنك له قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال عكرمة إنما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لأنه كان بارًّا بوالديه ثم قال سليمان للعقاب فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدًا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعًا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال أين كنت لأعذبنك عذابًا شديدًا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فمكث غير بعيد) معناه أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان به تنبيهًا على أن أدنى خلق الله قد أحاط علمًا بما لم يحط به ليكون لطفًا له في ترك الإعجاب والإحاطة بالشيء علمًا أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئتك من سبإ) قيل هو اسم البلد وهي مأرب والأصح أنه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبإ فقال رجل له عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (سبإ) أي بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (إني) أي الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكًا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكًا هو آخرهم وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤًا لي وأبى أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقًا فخطب ابنته فزوجها إياه وقيل إنه خرج متصيدًا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فأفاقت وأطلقها فلما رجع إلى داره وجلس وحده منفردًا فإذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف إنما أنا الحية البيضاء التي أحييتني والأسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيًّا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليهم رجلًا آخر فقيل إنه ابن أخي الملك وكان خبيث السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها الملك وقال ما منعني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لأنك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال لي إنها قد رغبت في فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ناس كثير من حشمها وخدمها فلما خلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت إلى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته أو كرائم عشيرته ثم أرتهم إياه قد قتلته وقالت اختاروا رجلًا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا أن ذلك النكاح كان مكرًا وخديعة منها (خ) عن أبي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ۞ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) يعني ما يحتاج إليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال فإن قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها ويحتمل أنه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللًا بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعًا في ثلاثين ذراعًا وطوله في السماء ثلاثون ذراعًا وقيل كان

(غير بعيد) أي مكثًا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفًا من سليمان فلما رجع سأله عما لقي في غيبته (فقال أحطت) علمت شيئًا من جميع جهاته (بما لم تحط به) ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبإ) غير منصرف أبو عمرو وجعله اسمًا للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسمًا للحي أو الأب الأكبر (بنبإ) النبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبإ بنبإ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظًا ومعنى هنا ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحًا وكان كما جاء أصح لما فيه من الزيادة التي يطابقها وصف الحال (إني وجدت امرأة) هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسًا يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع إلى سبإ على تأويل القوم أو أهل المدينة (وأوتيت) حال وقد مقدرة (من كل شيء) من أسباب الدنيا ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعًا في ثمانين ذراعًا وطوله في الهواء ثمانين ذراعًا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعًا بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة

[illegible]

كان يوسف على يعقوب عليهما السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) إلى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا) بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن وأدغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلي وتقديره ألا يا هؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف إلا على العرش العظيم ومن خفف (٣٨٢) وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا أو وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج إنه لا تجب السجدة مع التشديد لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح للآتي بها أو ذم لتاركها وإحدى القراءتين أمر والأخرى ذم للتارك (لله الذي يخرج الخبء) سمي المخبوء بالمصدر (في السموات والأرض) فخبء السماء المطر وخبء الأرض النبات (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وبالتاء فيهما علي وحفص (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك إلى هنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر) من النظر الذي هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك والورراء الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه) بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها بكسرها ليدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب والباقون بياء (إليهم) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب فأتاها فدخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فانتبهت فزعة أو أتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم

طوله ثمانون في ثمانين وعلوه ثمانون وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثين ذراعا قوله عز وجل إخبارا عن الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لأنه الفعال لما يريد وإنما ذكر الشيطان لأنه سبب الإغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الإسلام (فهم لا يهتدون) أي إلى الصواب (ألا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه ألا يا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي المخبأ (في السموات والأرض) فخبء السموات المطر وخبء الأرض النبات (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع المعلومات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فإن قلت وصف عرش بلقيس بالعظيم وعرش الله بالعظيم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظيم بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم إن الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب ثم إن سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الأنبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) إنما قال إليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم فقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف إلي فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فأتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة

(قالت) لقومها بعد ما قرأته (يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه أو مختوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم أو لأنه من عند ملك كريم (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وأن في (ألا تعلوا) لا تترفعوا (علي) ولا تتكبروا كما يفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا بمعنى أي امشوا (وأتوني مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الأنبياء مبنية على الإيجاز والاختصار (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أشيروا علي في الأمر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالئوها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة أمراً) فاصلة أو ممضية حكماً (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب وأصله تشهدونني فحذفت النون الأولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء في الوصل والوقف يعقوب أي تحضرون أو تشيروا أو تشهدوا أنه صواب أي لا أبت الأمر إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أرادوا بالقوة قوة الأجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) أي ونكول الأمر إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك فلما أحست منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولاً ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وقهراً (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا أشرافها وأهانوا أمراءها وأذلوا أعزتها فذكرت لهم عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الأرض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراماً فقد كفر وإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (وإني مرسلة إليهم بهدية) أي مرسلة رسلاً بهدية (فناظرة) فمنتظرة (بم) أي بأي شيء (يرجع المرسلون) بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا

والنور رأوا الهدهد يرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت بلقيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الأشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل الملك دون الملك الأعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) قيل سمته كريماً لأنه كان مختوماً وما روي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت (إنه من سليمان) ثم بينت المكتوب فيه فقالت (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) فإن قلت لم قدم إنه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وإنما ذكرت بلقيس أن هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا علي) قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمتنعوا من الإجابة فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر (وأتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أي أشيروا علي فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمراً) أي فاصلة وفاعلة (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني الملأ مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أي في الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقيل أرادوا بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا (والأمر إليك) أيتها الملكة أي في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي تجدينا لأمرك مطيعين (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول إليه أمره (إن الملوك إذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر تحذرهم بذلك مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وقولها تأكيداً لما قالت ثم قالت (وإني مرسلة إليهم بهدية) أي إلى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي فإن كان ملكاً قبل الهدية ورجع وإن كان نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن

بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الأمور وجربتها فأهدت بصفاتها وصفاتها قال ابن عباس مائة
وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري
لبس الغلمان الأقبية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجواري وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي
أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة
رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج
وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود
الملحوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا
من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأي وكتبت مع المنذر
كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما في الحق قبل أن تفتحه
واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت
اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه
غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه
ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله ورد
الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن أن
يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرشوا فيه الذهب
والفضة وأن يجعلوا مقدار تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي
دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها
لها أجنحة وأعراف ونواص قال علي بها الساعة فأتوا بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله ثم قال للجن علي
بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له
أربعة آلاف كرسي على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والسباع
فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا أول الأمر الدواب
التي لا نرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا ما معهم من الهدايا
وفي رواية أن سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن
في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك
الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون
على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم
ملقا حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا به وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق
فأتي به فحركه فجاءه جبريل فأخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب فقال
الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم
يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الأرضة فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فيها ودخلت
فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم
قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى
خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم
ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها
وتضرب به الأخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء
على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى

وأتي بخيل مجللة بالديباج
مجللة بالعجم والسروج
بالذهب المرصع بالجواهر
وخمسمائة جارية على رمكة
في زي الغلمان وألف لبنة
من ذهب وفضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت وحقا فيه
درة عذراء وخرزة معوجة
الثقب وبعثت رسلا وأمرت
عليهم المنذر بن عمرو
بدليل قوله تعالى بم يرجع
المرسلون وكتبت كتابا فيه
نسخة الهدايا وقالت فيه
ان كنت نبيا فميز بين
الوصفاء والوصائف وأخبر
بما في الحق واثقب الدرة
ثقبا واسلك في الخرزة خيطا
ثم قالت للمنذر ان نظر
اليك نظر غضبان فهو
ملك فلا يهولنك منظره وان
رأيته بشاشا لطيفا فهو نبي
فأقبل الهدهد وأخبر
سليمان الخبر كله فأمر
سليمان الجن فضربوا
لبنات الذهب والفضة
وفرشوها في ميدان بين
يديه طوله تسعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا
شرفه من الذهب والفضة
وأمر بأحسن الدواب في
البر والبحر فربطوها عن
يمين الميدان ويساره على
اللبنات وأمر بأولاد الجن
وهم خلق كثير فأقيموا عن
اليمين واليسار ثم قعد على
سريره والكراسي من
جانبيه واصطف الشياطين
صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث
على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأمر الأرضة

قال تعالى (فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) أي أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لأن الله قد أعطاني منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد (ارجع إليهم) أي بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) أي لا طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) أي من أرض سبأ (أذلة وهم صاغرون) أي إن لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها بما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة ثم بعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو إليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احفظ ما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين وسبب قول سليمان في إحضار عرشها قيل أراد أن يريها قدرة الله تعالى وإظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذه قبل أن يحرم عليه أخذه لإسلامها وقيل ليريها صفة ما وصفه له الهدهد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لأن السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضي فيه إلى منتصف النهار وقيل نصفه (وإني عليه) أي على حمله (لقوي أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف

فأخذت شعرة ونظمت في الدرة وأخذت دودة ربطت بها خيطا ونفذت في الجزعة فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدونن بمال) بنونين وإثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل وافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة بفتح الياء مدني وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به (٣٨٥) إلا بالإيمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدونني بمال وأنا أغنى منكم وبين أن تقوله بالفاء أني إذا قلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الإضراب أنه لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها (ارجع إليهم) خطاب للرسول أو للهدهد محملا كتابا آخر إليهم أي بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقاتلتها أي لا يقدرون أن يقابلوهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة وهم صاغرون) الذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد فلما رجع إليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة أبيات وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه وتوجهت إلى سليمان في أقيالها لتنظر ما الذي يدعو إليه وتبعتها اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها … أو أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتعرفه أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وإني عليه) على حمله (لقوي أمين) آتي به كما هو لا آخذ منه شيئا ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب)

[illegible] الله تعالى ... أو جبريل عليه السلام والكاف ... [illegible]
ابن برخيا كاتب سليمان وهو الأصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وهو يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام
أو يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت وقيل كان له علم بمجاري الغيوب إلهاماً (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك في الموضعين يجوز أن
يكون فعلاً أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) إنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن
آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس
سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه (٢٨٦) (فلما رآه) أي العرش (مستقراً عنده) ثابتاً لديه غير مضطرب (قال هذا) أي حصول
مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) عليّ وإحسانه إليّ بلا استحقاق مني بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليبلوني أأشكر) نعمته أأشكر إنعامه (أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويربط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقاراً أي لم تشكر لله نعمته (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فإن ربي غني)
عن الشكر (كريم) بالإنعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو له
الأولى والفضل عليه (قال نكروا لها عرشها) غيروا أي اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (ننظر) بالجزم على الجواب (أتهتدي)
إلى معرفة عرشها أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) قيل لها (أهكذا عرشك) ها للتنبيه
والكاف للتشبيه وذا اسم إشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقيناً (قالت كأنه هو) فأجابت أحسن جواب فلم
تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للأمرين أو لما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها
كأنه هو مع أنها علمت أنه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة
من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة أي إحضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) منقادين لك طائعين لأمرك أو هو كلام

ابن برخيا وكان صديقاً عالماً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه
لأنه أعلم بني إسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علماً وفهماً فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه
فأراد سليمان إظهار معجزة فتحداهم أولاً ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتأتى
للعفريت فقيل كان الدعاء الذي دعا به يا ذا الجلال والإكرام وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة وروي
عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها
وقال ابن عباس إن آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو
اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان
وقيل خر سليمان ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان
فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد
عند الله أوجه منك فإن دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعني
رأى سليمان العرش (مستقراً عنده) أي محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف (قال هذا
من فضل ربي ليبلوني) يعني التمكن من حصول المراد (أأشكر) أي نعمه علي (أم أكفر) فلا أشكرها
(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لأن
الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فإن ربي غني) أي عن شكره لا يضره ذلك
الكفران (كريم) أي بالإفضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال
نكروا لها عرشها) يعني غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته قيل هو أن يزاد فيه وينقص منه وقيل إنما
جعل أسفله أعلاه وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر (ننظر أتهتدي) إلى معرفة
عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) إلى معرفته وإنما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب
وغيرهما إن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية وإذا ولدت
ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئاً
وإن رجلها كحافر الحمار وإنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها
ببناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) قيل إنها عرفته ولكن شبهت عليهم كما
شبهوا عليها وقيل إنها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفاً من الكذب ولا قالت لا خوفاً من التكذيب أيضاً فقالت
كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت
على سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلذلك قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب ثم قالت (وأوتينا العلم
من قبلها) أي من قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين) أي منقادين طائعين خاضعين لأمر سليمان وقيل

سليمان وملئه فقالوا على كلامها ولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وأوتيناه من قبلها أو أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (إنها كانت من قوم كافرين) أو كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أي القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) مخافة الغرق روي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وقيل إن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء فصرف بصره (قال) لها (إنه صرح ممرد) مملس مستو ومنه الأمرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب إني ظلمت نفسي) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهي أجنبية فلا يصح القول عليه

قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها أي من قبل الآية في العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم في الإسلام وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله ﷻ قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (إنها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما أخبرته الجن أن رجليها كحافر حمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا له الصرح قصرا من الزجاج الأبيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وقيل إنما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعل في العرش والوصف فلما جلس على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته حسبته لجة) أي ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لتخوض الماء إلى سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال إنه صرح ممرد) أي مملس (من قوارير) زجاج وليس بماء ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح وعلمت أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب إني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد وقيل إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب إني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في أمر بلقيس بعد إسلامها فقيل انتهى أمرها إلى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لأحد وراء ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الإنس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة إني لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا نحن نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجكه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك والسلطان قال نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله فقالت إن كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه ثم ردها إلى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة أمير جن اليمن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول وعلمت الجن موت سليمان فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد القهار وقيل إن سليمان ملك وهو ابن ثلاث

[illegible] (أن اعبدوا الله) [illegible]
[illegible] والمعنى بأن اعبدوا الله وحده (فإذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهي العامل في إذا والمعنى فإذا
قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مفسر في قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون وقال
الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذي توعدون (قبل الحسنة) قبل
التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالإجابة (قالوا اطيرنا
بك) تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه إلى مجيئه والأصل تطيرنا وقرئ به فأدغمت التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون
الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائركم عند الله) أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب
عند الله فإنما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وأصله أن المسافر إذا مر بطائر يزجره فإن مر سانحا تيامن
وإذا مر بارحا تشاءم فلما نسبوا (٣٨٨) الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو
السبب في الرحمة والنقمة
(بل أنتم قوم تفتنون)
تختبرون أو تعذبون بذنبكم
(وكان في المدينة)
مدينة ثمود وهي الحجر
(تسعة رهط) هو جمع
لا واحد له ولذا جاز تمييز
التسعة به فكأنه قيل تسعة
أنفس وهو من الثلاثة إلى
العشرة وعن أبي داود رأسهم
قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا
أبناء أشرافهم (يفسدون
في الأرض ولا يصلحون)
يعني أن شأنهم الإفساد
البحت لا يخلط بشيء من
الصلاح كما ترى بعض
المفسدين قد يندر منه بعض
الصلاح وعن الحسن

عشر سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ﴿قوله عز وجل (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا
الله) أي وحدوه ولا تشركوا به شيئا (فإذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (يختصمون) أي في الدين كل
فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحا للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) أي بالبلاء
والعقوبة (قبل الحسنة) أي العافية والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة من الكفر
(لعلكم ترحمون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي تشاءمنا (بك وبمن معك) وذلك أنه لما قالوا له
أمطر كذبهم قوله لا مسك المطر عنهم فقالوا إنما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال
طائركم عند الله) أي ما أصابكم من الخير والشر بأمر الله مكتوب عليكم سمي طائرا لأنه لا شيء أسرع من نزول
القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أي عملكم عند الله سمي
طائرا لسرعة صعوده إلى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه
تعذبون ﴿قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من أبناء أشرافهم
(يفسدون في الأرض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على
عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم
(لنبيتنه) أي لنقتلنه ليلا (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا)
أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندري من قتله ولا من أهلك أهله (وإنا لصادقون) أي في قولنا ما شهدنا ذلك
(ومكروا مكرا) أي غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وأهله (ومكرنا مكرا) أي جازيناهم على مكرهم
بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) أي أهلكناهم أي التسعة
قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم
فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم

يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون عيوب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا بالصحة
تقاسموا بالله) تحالفوا وهو خبر في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين أو أمر أي أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيتنه) لنقتلنه بياتا أي ليلا
(وأهله) ولنقتلن (ثم لنقولن لوليه) لولي دمه تبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلي (ما شهدنا) ما حضرنا
(مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالأول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الإهلاك أو مكان
الإهلاك أي لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع إهلاكهم فكيف تولينا إهلاكه (وإنا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) مكرهم ما خفي من تدبير الفعل لصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر
على سبيل الاستعارة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل
الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) بالفتح كوفي وسهل ويكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على أنه بدل من العاقبة أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي فكان عاقبة مكرهم الدمار

(وقومهم أجمعين) بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) ساقطة متهدمة من خوى النجم إذا سقط أو خالية من الخواء وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (إن في ذلك) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولوطا إذ قال) واذكر لوطا إذ بدل من لوطا أي واذكر وقت قول لوط (لقومه أتأتون الفاحشة) أي إتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضكم من بعض لأنهم كانوا يرتكبونها في ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا في المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أئنكم) بهمزتين كوفي وشامي (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أي إن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهي مضادة لله في حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل أنتم قوم تجهلون فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أي لوطا ومتبعيه فما كان جوابهم إلا أن قالوا (من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات (٣٨٩) ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم وقيل هو استهزاء كقوله إنك لأنت الحليم الرشيد (فأنجيناه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله إلا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حماد وأبي بكر أي قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم تؤثر فيهم الإنذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آلله خير أما يشركون) بالتاء بصري وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء وإنما هو إلزام لهم وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والأرض) والفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة إذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا) صرف الكلام عن الغيبة إلى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذانا بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لأن الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله

بالصيحة (وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) أي بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) أي لعبرة (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال إن الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿ قوله تعالى (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فإن قلت إذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون أنه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) يعني من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أي قضينا عليها أنها من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أي الحجارة (فساء) أي فبئس (مطر المنذرين) ﴿ قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير أما يشركون) فيه تبكيت للمشركين وإلزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها فإن الله خير لمن عبده وآمن به لأنه ينجيه من الهلاك والأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته ﴿ فالنوع الأول قوله تعالى (أمن خلق السموات والأرض) ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلأصنام خير أم الذي خلق السموات والأرض ﴿ ثم ذكر نعمه فقال (وأنزل لكم من السماء ماء) يعني المطر (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين جمع حديقة وهو البستان المحوط عليه فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أي ذات منظر حسن والبهجة

(بل هم قوم يعدلون) يشركون أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد و بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم (أمّن جعل الأرض) وما بعده بدل
من أمّن خلق فكان بحكمه (قرارا) دحاها وسوّاها للاستقرار عليها (وجعل خلالها) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول
(أنهارا) ... (وجعل لها) للأرض (رواسي) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا
أن يختلطا (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد ولا يؤمنون (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهي
الحالة المحوجة إلى اللجأ يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ
والتضرع إلى الله أو المذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء)
الضر والجور (ويجعلكم خلفاء (٣٩) الأرض) أي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط
(أإله مع الله قليلا ما تذكرون) وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص وما مزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا (أمّن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (في ظلمات البر والبحر) ليلا وبعلامات في الأرض نهارا (ومن يرسل الرياح) الريح مكي وحمزة وعلي (نشرا) من النشارة وقد مر في الأعراف (بين يدي رحمته) قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمّن يبدأ الخلق) ينشئ الخلق (ثم يعيده) وإنما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للإعادة لأنه أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار (ومن يرزقكم من السماء) أي المطر (والأرض) أي النبات (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على إشراككم (إن كنتم صادقين) في دعواكم أن مع الله إلها آخر وحكي
(قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من
والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله ثم إن الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممن في السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون
الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد إلا حمار وقالت عائشة رضي الله عنها
من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وقيل نزلت في المشركين
حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل ادّارك) مكي
وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا (بل ادّارك) عن الأعشى افتعل (بل ادّارك) غيرهم استحكم وأصله
تدارك بإدغام التاء في الدال وزيد ألف الوصل لإمكان السكون (علمهم

الحسن البهجة والمنظر (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) يعني ما ينبغي لكم لأنكم لا تقدرون على ذلك
لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجر بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة بقوله ما كان
لكم أن تنبتوا شجرها لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح والأشكال مع أنها تسقى بماء
واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يتأتى ذلك لأحد وأن يأتي ذلك لغيره محال (أإله مع الله) يعني هل معه معبود
أعانه على صنعه (بل) يعني ليس معه إله ولا شريك (هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل
يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل ۞ النوع الثاني قوله عز وجل (أمّن جعل الأرض قرارا) أي
دحاها وسوّاها للاستقرار عليها وقيل لا تميد بأهلها (وجعل خلالها أنهارا) أي وسطها أنهارا تطرد بالمياه
(وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعني العذب والملح (حاجزا) أي مانعا لئلا يختلط
أحدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه ۞ النوع الثالث
قوله تعالى (أمّن يجيب المضطر) أي المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوج من مرض أو نازلة
من نوازل الدهر يعني إذا نزلت بأحد نادرة التجأ إلى الله تعالى وقيل هو المذنب إذا استغفر (إذا
دعاه) يعني فكشف ضره (ويكشف السوء) أي الضر لأنه لا يقدر على تغيير حال من فقر إلى غنى ومن مرض
إلى صحة ومن ضيق إلى سعة إلا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع (ويجعلكم خلفاء الأرض)
أي سكانها وذلك أنه يورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم
خلفاء الجن في الأرض (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) أي تتعظون ۞ النوع الرابع قوله عز وجل (أمّن
يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يرشدكم بالنجوم والعلامات إذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر
(ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) ۞ النوع
الخامس قوله تعالى (أمّن يبدأ الخلق) أي نطفا في الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء
والأرض) أي من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على قولكم
أن مع الله إلها آخر (إن كنتم صادقين) ۞ قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)
نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى أن الله هو الذي يعلم
الغيب وحده ويعلم متى يقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعني أن من في السموات وهم الملائكة
ومن في الأرض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادّارك علمهم) أي بلغ

(في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم ووصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادارك وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قرأ أئذا أئنا بحرفي الاستفهام في اذا وانا

في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفرهم وتمكنه مع تمادي الأيام فيه والعامل في اذا

وتحقق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا أو سقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أي من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء (ان هذا) أي ما هذا (الا أساطير الأولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) ولا تحزن عليهم) أي على تكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر

ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل والمفعول بعده همزة الاستفهام وان ولام الابتداء لا تعمل فيما بعده فكيف بما اذا اجتمعن والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكن غلبت الحكاية على الغيبة وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد (لقد وعدنا هذا) أي البعث (نحن وآباؤنا من قبل)

من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنين نحن وآباؤنا على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمة المبعوثون (ان هذا الا أساطير الأولين) ما هذا الا الأحاديث وأكاذيبهم (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطاياهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لأجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) أي افضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم ما تكن) تخفي (صدورهم وما يعلنون) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته اذا سترته وأخفيته (وما من غائبة

(في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) [illegible] كالتاء في العاقبة والعافية [illegible]
والذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين والتاء للمبالغة كالراوية كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة إلا وقد
علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل) أي يبين
لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) فإنهم اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً وقد
نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وإنه) وإن القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن
أنصف منهم وآمن أي من بني (٣٩٢) إسرائيل أو منهم ومن غيرهم (إن ربك يقضي بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه)

بعدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمي المحكوم به حكماً أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين (إنك على الحق المبين) وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذي ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله إذا ولوا مدبرين لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته ولا يسمع الصم مكي وكذا في الروم وما أنت تهدي العمي وكذا في الروم حمزة (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالماً لله خالصاً له (وإذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجنا لهم دابة من الأرض

وشيء غائب (في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وإنه) يعني القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم) أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) المنيع الذي لا يرد له أمر (العليم) أي بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها (فتوكل على الله) أي فثق به (إنك على الحق المبين) أي البين (إنك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) أي معرضين فإن قلت ما معنى مدبرين والأصم لا يسمع صوتاً سواء أقبل أو أدبر قلت هو تأكيد لحال الأصم وقيل إن الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالإشارة فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وكالأصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون قوله تعالى (وإذا وقع القول عليهم) يعني إذا وجب عليهم العذاب وقيل إذا غضب الله عليهم وقيل إذا وجبت الحجة عليهم وذلك أنهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل إذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجنا لهم دابة من الأرض) (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الحي ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو وما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه

تكلمهم) هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل
لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا
عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات
وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر وبفتح أن كوفي وسهل على
حذف الجار أي تكلمهم بأن وغيرهم كسر لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى
بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى إذا جاؤوا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فإنكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول

فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وعن حذيفة بن اليمان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فأما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض وروي عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (تكلمهم) أي بكلام فصيح تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة أنهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بفتح التاء من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم أو تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر ۞ قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي نحشر من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا إلى النار (حتى إذا جاؤوا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تتفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة يدفعون بها العذاب عن أنفسهم وقيل إن أفواههم مختومة (ألم يروا أنا جعلنا) أي خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أي مضيئا يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لأن القادر على تقلب الضياء والظلمة فيهما قادر على الإعادة بعد الموت (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون ۞ قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه إسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى الكلام أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الأجساد فتحيا بها الأجساد (ففزع) أي فصعق (من في السموات ومن في الأرض) أي ماتوا والمعنى أنه ألقي عليهم الفزع

عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الإبصار للنهار وهو لأهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لأن معناه ألم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فإذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذكر يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ إسرافيل عليه السلام (ففزع من في السموات ومن في الأرض) اختير فزع على يفزع

فلا يُكتفوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة قبلها ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله (وكل أتوه) بحمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله (٣٩٤) آتيوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الإتيان حضورهم الموقف ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامي وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه إذا لم يبرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب إذا ضربته الريح وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم

وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لأن مرورها كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل (الذي أتقن كل شيء) أي أحكم خلقه (إنه خبير بما تفعلون) مكي وبصري غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أي إنه عالم بما يفعل العباد فكافأهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي بقول لا إله إلا الله عند الجمهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها في موضع رفع صفة لخير أي خير كائن منها (وهم من فزع) كوفي أي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وإن قل بغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم

إلا يومئذ (آمنون) أمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله

إلى أن يموتوا وقيل ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (إلا من شاء الله) روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوله تعالى إلا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة وروي أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس إسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى أن فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش ثم يقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فإذا لم يبق أحد إلا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية ﴿قوله تعالى (وكل) أي وكل الذين أحيوا بعد الموت (أتوه) أي جاؤوه (داخرين) أي صاغرين ﴿ قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني أنه تعالى لما قدم هذه الأشياء التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الأشياء التي أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب (إنه خبير بما تفعلون) ﴿ قوله تعالى (من جاء بالحسنة) أي بكلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله وقيل الإخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فمنها يصل إلى الخير يعني أنه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه لا شيء خير من لا إله إلا الله وقيل هو جزاء الأعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الإيمان والإخلاص رضوان الله والنظر إليه لقوله ورضوان من الله أكبر وقيل معنى خيرا منها الأضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها لأن الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فإن قلت كيف نفي الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الأرض قلت إن الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه فأما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب

(ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقيت (وجوههم في النار) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار وقال لهم تبكيتا عند الكب (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك والمعاصي (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ إليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك من ربك أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام وخص مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأعظمها عنده وأشار إليها (٣٩٥) قوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها (فمن اهتدى) باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي (فإنما يهتدي لنفسه) فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلي (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتاء مدني وشامي وحفص ويعقوب خطاب لأهل مكة وبالياء غيرهم أي كل عمل تعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه

فهم آمنون منه وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيئة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك ۞ قوله تعالى (إنما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل إنما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أمرت أن أخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وإنما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لأنه أضافها إليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذي حرمها) أي جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها إلا محرم وإنما ذكر أنه هو الذي حرمها لأن العرب كانوا معترفين بتحريم مكة وأن تحريمها من الله لا من الأصنام (وله كل شيء) أي خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) لله المطيعين له (وأن أتلو القرآن) أي أمرت أن أتلو القرآن والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم كلما أمر به أتم القيام على ما أمر به (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) أي فمعناه ثواب اهتدائه راجع إليه (ومن ضل) أي عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فقل إنما أنا من المنذرين) أي من المخوفين وما علي إلا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) أي على ما أنعم به علي من القيام بأداء الرسالة والإنذار (سيريكم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والأرض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أي فتعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة القصص)

وهي مكية إلا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ قوله عز وجل (طسم تلك) إشارة إلى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام (نتلو عليك من نبإ) أي خبر (موسى وفرعون بالحق) أي بالصدق (لقوم يؤمنون) أي يصدقون بالقرآن (إن فرعون علا) أي تجبر وتكبر (في الأرض) أي أرض مصر (وجعل أهلها شيعا)

(سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (طسم تلك آيات الكتاب المبين) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خيره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد (نتلو عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بأمرنا مفعول نتلو (من نبإ موسى وفرعون) أي نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) حال أي محقين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم (إن فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال كيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية (في الأرض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد

[illegible]

منهم) هم بنو إسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) أي يترك البنات أحياء للخدمة وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل وإن كذب فما معنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (إنه كان من المفسدين) أي إن القتل ظلما إنما هو فعل المفسدين إذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (ونريد أن نمن) متصل وهو دليل لنا في مسئلة الأصلح وهذه الجملة معطوفة على إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وإرادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير أو قادة إلى الخير أو ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) (٣٩٦) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (ونمكن) مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الأرض) أي أرض مصر والشأم أن نجعلها بحيث لا تنبو بهم ونسلطهم وننفذ أمرهم (ونري فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده علي وحمزة أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ونري نصب عطفا على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بني إسرائيل ويتعلق بنري دون يحذرون لأن الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقي من الضرر (وأوحينا إلى أم موسى) بالإلهام أو بالرؤيا أو بإخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة ولا تكون هي رسولا (أن أرضعيه) أن بمعنى أي أو مصدرية (فإذا خفت عليه) من القتل بأن يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فألقيه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافي) من الغرق والضياع (ولا تحزني) بفراقه (إنا رادوه إليك) بوجه لطيف لتربيه (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أنها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحي إليها بإلقائه في اليم فألقته في اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر

أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني بني إسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) سمى هذا استضعافا لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (إنه كان من المفسدين) أي بالقتل والتجبر في الأرض (ونريد أن نمن) أي ننعم (على الذين استضعفوا في الأرض) يعني بني إسرائيل (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون وقومه نجعلهم في مساكنهم (ونمكن لهم في الأرض) أي نوطن لهم أرض مصر والشأم ونجعلها لهم سكنا (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي يخافون وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون ۞ قوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى) هو وحي إلهام وذلك بأن قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب (أن أرضعيه) قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها (فإذا خفت عليه) أي الذبح (فألقيه في اليم) أي في البحر وأراد به نيل مصر (ولا تخافي) أي عليه من الغرق وقيل الضيعة (ولا تحزني) أي على فراقه (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس إن بني إسرائيل لما كثروا وعمروا استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام

(ذكر القصة في ذلك) قال ابن عباس إن أم موسى لما تقارب ولادتها كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم فعالجت قبالها فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل ولدك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحتفظي بابنك فإني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفته في خرقة ووضعته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة عليك قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا

(فالتقطه آل فرعون) أخذه والالتقاط وجدان الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا) أي ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه
ليكون عدوا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون إن هذه لام
العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها

ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما همّ بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق بالكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم ينطق بالكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه إن رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت بموسى فلم ينتأ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت القوابل لا تعرض لها فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجرة ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في التابوت وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منه لبنا فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر فرقا منك فاقتله فهمّ فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر لأن مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أي عاقبة أمرهم إلى ذلك لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أي آثمين وقيل هو من الخطأ ومعناه أنهم لم يشعروا أنه الذي يذهب ملكهم (وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه

وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء (وحزنا) وحزنا على وجه وهما لغتان كالعدم والعدم (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين مخطئين أو مذنبين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك) روي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل
الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة
(لا تقتلوه) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء
البرصاء (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه فإنه أهل لأن يكون ولدا للملوك

(وهم لا يشعرون) [illegible] وقالت امرأة فرعون [illegible]
لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتسميتهم له ابن فرعون والآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه
مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما
دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (إن كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها قيل لما
رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه يقتله فكادت تقول وا ابناه
شفقة عليه وإن مخففة من الثقيلة أي إنها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته
بإلهام الصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو إنا رادوه إليك وجواب لولا محذوف أي لأبدته أو فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لأخته) مريم (قصيه) اتبعي أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أي أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لا يشعرون) أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريم منع
لا تحريم شرع أي منعناه أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح إخلاص العمل من شائبة الفساد وفي أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أنه سيكون نبيا وذلك قوله

ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر إليه فرعون قال عبراني من الأعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح الولدان من هذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك وقيل إنها قالت إنه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه وقال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه ﴿قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي أوحى الله عز وجل إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد إليها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت إنه وقع في يد عدوه الذي فر منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها (إن كادت لتبدي به) أي إنها لتصرح أنه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر أنها أمه حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده عليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أي بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله إياها (وقالت لأخته) أي لمريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا ترى أنها لا تنظره (وهم لا يشعرون) أنها أخته وأنها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع وذلك أن الله تعالى منعه أن يقبل ثدي امرأة قيل ذلك قال ابن عباس إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة فكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي من قبل مجيء أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك (فقالت) يعني أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح إخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا لها قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل إنها قالت إنما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا لها من هي قالت أمي قالوا ألأمك ولد قالت نعم هارون وكان هارون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت إليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها

(فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أي وليستقر علمها مشاهدة كما علمته خبراً وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وإنما حل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدي لأنه مال حربي لا أنه أجرة على إرضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أي لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة (آتيناه حكماً) نبوة (وعلماً) فقهاً أو علماً بمصالح الدارين (وكذلك نجزي المحسنين) أي كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لأنه تعالى قال ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالاً إذ لم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة) أي مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل أي مختفياً وهو ما بين العشاءين أو وقت القائلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل قيل هو السامري وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية أي إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فاستغاثه) فاستنصره (الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو بأطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمناً فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربي المستأمن أو لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر (إنه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة

الهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً قيل كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) أي برد موسى إليها (ولا تحزن) أي ولئلا تحزن (ولتعلم أن وعد الله حق) أي برده إليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله وعدها أن يرده إليها (ولما بلغ أشده) قيل الأشد ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكماً وعلماً) أي عقلاً وفهماً في الدين فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبياً (وكذلك نجزي المحسنين) ❁ قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى قال السدي يعني مدينة منف من أعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً فلما جاء قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس في أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن علي أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يختصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أي من بني إسرائيل (وهذا من عدوه) أي من القبط قيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من شيعته هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطي يريد أن يسخر الإسرائيلي يحمل الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذي من شيعته) يعني الإسرائيلي (على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة (فوكزه موسى) أي ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع بأطراف الأصابع (فقضى عليه) أي قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفاً لله سبحانه وتعالى مستحقاً للقتل وقيل هذا إشارة إلى

[illegible] (فلن أكون ظهيرا) عونا (للمجرمين) الكافرين بعد ما أنعمت علي قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطاف كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فأصبح في المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (يترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الأخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله (فإذا الذي) إذا للمفاجأة وما (٤٠) بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالأمس يستصرخه) يستغيثه والمعنى أن الإسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر (قال له موسى) أي للإسرائيلي (إنك لغوي مبين) أي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك والرشد في التدبير أن لا تفعل فعلا يفضي إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصره (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش بالذي) بالقبطي الذي (هو عدو لهما) لموسى والإسرائيلي لأنه ليس على دينهما أو لأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل (قال) الإسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطي إذ قال له إنك لغوي مبين (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالأمس إن تريد) ما تريد (إلا أن تكون جبارا) أي قتالا بالغضب (في الأرض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالأمس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى عليه الإسرائيلي على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من رجل لأنه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا به أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلة الناصحين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول كأنه قال إني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) التعرض له في الطريق أو أن يلحقه من يقتله

المقتول يعني أنه من كيد الشيطان وحزبه (قال رب إني ظلمت نفسي) أي بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب ۞ وقوله (فاغفر لي) أي ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب إني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا فإن فرعون إذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي أي فاستره علي ولا توصل خبره إلى فرعون (فغفر له) أي ستره عن الوصول إلى فرعون (إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أي بالمغفرة والستر الذي (أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فلن أكون معاونا للأحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن إن شاء الله ظهيرا للمجرمين (فأصبح في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفا يترقب) أي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتي فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي (قال له موسى) للإسرائيلي (إنك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالأمس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة للإسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله إنك لغوي مبين (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) معناه أنه لم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الإسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك (إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض) أي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لأمر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى قيل إنه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) أي يسرع في مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق إلى موسى وأخبره وأنذره بما سمع (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك) أي يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بك (فاخرج) أي من المدينة (إني لك من الناصحين) أي في الأمر بالخروج (فخرج منها) يعني موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى

(قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها. والتوجه الإقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن الظن بربه (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به إلى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان غنمهما عن الماء لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي أو لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أي ما مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا (قالتا لا نسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر شامي ويزيد وأبو عمرو أي يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقي الأغنام (كبير) في حال أو في السن لا يقدر (٤٠١) على رعي الغنم أبدتا إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما (فسقى لهما) فسقى غنمهما لأجلهما رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف فروي أنه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي وفسقى لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذا في لا نسقي وفسقى فالمقصود هو السقي لا المسقي ووجه مطابقة جوابهما سؤاله أنه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وإنما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه سقي الماشية لأن هذا الأمر في نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه بخلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى إلى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى إذ لا نقص في الشكوى إلى المولى (فقال رب إني لما) لأي شيء (أنزلت إلي من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدي فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بطنه بظهره ويحتمل أن يريد إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية فتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الأنوار

أعلمه أنه لا ملجأ إلا إليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي الكافرين ﴿ قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ماضيا إليها قيل لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد إبراهيم وموسى من ولد إبراهيم ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق إلى مدين وذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به إلى مدين ﴿ قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تذودان) أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تند وتذهب والقول الأول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لا نسقي) أي أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى إنا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا إلى سقي الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى إلى الظل) أي عدل إلى أصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) معناه أنه طلب الطعام لجوعه واحتاج إليه قال ابن عباس إن موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمرة وقيل ما سأل إلا الخبز فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا

[illegible] ليجزيك أجر ما سقيت لنا) على إحسانك [illegible]
[illegible] عمرها لأنها كانت تدعو إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا فأتته مستحيية قد استترت بكم درعها وما في ما سقيت مصدرية أي
جزاء سقيك روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا فقال
لإحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق (فلما
جاءه وقص عليه القصص) أي قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص (قال) له (لا تخف نجوت من القوم
الظالمين) إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشي مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والورع
وأما أخذ الأجر على البر والمعروف فقيل إنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على أنه روي أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك
وإنما أجابها لئلا يخيب قصدها لأن للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال

بلى ولكن أخاف أن يكون
عوضا مما سقيت لهما وإنا
أهل بيت لا نبيع دينا
بالدنيا ولا نأخذ على
المعروف ثمنا فقال شعيب
عليه السلام هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا فأكل
(قالت إحداهما يا أبت
استأجره) اتخذه
أجيرا لرعي الغنم روي أن
أكبرهما كانت تسمى
صفراء والصغرى صفيراء
وصفراء هي التي ذهبت
به وطلبت إلى أبيها أن
يستأجره وهي التي تزوجها
(إن خير من استأجرت
القوي الأمين) فقال وما
علمك بقوته وأمانته فذكرت
نزع الدلو وأمرها بالمشي
خلفه وورود الفعل بلفظ
الماضي للدلالة على أن
أمانته وقوته أمران متحققان
وقولها إن خير من استأجرت
القوي الأمين كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل [illegible] ومعرفته
القوي في دينه الأمين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود
رضي الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر (قال إني أريد أن أنكحك) أزوجك
(إحدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرهما وهذه مواعدة ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك
(على أن تأجرني) تكون أجيرا لي من أجرته إذا كنت له أجيرا (ثماني حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز
بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فإن أتممت عشرا) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) فذلك
تفضل منك ليس بواجب عليك أو فإتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بإلزام
أتم الأجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا
أطيقه [illegible]

قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا فقال
لإحداهما اذهبي فادعيه لي قال الله تعالى (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها
صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من
النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لأنها
دعته لتكافئه وقيل لأنها رسول أبيها (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى
ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت
الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إذا
أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى
أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وإنا
أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة
آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه
القصص) أي أخبره بأمره أجمع من حين ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من
القوم الظالمين) يعني من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت
إحداهما يا أبت استأجره) أي اتخذه أجيرا لرعي أغنامنا (إن خير من استأجرت القوي الأمين) يعني أن
خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته فقالت أما قوته
فإنه رفع الحجر عن رأس البئر ولا يرفعه إلا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فإنه قال لي امشي
خلفي حتى لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (إني أريد أن أنكحك) أي أزوجك (إحدى
ابنتي هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الأكثرون إنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهي التي
ذهبت في طلب موسى (على أن تأجرني ثماني حجج) أي تكون لي أجيرا ثماني سنين (فإن أتممت عشرا
فمن عندك) أي فإن أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق
عليك) أي ألزمك تمام العشر إلا أن تتبرع (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) أي في حسن الصحبة
والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وإنما قال إن شاء الله للاتكال على توفيقه

باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك)
مبتدأ وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بيني وبينك) يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج
كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال (أيما الأجلين قضيت) أي أي أجل قضيت من الأجلين يعني
العشرة أو الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لإبهام أي وهي شرطية وجوابها (فلا عدوان علي) أي لا تعتدي علي في طلب
الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جمعهما ليجعل الأول كالأتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا
طلب الزيادة على الأول (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل إليه الأمر وعدي بعلى لأنه (٣ ٤) استعمل في موضع الشاهد والرقيب
روي أن شعيبا كان عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون
غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام
أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الأجل) قال عليه السلام قضى
أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا على اختلاف الرواية التي مرت (وسار بأهله) بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء لما تم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة
وظهرت أنوار النبوة سار بأهله ليشركوا معه في لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها
بخبر) عن الطريق لأنه قد ضل الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن) بالنسبة إلى موسى (في
البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوسج (أن يا موسى) أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة (إني أنا الله رب العالمين)

ومعونته (قال) يعني موسى (ذلك بيني وبينك) أي ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزويج إحداهما لي
والأمر بيننا على ذلك (أيما الأجلين قضيت) أي أي الأجلين أتممت وفرغت منه الثماني أو العشر
(فلا عدوان علي) أي لا ظلم علي بأن أطالب بأكثر منه (والله على ما نقول وكيل) قال ابن عباس شهيد
بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى قلت
لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما
لأن رسول الله إذا قال فعل وروي عن أبي ذر مرفوعا إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما
وأبرهما وإذا سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج
صغراهما وقضى أوفاهما وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى
الله عليه وسلم حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره
فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا إلى لقائك فأوحى الله إليه
إن يكن ذلك فهنيئا لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك كليمي موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب
ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه فقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها
الأنبياء وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته فصارت من آدم إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب
فأعطاها موسى ثم إن موسى لما قضى الأجل سلم شعيب إليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أبيك أن يجعل
لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل إن شعيبا أراد أن
يجازي موسى على حسن رعيه إكراما له وصلة لابنته فقال له إني قد وهبت لك من ولد أغنامي كل أبلق وبلقاء
في هذه السنة فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء ثم اسق الأغنام منه ففعل ذلك فما
أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وامرأته فوفى
له بشرطه وأعطاه الأغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الأجل) أي أتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قيل
مكث موسى بعد الأجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه في العود إلى مصر فأذن له فسار بأهله أي
بزوجته قاصدا إلى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور نارا) وذلك أنه كان في البرية في ليلة مظلمة
شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق
لأنه كان قد أخطأ الطريق (أو جذوة من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل
بعضه (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن) يعني من جانب
الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لأن الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه
نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت شجرة خضراء ترف
وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس أنها العناب (أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين)

خطاب واشارة في بقعة أحسن جواب تصابر بذلك مكانة شريفة أعلى ما سال وأمن تمامات والجمهور بالفتح الثلاث وقرئ بهن بضمهم بفتح الجيم وجرة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أي الجانب (وأن ألق عصاك) ونودي أن ألق عصاك فألقاها فقلبها الله ثعبانا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية في سرعتها وهي ثعبان في جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع فقيل له (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) أي أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك في جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) جاري بفتحتين وبصري الرهب بضم الراء وسكون الهاء وغيرهم وهي الكل الخوف والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق أي لاجل الخوف عن ابن عباس رضي الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من (٤) الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أريد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أي اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى فرعون

واضمم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك في طه أدخل يدك تحت يسارك (فذانك) مخففا مثنى ذاك ومشددا مكي وابو عمرو مثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (من ربك الى فرعون وملئه) أي أرسلناك الى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) به بغير ياء وكذا يكذبون (وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي) حفص (ردءا) حال أي عونا يقال ردأته أعنته وبلا همز مدني (يصدقني) عاصم وحمزة صفة اي ردءا مصدقا لي وغيرهما بالجزم جواب لارسله ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لا ان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هو أفصح مني لسانا فأرسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه سواء (اني أخاف أن يكذبون) يكذبوني والثاني بغير ياء

قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال اني سمعته بجميع أجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن ألق عصاك) أي فألقاها (فلما رآها تهتز) أي تتحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبرا) أي هاربا منها (ولم يعقب) أي ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودي عند ذلك (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) ❀ قوله عز وجل (اسلك يدك) أي أدخل يدك (في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أي برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) أي من الخوف والمعنى اذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك وأخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده في كمه (فذانك) يعني العصا واليد البيضاء (برهانان) أي آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الحق (قال رب اني قتلت منهم نفسا) يعني القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي به (وأخي هرون هو أفصح مني لسانا) اي بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه (فأرسله معي ردءا) أي عونا (يصدقني) يعني فرعون وقيل يصدقني هرون وهو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (اني أخاف أن يكذبون) يعني

(قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به إذ اليد تشتد بشدة العضد لأنه قوام اليد فإذا قويت شدة اليد على مزاولة الأمور (ونجعل لكما
سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبة في قلوب الأعداء (فلا يصلون إليكما بآياتنا) الباء تتعلق بيصلون أي لا يصلون إليكما بسبب آياتنا أو تم الكلام
أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه
(أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله
أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) حال منصوبة عن هذا أي كائنا في
زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) أي ربي أعلم
منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله
لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى
الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكي وهو
حسن لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات (٥ ٤) العظام سحرا مفترى ووجه الأخرى
أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربي أعلم حجازي وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلي (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده أي ما لكم من إله غيري أو هو على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي اطبخ لي الآجر واتخذه وإنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولأنه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة إذ أمر هامان وهو

فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) أي نقويك به وكان هارون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) أي حجة وبرهانا (فلا يصلون إليكما) أي بقتل ولا سوء (بآياتنا) قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أي واضحات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي مختلق (وما سمعنا بهذا) أي بالذي تدعونا إليه (في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) أي إنه يعلم المحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) أي العقبى المحمود في الدار الآخرة (إنه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) فيه إنكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي اطبخ لي الآجر قيل إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به (فاجعل لي صرحا) أي قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت إله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد عمل فيه شيئا إلا هلك فذلك قوله (لعلي أطلع إلى إله موسى) أي أنظر إليه وأقف على حاله (وإني لأظنه) يعني موسى (من الكاذبين) أي في زعمه أن للأرض والخلق إلها غيري وأنه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الأرض) أي تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) أي للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي ألقيناهم في البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعني حين صاروا إلى الهلاك (وجعلناهم أئمة) أي قادة ورؤساء

وزيره بالإيقاد على الطين منادى باسمه في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر (فاجعل لي صرحا) قصرا عاليا (لعلي أطلع) أي أصعد والاطلاع الصعود (إلى إله موسى) حسب أنه تعالى في مكان كما كان هو في مكان (وإني لأظنه) أي موسى (من الكاذبين) في دعواه أن له إلها وأنه أرسله إلينا رسولا وقد تناقض المخذول فإنه قال ما علمت لكم من إله غيري ثم أظهر حاجته إلى هامان وأثبت لموسى إلها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلي أطلع إلى إله موسى روي أن هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (في الأرض) أرض مصر (بغير الحق) أي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسول الله عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وإن كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فإنك منصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة

الرشاد وقيل لا نقتدي بأعمال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي ألزمناهم طردا وإبعادا عن الرحمة أو لعنا هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل من طرف المقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذي يبصر به الأجساد يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدى) وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (إذ قضينا إلى موسى الأمر) أي كلمناه وقربناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي إليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الأخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك على
فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلو عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولو في موضع نصب خبر ثان أو حال من الضمير في ثاويا (ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون)

(٤٠٦)

(يدعون إلى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لأن من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ۞ قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصائر للناس) أي ليبصروا بذلك ويهتدوا به (وهدى) أي من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) أي لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) أي بما فيه من المواعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يا محمد (بجانب الغربي) أي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (إذ قضينا إلى موسى الأمر) أي عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أي الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا إلى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك (ولكنا أنشأنا قرونا) أي خلقنا بعد موسى أمما (فتطاول عليهم العمر) أي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك أن الله عهد إلى موسى وقومه عهودا في محمد والإيمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ثاويا) أي مقيما (في أهل مدين) أي كمقام موسى وشعيب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) أي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا إليك كتابا فيه هذه الأخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (إذ نادينا) يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا وأمته قال إنك لن تصل إلى ذلك ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء والأرحام أي أرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمناك رحمة بإرسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله إذ قضينا إلى موسى الأمر هو إنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله إذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها الرسول ولم يكن في هذه الأحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الدالة

(ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليبا للأكثر على الأقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الأمر إذ الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للإرسال ولكن العقوبة لما كانت (٤٠٧) سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أي كفار مكة (لولا أوتي) هلا أعطي (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتي موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفي أي ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر (وقالوا إنا بكل) كل واحد منهما (كافرون) وقيل إن أهل مكة لما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو في التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل علي (أتبعه) جواب فأتوا (إن كنتم صادقين) في أنهما سحران (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه بغير هدى حال أي مخذولا مخلى بينه وبين هواه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الكتاب

على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كأنه قال في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ﴿ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثنا إليهم رسولا ولكنا بعثنا إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتي) محمد (مثل ما أوتي موسى) يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتي كتابا جملة واحدة كما أوتي موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) قيل إن اليهود أرسلوا إلى قريش أن اسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن يقوي كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمدا وموسى وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا إنا بكل كافرون) يعني من التوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني بالتوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله (إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك) أي فإن لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) يعني أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ﴿ قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا للكفار ما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله إن لنا أموالا فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه

محمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا ان ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الأذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منا لكم بأن نقابل لغوكم بمثله (لا نبتغي الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لا تهدي من أحببت) لا تقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت انك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولو كانت الصحة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع والمعنى ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا) قالت قريش نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته والعرب حوله يتغاورون وهم كفرة فأنى يستقيم ان يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجبى اليه) ويجلب ويجمع

الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) أي في الطاعة (واذا سمعوا اللغو) أي القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم (لا نبتغي الجاهلين) يعني لا نطلب دينكم الذي أنتم عليه وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت) أي هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك ان الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن قدر له الهدى (م) عن أبي هريرة قال أنزلت انك لا تهدي من أحببت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراود عمه أبا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الأشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة فقال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الطير من الذئاب والحمام من الحدأة (يجبى اليه) أي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق

(ثمرات كل شئ) من كل أوب (رزقا من لدنا) هو مصدر لأن معنى يجبى اليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات لأنها بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تخصص النكرة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بأنعم الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب بأهلكنا ومعيشتها منصوب بحذف الجار وايصال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكنى أي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمها) بضم الهمزة وكسرها أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لأن الأرض دحيت من تحتها رسولا (٩ ٤) يعني محمدا عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي وما أهلكناهم للانتقام الا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) وأي شئ أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأنه دائم (أفلا تعقلون) أن الباقي خير من الفاني وخير أبو عمرو بين التاء والياء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله

والثمر (ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني أن أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك ﷺ قوله عز وجل (وكم أهلكنا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة أي لم تعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) يعني لم نخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الأم ببعثة الرسول لأنه يبعث الى الأشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعني أنه يؤدي اليهم ويبلغهم ويخبرهم أن العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي مشركون ﷺ قوله عز وجل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أي تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالقطرة بالنسبة الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي أن الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لأن أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة (فهو لاقيه) أي مصيبه ومدركه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) أي ويزول عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار قيل نزلت في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ﷺ قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا أنهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغوينا)

عنهما أن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف

المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أي الجنة فلا شئ أحسن منها لأنها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقيه) أي رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فأولئك في العذاب محضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل أو في علي وحمزة وأبي جهل أو في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد ثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع هو على كمثل عثمان في قصته والمفصل بالمفصل (ويوم يناديهم) ينادي الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائي) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين أغوينا)

[illegible] فأغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو إلا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلاً فلا فرق إذاً بين غوايتنا وغوايتهم وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا إليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا إيانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا إليكم حكى أولاً ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الأخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم (٤١) يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون في العجز عن الجواب (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بربه وصدق بما جاء من عنده (وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) أي فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام وترغيب للكافرين على الإيمان ونزل جواباً لقول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه أو أبا مسعود (وربك يخلق ما يشاء) وفيه دلالة خلق الأفعال ويوقف على (ويختار) أي وربك يخلق

أي دعوناهم إلى الغي وهم الأتباع (أغويناهم كما غوينا) أي أضللناهم كما ضللنا (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب) لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واشتبهت عليهم (الأنباء) يعني الأخبار والأعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضاً (فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب ﴿ قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم لأنه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما شاء لا اعتراض عليه (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار لهم ما كان هو الأصلح والخير لهم ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن) أي تخفي (صدورهم وما يعلنون) أي يظهرون (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) أي يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل المعصية بالشقاوة (وإليه ترجعون) ﴿ قوله عز وجل (قل) أي قل يا محمد لأهل مكة (أرأيتم) أي أخبروني (إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) أي دائماً (إلى يوم القيامة) لا نهار معه (من إله غير الله يأتيكم

ما يشاء وربك يختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف [illegible]
في ما كان لهم الخيرة لأنه بيان لقوله ويختار إذ المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لمعتزلة في اختيار الخلق ليس بالاختيار الحق ومن قال ويختار له ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي الله بريء من إشراكهم وهو منزه عن أن يكون لأحد عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تضمر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالإلهية المختص بها (لا إله إلا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي (له الحمد في الأولى) الدنيا (والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (وإليه ترجعون) بالبعث والنشور بتاء التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أرأيتم بحذف الهمزة علي (إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) دائماً متصلاً من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (إلى يوم القيامة [illegible]

بضياء أفلا تسمعون يعني أفلا تسمعون سماع من يتدبر ويتفكر في هذا (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي (٤١١) الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن أن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لأن الأنبياء للأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) التوحيد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع (ما كانوا يفترون) من الوهية غير الله والشفاعة لهم (إن قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف (كان من قوم موسى) كان إسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم في الثياب شبرا (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه) ما بمعنى الذي في موضع نصب بآتينا وإن واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت إن والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والأصوب أنها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود (أولي القوة) الشدة (إذ قال له قومه) أي المؤمنون منهم وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل إذ نصب بتبغى (لا تفرح) لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (إن الله لا يحب الفرحين)

بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة) أي لا ليل فيه (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل إن من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لأن المرء في حال الدنيا وفي حال الشقاء مدفوع إلى التعب ليحصل ما يحتاج إليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولأجله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل ولا بد منهما فأما في الجنة فلا تعب ولا نصب ولا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي بالنهار (ولعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ (ونزعنا) أي أخرجنا وقيل أحضرنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) أي للأمم المكذبة لرسلهم (هاتوا برهانكم) أي حجتكم بأن معي شريكا (فعلموا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله ﴿قوله عز وجل (إن قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه) جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه خزائنه (لتنوء بالعصبة أولي القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة إلى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى الأربعين وقيل إلى الستين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا (إذ قال له قومه لا تفرح) أي لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح (إن الله لا يحب الفرحين) أي الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وقيل إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها فأما من يعلم أنه مفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

[illegible] نصيبك من الدنيا) وهو أن تأخذ منها ما يكفيك ويصلحك ... وأطلب بما آتاك الله الدار الآخرة [illegible] (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله إليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الأنام كما أحسن إليك بالإنعام (ولا تبغ الفساد في الأرض) بالظلم والبغي (إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته) أي المال (على علم عندي) أي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم قال سهل ما نظر أحد الى نفسه فأفلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) (٤١٢) قارون (أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو إثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يسئلون أو لا يسئلون ليعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أو لا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه في زينته) في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وإنما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن يريد زوالها عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط (إنه لذو حظ عظيم) الحظ الجد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى للغابطين قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى وهو منصوب على أنه مفعول فعل محذوف أي ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن

أشد النعم لذي في سرور * يعنى بمعية صاحبها الا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الأموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الأودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن إليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الأرض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض (إن الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (إنما أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب ﴿قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي للأموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه أن الله تعالى إذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لأنه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وإنما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم ﴿قوله عز وجل (فخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) أي من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الأحبار من بني إسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن)

وعمل صالحاً (ولا يلقاها) أي لا يلقى هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (إلا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (فخسفنا به وبداره الأرض) كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وطستاً من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم وعزتي لو استغاثوني مرة لرحمتهم فقال بعض بني إسرائيل إنما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه

أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحاً) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها إلا الصابرون) أي لا يؤتى الأعمال الصالحة إلا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا. قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الأرض)

(ذكر قصة قارون)

قال أهل العلم بالأخبار والسير كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإن بني إسرائيل تستحقر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإذا لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى فقال إن الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعل بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهي رياسة المذبح فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هرون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى إلى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا فقال له موسى ما أنا جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي كان يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل لها باباً من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار على دينار وعلى كل ألف درهم على درهم وكل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستاً من ذهب وقيل قال لها قارون أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه إلى أن يموت فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي ويقول اللهم

من عذاب الله فقال تنصر أي فمنعته فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزلته من الدنيا (بالأمس) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وي مفصولة عن كأن عند البصريين قال سيبويه وي كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم بإظهار ندامته يعني أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا (لولا أن منّ الله علينا) بصرف ما كنا تمنيناه بالأمس (لخسف بنا) وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله (٤١٤) تعالى (ويكأنه لا يفلح الكافرون) أي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله (نجعلها) خبر تلك والدار نعتها (للذين لا يريدون علوا في الأرض) بغيا وظلما وقيل تكبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته [illegible] فرعون وقارون متمسكا بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض (والعاقبة) المحمودة (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر في النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات وقال موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين (إلا ما كانوا يعملون) إلا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (إن الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (إلى معاد) أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكر أو المراد به مكة والمراد رده إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه ولما

إن كنت رسولا فاغضب لي فأوحى الله إليه أن مر الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم بأقدامهم وقيل كان على سرير وفرشه فأخذته الأرض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض فأوحى الله إلى موسى ما أغلظك استغاث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته وفي بعض الآثار لا أجعل الأرض بعدك طوعا لأحد قال قتادة خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها إلى يوم القيامة وأصبحت بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من الممتنعين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أي صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الأموال والزينة يتندمون على ذلك التمني (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقرير ومعناها أما ترى صنع الله وإحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم أن الله وقيل إن وي مفصولة من كأن والمعنى أن القوم تندموا فقالوا وي تندما على ما سلف منهم وكأن معناها أظن وأقدر أن الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن منّ الله علينا) أي بالإيمان (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) ❁ قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض) أي استكبارا عن الإيمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل بطالين الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة (ولا فسادا) قيل الذين يدعون إلى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ❁ قوله تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل فرض تلاوته وأوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك إلى معاد) قال ابن عباس إلى مكة أخرجه البخاري وقال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه ينصرف فيعود إلى بلده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا إلى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فأتاه جبريل عليه السلام

ويعذر سوله الرد الى معاده قال (قل) للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وما له من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب بفعل مضمر أى يعلم (وما كنت ترجوا أن يلقى) يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الا رحمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك أو الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعنك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولأن العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لأنه لو وصل لصار (لا اله الا هو) صفة لالها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك الا وجهه) أى الا اياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم (سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان لا يتعلق بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قال حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب لقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى انك قبل المجئ بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكاليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال وبصبرهم على أذى الكفار [illegible]

وقال له أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين ﴿قوله عز وجل﴾ (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا أنه خاطبه به خصوصا لأجل التعظيم فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الا وجهه) أى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا ما أريد به وجهه لأن عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم والله أعلم بمراده

(تفسير سورة العنكبوت)

وهى مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة

وحروفها أربعة آلاف وماية وخمسة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل﴾ (الم أحسب الناس) أى أظن الناس (أن يتركوا) أى بغير اختبار ولا ابتلاء (أن) أى بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى لا يبتلون فى أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل فى عمار كان يعذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل

وتبيين ما يصير إليه من يشكر أو يكفر ومنهم من يثبت ما شرط الله ويعتبر فيه ذلك الثواب فيه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الإيمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد مفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه (٤١٦) وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه وقالوا الأول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساء ما يحكمون) ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكماً يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أي بئس حكماً يحكمونه حكمهم (من كان يرجو لقاء الله) أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما (فإن أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لا محالة فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوته شيء وقال الزجاج من للشرط وترتفع بالابتداء وجواب الشرط فإن أجل الله لآت كقولك إن كان زيد في الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فإنما يجاهد لنفسه) لأن منفعة ذلك ترجع إليها (إن الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمرهم ونهاهم رحمة لهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي بالإيمان والتوبة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيداً بأن يفعل خيراً كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه قوله ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيداً بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ووصيناه بإيتاء والديه حسناً أو بإيلاء والديه حسناً أي فعلاً ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسناً ويجوز أن تجعل حسناً من باب قولك زيداً بإضمار اضرب إذا رأيته متهيئاً للضرب فتنصبه بإضمار أولهما وافعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفاً ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدئ حسناً حسن الوقف وعلى التفسير الأول لا بد

من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الأنبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل إن آثار أفعال الحق صفة تظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع ﴿قوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (أن يسبقونا) أي يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فإن أجل الله لآت) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى أن من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو ﴿قوله تعالى (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أي له ثوابه وهذا يحكم الوعد لا يحكم الاستحقاق فإن الكريم إذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (إن الله لغني عن العالمين) أي عن أعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة ونحو بشارة أما البشارة فلأنه إذا كان غنياً عن الأشياء فإنه أعطى جميع ما خلقه لمن خلقه لا يعود إليه منه شيء وهذا يوجب الرجاء التام وأما النحو فلأن الله إذا كان غنياً عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلا يعود إليه منه شيء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير إذهاب السيئة بالحسنة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم أكثر مما عملوا ﴿قوله عز وجل (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) معناه برّاً بهما وعطفاً عليهما والمعنى ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والأحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن إسحاق سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان باراً بأمه قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوماً آخر وليلة فجاءها سعد فقال يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني

اعمار القول معناه وقلنا (وإن جاهداك) أيها الإنسان (لتشرك بي ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بإلهيته والمراد نفي العلم بنفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً (فلا تطعهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (إليّ مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأجازيكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين روي أن سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ خبره (لندخلنهم في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الأنبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام (٤١٧) وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلماً وألحقني بالصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة موروثة في المتقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله) أي إذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) أي وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا إنا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فأعطونا نصيبنا من المغنم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي هو أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الإخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذين

آمنوا وليعلمن المنافقين) أي حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أي إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن كان ذلك فإنا نحمل عنكم الإثم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال أنفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم (وأثقالاً مع أثقالهم) أي أثقالاً أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سبباً في ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يختلقون من الأكاذيب والأباطيل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف

فكان إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمره بالبر لوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالمصير إليه فقال تعالى (إليّ مرجعكم فأنبئكم) أي فأخبركم (بما كنتم تعملون) أي بصالح أعمالكم وسيئها أي فأجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي) يعني أصابه بلاء من الناس افتتن (في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى أنه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (إنا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله تعالى وقال (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي من الإيمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أي صدقوا فثبتوا على الإيمان والإسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) أي بترك الإسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هاهنا مدنية وباقي السورة مكي (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان (للذين آمنوا) أي من قريش (اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله (ولنحمل خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى إن كان فيما تفعلونه إثم فنحن نحمله عنكم فكذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقالهم) أي أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم (وأثقالاً مع أثقالهم) أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فإن قلت قال أولاً وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقال هنا وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه أنهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزاراً بسبب إضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء رواه مسلم (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي سؤال توبيخ وتقريع لأنه تعالى عالم بأعمالهم وافترائهم ۞ قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث) أي أقام (فيهم) يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده (ألف

ألف سنة إلا خمسين عاما كما قال تعالى ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ... قيل تسعمائة وخمسين
تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا كأنه قيل تسعمائة وخمسين
سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولأن القصة سيقت لما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من
طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الألف أفخم وأوصل إلى الغرض وجيء بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد
في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة (فأخذهم الطوفان) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما (وهم
ظالمون) أنفسهم بالكفر (فأنجيناه) أي نوحا (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم (وجعلناها) أي السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وإبراهيم) نصب
بإضمار اذكر وبدل منه (إذ قال) بدل اشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على نوح أي وأرسلنا إبراهيم أو ظرف لأرسلنا يعني
أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما
وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين (٤١٨) إبراهيم (لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم) من الكفر (إن كنتم تعلمون) إن كان
لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (إنما تعبدون من دون الله أوثانا) أصناما (وتخلقون) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلمي رضي الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق (إفكا) وقرئ أفكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والإفك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فإنه هو الرازق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه

سنة إلا خمسين عاما) فإن قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان إحداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السامع أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فإن قال مائة سنة إلا شهرا أو إلا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق. الفائدة الثانية هي لبيان أن نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعقد الألف لأنه أعظم وأفخم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أعلم أن الأنبياء قبله ابتلوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك ﴿قوله تعالى (فأخذهم الطوفان) أي فأغرقهم (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فأنجيناه وأصحاب السفينة) يعني من الغرق (وجعلناها) يعني السفينة (آية) أي عبرة (للعالمين) قيل إنها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعل عقوبتهم بالغرق عبرة ﴿قوله تعالى (وإبراهيم) أي وأرسلنا إبراهيم (إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي أطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا) أي تقولون كذبا وقيل تصنعون أصناما بأيديكم وتسمونها آلهة (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدرون أن يرزقوكم (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) فإنه القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لأنه المنعم عليكم بالرزق (إليه ترجعون) أي في الآخرة (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فأهلكهم الله (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) ﴿قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات إلى قوله فما كان جواب قومه تحتمل

واشكروا له إليه ترجعون) فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم ترجعون (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي وإن تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسل فقد تم أمرهم حيث أدوا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنتم مكذبين فإن لكم في سائر الأمم أسوة حيث كذبوا رسلهم إن بلغ وما عليّ إلا أن أصدق ولا أكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالأمم قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها فإن قلت فالجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن إيراد قصة إبراهيم عليه السلام ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له بأن أباه إبراهيم عليه السلام كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها
لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى ... ما ... إلا ... قومه ... الكونها ... [illegible]

(كيف يبدئ الله الخلق) أي قد رأوا ذلك وعلموه وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (إن ذلك) أي الإعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وإن كان من كلام إبراهيم فمعناه قولوا وحينئذ يكون قل (سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث والمد حيث كان مكي وأبو عمرو وهذا دليل على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود غير أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لأن الكلام معهم وقع في الإعادة فلما قررهم في الابتداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الابتداء فإذا لم يعجزه الابتداء وجب أن لا يعجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (إن الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالإعراض عن الله وبالإقبال عليه أو بمتابعة البدع وملازمة (٤١٩) السنة (وإليه تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (في الأرض) الفسيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) متولٍّ أموركم (ولا نصير) ولا ناصر يمنعكم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته (ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي) جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه) قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمان (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) حين قذفوه فيها (إن في ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (لآيات لقوم يؤمنون) روي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) حمزة وحفص ويعقوب مودة بينكم مدني وشامي وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكي وبصري وعلي مودة بينكم فالنصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ إلهه هواه وما كافة أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبر إن وما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة بينكم والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ الأصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أي يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض ويلعن الأتباع القادة (ومأواكم النار) أي مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (وما لكم من ناصرين) ثمه (فآمن له) لإبراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخي إبراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه

أن يكون من تمام قول إبراهيم لقومه وتمل إنما وقعت معترضة في قصة إبراهيم وهي في تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) أي في الآخرة عند البعث (إن ذلك على الله يسير) أي الخلق الأول والخلق الثاني (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم إن الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى أنكم لما تعترفون بأن الله ابتدأ خلقهم فكذلك لا يعجز عن إنشائهم مرة بعد الموت ثانيا (إن الله على كل شيء قدير) أي من البداءة والإعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (وإليه تقلبون) أي تردون (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى أنه لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يمنعكم مني (ولا نصير) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (أولئك يئسوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذه آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد إلى قصة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قاله الرؤساء للأتباع اقتلوه أو حرقوه (فأنجاه الله من النار) أي بأن جعلها عليه بردا وسلاما قيل إن ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي تتوادون وتتحابون عليها وتتواصلون في الدنيا ولا ينفعكم في الآخرة وقيل معناه إنكم توادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) يتبرأ الأوثان من عابديها ويتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصرين) أي مانعين من عذابه (فآمن له لوط) أي صدقه في رسالته لما رأى معجزاته وهو أول

ابراهيم مهاجرا وكان ابن أخيه لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الى ربي) الى حيث أمرني ربي بالهجرة اليه (انه هو العزيز)
الذي يمنعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني الا بما هو خير (ووهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد الولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته
(وجعلنا في ذريته النبوة) أي في ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعني التوراة والانجيل والزبور والفرقان
(وآتيناه) أي ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (في
الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أي واذكر لوطا
(اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) (٤٢٠) الفعلة البالغة في القبح وهي اللواطة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة
مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة (وتأتون في ناديكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه أهله (المنكر) أي المضارطة والمجانة والسباب والفحش في المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب أئنكم أئنكم بهمزتين وهو الموجود في الامام وكل واحدة منهما بهمزتين كوفي غير حفص
آئنكم آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو أئنكم اينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع الباقين
غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه
من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل
هذه القرية) اضافة مهلكو لم تفد تعريفا لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم وهذه القرية تشعر بأنها
قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان أهلها كانوا ظالمين) أي الظلم
قد استمر منهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أي أتهلكونهم وفيهم من
هو بريء من الظلم وهو لوط (قالوا) أي الملائكة (نحن أعلم) منك (بمن فيها لننجينه) لننجينه بالتخفيف يعقوب وكوفي غير عاصم (وأهله الا امرأته كانت
من الغابرين) الباقين في العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله

من صدق ابراهيم وأول من آمن له وقيل انه كان مؤمنا الا انه لا يتقدمهم الكفر (وقال) يعني ابراهيم
(اني مهاجر الى ربي) الى حيث أمرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام
ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى ونزل فلسطين وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه
قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أي الذي لا يغلب والذي يمنعني من أعدائي (الحكيم)
الذي لا يأمرني الا بما يصلحني ﴿ قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)
قيل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل
الأديان يتولونه ويحبونه ويصلون عليه وقيل هو الذرية الطيبة والنبوة في نسله وهذا له في الدنيا (وانه في
الآخرة لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ﴿ قوله عز وجل (ولوطا
اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أي لم يفعلها
أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أئنكم لتأتون الرجال) يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون
السبيل) وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس المرور بهم لأجل ذلك وقيل
معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون في ناديكم المنكر) أي مجالسكم والنادي مجلس
القوم ومتحدثهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال
كانوا يحذفون أهل الأرض ويسخرون منهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قيل الخذف هو رمي
الحصى بالأصابع وقيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها الحصى فاذا مر بهم
عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه قال أنا أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل
انهم كانوا يتجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام
كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الازرار
والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية (فما كان جواب قومه) أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه
من القبائح (الا أن قالوا) يعني استهزاء (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أي ان العذاب نازل بنا
فعند ذلك (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم ﴿ قوله عز وجل
(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) يعني من الله باسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية)
يعني قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) يعني ابراهيم اشفاقا على لوط وعلما بحاله (ان فيها
لوطا قالوا) أي قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أي من

(ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم وأن صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه أن الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك) وبالتخفيف مكي وكوفي غير حفص (وأهلك) الكاف في محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أي وننجي أهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون) منزلون شامي (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض (لقوم) يتعلق بتركنا أو ببينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة أو خافوه (ولا تعثوا في الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فأصبحوا في دارهم) في بلدهم وأرضهم (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك (وثمود) حمزة وحفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السبيل الذي أمروا بسلوكه وهو الايمان بالله ورسله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فسر الاخذ بقوله (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت فيما نسجته في وهنه وضعفه (بيتا) فان ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما تقي البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة وجعل ما اتخذته الا

الناس في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) أي ظن هم من الانس فخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ما ساءه (وضاق بهم ذرعا) أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك (وقالوا لا تخف) أي من قومك (ولا تحزن) علينا (انا منجوك وأهلك) أي انا مهلكوهم ومنجوك وأهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أي عذابا (من السماء) قيل هو الخسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) أي من قريات لوط (آية بينة) أي عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعني الذين يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض ﴿ قوله تعالى (والى مدين) أي وأرسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وهو أبو القبيلة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثاني وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أي افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة وذلك أن جبريل صاح فرجفت الارض رجفة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) أي وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أي من منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالدلالات الواضحات (فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) أي فائتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أي بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بالاشراك ﴿ قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر

[illegible] لو علموا أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس
إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجر وجص أو نحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا
استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة
تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (إن الله يعلم ما تدعون) بالياء بصري وعاصم وبالتاء
غيرهما غير الأعشى والبرجمي وما بمعنى الذي وهو مفعول يعلم ومفعول تدعون مضمر أي يدعونه يعني يعبدونه (من دونه من شيء) من في
من شيء للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا
جماداً لا علم له ولا قدرة
وتركوا عبادة القادر
القاهر على كل شيء الحكيم
الذي لا يفعل كل شيء
إلا بحكمة وتدبير (وتلك
الأمثال) الأمثال نعت
والخبر (نضربها) نبينها
(للناس) كان سفهاء
قريش وجهلتهم يقولون إن
رب محمد يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت ويضحكون
من ذلك فلذلك قال (وما
يعقلها إلا العالمون) به
وبأسمائه وصفاته أي
لا يعقل صحتها وحسنها ولا
يفهم فائدتها إلا هم لأن
الأمثال والتشبيهات إنما
هي الطرق إلى المعاني
المستورة حتى تبرزها
وتصورها للأفهام كما صور
هذا التشبيه الفرق بين
حال المشرك وحال الموحد
وعن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه تلا هذه الآية
فقال العالم من عقل عن
الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه ودلت الآية على
فضل العلم على العقل (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي محقاً يعني لم يخلقهما باطلاً بل لحكمة وهي أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) وخصهم بالذكر
لانتفاعهم بها (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) تقرباً إلى الله تعالى بقراءته [illegible] على ما أمر به ونهى عنه (وأقم الصلاة) أي دم على
إقامة الصلاة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا مثلاً (والمنكر) هو ما ينكره الشرع والعقل وقيل من كان مراعياً للصلاة
جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً ما فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن
الصلاة لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث
أن تاب وقال ابن عوف إن الصلاة إذا كانت [illegible] وطاعة [illegible] تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته

وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً
عبادة الأوثان لأنها لا تبصر ولا تسمع (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) أشار إلى ضعفه فإن الريح إذا هبت
عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين أن دينهم أوهن
الأديان (لو كانوا يعلمون) أي أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (إن الله يعلم ما تدعون
من دونه من شيء) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني أن الذي تدعون من دونه ليس بشيء (وهو العزيز
الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من
ليس بشيء أصلاً (وتلك الأمثال) أي الأشباه يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الأمة
بأحوال كفار الأمم السالفة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها إلا العالمون) يعني
ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال العالم من
عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي للحق وإظهار الحق
(إن في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ۞ قوله تعالى (اتل ما أوحي إليك من
الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) فإن قلت لم أمره بشيئين تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط
قلت لأن العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي
العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فإن من اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمراً
وهي الذكر والعبادة البدنية وهما مما يتكرر فلذلك أمره بهما (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح
من الأعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن
معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً وقال الحسن وقتادة
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك إلى ترك المعاصي
والسيئات كما روي عن أنس قال كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع
من الفواحش شيئاً إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه يوماً فلم يلبث أن
تاب وحسن حاله وقيل معنى الآية إنه ما دام في صلاته فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر وقيل قوله إن
الصلاة [illegible] وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه أن القرآن
ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجلاً يقرأ القرآن
الليل كله فإذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية أنه قيل يا رسول الله إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق

عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (ولذكر الله أكبر) أي وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني ولأن ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل وقد قال عليه السلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله أو ذكر الله أكبر من أن تحويه (٤٢٣) أفهامكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن للمخاشنة وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (إلا الذين ظلموا منهم) فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة ... ادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الذين أثبتوا الولد والشريك ... لوا له ... كون عن عاصم ... وهو النزول للإقامة ... عنه بعد ما اهتدى ... الهمز لم يجاوز مفعولا واحدا والوحدة تعدية إلى ... المؤمنين وإلى

بالليل فعاب ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها (ولذكر الله أكبر) أي إنه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ويروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء إذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (ح) عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي أن أعرابيا قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر أي أن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) أي لا يخفى عليه شيء من أمركم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تخاصموهم (إلا بالتي هي أحسن) أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم (إلا الذين ظلموا منهم) أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية القتال (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم (آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية ﴿قوله عز وجل﴾ (وكذلك) أي كما أنزلنا إليهم الكتاب (أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) وذلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود إنما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يا محمد (من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون)

على القرآن أو القبول أو بسبب الطريق الموصل إلى وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) من جنس المجادلة بالأحسن وقال عليه السلام ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ... لم يجوز أن يكون إلا من بعض العاملين (وعليه وقولوا آمنا ...) بالله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الإنزال (أنزلنا إليك الكتاب) أي كما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) ... كم أنصار ... من أهل مكة (من يؤمن به) أو أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله ... وإن كانوا في عهد رسول الله عليه السلام (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ... من الأمم ... (وما كنت تتلوا) ... (... الكتاب) ...

ولا تخطه بيمينك ... ولا كنت قارئاً ... (إذاً لارتاب) ... لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لإنكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظاً في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف (وما يجحد بآياتنا) الواضحة (إلا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية مكي وكوفي وغير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة (٤٢٤) عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولست أملك شيئاً منها (وإنما أنا نذير مبين) كاشف الإنذار وإنما شأني أن أنذر بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان ... على معنى الحركة ... في معنى الحياة ... وقف على الحيوان لأن الغدير (لو كانوا يعلمون) ... الدار ... اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل ... (الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرحه أي ركبوا في الفلك ... (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص ... الله شهيداً) أي شاهداً بصدقي بما ادعيه من الرسالة وإنزال القرآن عليّ ... دونهم (الحق)... وا (إذا هم يشركون) عادوا إلى حال الشرك (يعلم ما في السموات والأرض) فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) ... بالكسر أي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا والمعنى ... (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام لا يخرج على خلاف عادة المؤمن من المخلصين على ... وفي صلاته ... روي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت ... والمعنى وعلى هذا الوجه على مشركي ... (ويستعجلونك بالعذاب) ... علينا حجارة من السماء الآية (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت الموت ... لكم ... ومن ساعة ... بالقوم ... لعلمهم والحكمة ... إلى ذلك الأجل المسمى (لجاءهم العذاب) ... (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقته ... في الأجل المسمى (يستعجلونك بالعذاب

من كتب أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) أي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (إذاً لارتاب المبطلون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة وقالوا إنه يقرؤه من كتب الأولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه إذاً لشكوا فيه واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدون نعته وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي كما أنزل على الأنبياء من قبل وقيل أرادوا بالآيات معجزات الأنبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) أي هو القادر على إنزالها إن شاء أنزلها (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما كلفت الإنذار وليس إنزال الآيات بيدي (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه أن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (إن في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكراً وعظة لمن آمن به وعمل صالحاً (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) قال ابن عباس معناه يشهد لي أني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) أي هو المطلع على أمري وأمركم يعلم حقي وباطلكم لا يخفى عليه شيء (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بعبادة ما سوى الله لأن ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فإن قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته أنه ذكر الثاني لبيان قبح الأول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان أن الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ... (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة ... لمدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة) ... الأجل (بغتة وهم لا يشعرون) بإتيانه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيداً (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد إلا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من

فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولا وقف على بالكافرين لأن يوم ظرف لمحيطة أي لمحيطة بهم
(ويقول) بالياء كوفي ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (يا عبادي) بسكون الياء بصري وكوفي غير عاصم (الذين
آمنوا إن أرضي واسعة) وبفتح الياء شامي يعني أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر
أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث
على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الديني من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل إذا ظهرت المعاصي والبدع في
أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب
الجنة (فإياي فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فإياي فاعبدوا فاعبدون بالفاء في فاعبدون لأنه جواب شرط
محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لأنه إذا أيقن بالموت سهل عليه مفارقة وطنها (ثم إلينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب ترجعون أبو بكر يرجعون ... والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) لننزلنهم من أعالي الجنة غرفا ... وقيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل الذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لنهدينهم إلى الوصول إلى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة

فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون ۞ قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة فإنها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي جاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاهربوا منها فإن أرضي واسعة وقيل إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى بلد يتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى إن أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أي كل أحد ميت فخوفهم بالموت ليهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم إلينا ترجعون) فنجزيكم بأعمالكم ۞ قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي لننزلنهم من الجنة غرفا وهي العلية (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أي لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم ۞ قوله عز وجل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فأنزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير (الله يرزقها وإياكم) حيث كنتم (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه أنها تذهب أول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار إلى أوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي ... الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو النفس ... وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروع أي الخوف أنه ليس من نفس تموت حتى تستكمل رزقها ...

العرف أما الجزاء فتجري لهم ولهم أولهم أوجب الإ ... بالمهم (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) ويوقف على العاملين على أن (الذين) ... على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر ... (وكأين من دابة) أي وكم من دابة وكأين بالمد والهمز مكي والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض ... أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها وإياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب ... سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية ... (في أدنى الأرض) أي في أقرب

من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نعته في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لإنكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف (وما يجحد بآياتنا) الواضحة (إلا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية مكي وكوفي غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة (٤٢٤) عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولست أملك شيئا منها (وإنما أنا نذير مبين) كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان (إن في ذلك) في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكر (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) ... (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي شاهدا بصدقي بما أديته من الرسالة وإنزال القرآن ... (يعلم ما في السموات والأرض) فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد على سبيل الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا يستعجلون العذاب استهزاء وتكذيبا والمستعجل هو النضر بن الحارث وأصحابه قالوا فأمطر علينا حجارة من السماء ... (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت الهلاك ... (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم) العذاب (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستعجلونك بالعذاب) ...

من كتب أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) أي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (إذا لارتاب المبطلون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي إليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا إنه يقرؤه من كتب الأولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه إنهم إذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا إن الذي نجده في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي كما أنزل على الأنبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الأنبياء قبله مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) أي هو القادر على إنزالها إن شاء أنزلها (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما كلفت الإنذار وليس إنزال الآيات بيدي (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه أن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (إن في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي أني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) أي هو المطلع على أمري وأمركم ويعلم حقي وباطلكم لا يخفى عليه شيء (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل عبادة الأصنام وما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فإن قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته أنه ذكر الثاني لبيان قبح الأول وهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان أن الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حيث قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) بإتيانه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيدا (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد إلا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من

اللهو القائم على الحيوان إلا أنه ولو وصل (الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين

الدين) وأما (إذا هم يشركون) عادوا إلى شركهم

العذاب

فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولا يقتصر على الكافر بل [illegible] (ويقول) بالياء كوفي ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (يا عبادي) وبسكون الياء بصري وكوفي غير عاصم (الذين آمنوا إن أرضي واسعة) وبفتح الياء شامي يعني أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الديني من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل إذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة (فإياي فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فإياي فاعبدوا فاعبدون وجيء

بالفاء في فاعبدون لأنه جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لأنه إذا تيقن بالموت سهل عليه مفارقة وطنها (ثم إلينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب ترجعون أبو بكر ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) لننزلنهم من الجنة علالي (لنثوينهم) حمزة وعلي [illegible] ثوى [illegible] نازلوا الداخلين [illegible] المودين للغرف [illegible] أحسن إلا الذين ظلموا [illegible] الغرفة [illegible] والآية تدل على جواز الإطناب مع الكفرة في [illegible] بالمقام (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) ويوقف على العاملين على أن (الذين صبروا) [illegible] على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي [illegible] (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة [illegible] قالوا [illegible] (وكأين من دابة) أي وكم من دابة وكائن بالمد والهمز مكي والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض [illegible] (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها وإياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله [illegible] ومن هؤلاء إلا [illegible] (إلا كما رزق) [illegible]

فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون ﴿ قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة فإنها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي جاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاهربوا منها فإن أرضي واسعة وقيل إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى بلد يتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى إن أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أي كل أحد ميت فخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم إلينا ترجعون) فنجزيكم بأعمالكم ﴿ قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي علالي جمع غرفة وهي العلية (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أي لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم ﴿ قوله عز وجل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فأنزل الله (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير (الله يرزقها وإياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أي لأقوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه أنها تذهب أول النهار جياعا ضامرة بطونها وتروح آخر النهار إلى أوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي [illegible] الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو النفس ولو بفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروع أي الخوف أنه ليس من [illegible]

[illegible] (والأرض وسخر الشمس والقمر) [illegible]

على كثرهما وسخر ما في الذي سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيده مع اقرارهم بهذا كله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم في الحديث ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على انزاله الماء لاحياء الارض أو على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نريهم من الآيات ونقيم عليهم من (٤٢٦) الدلالات أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أي وما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليست في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة (لو كانوا يعلمون) [illegible] (فاذا ركبوا في الفلك) [illegible] (دعوا الله مخلصين له الدين) [illegible] (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) [illegible] (ليكفروا بما آتيناهم) [illegible] (وليتمتعوا) [illegible] (فسوف يعلمون) [illegible] (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) [illegible]

[illegible] وقد زهدنا فيها الله وأخلوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته ﴿ قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) فلم لا يعبدونه فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخلق ذكر الرزق لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدر له) أي يضيق على من يشاء (ان الله بكل شيء عليم) أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي على أن الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بأنه خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون) أي انهم يقرون انه خالق هذه الاشياء ﴿ قوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه [illegible] (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة الباقية التي لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) [illegible] ﴿ قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك) [illegible] (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تركوا الاصنام وأخلصوا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك [illegible] (ليكفروا بما آتيناهم) أي ليجحدوا نعمة الله [illegible] (وليتمتعوا) معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به [illegible] (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم [illegible] ﴿ قوله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل [illegible]

[illegible] (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) [illegible] (يعلم ما في السموات) [illegible] (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) [illegible] (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) [illegible] (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة [illegible] (وليتمتعوا) [illegible] (أولم يروا) [illegible]

(أفبالباطل يؤمنون) أي بالشيطان والأصنام (وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد عليه السلام والإسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن جعل له شريكا (أو كذب بالحق) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أي لم يتلعثموا في تكذيبه حين سمعوه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوائهم في جهنم لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفي صار إيجابا

يعني ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل

مكة آمنون (أفبالباطل) يعني الشيطان والأصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والإسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي فزعم أن لله شريكا فإنه منزه عن الشركاء (أو كذب بالحق) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم ✿ قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) يعني جاهدوا المشركين لنصر ديننا (لنهدينهم سبلنا) لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة وهي التي توصل إلى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فإن الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا (وإن الله لمع المحسنين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

(تفسير سورة الروم وهي مكية)

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

✿ قوله عز وجل (الم غلبت الروم في أدنى الأرض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجلا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر إخواننا أهل فارس على إخوانكم من الروم فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة بالخاء المهملة القمار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت فارس على الروم غرمت وإن ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد قال ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر أبو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته

هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى في مقابلة مثواهم تؤدة وقراءة البائي (والذين جاهدوا) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنهدينهم سبلنا أبو عمرو أي لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير ولنوفقنهم لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقيل إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لنهدينهم إلى الوصول إلى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لنهدينهم سبل الإخلاص أو جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة والأنس بنا أو جاهدوا في طلبنا تحريا للرضا لنهدينهم سبل الوصول إلينا (وإن الله لمع المحسنين) بالنصر والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبى وبالوصل في الآخرة

سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية) * والاختلاف في تسع سنين (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم غلبت الروم) غلبت فارس الروم (في أدنى الأرض) أي في أقرب

الاسم من باب اضافة المصدر الى المفعول أي من بعد أن غلبتهم فارس (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس إياهم وقرئ بسكون اللام
فالغلب والغلبة مصدران وقد أضيف المصدر الى المفعول (سيغلبون) فارس ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث الى
العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبر مكة فشق على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل
كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر (٤٣٨) إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على

فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وأبعد في الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذريته أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة رضي الله عنه وهو مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة (لله الأمر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء تتصل بيفرح فوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك علي ألف درهم عرفا لأن ما سبقه في معنى الوعد وعامله محذوف تقديره وعد الله (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

وجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان
سبب غلبة الروم فارسا على ما قال عكرمة وغيره أن شهربراز لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم
حتى بلغ الخليج فبينا أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب قال لأصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير
كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهربراز إذا أتاك كتابي فابعث الي برأس أخيك فرخان فكتب
اليه أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان إن له نكاية وصولة في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس
خلفا منه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس إني قد عزلت عنكم
شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهربراز عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه
قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرخان فدفع البريد الصحيفة الى فرخان فلما قرأها
استدعى بأخيه شهربراز وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط فيه
وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد فرخان الملك
الى أخيه شهربراز وكتب الى قيصر ملك الروم أما بعد فإن لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف
فالقني ولا تلقني إلا في خمسين روميا فإني ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون
بين يديه في الطرق مخافة أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه فأخبروه أنه ليس معه إلا خمسون فارسيا فلما
التقيا ضربت لهما قبة ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين فدعا بترجمان بينهما فقال شهربراز
إن الذين خربوا بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبيت عليه ثم أمر
أخي أن يقتلني وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتما وأشار أحدهما الى صاحبه أن
السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان معا بسكينهما فأديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم
وقتلوا جنود كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من
المسلمين فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الأرض يعني أقرب أرض الشام الى فارس وقيل
هي أذرعات وقيل الأردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سيغلبون) أي الروم لفارس
(في بضع سنين) والبضع ما بين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل ما دون العشرة (لله الأمر من قبل
ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله) أي الروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم
على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي ينصر الله النصر
لمن يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمؤمنين ۞ قوله تعالى (وعد الله) أي وعد الله
وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي أن الله لا يخلف وعده

ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى وفيه إيذان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يثبتوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الأمر وأجال فيه فكره وما على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه (إلا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة

إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا (وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون وقال الزجاج أي لكافرون بلقاء ربهم (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) وحرثوها (وعمروها) أي المدمرون (أكثر) صفة مصدر محذوف وما مصدرية في (مما عمروها) أي من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) وقفت عليها الحذف أي فلم يؤمنوا فأهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره إياهم ظلما لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامي وكوفي (الذين أساؤوا السوأى) تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر وهو الذين أساؤوا موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لأن كذبوا أو بأن وهو يدل على أن معنى أساؤوا كفروا (بآيات الله وكانوا بها يستهزءون) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم إليه ترجعون) وبالياء أبو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) ييأس ويتحير يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس وييأس من أن يحتج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعوا) في المصحف بواو قبل الألف كما كتب علموا في بني إسرائيل وكذلك كتب السوأى بالألف قبل الياء إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها (وكانوا

ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها إنما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها ۞ قوله عز وجل (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) يعني لإقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم إذا انتهت إليه فنيت وهو يوم القيامة (وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الأرض) أي يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) أي حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعني الأمم الخالية (أكثر مما عمروها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي ببخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا) أي أساؤوا العمل فاجترحوا (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة أي الآية أن عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لأنهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين أن حملهم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزءون) ۞ قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم إليه ترجعون) أي فيجزيهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم يئسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني أصنامهم التي عبدوها (شفعاء) أي يشفعون لهم (وكانوا

[illegible]

يتميزون فالمسلمون والكافرون لا يجتمعان فيها قال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي بستان وهي الجنة والتنكير

لإبهام أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون قال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه

(٤٣٠)

أشركائهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون وقيل يسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الأوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال إذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة إلا وردت وسأل أبا هريرة رجل هل لأهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيحك بعضها بعضا فما سمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) ﴿﴾ قوله تعالى (فسبحان الله) أي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والأرض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له (وعشيا) أي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر (وحين تظهرون) أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم أنه إنما خص هذه الأوقات بالتسبيح لأن أفضل الأعمال أدومها والإنسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لأنه يحتاج إلى ما لا بد منه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الأوقات وأمره بها في طرفي النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فإذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس في أوقاتها كان كمن سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار ويبقى عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة

(فصل في فضل التسبيح) ﴿﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه في صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها ثم رجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه ويمحى أثره ﴿﴾ قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي يخرج

السارة فيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث (فأولئك في العذاب محضرون) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة قيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى نزهوه تنزيه اللائق به أو صلوا لله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والأرض) اعتراض ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه وفي السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر إذا دخل في وقت الظهيرة والقول الأكثر أن الصلوات الخمس فرضت بمكة (يخرج الحي من الميت) الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحي) ...

... قوله في كل يوم مائة ... الترمذي في بعض النسخ الذي بأيدي الناس الخارج بدون كل

الحيَّ من المائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف مدني وحمزي وعلي وحفص والباقون بالتشديد (ويحيي الأرض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك تخرجون) تخرجون حمزة وعلي وخلف أي ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم والكاف في محل النصب بتخرجون والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الميت من الحي وعكسه روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون إلى الثلاث وآخر سورة والصافات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب الأرض فإذا مات أجري له بكل حرف عشر حسنات في قبره قال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربوبيته وقدرته (أن خلقكم) أي أباكم (من تراب ثم إذا أنتم بشر) ثم آدم وذريته (تنتشرون) تتصرفون فيما هو قوام معايشكم وإذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أي حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من (٤٣١) أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم

النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيي الأرض بعد موتها) أي بالمطر وإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل إخراج النبات من الأرض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي تنبسطون في الأرض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا إليها) أي لتميلوا إلى الأزواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير ترحم بينهما إلا الزوجان (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينها حتى لا يكاد يسمع منطقان متفقين من كل وجه حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (وألوانكم) أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من الألوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الألسنة والألوان أن يعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلولا تفاوت الأصوات والصور لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة ولا يعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (إن في ذلك لآيات للعالمين) أي لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب الرزق في النهار (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أي للمسافر من الصواعق (وطمعا) أي للمقيم في المطر (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) قدرة الله وأنه القادر عليه (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض

وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر فقال لتسكنوا إليها أي لتميلوا إليها (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما في ذلك من الحكمة (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) أي اللغات أو أجناس النطق وأشكاله

(وألوانكم) كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله متفاوتون (إن في ذلك لآيات للعالمين) جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين أو المراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه القرآن (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي يسمعون سماع تفطن وتدبر (ومن آياته يريكم البرق) في يريكم وجهان إضمار أن كما في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أي أن تسمع أو سماعك وقوله (خوفا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) في الغيث أو خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي إرادة خوف وإرادة طمع أو على الحال أي خائفين وطامعين (وينزل من السماء) وبالتخفيف مكي وبصري (ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض

[illegible] بالذي [illegible] قيام السموات والارض [illegible] تفسير [illegible] ثم خروج الموتى من القبور [illegible] إذا هم [illegible]
وبعثه يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون
من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى
فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر
وقولك دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك (وله من في السموات والارض كل له قانتون) منقادون
لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذي يبدؤا الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أي البعث (أهون)
أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي
هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فوصف به الله عز وجل
وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله (٤٣٢) أكبر أي كبير والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء أو هو أهون
على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل خلقهم (وله المثل الاعلى في السموات والارض) اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله (وهو العزيز) اي القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) يهدأه [illegible] ضرب به الله للاسداء كانه [illegible] لا احد [illegible] من اقرب شيء منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (من ما ملكت ايمانكم) عبيدكم ومن للتبعيض (من شركاء) من مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم ومن عبيدكم وامائكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشاركوكم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) [illegible] (سواء) من غير تفصلة بين حر وعبد تحكم مماليككم في اموالكم كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوين خائفين [illegible] تحكم وتصاص اركم في المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم انفسكم) يعني يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الامثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) [illegible] الشرك لظلمهم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فمن يهدي [illegible]

أمره) قال ابن عباس وابن مسعود قاما على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بأمره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا أنتم تخرجون) اي منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون من الارض (وله من في السموات والارض كل له قانتون) أي مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما شيء عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شيء وقيل هو الذي [illegible] (في السموات والارض وهو) اي في ملكه (العزيز الحكيم) اي في خلقه قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أي بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل (من أنفسكم) ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت ايمانكم) أي عبيدكم واماؤكم (من شركاء فيما رزقناكم) أي من المال (فانتم فيه سواء) أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون ان يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بأمره دون شريكه وقيل تخافون حل [illegible] شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون ان يكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي (كذلك نفصل الآيات) أي الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في [illegible] الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) اي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدي [illegible]

أضل الله) أي أضله الله تعالى (وما لهم من ناصرين) من العذاب (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا
وهو تمثيل للإقبال على الدين والاستقامة عليه والاهتمام بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا)
حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى أنه خلقهم قابلين
للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح (٤٣٢) حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر
ومن غوى منهم فبإغواء
شياطين الجن والإنس ومنه
قوله عليه السلام كل عبادي
خلقت حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم
وأمروهم أن يشركوا بي
غيري وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون أبواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه وقال
الزجاج معناه أن الله تعالى
فطر الخلق على الإيمان به
على ما جاء في الحديث أن
الله عز وجل أخرج من
صلب آدم كالذر وأشهدهم
على أنفسهم بأنه خالقهم
فقال وإذ أخذ ربك إلى قوله
قالوا بلى وكل مولود هو من
تلك الذرية التي شهدت بأن
الله تعالى خالقها فمعنى فطرة
الله دين الله (التي فطر
الناس عليها) أي خلق
(لا تبديل لخلق الله) أي
ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة
أو تغير وقال الزجاج معناه
لا تبديل لدين الله ويدل
عليه ما بعده وهو قوله (ذلك
الدين القيم) أي المستقيم
(ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) حقيقة ذلك
(منيبين إليه) راجعين
(حال) ... الخ وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا
تكونوا معطوف ... ومن قوله فأقم وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لأمته فكأنه قال فأقيموا وجوهكم منيبين إليه أو العامل
كونوا من ... (واتقوه وأقيموا الصلاة) أي أدوها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره في العبادة
(من الدين) ... بدل من المشركين بإعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم وفارقوا وقرئ به على وهي قراءة علي رضي الله
عنه أي تركوا ... (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها (كل حزب) منهم (بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا منهم أنه

أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله ﴿ قوله
تعالى (فأقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه إلى الله تعالى به
الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده ﴿ قوله تعالى (حنيفا) أي مائلا إليه مستقيما عليه
(فطرت الله) أي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس
عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤوا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم زاد البخاري فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها
من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا فطرت الله الآية ولهما في رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا
قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد إلا على الفطرة يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله
ألست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد
غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولكن لا عبرة بالإيمان
الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا ترى إلى قوله
فأبواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك قال في معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته أي خلقته التي
خلقه الله عليها في علم الله تعالى ... من السعادة أو الشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليه وعامل في
الدنيا بالعمل المشاكل ... السعادة للطفل أن يولد بين مهودين أو نصرانيين فيحملانه على اعتقاد
دينهما وقيل معناه أن كل ... الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين
فلو ترك عليها لاستمر على ... الدين موجود حسنه في العقول السليمة وإنما يعدل عنه من يعدل
إلى غيره لآفة من آفات ... لم يعتقد غيره ثم مثل لأولاد اليهود والنصارى
وأتباعهم لآبائهم والميل ... وبيّن ذلك أن الفطرة السليمة والخلقة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء أي كاملة ... به لم يذهب منه شيء وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعني
هل تشعرون أو تعلمون ... هي المقطوعة الأذن أو الأنف ﴿ قوله عز وجل (لا تبديل لخلق الله)
أي لا تبدلوا دين الله وهو ... فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبديل لخلق
الله هو ما جبل عليه ... من السعادة فلا يصير الشقي سعيدا ولا السعيد شقيا وقيل الآية في
... أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ﴿ قوله عز وجل
(منيبين إليه) أي ... أقبل ... لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الأمة
والمعنى راجعين ... إليه بالطاعة (واتقوه) أي ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلاة)
أي داوموا على ... ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أي صاروا
فرقا ... قيل هم أهل البدع من هذه الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) أي

[illegible]

أي خلاصًا من الشدة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) في العبادة (ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الأمر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفركم فالأمر للتهديد (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته (بما كانوا به يشركون) ما مصدرية أي بكونهم بالله يشركون أو موصولة ويرجع الضمير إليها أي فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون ومعنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكًا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها) بطرًا بسببها (وإن تصبهم سيئة) أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (إذا هم يقنطون) من الرحمة وإذا للمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما في التعقيب (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه (٤٣٤) القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهب [illegible] (ذلك) أي إيتاء حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصًا (وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس) يريد وما أعطيتم أكلة الربا من ربا ليربو في أموالهم (فلا يربو عند الله) فلا

راضون بما عندهم ﴿قوله تعالى (وإذا مس الناس ضر) أي قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين إليه) أي مقبلين إليه بالدعاء (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) أي خصبًا ونعمة (إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أي ليجحدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم في هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرًا وقيل كتابًا (فهو يتكلم) أي ينطق (بما كانوا به يشركون) أي بشركهم ويأمرهم به (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا وبطروا (وإن تصبهم سيئة) أي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (إذا هم يقنطون) أي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره ﴿قوله عز وجل (فآت ذا القربى حقه) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو التصدق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) ﴿قوله عز وجل (وما آتيتم) أي أعطيتم (من ربا ليربو في أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها وقيل في [illegible] هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيب أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهو قوله (فلا يربو عند الله) وكان هذا حرامًا على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب [illegible] وقيل هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لأنه لم يرد به وجه الله (وما آتيتم من زكاة) أي أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) أي بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات ﴿قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط

اصل

يزكو عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أي وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر [illegible] يجعل له شريكًا من خلقه ومن منها فلا يربو عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله (وما آتيتم من زكاة) صدقة (تريدون وجه الله) [illegible] عندكم ومن لا عوض به مكافأة لا رياء ولا سمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الأضعاف من الحسنات ونظير المضعف [illegible] من ربا [illegible] أي وما أعطيتم من إعطاء الربا [illegible] أي لتزيدوا في أموالهم وقوله فأولئك هم [illegible] (سواء) [illegible] المقصم كأنه قيل [illegible] والمعنى المضعفون به لأنه لا بد له من ضمير يرجع [illegible] فأولئك هم المضعفون أي فأهلها هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها (ثم رزقكم) [illegible] (الله الذي خلقكم) [illegible] (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أي هو المختص بالخلق والرزق والإماتة والإحياء [illegible] أن يجعلوا أندادكم الذين زعمتم أنهم شركاء الله (من يفعل من ذلكم) أي من الخلق والرزق والإماتة والإحياء (من شيء) [illegible] المعاني وتوحيدها [illegible] (سبحانه وتعالى عما يشركون) [illegible] كل واحد [illegible] [illegible] (ظهر الفساد في البر والبحر) [illegible] والبحر [illegible]

[illegible] والقرى ومحق البركات من كل شيء (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة وبالنون قنبل (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بيأتي والمعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته (يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار إلى تفرقهم فقال

(من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أي يسوّون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتوء وغيره أو معنى أنه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف إليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه (ليجزي) متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (إنه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (أن يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح مفردا على إرادة الجنس (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا الآية (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات) أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الإضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي كفروا بالإهلاك في الدنيا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بإنجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا على معنى وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين والأول أصح (الله الذي يرسل الرياح) وبالياء مكي (فتثير سحابا

والمفاوز والقفار والبحر مثل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو أجواف الأصداف من اللؤلؤ وذلك لأن الصدف إذا جاءه المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فما وقع فيها من المطر صار لؤلؤا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الأرض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل إن الأرض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فأهلكوا بكفرهم قوله عز وجل (فأقم وجهك للدين القيم) الإسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (إنه لا يحب الكافرين) أي بالبعث وبما توعدهم قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي بالمطر وهو الخصب (ولتجري الفلك) أي بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) وأراد تجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي مع إنجائهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء * عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي بلفظ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي

[illegible] (كسفا) [illegible]

[illegible] (ويجعله كسفا) قطعا جمع كسفة أي يجعله منبسطا تارة بأن يجعله في السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة (فترى الودق) المطر (يخرج) في التارتين جميعا (من خلاله) وسطه (فإذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد إصابة بلادهم وأراضيهم (إذا هم يستبشرون) يفرحون (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر للتأكيد كقوله فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (لمبلسين) آيسين (فانظر إلى آثار) شامي وكوفي غير أبي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيي الأرض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها إن ذلك) أي الله (لمحيي الموتى) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات (وهو على كل شيء قدير) أي وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فرأوه) أي أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت (مصفرا) بعد اخضراره وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب (٤٣٦) مصفرا لأن السحاب الأصفر لا يمطر واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط

فسد مسد جوابي القسم والشرط (لظلوا) ومعناه ليظلن (من بعده يكفرون) أي من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمه ويحمدوه عليها ففرحوا وأن يصبروا على بلائه فكفروا (فإنك لا تسمع الموتى) أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكي (إذا ولوا مدبرين) فإن قلت الأصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة (وما أنت بهادي العمي) أي عمي القلوب وما أنت تهدي العمي حمزة (عن ضلالتهم) أي لا يمكنك أن تهدي الأعمى إلى الطريق إذا ضل عنه بإشارة منك (إن تسمع) ما تسمع (إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) منقادون لأوامر الله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) من النطف كقوله من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعني حال الشباب وبلوغ الأشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يعني حال الشيخوخة والهرم (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وهو العليم) بأحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا الترديد في الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير والفتح في الكل عاصم وحمزة والضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روي عن ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا (يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولا علم لهم (ما لبثوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائدها أو ينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب في الدنيا

بشره (فيبسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) أي قطعا متفرقة (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فإذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) أي يفرحون بالمطر (وإن كانوا) أي وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أي آيسين (فانظر إلى آثار رحمت الله) أي المطر والمعنى انظر إلى حسن تأثيره في الأرض وهو قوله تعالى (كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى) يعني أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى (وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أي الزرع بعد الخضرة (لظلوا من بعده) أي من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) أي بدأكم وأنشأكم على [illegible] وهو الرجل يعني على غيره ضعف وقيل هو إشارة إلى أحوال الإنسان كان جنينا ثم طفلا مولودا وفطيما [illegible] (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة [illegible] (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) وهو الرجل يعني هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق ما يشاء) أي من الضعف والقوة [illegible] من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) [illegible] (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يحلف المشركون (ما لبثوا) أي في الدنيا [illegible] أنهم ما لبثوا إلا [illegible] (غير ساعة) [illegible] (كذلك كانوا يؤفكون) أي يصرفون عن الحق في الدنيا [illegible] ﴿قوله تعالى

إلا ساعة وهذا على الاستقلال لما في الدنيا أو في القبور أو بين النفختين (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) هم الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله) في علم الله المثبت في اللوح أو في حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم) في الدنيا (لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفاء جواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه (فيومئذ لا ينفع) بالياء كوفي (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (ولاهم يستعتبون) أي لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله (٤٣٧) منهم اختيار الضلال حتى سموا المحقين

مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على أذاهم وعداوتهم (ان وعد الله) بنصرك على أعدائك واظهار دين الاسلام على كل دين (حق) لا بد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أي لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفنك بسكون النون عن يعقوب والله الموفق للصواب *(سورة لقمان مكية وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة في تلك حمزة بالرفع على ان تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أي هو أو هي هدى ورحمة (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا أو للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضلها (أولئك على هدى) مبتدأ وخبر (من ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطف عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري أخبار الأكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير التي لا أصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم يحلفان انه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت والاشتراء من الشراء كما روي عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي

والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لأهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم الى يوم البعث أي في قبوركم (فهذا يوم البعث) أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن يدل عليه قوله تعالى (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة وقيل لا يطلب منهم التوبة التي تزيل الجرم عن الأنبياء منهم قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) يعني ما أنتم الا على باطل وذلك على سبيل ... توحيد الخطاب في قوله ولئن جئتهم والجمع في قوله ان أنتم الا مبطلون فيه ... قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انكم كلكم أيها ... (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) أي في نصرك على عدوك (ولا يستخفنك) أي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستفزنك (الذين لا يوقنون) أي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة لقمان وهي مكية)

وأربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن

[illegible]

الحديث ... الحديث في المصحف ... كل البهيمة الحشيش أو التبعيض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه (ليضل) أي ليصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ليضل مكي وأبو عمرو أي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه (عن سبيل الله) عن دين الإسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلا منه بما عليه من الوزر به (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أبي بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري (هزوا) بسكون الزاي والهمزة حمزة وبضم

الحارث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي بهذا اللفظ عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية * وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليها حتى يموت لم أصل عليه إن الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن قال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب وقيل هو كل لهو ولعب [illegible] (عن سبيل الله) أي عن دين الإسلام واستماع القرآن (بغير علم) أي يفعله عن جهل [illegible] الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله هزوا (أولئك لهم عذاب مهين) وكان هذا [illegible] (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أي لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا [illegible] (كأن لم يسمعها) أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن في أذنيه وقرا) أي ثقلا وصمما [illegible] (فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خلق السماوات بغير عمد) [illegible] أن السماء خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في الفضاء يعضد بعضها بعضا ليس ذلك إلا بقدرة قادر مختار والمراد الإشارة قوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها ما يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك إلا بقدرة الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما أنه راجع إلى السماوات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد والوجه الثاني أنه راجع إلى العمد ومعناه بغير عمد مرئية (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) أي لئلا تتحرك بكم (وبث فيها) أي في الأرض (من كل دابة) أي نشر وفرق فيها (وأنزلنا من السماء ماء) يعني المطر وهو من إنعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعاينون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله

الزاي بلا همزة حفص وغيرهم بضم الزاي والهمزة (أولئك لهم عذاب مهين) أي يهينهم ومن لإبهامه يقع على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الإصغاء إلى القرآن (كأن لم يسمعها) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والأصل كأنه والضمير ضمير الشأن (كأن في أذنيه وقرا) ثقلا وهو حال من لم يسمعها أي مشابها (فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لأن (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره إذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وحقا دل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء فيهين أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما فعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم (خلق السماوات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسماوات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني ولا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة أو في محل الجر صفة لعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته (وألقى في الأرض رواسي) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطرب بكم (وبث) ونشر (فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتكم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله فأروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة (بل الظالمون في ضلال مبين)

أعرض عن ذكر ربهم الى التقليد علم بالشرك انه ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي اذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تتلمذ لألف نبي وتتلمذ له ألف نبي وأن في (أن اشكر لله) مفسرة والمعنى أي اشكر لله (٤٣٩) لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال السري السقطي الشكر أن لا تعصي الله بنعمه وقال الجنيد أن لا ترى معه شريكا في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان منفعته تعود اليه فهو يريد المزيد (ومن كفر) النعمة (فان الله غني) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد (واذ) أي واذكر اذ (قال لقمان لابنه) انعم أو اشكم (وهو يعظه يا بني) بالاسكان مكي يا بني حفص وفيه في كل القرآن (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهي منه ومن لا نعمة له أصلا (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) أي حملته تهن وهنا على وهن أي تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا (وفصاله في عامين) أي فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أن اشكر لي ولوالديك) هو تفسير لوصينا أي وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (الي المصير) أي مرجعك الي وحسابك علي

عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروي انه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس فأجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة واني أعلم ان الله ان فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعدل فبالحري ان ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعي قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر قوله (أن اشكر لله) وذلك لان العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) أي عائد نفعه عليه وكذلك (من كفر) عائد وبال كفره (فان الله غني) أي غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) أي محمود في أفعاله وان لم يحمده أحد قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو يعظه) وذلك لان أعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ في الوعظ بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف (وفصاله في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) لما جعل الصلة للوالدين صورة الترتيب وهو الطاهرة وهو الوجود والتربية في الحقيقة جعل الشكر لهما فقال اشكر لي ثم قال الى المصير يعني ان نعمهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر

[illegible] (واتبع سبيل من أناب
إليّ) أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه
أنوار خدمتي (ثم إليّ مرجعكم) أي مرجعك ومرجعهما (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما وقد
اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني إنا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما
في الشرك وإن جهدا كل الجهد لقبحه (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير للقصة وأنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال
* كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان (٤٤٠) بالنصب والضمير للهنة من الإساءة والإحسان أي إن كانت مثلا في

الصغر كحبة خردل (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض) أي فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي والأكثر على أنها التي عليها الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الأرض (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إن الله لطيف) يتوصل علمه إلى كل خفي (خبير) عالم بكنهه أو لطيف باستخراجها خبير بمستقرها (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فإنها تورث المنح (إن ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الأمور) أي مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام أي أمر به أمر إيجاب وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها (من
ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الأمم (ولا تصعر خدك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو
عمرو ونافع وحمزة وعلي وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق
وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون (ولا تمش في الأرض مرحا) أي تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال أي مرحا ولا تمش لأجل المرح
والأشر (إن الله لا يحب كل مختال) متكبر (فخور) من يعدد مناقبه تطاولا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (في مشيك) أي
اعتدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول
عائشة في عمر رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا
ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك [illegible]

بشكره وشكر الوالدين قال الفراء على وقت الفصال الى قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات
الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وإن جاهداك على أن
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال النخعي يعني إن طاعتهما واجبة فإن أرادا منك الشرك بي
فلا تطعهما في ذلك لأنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو
البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب إليّ) أي اتبع دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب إليّ يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان
وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم
إنه صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد
أبي بكر (ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) وذلك أن ابن
لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يا بني إنها أي الخطيئة إن تك
مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتكن) أي مع صغرها (في صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت
الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الأرض على
حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو
وهي التي ذكر لقمان ليست في الأرض ولا في السماء فلذلك قال (أو في السموات أو في الأرض)
على متن الريح والريح على القدرة (يأت بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله
لطيف) أي باستخراجها (خبير) أي بمكانها ومعنى الآية لله الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها قيل
إن هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمها فمات (يا بني أقم الصلاة
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الأذى (إن ذلك من عزم الأمور) يعني إقامة
الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى من الأمور الواجبة التي أمر الله بها
(ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك
إذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنه وقيل هو الذي إذا سلم عليه لوى
عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحقر الفقراء وليكن الفقير والغني عندك سواء (ولا تمش في الأرض مرحا)
أي خيلاء (إن الله لا يحب كل مختال) في مشيته (فخور) أي على الناس (واقصد في مشيك) أي ليكن
في مشيك قصد بين الإسراع والتأني أما الإسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف
تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وانقص

(من صوتك) وانقص منه أى اخفض صوتك (ان أنكر الاصوات) أى أوحشها (لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثورى صياح كل شئ تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت فى غاية الكراهة يؤيده ما روى انه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون جهير الصوت وانما وحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما فى الارض) يعنى البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وأسبغ) وأتم (عليكم نعمه) مدنى وأبو عمرو وسهل وحفص نعمة غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) ما لا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك وروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الشرائع والخلق والخلق وقيل العطايا وصرف البلايا وقيل الخلق والرزق وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير) (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى

(من صوتك ان أنكر) أى أقبح (الاصوات لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثورى فى هذه الآية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها وائتنى بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والتقنع فانه مخوفة بالليل مذلة بالنهار وقيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا ﴿قوله عز وجل (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ) أى أتم وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أفيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) ﴿قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يخلص لله دينه ويفوض اليه أمره (وهو محسن) أى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه ولا ارتياب فى وثاقته وقيل ترقى الى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) أى لا يخفى عليه شئ من سرائرهم ﴿قوله تعالى (نمتعهم قليلا) أى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) أى نلجئهم ونردهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات

ه الى وقيل من أسلم وجهه لله باللام فانه مع اللام يفعل جهته سالما لله أى خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هى ما يتعلق به الشئ (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن يحزن فيه انه لا يحزنك كفر من كفر (الينا مرجعهم) أى فننبئهم بما عملوا) فنعاقبهم على أعمالهم (ان الله عليم بذات الصدور) ان الله يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم قليلا) زمانا قليلا بدنياهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (ولئن سألتهم من خلق السموات

... الزامهم على اقرارهم بأن الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون ان هذا أي الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد بقوله (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى أن الاشجار أقلام في حال كون البحر ممدودا وقرئ يمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه (٤٤٣) ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت أقلاما وأوثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلم وهي جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه (ان الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفد كلماته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به أي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) أي يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أي كل واحد من الشمس والقمر (يجري) في فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبأنه عالم بكنه ما تعملون ... ما على قدر وحساب وباحاطة علمه بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) بالياء عراقي غير أبي بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلي الشأن الكبير السلطان (ألم تر أن الفلك) وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجري في البحر بنعمة الله) باحسانه ورحمته وبالريح لان الريح من نعم الله (ليريكم من آياته) عجائب قدرته في البحر اذا ركبتموه (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه ... (واذا غشيهم) ... كالظلل ...

والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسألونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفعنيتنا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمروا وفد قريش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فأنزل الله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام أي بريت أقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم (والبحر يمده) أي يزيده وينصب فيه (من بعده سبعة أبحر) أي مدادا والخلائق تكتب به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لانها لا نهاية لها (ان الله عزيز حكيم) ﴿ قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء (ان الله سميع) أي لاقوالكم (بصير) بأعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له الصفات العلى والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير ﴿ قوله تعالى (ألم تر أن الفلك) أي السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمة الله) أي ذلك من نعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) أي من عجائب صنعه (ان في ذلك لآيات لكل صبار) أي على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كالظلل)

الموج وارتفع فصار فيغشيهم كالظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) أي باق على الإيمان والإخلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أي بحقيقتها (إلا كل ختار) غدار والختر أقبح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) لا يقضي عنه شيئا والمعنى لا يجزي فيه فحذف (ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لأن الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر فأريد حسم أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده إذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك كذا في الكشاف (إن وعد الله) (٤٤٣) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزينتها فإن نعمتها دانية ولذاتها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الأمل (إن الله عنده علم الساعة) أي وقت قيامها (وينزل) بالتشديد شامي ومدني وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره إن الله ثبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) في إبانه من غير تقديم ولا تأخير (ويعلم ما في الأرحام) أذكر أم أنثى وتام أم ناقص (وما تدري نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها. روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا فقال له ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجبا منه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يختص بها ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان معرفة ما عداهما أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على أنه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضي الله عنه هو إشارة إلى هذه الآية فإن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله

أي كالجبال وقيل كالسحاب شبه الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه أن الإنسان إذا وقع في شدة ابتهل إلى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فإذا تخلص من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح ورجع عكرمة إلى مكة وأسلم وحسن إسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار) أي غدار (كفور) أي جحود لأنعمنا عليه. قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي خافوا ربكم (واخشوا) أي وخافوا (يوما لا يجزي) أي لا يقضي ولا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) قيل معنى الآية أن الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالأعلى على الأدنى وبالأدنى على الأعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها فإذا كان يوم القيامة فكل إنسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه (إن وعد الله حق) قيل إنه تحقيق لليوم ومعناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق لعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الأول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي بلذاتها (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة. قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فما تلد ولقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ومعنى الآية أن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو أي يوم ليلا أو نهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا إلا الله (ويعلم ما في الأرحام) أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلق أم ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي ليس أحد

[illegible] (الم) [illegible]

[illegible] (تنزيل الكتاب) ان جعلت الم تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه)

او يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل

لا ريب في ذلك اى في كونه منزلا من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله أبعد شيء من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا (لتنذر قوما) أي العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) ما للنفي والجملة صفة لقوما (لعلهم يهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحداثه (ما لكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لكم وليا

من الناس تعلم أين مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) اي بهذه الاشياء وبغيرها (خبير) أي بسرائر الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيأ من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى اعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة السجدة وهي مكية)

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني بتذرهم واتباعك اياهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) تقدم تفسيره قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الآمر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم مثل خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمن فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمن الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني

أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أفلا تتذكرون) فتطيعوا الله (يدبر الامر) اي امر الدنيا (من السماء الى الارض) الى ان تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله اى يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا يعد لطول ذلك اليوم [illegible] كالامر [illegible] قوله اني ذاهب الى ربي اى مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) اى الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه

(...) [illegible] (الرحيم) [illegible] (الذي أحسن كل شيء) أي حسنه لأن كل شيء مرتب
على ما اقتضته الحكمة (خلقه) [illegible] على الوصف أي كل شيء خلقه [illegible] على البدل أي أحسن خلق
كل شيء (وبدأ خلق الإنسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء) أي مني وهو سلالة (مهين)
ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في أحسن تقويم (ونفخ) أدخل (فيه من روحه) الإضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشيء
الذي اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا
(وقالوا) القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم (أئذا ضللنا في الأرض) أي صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض
لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا في الأرض بالدفن فيها وقرأ علي ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف في أئذا ضللنا بما يدل عليه (أئنا لفي خلق جديد) وهو نبعث (بل هم بلقاء ربهم كافرون) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حقي من فلان إذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست
يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لأفعال
المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها (ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا (إذ المجرمون) هم الذين قالوا أئذا ضللنا في الأرض ولو وإذ للمضي
وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذ ظرف له (ناكسو رءوسهم) من
الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف إذ المعنى يقولون (ربنا أبصرنا) صدق وعدك ووعيدك
وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحا) أي الإيمان والطاعة (إنا موقنون) بالبعث
والحساب الآن (ولو شئنا

الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا يخفى عليه خافية والشهادة يعني ما حضر وظهر (العزيز) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهل طاعته ﴿قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه وعلمهم إياه وقيل معناه أحسن إلى كل خلقه (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلالة) أي من نطفة تسل من الإنسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف الروح إليه إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد أن كنتم نطفا أمواتا (السمع والأبصار والأفئدة) قيل قدم السمع لأن الإنسان يسمع أولا كلاما فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لأن الإنسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلا ما تشكرون) يعني أنكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه إلا قليلا ﴿قوله تعالى (وقالوا) يعني منكري البعث (أئذا ضللنا) هلكنا (في الأرض) والمعنى صرنا ترابا (أئنا لفي خلق جديد) استفهام إنكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي بأنه لا يغفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا يشغل له إلا ذلك وروي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الأرض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل إن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فتنزع أعوانه روح الإنسان فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن ينزل بك سكرات الموت وقوله (ثم إلى ربكم ترجعون) أي تصيرون إلى ربكم أحياء فيجزيكم بأعمالكم ﴿قوله عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون) أي المشركون (ناكسو رءوسهم عند ربهم) أي مطأطئوها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا أبصرنا) أي ما كنا به مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما أتت به رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فارددنا إلى الدنيا (نعمل صالحا إنا موقنون) أي في الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الإيمان (ولو شئنا

لآتينا كل نفس هداها) أي رشدها وتوفيقها للإيمان (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والإنس (فذوقوا) أي فإذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا إنا نسيناكم) أي تركناكم اليوم في العذاب [illegible] كما يفعل بالناسي [illegible] (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب ۞ قوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ۞ قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة وقال أنس نزلت فينا معشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الأوابين وروي عن ابن عباس قال إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة

(فصل في فضل قيام الليل والحث عليه) عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الآثام ومطردة للداء عن الجسد أخرجه الترمذي * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه

لما ألقاهم أنصار الكفر وإيثاره وبخته على المعرفة قال عندهم شاء الله أن يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم يهتدوهم أولوا الآية تشبيه الكفر وهو تأويل فاسد لما عرف في تفسير الآية (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ولكن وجب القول مني [illegible] أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفي تخصيص الإنس والجن إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء) بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الإيمان به (إنا نسيناكم) تركناكم في العذاب كالمنسي (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله عما لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتتنحى (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع [illegible] فعول
الليل [illegible] قال سهل وهب لهم نورا [illegible] وجعلهم من أهل [illegible] تتجافى جنوبهم عن المضاجع

(يدعون) داعين (ربهم) عابدين له (خوفا وطمعا) مفعول له أي لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة يعني صلاة الليل وعن أنس كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) ما بمعنى الذي أخفي على حكاية النفس حمزة ويعقوب (من قرة أعين) أي لا تعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أي جوزوا جزاء (بما كانوا يعملون) عن الحسن رضي الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على أن المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين أن من كان في نور الطاعة والإيمان لا يستوي مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستوون) على المعنى بدليل قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنان تأوي إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش (بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أي ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) أي يقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا من الأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الأكبر) أي عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة وعن الداراني العذاب الأدنى الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران وقيل العذاب الأدنى عذاب القبر (لعلهم) لعل المعذبين بالعذاب الأدنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) أي بالقرآن (ثم أعرض عنها) أي فتولى عنها ولم يتدبرها وثم للاستبعاد أي أن الإعراض عنها بعد ...

فيقول الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصصه يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث ﴿ وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل هو عام في الواجب والتطوع ﴿ قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) أي مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴿ قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فإنك صبي وأنا شيخ والله إني أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فإنك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي التي يأوي إليها المؤمنون (نزلا) هو ما يهيأ للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعني من الطاعات في دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) ﴿ قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) أي سوى العذاب الأكبر قال ابن عباس العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وعنه أنه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أي إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن ذكر بآيات ربه) أي بدلائل وحدانيته وإنعامه عليه (ثم أعرض عنها) أي ترك الإيمان

... استبعاداً لمن ذكر ... (إنا من المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن في مرية) شك (٤٤٨) (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه في الآخرة كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلنا منهم أئمة) بهمزتين كوفي وشامي (يهدون) الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه (بأمرنا) إياهم بذلك (لما صبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصي لما صبروا حجازي وعلي أي لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس (وكانوا بآياتنا) التوراة (يوقنون) يعلمون علماً لا يخالجه شك (إن ربك هو يفصل) يقضي (بينهم يوم القيامة) بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر المحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف أي أولم يدع (يهد) يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد (لهم) لأهل مكة (كم) لا يجوز أن يكون كم فاعل يهدي لأن كم لا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) أي أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ فيتعظوا (أولم يروا أنا نسوق الماء) نجري المطر والأنهار (إلى الأرض الجرز) أي الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعي ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ... (فنخرج به) ... (زرعاً تأكل منه) ... (أنعامهم) ... (وأنفسهم) ... (أفلا يبصرون)

بها (إنا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه أنهم لما لم ينتفعوا بالعذاب الأدنى فإنا منهم منتقمون بالعذاب الأكبر قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في مرية) أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره فإن قلت قد صح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة وعند مراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس ثم لما صعد إلى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فإن قلت كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه بأجوبة أحدها أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد ماتوا فإنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن تفنى ثم يرحلون إلى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن رفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غايته أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقائه أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم) أي من بني إسرائيل (أئمة) أي قادة في الخير يقتدى بهم وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل وقيل هم أتباع الأنبياء (يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس إلى طاعة الله (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي أنهم أيقنوا بآيات الله تعالى (إن ربك هو يفصل) أي يقضي ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الأنبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى (أولم يهد لهم) أي يتبين لهم (كم أهلكنا) أي كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) أي الأمم الخالية (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم إذا سافروا (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) أي آيات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) أي الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقيل هي أبين (فنخرج به) أي بذلك الماء (زرعاً تأكل منه أنعامهم) أي العشب والتبن (وأنفسهم) أي من الحبوب والأقوات (أفلا يبصرون) أي

[illegible] على أعدائهم المؤمنين (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (إن كنتم صادقين) في أنه كائن (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلا ينفعكم الإيمان أو استنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فإنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق (٤٩) (فأعرض عنهم وانتظر) النصرة وهلاكهم (إنهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

(سورة الأحزاب مدنية)
وهي ثلاث وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبي بن كعب رضي الله عنه لزر كم تعدون سورة الأحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض (يا أيها النبي) وقالها ربانيا أي يا أيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحبابنا ولم يقل يا محمد كما قال يا آدم يا موسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريح اسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله (اتق الله) اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شيء واحترس منهم فإنهم أعداء الله والمؤمنين روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبي وأعطاهم النبي الأمان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تنفع وتشفع وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهم المسلمون بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا (إن الله كان عليما) بخبث أعمالهم

فيقتروا ﴿ قوله تعالى (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار إن لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا يقبل منهم الإيمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) أي موعدي لك بالنصر عليهم (إنهم منتظرون) أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابهم فإنهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي زاد في رواية قال طاوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بستين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية)

وثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وأبا عكرمة وأبا الأعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (إن الله كان عليما) أي

إليك (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أي لم يزل عالما بما تعملونه وأعمالكم قيل إنما جمع لأن المراد بقوله اتبع هو وأصحابه أو بالنسبة للأمر والنهي
بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) حافظا
موكولا إليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم
اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) أي ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في
رجل والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر فلا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه وإما أن
يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم يحكم أيضا

تخافه ولن أن تعلمهم (حكيما) في تدبيره لهم (واتبع ما يوحى إليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك
طاعة الكافرين والمنافقين (إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله) أي ثق بالله وكل أمرك إليه
(وكفى بالله وكيلا) أي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك ﴿ قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)
نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه
الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين
يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال
الناس فقال انهزموا فقال له فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما
في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن ابن ظبيان قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال
المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون أن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فخطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للإنسان في صلاته
وقيل في معنى الآية إنه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله وكان ذلك أمرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها
أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فإن المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله بأحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل
ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لأنه لا يخلو إما أن يفعل
بأحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج إليه وإما أن يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك
فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان
متنافيتان وكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون رجل واحد ابن رجلين ﴿ قوله
تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) وصورة الظهار قول الرجل لامرأته أنت
علي كظهر أمي يقول الله وما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر من القول
وزور وفيه كفارة وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله في سورة المجادلة ﴿ قوله تعالى (وما جعل أدعياءكم) يعني
الذين تتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبني وذلك أن الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن
المولود يدعوه إليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي
وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت
جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل الله
هذه الآية ونسخ التبني (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب

أن تكون المرأة الواحدة
أما لرجل زوجة له لأن الأم
مخدومة والمرأة خادمة
وبينهما منافاة وأن يكون
الرجل الواحد الرجل
وابنا له لأن الابن مضاف إلى
النسب والدعوة الصاق
عارض بالتسمية لا غير ولا
يجتمع في الشيء الواحد أن
يكون أصيلا غير أصيل
وهذا مثل ضربه الله تعالى
في زيد بن حارثة وهو رجل
من كلب سبي صغيرا فاشتراه
حكيم بن حزام لعمته خديجة
فلما تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهبته
له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأعتقه وتبناه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فلما تزوج النبي
صلى الله عليه وسلم زينب بنت
جحش وكانت تحت زيد قال
المنافقون تزوج محمد امرأة
ابنه وهو ينهى عنه فأنزل
الله هذه الآية وقيل كان
المنافقون يقولون لمحمد
قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فأكذب الله قولهم وضربه مثلا لا
في الظهار والتبني والتنكير في رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدا لما قصد من المعنى كأنه قال لا يكون هذا
اللائي بالهمز وتحذف الهمزة مع كسر الياء وتسهيل وهي جمع التي تظاهرون بتشديد الظاء وعلى كسرها وتخفيف ثم بتخفيف
تظاهرون بتاء ونون من الظهار بمعنى تتظاهر بمعنى تتطهرون من الظهر بمعنى الظهر وعدى بمن لتضمنه معنى التبعد لأنه كان طلاقا في الجاهلية وإطلاق
من امرأة المتبنين من الأعدعية بقائه الآية ففي الآية ابن الذي هو في حله وأقسم بل من هو اتخذه ولدا فقال زيد
الذي يتبنى ولذا جمع على أدعياء شذوذا لأن بابه ما كان مفعولا في فاعل كتقي وأتقياء وأشقياء لا كنت الذي مسورته مفعول
إلا طي (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي إن ذلكم قول ... لا حقيقة له إذ لا يكون ابنا

الإثم (والله يقول الحق) أي ما هو حق ظاهره وباطنه (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق فقوله (ادعوهم لآبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) وبيّن أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية (فإن لم تعلموا آباءهم) فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم (فإخوانكم في الدين ومواليكم) أي فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الأخوة في الدين والولاية فيه (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الإثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الأولى ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده وإذا وجد التبني فإن كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنًا منه ثبت نسبه منه وعتق إن كان عبدًا له وإن كان أكبر سنًا منه لم يثبت النسب وعتق عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعتق إن كان عبدًا (وكان الله غفورًا رحيمًا) لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أحق بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه أو هو أولى بهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن (وأولوا الأرحام) وذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله (من المؤمنين

لا تعيقه (والله يقول الحق) أي قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد إلى سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) أي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو أقسط عند الله) أي أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله الآية (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين) أي فهم إخوانكم (ومواليكم) أي كانوا محررين وليسوا بنيكم أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن تدعوه إلى غير أبيه وهو يظن أنه كذلك (وكان الله غفورًا رحيمًا) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام ﴿ قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالًا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتني فأنا مولاه عصبته المسمون بسوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعًا أي عيالًا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعًا فإن كسرت الضاد كان جمع ضائع ﴿ وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر إليهن والخلوة بهن فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن هن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان أن معنى الأمومة إنما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم

بعضهم) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز وهو أن توصوا إلى أحد من هؤلاء بشيء فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي التوارث بالأرحام كان مسطورا في اللوح (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) واذكر حين أخذنا من النبيين مواثيقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه وإنما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أي الأنبياء

(والمهاجرين) يعني أن ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والإخاء والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الإيمان والهجرة وقيل معناه إلا أن توصوا إلى قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا ﴿قوله تعالى﴾ (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس إلى عبادته وينصحوا لقومهم (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روي بإسناد الثعلبي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعني أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى أنهم صادقون تبكيت من أرسلوا إليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (إذ جاءتكم جنود) يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحا) يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون إلا ذهب حزنه ﴿قوله تعالى﴾ (وجنودا لم تروها) يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور

(عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم أممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وأعد للكافرين) بالرسل (عذابا أليما) وهو عطف على أخذنا لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أي ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة (إذ جاءتكم جنود) أي الأحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحا) أي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا فبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنسوان فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر

... الملائكة في حوافر خيلهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلموا الي فاذا اجتمعوا اليه قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما تعملون بصيرا)

*(ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب)

قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان ٢ وقيس عيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجب ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان وضرب بها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورقي فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضاءت لي

(وكان الله بما تعملون) أي بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالياء أبو عمرو أي بما يعمل الكفار من التحزب والسعي في اطفاء نور الله

٢ قوله غطفان الخ كذا بالاصل وفي المواهب خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان زاد شارحها بعين مهملة قال الجوهري وليس في العرب عيلان غيره اهـ مصحح

فيها قصور ... من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت
الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة
عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق ووعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا
تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم
إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن وإذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم إن العيش عيش الآخره فاغفر للأنصار
والمهاجره فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا * إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض إبطه رجع إلى حديث ابن إسحاق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة من الجرف والغابة في
عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد
حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم
إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء
فرفعوا إلى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب
عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن
أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي إنك
امرؤ مشؤوم إني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح لي أكلمك
قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني إلا على جشيشتك أن آكل معك فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب
جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة
وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا
حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس
فيه شيء ويحك فدعني ومحمدا وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة
والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك
في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ
سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن
عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا
تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم
على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد
ابن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم أربى من
المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر

مثل الفارقة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب أبي سفيان من عدوه وأصحابه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم
من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن
قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى
الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وقال أوس بن قيظي أحد بني حارثة يا رسول الله إن بيوتنا عورة من
العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا فإنها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل
والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن
عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به
أم أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأني قد رأيت العرب قد
رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ
يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن
يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من
حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول
سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي
وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو
بني محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيؤوا للحرب يا بني كنانة
فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت
العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين
الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت
الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم
الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل
من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداهما قال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى
الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي
لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي
فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان
منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي
وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله
فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق
في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب
علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته وهو يقول * لا بأس
بالموت إذا حان الأجل * فقالت له أمه الحق يا بني فقد والله أخرت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لوددت أن
درع سعد كانت أسبغ مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه

[illegible] بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة فقال له سعد
عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فإنه لا قوم أحب
إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي
شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن إسحاق فحدثني
أن صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان
قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا أتانا آت فقلت
يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود
وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله
لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من
الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان انزل إليه فاسلبه
فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم إن
نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي
لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن
استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال لهم
يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشا
وغطفان جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم
وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم
بغيره فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل
ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على أن تقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأي ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال
لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمدا فقد بلغني أمر رأيت حقا
علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم
وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من
أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم أن نعم فإن بعثت إليكم
يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر
غطفان أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل
فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما
صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في
نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا
ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا
حدثا فأصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا
ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا
والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش
وغطفان تعلمن والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم
رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم

الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى عكرمة عن ابراهيم التيمي عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا وخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجند الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفء فأدناني النبي صلى الله عليه وسلم فأنامني عند رجليه وألقى علي طرف ثوبه فألصق صدري ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (إذ جاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الاعور عمرو ابن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم (واذ زاغت الابصار) اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) اي زالت عن أماكنها حتى بلغت القلوب من الفزع الحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وقيل ان الجبان اذا اشتد خوفه انتفخ سحره واذا انتفخ سحره رفع القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا)

(ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روي ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انه يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم قرأ أبو عمرو وحمزة الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدني وشامي وأبو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف في الوقف مكي وعلي وحفص ومثله الرسولا والسبيلا

الأول (وإذا جاءهم ...) قيل هو وصف الاشتقاقي بالواو كقوله * إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) روي أن معتب بن قشير قال حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (وإذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لا مقام لكم) وبضم الميم حفص أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الإيمان إلى الكفر أو من عسكر رسول الله إلى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أي بنو حارثة (يقولون إن بيوتنا عورة) أي ذات عورة (وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا إذا بدا منه خلل يخاف (٤٥٨) منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم عرضة للعدو والسارق لأنها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أي ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع (الفتنة) أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها لأتوها لفعلوها بالقصر أي لجاؤوها وفعلوها (وما تلبثوا بها) بإجابتها (إلا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصادمة الأحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام وحبهم الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب (لا يولون الأدبار) منهزمين (وكان عهد الله مسئولا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وإن لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا إلا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي مما أراد الله إنزاله بكم (إن أراد بكم سوءا) في أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أي إطالة عمر في عافية [illegible]

أي اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون أنه يستأصل محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلي المؤمنون) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلزالا شديدا) أي حركوا حركة شديدة (وإذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور * قوله تعالى (وإذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني يا أهل المدينة قيل يثرب اسم الأرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالقة كان نزلها وفي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ (لا مقام لكم) أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أي إلى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثة وبني سلمة (يقولون إن بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) أي إنهم لا يخافون ذلك إنما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب من نواحي المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لآتوها) أي لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام (وما تلبثوا بها) أي ما احتبسوا عن الفتنة (إلا يسيرا) أي لأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا * قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الأدبار) أي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك (وكان عهد الله مسئولا) أي عنه في الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل) يعني الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل (وإذا لا تمتعون) أي بعد الفرار (إلا قليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من الله إن أراد بكم سوءا) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ي

[illegible] يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنع وهم المنافقون (والقائلين لإخوانهم) في الظاهر من المنافقين (هلم إلينا) أي قربوا أنفسكم إلينا ودعوا محمدا وهي لغة أهل الحجاز فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر وقرب (ولا يأتون البأس) أي الحرب (إلا قليلا) إلا إتيانا قليلا أي يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشحة) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في يأتون أي يأتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فإذا جاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام (٤٠٩) (رأيتهم ينظرون إليك) في تلك الحالة (تدور أعينهم) يمينا وشمالا (كالذي يغشى عليه من الموت) كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك (فإذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم (سلقوكم بألسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب سلاق وصحصح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم (أشحة على الخير) أي خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة نصب على الحال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) في الحقيقة بل بالألسنة (فأحبط الله أعمالهم) أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال (وكان ذلك) إحباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد [illegible]

باصرا عينهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) أي ارجعوا إلينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلت إليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا وإنا نشفق عليكم فأنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا فأقبل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ما ترجون من محمد فما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا ههنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا ﴿قوله تعالى﴾ (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (إلا قليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصر وصفهم الله بالبخل والجبن (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) أي في رؤوسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فإنه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فإذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الأمن (بألسنة حداد) أي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فإنا شهدنا معكم القتال فلستم بأحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أي بخلاء بالخير عند الغنيمة وقيل على هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الإيمان وإن أظهروا الإيمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي إحباط أعمالهم مع أن كل شيء على الله يسير ﴿قوله تعالى﴾ (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الأحزاب) يعني قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وإن يأت الأحزاب) أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الأعراب من الجبن والخوف (يسألون عن أنبائكم) أي عن أخباركم وما آل إليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا إلا قليلا) يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني أن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال

انصرفوا (وإن يأت الأحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) البادون جمع البادي أي يتمنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد أو فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله واليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قال الزجاج [illegible]

(وذكر الله كثيرا) أي في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أي قالوا ذلك تسليما لأمر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) أي فيما وعدا وهو في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس إشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل إنهم وعدوا أن يلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم إلا إيمانا) أي تصديقا بالله (وتسليما) أي لأمره ﷺ قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبديلا) (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية (ق) عن خباب بن الأرت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الإذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنيها ويقطفها * عن أبي موسى ابن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ﷺ قوله عز وجل (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي فيهديهم إلى الإيمان ويشرح له صدورهم (إن الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا) أي من قريش وغطفان (بغيظهم) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) أي ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) أي بالملائكة والريح (وكان الله قويا)

... الأحزاب ... والرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) ...
... رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إن الأحزاب سائرون إليكم في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا (٤٦٠) إشارة إلى الخطب والبلاء (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومجيئهم (إلا إيمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره أي صدقني في سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أي مات شهيدا كحمزة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لأن كل حي من المحدثات لا بد له أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب كما في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء) إذا أي لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) إن تابوا (إن الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفو الحوبة جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بسبب نقضهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الأحزاب (بغيظهم) حال أي مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا

[illegible] (وأنزل الذين ظاهروهم) عاونوا الأحزاب (من أهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيهم) من حصونهم والصيصية
بالمنعة روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي (٤٦١) انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون

أي في ملكه (عزيزا) أي في انتقامه ﷺ قوله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم) أي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف (فريقا تقتلون) يعني الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها) يعني بعد قيل هي خيبر وقيل إنها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل أرض تفتح على المسلمين إلى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا)

(ذكر غزوة بني قريظة)

وقد كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال إن الله تعالى يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهض إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنا فأذن أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى إذا دنا من الحصون وسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته فقالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجال بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولا نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد

إلى المدينة ووضعوا السلاح على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فإن الله داقهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وبضم العين شامي وعلي ونصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي المواشي والنقود والأمتعة روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال لهم إنكم في منازلكم (وأرضا لم تطؤها) بعد يعني مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا

[illegible] ولم نترك وراءنا [illegible] نخشى عليه وإن نظهر فلعمري [illegible]
المساكين فما خير العيش بعدهم قال فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد
أمنوا فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا
إلا من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازما ثم
إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وأجهش إليه النساء
والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه
إنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه
ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد إلى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله
علي مما صنعت وعاهد الله لا أطأ أرض بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي
أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت
أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله
سنك قال تيب على أبي لبابة فقلت ألا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى إن شئت قال فقامت على باب حجرتها
وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس إليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا إلى الصبح أطلقه قال ثم إن ثعلبة
ابن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق
ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج
في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة
الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة
في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم
لا تحرمني من عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال
ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله إنهم
موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول
فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل
منكم قالوا بلى قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة
امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من
المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة
حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد
وطأوا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا
عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه
قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى
لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال
وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة
ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم في تلك
الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو
سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي
لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه
وسلم وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة
لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في
عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر
وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة
الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتل رجالهم بالسوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت لها ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت
لحدث أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد
قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن
اسحق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس
في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم بني قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل
تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت ان أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم ثم قال
ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحببت
ان أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك وولدك
فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله
يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت
ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا
شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموأل قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو
ابن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فاني أسألك بيدي عندك يا ثابت الا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء
من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى ألقى
الأحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من
أنبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال
وكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة
وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري

[illegible] الأشهر [illegible] سلمان [illegible] اليهودي [illegible] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم قد اصطفاها لنفسه من نساء بني قريظة [illegible] بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة وكانت عند

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن

يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد

كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه

لذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام

ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك فلما انفجر جرح سعد بن

معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي أن

أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيأ فأبقني له وإن كنت

قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته التي

ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد

بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (خ)

عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلي الأحزاب الآن نغزوهم ولا

يغزونا نحن نسير إليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا إله إلا الله وحده

لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده ۞ قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك

إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) أي متعة الطلاق (وأسرحكن سراحاً جميلاً) أي من غير

ضرار (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) سبب نزول

هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه

بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه

فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله إني دخلت المسجد

والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال نعم إن شئت

فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية

ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الأمر وأنزل

الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي

بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات

وهن زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية

بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن إليه

فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فروي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه

وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا يحل لك

النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد

الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله

صلى الله عليه وسلم جالساً وحوله نساؤه واجماً ساكتاً فقال لأقولن شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله

عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة

فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى

[illegible] الأمة [illegible] وهي

قالت [illegible] أفتأذن بارادتكن

[illegible] لأحد الأمرين

ولم يرد تفويض الطلاق

إليهن كقوله فأم يهدي

(أمتعكن) أعطكن

متعة الطلاق وتستحب

المتعة لكل مطلقة إلا

المفوضة قبل الوطء

(وأسرحكن) وأطلقكن

(سراحاً جميلاً) لا ضرار فيه

أردن شيأ من الدنيا من

ثياب وزيادة نفقة وتغايرن

فغم ذلك رسول الله صلى

الله عليه وسلم فنزلت فبدأ

بعائشة رضي الله عنها

وكانت أحبهن إليه فخيرها

وقرأ عليها القرآن فاختارت

الله ورسوله والدار الآخرة

فرؤي الفرح في وجه

رسول الله صلى الله عليه

وسلم ثم اختارت جميعهن

اختيارها وروي أنه قال

لعائشة إني ذاكر لك أمراً

ولا عليك أن لا تعجلي فيه

حتى تستأمري أبويك

ثم قرأ عليها القرآن فقالت

أفي هذا أستأمر أبوي فإني

أريد الله ورسوله والدار

الآخرة وحكم التخيير في

الطلاق أنه إذا قال لها

اختاري فقالت اخترت

نفسي أن تقع طلقة بائنة

وإذا اختارت زوجها لم يقع

شيء عن علي رضي الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة

(وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)

الله

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة) بسيئة بليغة في القبح (مبينة) ظاهر فحشها ... وأبو بكر قرأ هي
... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... (٥٦٥) (يضاعف لها العذاب) يضعف لها العذاب ابن كثير وشامي نضعف أبو عمرو ويزيد ويعقوب (ضعفين) ضعفي عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الأحرار على العبيد ولا يرجم الكافر (وكان ذلك) أي تضعيف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا (ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتها) وبالياء فيهما حمزة وعلي (أجرها مرتين) مثلي ثواب غيرها (وأعتدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وأحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه (إن اتقيتن) إن أردتن التقوى أو إن كنتن متقيات (ولا تخضعن بالقول) أي إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور

أنه حلف أن لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الآية إلى آخرها قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله واجما أي مهتما والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر تسع وعشرون

(فصل في حكم الآية) اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن يدل عليه أنه لم يكن جوابهن على الفور وأنه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا *التفريع على حكم الآية* اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس وإذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة رجعية وإذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعدد لك شيئا ﴿ قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا أن منهن من أتت بفاحشة فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يضعف عذابهن على غيرهن لأنهن يشاهدن من الزواجر ما يردعهن ولأن في معصيتهن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأن نعمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيرهن كنسبة السادات إلى العبيد ولكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرة إلى الأمة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي يطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة ﴿ قوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي (إن اتقيتن) يعني الله فأطعنه فإن الأكرم عند الله هو الأتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا إلى الطمع فيكن والمرأة مندوب لها

إلى الطمع في القول إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن (وقلن قولاً معروفاً) أي يوجبه الدين والإسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال (الجاهلية الأولى) قيل الجاهلية الأولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقيل كان في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الأولى ما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وقيل إن بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجر نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى (وأقمن الصلاة) أي الواجبة (وآتين الزكاة) أي المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أي فيما أمر ونهى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي الإثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (أهل البيت ويطهركم تطهيراً) هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روي عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المهملة هو الذي عليه صور الرحال وبالجيم الذي عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت إن هذه الآية نزلت في بيتها إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال إنك إلى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ﴿ قوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) يعني القرآن (والحكمة) قيل هي السنة وقيل هي أحكام القرآن ومواعظه (إن الله كان لطيفاً)

النبي أو لإظهار الزينة والنية ولا تبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى وهي الزمان الذي ولد فيه إبراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) خص الصلاة والزكاة بالأمر ثم عمم جميع الطاعات لفضلهما فمن واظب عليهما جرتاه إلى ما وراءهما (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته وقال عنكم لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويطهركم تطهيراً) من نجاسة الآثام ثم بين أنه إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأن عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لأولي الألباب عن المناهي وترغيب لهم في الأوامر (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أي السنة أو بيان معاني القرآن (إن الله كان لطيفاً) عالماً بغوامض الأشياء

أي بأوليائه وأهل طاعته (خبيرا) أي بجميع خلقه ﷺ قوله عز وجل (إن المسلمين والمسلمات) الآية وذلك أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله هذه الآية عن أم عمارة الأنصارية قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت إن المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل إن أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ونخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لأنهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فأنزل الله إن المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الأولى الإسلام وهو الانقياد لأمر الله تعالى وهو قوله إن المسلمين والمسلمات الثانية الإيمان بما يرد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق في الأقوال والأعمال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساءه وسره وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعني عما لا يحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله إن المسلمين والمسلمات ومن أقر بأن الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (وأجرا عظيما) يعني الجنة ﷺ قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن

[illegible] بالطاعة [illegible] ونزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] (إن المسلمين والمسلمات) المسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله (والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به (والمؤمنات والقانتين والقانتات) القائمين بالطاعة (والصادقين والصادقات) في النيات والأقوال والأعمال (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيئات (والخاشعين) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا ونفلا وقيل من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله فحذف لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لأن الأول نظير قوله ثيبات وأبكارا في أنهما جنسان مختلفان وإذا اشتركا في حكم واحد لم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) على طاعاتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (أمرا) من الأمور (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها وإنما جمع الضمير في لهم وإن كان من حقه أن يوحد لأن المذكورين وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون بالياء كوفي

النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني أخته زينب إذا قضى الله ورسوله أمرا يعني نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أي الاختيار على ما قضى والمعنى أن يريدوا غير ما أراد الله أو يمتنعوا مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أي أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر ﴿قوله عز وجل (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقي في نفسه كراهيتها في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له ما لك أرابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها ثم إن زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه أي بالإسلام وأنعمت عليه أي بالإعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش (واتق الله) أي فيها ولا تفارقها (وتخفي في نفسك) أي تسر وتضمر في نفسك (ما الله مبديه) أي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها وقال ابن عباس حبها وقيل وده أنه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي لكتم هذه الآية وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(فصل) فإن قلت ما ذكر في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما رآها وإرادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمه ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال إني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون

الله عليه) بالإسلام الذي هو أجل النعم (وأنعمت عليه) بالإعتاق والتبني فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا يريدها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو نهي تنزيه إذ الأولى أن لا يطلق أو واتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي تخفي في نفسك نكاحها إن طلقها زيد وهو الذي أبداه الله تعالى وقيل الذي أخفى في نفسه تعلق قلبها

ومودة مفارقة زيد إياها والواو في وتخفي في نفسك (وتخشى الناس) أي قالة الناس إنه نكح امرأة ابنه (والله أحق أن تخشاه) واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي إليه لكتم هذه الآية

من أزواجك فهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وإنما أخفى ذلك استحياء أن يقول لزيد إن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يجعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها إلا إزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بإمساكها قلت هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس تزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته كما قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقيل كان في أمره بإمساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد فنقول ذلك لا يقدح في حال الأنبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء وأنه رآها فأعجبته حسنها وهذا لا ينكر منه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مأثما لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكن لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء ❁ قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها (زوجناكها) قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل ما أولم على زينب قال ثابت بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه ❁ قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي إثم (في أزواج أدعيائهم) جمع الدعي وهو المتبنى (إذا قضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب (وكان أمر الله مفعولا) أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ قوله تعالى (ما كان على النبي

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطر الحاجة فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) روي أنها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب أبشري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) فيه قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه (مفعولا) مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي

من حرج فيما فرض الله) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سنة الله في الانبياء وهو أن لا حرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فإنه كانت لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) أي فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون أحدا إلا الله) أي لا يخافون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) أي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم ﴿قوله عز وجل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه فأنزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني زيد ابن حارثة والمعنى أنه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة فتحرم زوجته عليه ولا ثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح فإن قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال الحسن أن أبي هذا سيد قلت قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله) أي أن كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال إن الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليما) أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده فإن قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت إن عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفي هو المولي الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فإذا قفى فلا نبي بعده ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه إذا ذكرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء (بكرة وأصيلا) فيه إشارة إلى المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا

(ولا حرج) فيما أحل الله له من النكاح بغير عدد (سنة الله في الذين خلوا من قبل) من الانبياء أي سن ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا يعقب عليه أن جعلت (الذين يبلغون رسالات الله) بدلا من الذين الاول ونصب أن جعلته في محل الرفع أو النصب على المدح أي هم الذين يبلغون أو أعني الذين يبلغون (ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) وصف الانبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بأن يخشى منه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أي لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قد ماتوا صغارا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أي آخرهم يعني لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شيء عليما) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أثنوا عليه بضروب الثناء واكثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا)

وقيل

أحوالها وعمّها بالذكر لأن صلاة كل منها ... وملائكة الليل وملائكة النهار ... فقد قالوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والفعلان أي اذكروا وسبحوه موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح
من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته
عما لا يجوز عليه من الصفات ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة
وهي صلاة الفجر وأصيلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان
من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في
حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم
اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حين يدعوكم إلى
الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات (٤٧١) إلى النور) من ظلمات المعصية إلى نور

الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى أنه لما نزل إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من إضافة المصدر إلى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونه) يرونه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على من بعثت إليهم على تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر

صائدا به أي مقدرا به الصيد غدا (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا إلى الله بإذنه) بأمره أو بتيسيره والكل
منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به وجوز
على أنه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ووصف بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته أو
شاهدا بوحدانيته ومبشرا برحمته ونذيرا بنقمته وداعيا إلى عبادته وسراجا بحجته ظاهره حضرته (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا
كبيرا) ثوابا عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الإيذاء
فيحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أي اجعل إيذاءهم إياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من إيذائهم أو إلى المفعول أي دع إيذاءك إياهم
مكافأة لهم (وتوكل على الله) فإنه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) وكفى به مفوضا إليه وقيل إن الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا
منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير
والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم

وقيل معناه صلوا لله بكرة صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وقال مجاهد معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله بكرة وأصيلا ذكر هذه الكلمات يقولها
الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن
الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء
عليه قال أنس لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف
إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يعني أنه برحمته وهدايته
ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه بشارة لجميع
المؤمنين وإشارة إلى أن قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين
(تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم
ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت
لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه وعن ابن مسعود قال إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك
السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني
الجنة ﷺ قوله عز وجل (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم
يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار (وداعيا إلى الله) أي إلى توحيده
وطاعته (بإذنه) أي بأمره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لأنه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون
كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار
ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء وقيل لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد إضاءة من
السراج وأنور قيل نور الشمس لا يمكن أن يوجد منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يوجد منه أنوار كثيرة
(وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو
الثواب وقيل هو تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن
عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)

[illegible]

[illegible] (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات) أي تزوجتم والنكاح هو الوطء في الأصل وتسميته العقد نكاحاً لملابسته له من حيث أنه طريق إليه كتسميتهم الخمر إثماً لأنها سبب في اقتراف الإثم ونحوه في الكتابة عنه بلفظ الملامسة والمماسة [illegible] سمي النكاح بذلك قوله الراجز * أسنمة الآبال في سحابه * سمى الماء بأسماء الآبال [illegible]

الآبال لأنه سبب سمنها وفيه تأمل لم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان وفي تخصيص المؤمنات مع أن الكتابيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم إشارة إلى أن الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوة الصحيحة كالمس (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على أن العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تفتعلون من العد (فمتعوهن) والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وسرحوهن سراحاً جميلاً) أي لا تمسكوهن ضراراً وأخرجوهن من منازلكم إذ لا عدة لكم عليهن (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن إذ المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخي إن النكاح بلفظ الإجارة جائز وقال التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الإجارة وبينهما منافاة وإيتاؤها إعطاؤها عاجلاً أو فرضها وتسميتها في العقد (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهي صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومعنى [illegible] ليس للقران بل لوجودها فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه [illegible] (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحارث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير إن (إن أراد النبي أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الأول شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن [illegible] نكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم وهذا [illegible] يجوز النكاح بلفظ الهبة [illegible]

أي حافظاً قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن في الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والأوزاعي إن عين امرأة وقع وإن عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود إن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول إن تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير إسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالأقراء والأشهر أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد إلى أن الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة وإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل إنه يستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحاً جميلاً) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير إضرار بهن قوله عز وجل (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من السبي فملكتها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له إبراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) إلى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم تحل له كما قالت أم هانئ بنت أبي طالب فاستحيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله إنا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها)

تنبيه على أن الإحلال في الأحكام التي هي خصائص الرسول (خالصة) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وإن لم يسمه أو

خالصة لك من دون المؤمنين) أي هذا الإحلال لك خاصة وهبت نفسها لك تكرمة لك فأما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة إلى أنه لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال إبراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الأول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة لقوله تعالى إن أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين وقوله إن وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الأنصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم ۞ قوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع إلى أول الآية معناه أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي للواقع في الحرج (رحيما) أي بالتوسعة على عباده ۞ قوله تعالى (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي إليك) أي تضم إليك (من تشاء) نزلت هذه في القسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار إليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في أنه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن وروي عن ابن زيد قال لما نزل التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى إليه بعضهن فكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية فكان يقسم لهن ما شاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله

نفاه عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكرير النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق (وما ملكت أيمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم جملة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده (ترجي) بلا همز مدني وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالهمز تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن تطلق وإما أن تمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروي أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي بينهن

[illegible]
ومن ذلك بالاجتهاد ... (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) تأكيد
للضمير في يرضين وقرئ كلهن بالنصب تأكيدا لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) ... الرحمن
وقرئ كلهن بالرفع تأكيد (٤٧٤) لنون يرضين وقرئ ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب تأكيد

صلى الله عليه وسلم وهل يقبل من نساء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن وتؤوي إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة (فلا جناح عليك) أي لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزلها تفضلا له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من تقريب وإرجاء وعزل وإيواء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن (وكان الله عليما) أي بما في ضمائركم (حليما) أي عنكم ﴿ قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروي عن عائشة أنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنسائي عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لأبي بن كعب لو أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم متن أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد قيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل بهن من أزواج) أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لأنه لا يكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج أي تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك إلا ما ملكت يمينك أي لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت فأما الحرائر فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك (إلا ما ملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شيء رقيبا) أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا قال الحميدي يعني هو

لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى ويحذر (لا يحل لك النساء) بالتاء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته (ولا أن تبدل بهن من أزواج) بالطلاق والمعنى ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات عنهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن في من أزواج لتأكيد

النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل ... الضمير
أي تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن
أبي طالب فإنها من أعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء يعني
أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة وإما بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (إلا ما ملكت يمينك) ...
... (وكان الله على كل شيء رقيبا) حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده

المسيرة مع المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت إليها قلت لا قال فانظر
إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة
زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكان أمهاتي يواظبنني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب
حين أنزل وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله
عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا
المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم
ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب
فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد
خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وأنزل
الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحيي من الحق (ق) عن عائشة أن
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر
رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت
سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد
عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول
أو الغائط والصعيد وجه الأرض والأفيح الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث
قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله
يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه
وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس إنها
نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل
الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت
الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم يعني إلا أن تدعوا (إلى طعام) فيؤذن
لكم فتأكلون (غير ناظرين إناه) يعني غير منتظرين نضجه ووقت إدراكه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا
طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانتشروا) أي فاخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أي
لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك
(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) أي فيستحيي من إخراجكم (والله لا يستحيي من الحق) أي
لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قال لا يستحيي من الحق
يعني لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وقال ابن أبي عائشة حسبك من الثقلاء

(إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه) إلا أن يؤذن لكم في موضع الحال أي لا تدخلوا إلا مأذونا
لكم وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا
بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين أي غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا يا أيها المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين
إناه أي إدراكه
يقال أنى الطعام إنى كقولك
قلاه قلى وقيل إناه وقته أي
غير ناظرين وقت الطعام
وساعة أكله وروي أن
النبي صلى الله عليه وسلم أولم
على زينب بتمر وسويق
وشاة وأمر أنسا أن يدعو
بالناس فترادفوا أفواجا
يأكل فوج فيخرج ثم
يدخل فوج إلى أن قال
يا رسول الله دعوت حتى
ما أجد أحدا أدعوه فقال
ارفعوا طعامكم وتفرق
الناس وبقي ثلاثة نفر
يتحدثون فأطالوا فقام
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليخرجوا فطاف رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بالحجرات وسلم عليهن
ودعون له ورجع فإذا
الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم شديد الحياء فتولى
فلما رأوه متوليا خرجوا
فرجع ونزلت (ولكن
إذا دعيتم فادخلوا فإذا
طعمتم فانتشروا) فتفرقوا
(ولا مستأنسين لحديث)
هو مجرور معطوف على
ناظرين أو منصوب أي ولا
تدخلوها مستأنسين نهوا
عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) من إخراجكم (والله لا
يستحيي من الحق) يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق أي
لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم هذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا
طعمتم فانتشروا

[illegible]

[illegible]

[illegible] أمهات المؤمنين [illegible]

[illegible] (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أي وما صح لكم إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعد موته (إن ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما (إن تبدوا شيئا) من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه) في أنفسكم من ذلكم (فإن الله كان بكل شيء عليما) فيعاقبكم عليه ولما (٤٧٦) نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق وإسماعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالأجانب ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحططن فيه (إن الله كان على كل شيء شهيدا) عالما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح

إن الله يعلمها (وإذا سألتموهن متاعا) أي وإذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسألوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله أن ذلك محرم وقال (إن ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من إعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح بعده (إن تبدوا شيئا) أي من أمر نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) أي في صدوركم (فإن الله كان بكل شيء عليما) أي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله عز وجل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أي لا إثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الأصناف من الأقارب (ولا نسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وإنما قال ولا نسائهن لأنهن من أجناسهن (ولا ما ملكت أيمانهن) اختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية الإماء دون العبيد (واتقين الله) أي أن يراكن أحد غير هؤلاء (إن الله كان على كل شيء) أي من أعمال العباد (شهيدا) قوله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الإسلام

(فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها) اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر [illegible] واختاره الطحاوي من

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي قولوا اللهم صل على محمد وصلى الله على محمد الخ [illegible] (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد وانقادوا لأمره وحكمه انقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي وكلما ذكر عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وإن صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الروافض

قوله واختاره الطحاوي الخ [illegible] المعتمد قول الكرخي [illegible] أفاده في جمع الجوامع [illegible] كلام [illegible]

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) اي يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف أو عبر بايذاء الله ورسوله عن فعل مالا يرضى به الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة مجازا وانما جعل مجازا فيهما وحقيقة الايذاء صحيح في رسول الله لئلا يجمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) طردهم الله عن رحمته في الدارين (وأعد لهم عذابا مهينا) في الآخرة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

ان تجعلوا الباقي من التشهد والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن أبي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن أبي مسعود البدري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا * عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات أخرجه الترمذي وله عن أبي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلنا انا نرى البشر في وجهك فقال انه أتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك انه لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام * عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد أخرجه ابو داود ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن أن يلحقه اذى من احد واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

[illegible]

لايحل لهم أن يؤذوه ... فكيف بأذى المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا بهتانا) كذبا عظيما (وإثما مبينا)

ظاهرا (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك ومن للتبعيض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة أو المراد أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب وأن لا تكون المرأة متبذلة في درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها وذلك أن النساء في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بحسبان الأمة فأمرن أن يخالفن (٤٧٨) بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك

ما اكتسبوا) أي من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) قيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فإن سكتت تبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والأمة في درع وخمار فشكوا ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن تتشبهن بالإماء فقال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين) أي يرخين ويغطين (عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) أي لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع لكاع كله قال لي يستحقر بعض العبد والأمة والجامل والعلل العمل مثل قوله ياحسين

قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وهم الزناة (والمرجفون في المدينة) أي بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الأراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشوا الأخبار (لنغرينك بهم) أي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) أي لا يساكنونك في المدينة إلا قليلا أي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة (ملعونين) أي مطرودين (أينما ثقفوا) أي وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) أي الحكم فيهم هذا على الأمر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

قوله عز وجل (يسألك الناس عن الساعة) قيل إن المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجور وهم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض (والمرجفون في المدينة) هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) في المدينة وهو عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى أنه لو قيل لئن لم ينتهوا لا يجاورونك لكان صحيحا ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه (إلا قليلا) زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل الأفعال التي تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما وجدوا (في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا يبدل الله سنته بل يجريها على حد في الأمم (يسألك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى

عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لأن الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل إنما علمها عند الله) يعني أن الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أي أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أي أنها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للممتحنين (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار) أي تقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أي في الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعني رؤوس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعني السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) أي ضعفي عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) أي لعنا متتابعا ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أي فطهره الله مما قالوا فيه (وكان عند الله وجيها) أي كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذي به موسى فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى بأثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله إن بالحجر ندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيء من جلده استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر الضرب ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الأدرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح أي أسرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي يا حجر وقوله وطفق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الأثر وأصله أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به أثر الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الآية إن أذاهم إياه أنه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فأمر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل إن قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لأخبرن

[illegible] قريبا [illegible] للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين بقوله (قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى الزمان (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) فيه رد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان ولا وقف على سعيرا لأن قوله خالدين فيها حال عن الضمير في لهم (لا يجدون وليا ولا نصيرا) ناصرا يمنعهم اذكر (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت وخصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمني (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا) جمع سيد ساداتنا شامي وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوي الأسنان منا أو علماءنا (فأضلونا السبيلا) يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) للضلال والإضلال (والعنهم لعنا كبيرا) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالثاء لتكثير أعداد اللعائن وقيل في شأن زيد وزينب ما سمع منه من قاله بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الأمر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها أو اتهامهم إياه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والأعمش وكان عبدا لله وجيها

[illegible]

[illegible] سديدا [illegible]

[illegible] (يصلح لكم أعمالكم) يتقبل طاعاتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي

يمحها [illegible] (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) [illegible]

ومن يعص [illegible] هذه الآية مقررة لما قبلها [illegible] النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثه على الأمر

بالقول [illegible] ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانتهرته فاحمرت عيناه فغضب وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ أحمر تصبغ به الأدم ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا إله إلا الله (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير العظيم ﴿قوله عز وجل (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الآية قال ابن عباس أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إذا أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الأمانة أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الإنسان الفرج وقال هذه الأمانة استودعتكها فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له وفي رواية عن ابن عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن لا يا رب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لأمره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الأمانة حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها والقول الأول أصح وهو قول العلماء (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الإنسان) يعني آدم قال الله عز وجل لآدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي قال الله أما إذا تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلقا فإذا خشيت فأغلقه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل إنما كانت الأمانة [illegible] الإنسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الأجرام وأقواها [illegible] أن يحملنه ويستقلن به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه وضعف قوته (إنه كان ظلوما جهولا) قال

واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) وهو يريد بالأمانة الطاعة لله وبحمل الأمانة الخيانة يقال فلان حامل للأمانة ومحتمل لها أي لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته إذ الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها يعني أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين [illegible] وأجرام الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها) أي أبين الخيانة فيها وأن لا يؤدينها (وأشفقن منها) وخفن من الخيانة فيها (وحملها الإنسان) أي خان فيها وأبى أن لا يؤديها (إنه كان ظلوما) لكونه تاركا لأداء الأمانة (جهولا) لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خاناها ولم يطيعا ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا

وقال معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج والملام في (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) للتعليل لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التأديب في قولك ضربته للتأديب نتيجة الضرب فلا تقف على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعمش ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة أي حملها الانسان فآل الامر الى ان عذب الاشقياء وقبل توبة السعداء (وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده المؤمنين والله الموفق للصواب

(سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد) ان أجري على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وان أجري على الاستغراق فله كل المحامد الاستحقاق (لله) بلام التمليك لانه خالق ناطق الحمد أصلا فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلا (الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا

وقهرا فكان حقيقا بان يحمد سرا وجهرا (وله الحمد في الآخرة) كما هو له في الدنيا اذ النعم في الدارين من المولى غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف وانما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل في تفسير الآية اقوال اخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على كل شئ وائتمن آدم واولاده على شئ فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فأبين ان يحملنها أي أدين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة في حق بني آدم فهي ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان أي خان فيها وعلى هذا القول حكي عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخاناها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

(فصل) في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالي ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال الجذر الشئ أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل انما هو النفاطات في الجلود وفسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شئ (خ) عن أبي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي عاقبتهم الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة سبأ وهي مكية)

(وأربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض أي ملكا وخلقا (وله الحمد في الآخرة) أي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه وقيل انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد

قوله ولا بد ولا نزاع كذا بعض ... الحاوي وفي بعضها دون ... الخط ... عاقبة ... والصواب ... الدال ... الحرا ...

[illegible]

... (وما يخرج منها) ... (وهو الرحيم الغفور) ... (وقال الذين كفروا) أي منكرو البعث (لا تأتينا الساعة) أي القيامة ...
(قل بلى) ... على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها (وربي لتأتينكم) ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي إمداداً بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدني وشامي أي هو عالم الغيب علام الغيب حمزة وعلي على المبالغة (لا يعزب عنه) وبكسر الزاي علي يقال عزب يعزب ويعزب إذا غاب (٤٨٢) وبعد (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (إلا في كتاب مبين) إلا في اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون إلا بمعنى لكن أو رفعا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الإيمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الإحسان متعلق بلتأتينكم تعليلا له (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا معجزين مكي وأبو عمرو أي مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله إلى ذلك العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب أي عذاب أليم من سيء العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب ويعرفهم بالجرصة ... (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الأول ليرى (الذي أنزل إليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو في موضع النصب معطوف على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الإيقان (ويهدي) الله أو الذي أنزل إليك (إلى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وإنما نكروه مع أنه كان مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم تجاهلا به وبأمره وباب التجاهل في البلاغة وإلى سحرها (ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) أي يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أي يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل في إذا ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد أي تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يعمل فيه ينبئكم ... (أفترى على الله كذبا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها (أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه

كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم أمور الدارين (الخبير) أي بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج في الأرض) أي من المطر والكنوز والأموات (وما يخرج منها) أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والأموات إذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) معناه أنهم أنكروا البعث وقيل استبطؤوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربي لتأتينكم) يعني الساعة (عالم الغيب) أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات وإذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وأنها آتية (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه (مثقال ذرة) أي وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر إلا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) أي لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي في إبطال أدلتنا (معاجزين) أي يحسبون أنهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل إليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني أنه من عند الله (ويهدي) يعني القرآن (إلى صراط العزيز الحميد) أي إلى دين الإسلام (وقال الذين كفروا) يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبئكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب وهي أنكم (إذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا (إنكم لفي خلق جديد) أي يقول إنكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا (أفترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك (أم به جنة) أي جنون يوهمه

بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلا كأنهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي لأن البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم) وبالادغام علي للتقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الأرض أو نسقط) الثلاثة بالياء كوفي بغير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا (عليهم كسفا) كسفا حفص (من السماء) أي أعموا فلم ينظروا الى السماء والأرض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم

بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون وبأصحاب الأيكة (ان في ذلك) النظر الى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله تعالى (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له اذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال) بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال (أوبي معه) من التأويب رجعي معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال أن الله تعالى يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بأنه ما من حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئته تعالى ولو قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة (أن اعمل) أن بمعنى أي أو أمرناه أن اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (صالحا) خالصا يصلح للقبول (اني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا أو ريح

به الشيء يلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكري البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أي فيعلموا أنهم حيث كانوا فان أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الأرض) أي كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا بأصحاب الأيكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والأرض (لآية) أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) أي تائب راجع الى الله تعالى بقلبه ﴿ قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال أوبي معه) أي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح (والطير) أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالنياحة أو بالتسبيح أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا تخلل الجبال أو نظر وأسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (وألنا له الحديد) يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل سبب ذلك أن داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود والكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (أن اعمل سابغات) أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الأرض وقيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي صنعة نسج الدروع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (اني بما تعملون بصير) ﴿ قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي

(ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر)

وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه أن مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أي أذبنا له عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الأبنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفعه قامة رجل فأوحى الله اليه اني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا وأنزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فمنهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أماكنها فأتى من ذلك بشيء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلي فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائي ولفظ النسائي سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة (غريب) قوله لا ينهزه أي لا يدفعه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار مملكته بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر ﴿ قوله عز وجل (وتماثيل) أي ويعملون له تماثيل أي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة فيحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شرعهم وهذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس من الأمور القبيحة في العقل كالظلم والكذب ونحوهما مما اتفق في كل الشرائع قيل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط له الأسدان ذراعيهما واذا جلس أظله النسران بأجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد الدنو منه (وجفان) أي قصاع (كالجواب)

الريح ... بالغدو ... كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أي أذبنا له معدن النحاس والقطر النحاس وهو الصفر ولكنه أساله وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب وتسميته عين القطر باسم ما آل اليه (ومن الجن من يعمل) من في موضع نصب أي وسخرنا من الجن من يعمل (بين يديه باذن ربه) بأمر ربه (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة وقيل كان معهم ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد أو مساكن (وتماثيل) أي صور السباع والطيور وروي انهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وكان الصور ... (وجفان) جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية وهي الحياض الكبار ...

وجعل كالجواب في الوصل والوقف ... بغير ياء اكتفاء بالكسرة (وقدور راسيات) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها ... (اعملوا آل داود شكرا) أي ارحموا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية عن الفضل وشكرا مفعول له أو حال أي شاكرين أو اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث إن العمل للمنعم شكر له أو مفعول به يعني إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدي المعبود (وقليل من عبادي) بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها (الشكور) المتوفر على أداء الشكر (٤٨٥) الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه

أي كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) أي ثابتات على أثافيها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمهن وكان يصعد إليها بالسلالم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي ﴿قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوما إلا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لأي شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت لغرس أمر بها فغرست وإن كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولأي شيء نبت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض) يعني الأرضة (تأكل منسأته) قال البخاري يعني عصاه (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية إنه ظهر أمر الجن وانكشف للإنس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين ﴿قوله عز وجل (لقد كان لسبإ في مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادي قال لما أنزل في سبإ ما أنزل قال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار فقال رجل

وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحكي عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم) أي الجن وآل داود (على موته إلا دابة الأرض) أي الأرضة وهي دويبة يقال لها سرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر منسأته بغير همز مدني وأبو عمرو (فلما خر) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) حولا بعد موت سليمان (في العذاب المهين) وروي أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ربه أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه وروي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعده أن يدنو منه (لقد كان لسبإ) بالصرف بتأويل الحي وبمنعه أبو عمرو بتأويل القبيلة (في مسكنهم) حمزة وحفص مسكنهم علي وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية) اسم كان

... لبيت سبا ... (جنتان عن يمين وشمال) أي جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين ... لتقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم أنبياؤهم الله المعبود (٤٨٦) إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك أتبعه

يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة الحديث وفي آخره الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان (في مسكنهم) أي ما رب من أرض اليمن (آية) أي دلالة على وحدانيته
وقدرته ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان (عن يمين وشمال) أي عن يمين الوادي وشماله وقيل
عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم وادٍ قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي قيل لهم كلوا (من رزق
ربكم) أي من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل من أنواع
الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة)
أي أرض مأرب وهي بلدة سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا
برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب
غفور) قال وهب أي وربكم إن شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره ﴿ قوله عز وجل (فأعرضوا)
قال وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع فذلك إعراضهم
(فأرسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا يطاق وقيل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل
العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس
وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم
ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم
يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوها فإذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن
فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه إلى البركة فكانوا يسقون من الباب
الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم
على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق
الماء جنتهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون في علمهم أن الذي يخرب سدهم فأرة فلم
يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما
يذكرون فأرة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي
كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى أوهنت السد وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللاً
فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل
ممزق حتى صاروا مثلاً عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم
سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) قيل هو شجر الأراك وثمره البرير وقيل كل نبت أخذ
طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقيل هو عن شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش
يتفرك ولا ينتفع به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه (وشيء من سدر قليل)
هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدراً

قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها (فأعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العرم اسم الوادي أو هو الجرذ الذي نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم (وبدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة

سيئة مثلها (ذواتي أكل خمط) الأكل الثمر بضم الكاف وسكونها وهو دراهم نافع وابن كثير والخمط شجر الأراك وقيل كل شجر ذي شوك ... وبالتنوين (وأثل وشيء من سدر قليل) الأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه ... وقرأ ... بالتنوين إلا ... وقرأ أبو عمرو أكل خمط بالإضافة وأدغم المضاف إلى ... الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ... أبي عمرو أكل الخمط في معنى ... وهو غير الأراك إذا كان غير ... والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له وعن الحسن قال السدر لأنه أكرم ما بدلوا لأنه يكون في الجنان

[illegible] بما كفروا) أي جزيناهم ذلك بكفرهم ويجوز أن يكون [illegible] (وهل نجازي إلا الكفور) كوفي غير أبي بكر وهل يجازى
إلا الكفور [illegible] وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا من كفر النعمة [illegible] وهل يعاقب إلا الجزاء وإن كان عاما
[illegible] الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب [illegible] الذين كانوا [illegible] بين عيسى ومحمد عليهما السلام
(وجعلنا بينهم) بين سبأ (وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى
بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبعمائة
قرية متصلة من سبأ إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا هذه القرى على مقدار (٤٨٧) معلوم يقيل المسافر في قرية ويروح في
أخرى إلى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك (ليالي وأياما آمنين) أي سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالي (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح في التجارات ونفاخر في الدواب والأسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكي وأبو عمرو (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم تفريقا

إلا بالصبح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم وقوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل نجازي إلا الكفور) أي هل يكافأ بعمله إلا الكفور وذلك لأن المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أي وقلنا لهم سيروا (فيها ليالي وأياما) أي في أي وقت شئتم (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب في الأسفار (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وقرئ باعد بين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد فعجل الله لهم الإجابة (وظلموا أنفسهم) أي بالبطر والطغيان (فجعلناهم أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فأما غسان فلحقوا بالشام ومر الأزد إلى عمان وخزاعة إلى تهامة ومر الأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق (إن في ذلك لآيات) أي لعبرا ودلالات (لكل صبار) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر ﴿ قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قيل على أهل سبأ وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره الله قال لأغوينهم ولأضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن إنه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط إنما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسليطنا إياه عليهم (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور إذ كان معلوما عنده بالغيب (وربك على كل شيء حفيظ) أي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ ﴿ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد

[illegible] الناس بالمصر وما يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا فلحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان (إن في ذلك لآيات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم أو لكل مؤمن لأن الإيمان نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) بالتشديد كوفي أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضمير في عليهم واتبعوه لأهل سبأ أو لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله (إلا فريقا من المؤمنين) لقلتهم بالإضافة إلى الكفار ولا يبعد أن يكون أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لإبليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (من سلطان) من تسلط واستيلاء بالوسوسة (إلا لنعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) محافظ عليه وفعيل ومفعال أخوان (قل) لمشركي قومك

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... فيما يقولون الاصنام ... [illegible]

[illegible] ... والاعتقاد بشفاعتها ... [illegible]

يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر (في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك) شركة (وما له) تعالى (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين

على شيء (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) تعالى فيها ... [illegible]

يرجوا لأجله وهي اللام الثانية في قولك أذنت لزيد لعمرو أي لأجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله أذن له كوقف عن عامهم الا الاعش (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن وفزع شاء أي الله تعالى والتفزيع إزالة الفزع وحتى غاية لما فهم من أن ثم انتظارا للإذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم كأنه قيل يتربصون ويتوقعون مليا فزعين حتى إذا فزع عن قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى

الكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أي أنهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) يعني من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أي للآلهة (فيهما) أي في السموات والأرض (من شرك) أي من شركة (وما له) أي لله (منهم) أي من الآلهة (من ظهير) عون (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أي أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى إذا فزع عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللترمذي إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الأملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت الأجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل إنما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحي فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأن محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل إذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار وهو العلي الكبير أي ذو العلو والكبرياء قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والأرض) يعني المطر والنبات (قل الله) يعني إن لم يقولوا إن رازقنا هو الله فقل أنت إن رازقكم هو الله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق

الشك

(وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وإن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمه من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتوصل بالمجادل إلى الغرض وبهجومه عليه مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الكاذب منا ... على الهدى والضلال ... [illegible]

وكتب علوي ... (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) هذا أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين ... وهو مأمور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أروني الذين ألحقتم) أي ألحقتموهم (به) بالله (شركاء) في العبادة ... أرونيهم لأريكم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن تطلعوني على حاله الإشراك به (كلا) ردع وتنبيه أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن (الحكيم) في تدبيره (وما أرسلناك إلا كافة للناس) إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد (٤٨٩) كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الإحاطة والمعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أقر (ونذيرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة المشار إليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم وأما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول بعير سانية (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم إليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه (وقال الذين كفروا) أي أبو جهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى إنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم إلى بعض القول) في الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب (يقول الذين استضعفوا) أي الأتباع (للذين استكبروا) أي الرؤوس والمقدمين

التنزيل بل على وجه الإلزام والإنصاف في الحجاج كما يقول القائل أحدنا لكاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية إنا لعلى هدى وإياكم لفي ضلال مبين (قل لا تسألون عما أجرمنا) أي لا تؤاخذون به (ولا نسأل عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعني يوم القيامة (ثم يفتح) أي يقضي ويحكم (بيننا بالحق) أي بالعدل (وهو الفتاح) أي القاضي (العليم) أي بما يقضي (قل أروني) أعلموني (الذين ألحقتم به) أي بالله (شركاء) أي الأصنام التي أشركتموها معه في العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فإنهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) أي في تدبير خلقه فأنى يكون له شريك في ملكه. قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا كافة للناس) أي للناس كلهم عامة أحمرهم وأسودهم عربهم وعجمهم وقيل أرسلناك رسالة عامة لهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد

(ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء وأن هذه الخمسة لم تكن لأحد ممن كان قبله من الأنبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الإنس والجن وكان النبي قبله يبعث إلى قومه أو إلى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافا تكفهم عما هم عليه من الكفر وتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بأن يزاد في آجالكم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والإنجيل (ولو ترى) أي يا محمد (إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الأتباع (للذين استكبروا) وهم

[illegible]

ولهم ... استكبارهم (نحن صددناكم) ... [illegible]

قال ... الرسل (بل كنتم مجرمين) كافرين ... [illegible]

الذين استضعفوا للذين استكبروا) ... فقال الذين استكبروا ... وقال الذين استضعفوا ... [illegible]

كلامهم ... على طريق الاستئناف ... (بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنا في الليل والنهار ... [illegible] الإسناد المجازي أي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على الحق (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباها والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم ... كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا (٤٩٠) ونهارا وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد (وأسروا الندامة) أضمروا وأظهروا وهو من الأضداد وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون يسندهم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رأوا العذاب) الجحيم (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الأغلال (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) نبي (إلا قال مترفوها) متنعموها ورؤساؤها (إنا بما أرسلتم به كافرون) هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله [أهم] صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وأنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب بقوله (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب على المصدر أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا (إلا من آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم في تقربكم يعني أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس إلا من آمن لكن ومن شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) بأعمالهم (وهم في الغرفات) أي غرف الجنة ... (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في إبطالها (معاجزين

القادة والأشراف (لولا أنتم لكنا مؤمنين) يعني أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أي أجابهم المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا أنحن صددناكم) أي منعناكم (عن الهدى) أي عن الإيمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الأمل فيها (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للأتباع إن ديننا الحق وإن محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسروا الندامة) أي أظهروها وقيل أخفوها وهو من الأضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في النار الأتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أي من الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها) أي رؤساؤها وأغنياؤها (إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعني المترفين والأغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا وأولادا (وما نحن بمعذبين) أي إن الله قد أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني أنه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي أنها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي بالتي تقربكم عندنا تقريبا (إلا) أي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقربه مني (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا إلى سبعمائة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في إبطال حججنا (معاجزين) أي معاندين يحسبون

[illegible] ... فإنما هو من رزق الله أجراه على أيديهم وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق [illegible]
[illegible] للملائكة [illegible] تقريع [illegible] ولا يشفع [illegible] (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء
إياكم كانوا يعبدون) [illegible] هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر * إياك أعني واسمعي يا جاره
ونحوه قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين الآية (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولينا) الموالاة خلاف
المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت (٤٩١) الذي نواليه (من دونهم) إذ لا موالاة بيننا

وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) أكثر الإنس أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لأن الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون

والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك
(ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي إذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أي
المشركون (ما هذا) أي محمد (إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا)
أي وقالوا والعدول عنه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن أو لأمر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الإتيان بمثله (إن
هذا) أي الحق (إلا سحر مبين) فبتوا على أنه سحر ثم بتوا على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا (وما آتيناهم من كتب يدرسونها)
أي ما أعطينا مشركي مكة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب
إن لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله

إنهم بهم مؤمنون (أولئك في العذاب محضرون) قوله عز وجل (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطي خلفه إذا كان في غير إسراف ولا تقتير فهو
يخلفه في الدنيا بأن يعوضه لا معوض سواه إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما بالثواب في الآخرة
الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان
عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة
ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك وأسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول
الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما
زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطي ويرزق لأن
كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله
على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه ۞ قوله تعالى (ويوم يحشرهم جميعا) يعني هؤلاء
الكفار (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقرير وتقريع
للكفار فتبرأ الملائكة منهم من ذلك ۞ وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من
دونهم) أي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم إياهم
(بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فإن قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون
الجن قلت أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين
عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون
في أجواف الأصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى
(فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي بالشفاعة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم
ولا ضر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا إلا رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك
مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء
المشركين (من كتب يدرسونها) أي يقرؤونها (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك

[illegible] الأولين [illegible]
وأمن [illegible] الرسل [illegible]
يتطهر [illegible] ان ربكم [illegible] قبلهم [illegible]

وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير [illegible] على
الكفر بكم (قل إنما أعظكم بواحدة) بخصلة واحدة [illegible] (أن تقوموا لله) [illegible]
وقيل هو مثل [illegible] القيام على الرجل [illegible] أن تقوموا [illegible] وإرادة
القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجمعهم عنده [illegible] القصد إلى الشيء دون النهوض والانتصاب والمعنى إنما
أعظكم بواحدة [illegible] الحق وتخلصتم [illegible] أن تقوموا (لله) أي لوجه الله خالصا [illegible] لطلب الحق (مثنى) اثنين
اثنين (وفرادى) فردا فردا (ثم تتفكروا) (٤٩٣) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد
منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويقل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا (ما بصاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة (إن هو

ي ولا أرسلنا إليهم نذيرا (وكذب الذين من قبلهم) أي من الأمم السالفة رسلنا (وما بلغوا) يعني هؤلاء
المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول الأعمار
(فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي إنكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية
قوله عز وجل (قل إنما أعظكم) أي آمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة
فقال تعالى (أن تقوموا لله) أي لأجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفرادى) أي واحدا واحدا (ثم
تتفكروا) أي تجتمعوا جميعا فتنظروا وتتحاوروا ولينفرد كل واحد فيتفكر في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن
(ما بصاحبكم من جنة) ومعنى الآية إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن
تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا
لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد
منهما محصول فكره على صاحبه [illegible] متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد
فيتفكر في نفسه بعدل ونصفة هل رأى في هذا الرجل جنونا قط أو جرب عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمدا
صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم أنه من أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم
رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به وإذا علمتم ذلك كفاكم أن
تطالبوه بآية وإذا جاء بها تبين أنه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أي
في السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنة (إن هو إلا نذير
لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم
أسألكم شيئا (إن أجري) أي ثوابي (إلا على الله وهو على كل شيء شهيد قل إن ربي يقذف بالحق) أي يلقي
بالوحي من السماء فيقذفه إلى الأنبياء (علام الغيوب) أي خفيات الأمور (قل جاء الحق) يعني القرآن
والإسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه [illegible]

الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي الساعة [illegible] الباطل
لا أطلب أجرا على الإنذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على إنذاري وتبليغ الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط [illegible] أي ما سألتكم من أجر
كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة [illegible] الأجر [illegible] في هذا فهو لكم أي ليس لي فيه [illegible] (إن أجري) مدني [illegible]
وحفص وبسكون الياء غيرهم (إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) فيعلم أني لا أطلب الأجر على نصحكم [illegible] (قل إن ربي
يقذف بالحق) بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد [illegible] الإلقاء [illegible]
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) [illegible]
[illegible] (قل جاء الحق) الإسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي زال الباطل وهلك لأن الإبداء والإعادة من صفات
الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي
صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد وقيل الباطل الأصنام [illegible] الباطل [illegible]

[illegible]

[illegible] (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي) [illegible] لأن النفس كل ما هو بالطبع وشأنها [illegible]

[illegible] وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول

إذا دخل [illegible] (إنه سميع) لما أقوله لكم (قريب) مني ومنكم يجازيني ويجازيكم (ولو ترى)

[illegible] (إذ فزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا فوت) [illegible] فلا يفوتون الله

[illegible] (وأخذوا) [illegible] (من مكان

قريب) من الموقف إلى النار [illegible] (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنا به)

بمحمد عليه السلام [illegible] في قوله ما بصاحبكم من جنة (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أي كيف لهم التناول

التوبة وقد بعدت عنهم [illegible] كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو

أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا

مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع التناوش بالهمز أبو عمرو وكوفي غير حفص همزت الواو لأن كل واو مضمومة ضمتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدؤر وتقاوم وإن شئت قلت أدؤر وتقاؤم وعن بعض التناؤش بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبي عمرو على البناء للمفعول أي تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلوا في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز أن يكون الضمير في آمنا به للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمبعوثين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) وحجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة ومن الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم قوله ارجعنا نعمل صالحا والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه (كما فعل بأشياعهم من قبل) بأشباههم من الكفرة (إنهم كانوا

الباطل هو إبليس والمعنى لا يخلق إبليس أحدا ابتداء ولا يبعثه إذا مات وقيل الباطل الأصنام (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي) وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل إن ضللت فيما تزعمون أنتم فإنما أضل على نفسي أي إثم ضلالتي على نفسي (وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) أي من القرآن والحكمة (إنه سميع قريب) ۞ قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (إذ فزعوا) أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتونني ولا نجاة لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها وحيثما كانوا فإنهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى إذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وأنى لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد إلى الدنيا فقال وأنى لهم الرد إلى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لأن علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم إنه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا وقيل نعيمها وزهرتها (كما فعل بأشياعهم) أي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والإيمان في وقت اليأس (إنهم كانوا

[illegible]

[illegible]

[illegible] والارض) مبدعهما (جاعل الملائكة رسلا) الى عباده (أولي أجنحة) [illegible]

ومثنى ورباع) صفات لأجنحة [illegible] وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها [illegible]

[illegible] وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل واحد منهم

جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في

الخلق) أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في

العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في

الرأي وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (إن الله على كل شيء قدير) قادر (ما يفتح الله

للناس من رحمة) تنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من أية رحمة ورزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فلا ممسك لها) فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها واستعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد إمساكه وأنث الضمير الراجع إلى الاسم المضمن معنى الشرط على معنى الرحمة وذكره حملا على اللفظ المرجع إذ لا تأنيث فيه لأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير المفسر ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وعن

في شك) أي من البعث وقيل العذاب بهم (مريب) أي موقع الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)

وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقها ومبدعها على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أي الى الانبياء (أولي أجنحة) أي ذوي أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الاجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شيء قدير) أي مما يريد أن يخلقه قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا ممسك لها) أي لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أي فيما أمسك (الحكيم) أي فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد الجد الغنى والحظ أي لا ينفع المحظوظ والغني حظه وغناه لأنهم ملك وإنما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) قيل الخطاب لأهل مكة ونعمة الله عليهم إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أي لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعني المطر (والارض) أي النبات (لا إله الا هو فأنى تؤفكون) أي من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك)

معاذ مرفوعا لا يزال يد الله مبسوطة على هذه الامة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمة الله عليكم) وهي التي تقدمت من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبل دعوة إليه وزلفى لديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) ورفع غير على الوصف لأن خالق مبتدأ خبره محذوف أي لكم أو الخبر على وجره على الوصف لفظا (يرزقكم) يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون صفة لخالق (من السماء) بالمطر (والارض) بأنواع النبات (لا إله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها (فأنى تؤفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) نعي به على قريش سوء مقابلتهم لآيات الله وتكذيبهم ثم أوسى رسوله بما له في الانبياء قبله أسوة ولهذا نكر رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لأنه أسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لأن الجزاء يعقب الشرط ولو أجري على الظاهر يكون سابقا عليه فوضع فقد كذبت رسل من قبله موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أي بالتكذيب عن

[illegible] وإلى الله ترجع الأمور [illegible]

[illegible] (يا أيها الناس إن وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كائن (فلا تغرنكم الحياة [الدنيا]) [illegible] المشتغلة بها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي [illegible] الشيطان [illegible] بأن الله يعفو عن عباده [illegible] (إن الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة وفعل بأبيكم ما فعل [illegible] من أعمالهم (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته في سركم وجهركم [illegible] التي يؤذنها في دعوة شيعته وأتباعه [illegible] (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) [illegible] الأمر كله على الإيمان وتركه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أي فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد [illegible] (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يطيعوه ولم يسيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم [illegible] كر الفريقين قال لنبيه عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بتزيين الشيطان كمن لم يزين له وكان رسول الله صلى الله عليه [illegible] (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٤٩٥) وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له

سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه فلا تذهب نفسك [نفسك] أي لا تهلكها حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا تعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته (إن الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح) الريح مكي وحمزة وعلي (فتثير

سحابا فسقناه إلى بلد ميت) بالتشديد مدني وحمزة وعلي وحفص وبالتخفيف غيرهم (فأحيينا به) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الأرض بعد موتها) يبسها وإنما قيل فتثير لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات قيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أي العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه [illegible] له لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم [illegible] [illegible] وفي الحديث إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز [illegible] [illegible] الآية [illegible] ذكر الإمام [illegible] عن الزجاج [illegible]

يعني نبيه صلى الله عليه وسلم (وإلى الله ترجع الأمور) أي فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه ۞ قوله تعالى (يا أيها الناس إن وعد الله حق) يعني وعد القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لا يغرنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فإن الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (إنما يدعو حزبه) أي أشياعه وأولياءه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) ۞ قوله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لأنهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبهة وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفي الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل جواب الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا (إن الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) أي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به (فسقناه) أي فنسوقه (إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل إحياء الموات نشور الأموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه ۞ قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء إلى

والعمل الصالح [illegible]

[illegible] الكلم الطيب [illegible]

[illegible] ولا إله إلا الله والله أكبر [illegible] الكلم الطيب [illegible]

[illegible] العمل الصالح [illegible]

[illegible] يرفع [illegible]

يمكرون السيئات) هي صفة لمصدر محذوف أي المكرات السيئات [illegible] لأنه [illegible] في شأنه [illegible]

النبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (لهم عذاب شديد)

في الآخرة (ومكر أولئك) مبتدأ (هو يبور) خبر أي يهلك أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أي يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (والله خلقكم) أي أباكم (من تراب ثم) أنشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرانا وإناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) هو في موضع الحال أي إلا معلومة له (وما يعمر من معمر) أي وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر إليه (ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) يعني اللوح أو صحيفة الإنسان

ولا ينقص ريد فإن قلت الإنسان إما معمر أي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معه لعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق أو بأن لا [illegible] الآية أنه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (إن ذلك) أي إحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير) سهل (وما يستوي البحران هذا) أي أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذي يكسر العطش (سائغ شرابه) مريء سهل الانحدار لعذوبته يرتفع شرابه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذي يحرق بملوحته

هنا فلتطلب العزة أي فليطلبها العزة من عند الله فإن العزة كلها له فاطلبوا العزة بالإيمان وطاعته وبين الله أن لا عزة إلا لله ولرسوله ولأوليائه المؤمنين (إليه) أي إلى الله (يصعد الكلم الطيب) قيل هو قول لا إله إلا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر روى البغوي بإسناده عن ابن مسعود قال إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه رب العالمين وتصديقه من كتاب الله قوله إليه يصعد الكلم الطيب هذا الحديث موقوف على ابن مسعود وفي إسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى إليه يصعد أي يقبل الله الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الإيمان بالتمني وليس بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بأن الله يقول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال (والذين يمكرون السيئات) أي يعملون السيئات أي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) أي يبطل ويهلك في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعني آدم (ثم من نطفة) يعني ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعني أصنافا ذكرانا وإناثا وقيل زوج بعضكم بعضا (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر) أي لا يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي عمر آخر وقيل ينصرف إلى الأول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر إنسان ولا ينقص إلا في كتاب قال كعب الأحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقيل له إن الله تعالى يقول فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وقرأ هذه الآية (إلا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (إن ذلك على الله يسير) أي كتابة الآجال والأعمال على الله هين ﴿ قوله تعالى (وما يستوي البحران) يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) أي طيب يكسر العطش (سائغ شرابه) أي سهل في الحلق هني مريء (وهذا ملح أجاج) أي

(وترى) [illegible] الفلك فيه مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمه وعطائه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خال من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) يدخل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أي ذلل (كل يجري لأجل مسمى) أي يوم القيامة ينقطع جريهما (ذلكم) مبتدأ (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعني الأصنام التي تعبدونها من دون الله يدعون فيه (ما يملكون من قطمير) هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة (إن تدعوهم) أي الأصنام (لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرؤون منها (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بإشراككم (٤٩٧) لهم وعبادتكم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) قال ذو النون الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به (والله هو الغني) عن الأشياء أجمع (الحميد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الأغنياء وذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم إذ ليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادا منعما وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا بالسر إليه ومنقطعا عن الغير إليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غناه بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنى لأن المذلة في الفقر والكبر في الغنى والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر إليه في كل شيء والرجوع إليه من كل شيء وقال الشبلي الفقر بحر البلاء وبلاؤه كله عز (إن يشأ يذهبكم) كلكم إلى العدم فإن غناه بذاته لا بكم في القدم (ويأت بخلق جديد) وهو بدون حاجة كم جديد (وما ذلك) الإنشاء والإفناء (على الله بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى والوزر والوقر أخوان ووزر الشيء إذا حمله والوازرة صفة للنفس [illegible]

ثقيل الموحد يجري الخالق بالوحي وقيل هو المر (ومن كل) يعني من البحرين (تأكلون لحما طريا) يعني السمك (وتستخرجون) أي من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نبت اللؤلؤ في البحر المالح عدون عذبه فيمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أي بالتجارة (ولعلكم تشكرون) أي تشكرون الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعني الأصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (إن تدعوهم) يعني الأصنام (لا يسمعوا دعاءكم) يعني لأنهم جماد (ولو سمعوا) أي على سبيل الفرض والمثل (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها (ولا ينبئك مثل خبير) يعني نفسه أي لا ينبئك أحد مثلي لأني عالم بالأشياء قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) أي إلى فضله وإحسانه والفقير المحتاج إلى من سواه والخلق كلهم محتاجون إلى الله فهم الفقراء (والله هو الغني) عن خلقه لا يحتاج إليهم (الحميد) أي المحمود في إحسانه إليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه (إن يشأ يذهبكم) أي لا يحتاج إليكم أيها الناس لكفركم بآياته (ويأت بخلق جديد) أي بخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا (وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي إن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فإن قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين أنهم يحملون أثقالا من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك

[illegible]

[illegible] (وان تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بالذنوب أحدا (الى حملها) ثقلها أي ذنوبها ليحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شئ ولو كان) المدعو وهو يعني قرابة (ذا قربى) ذا قرابة قريبة كأب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وبين معنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ أن الأول دال على عدل الله في حكمه وأن لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في بيان أنه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الأوزار لو دعت الى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي انما ينتفع بالانذار هؤلاء (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر حيث لا اطلاع للغير عليه (وأقاموا الصلاة) في مواقيتها (ومن تزكى) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما يتزكى لنفسه) وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم (٤٩٨) وإقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي (والى الله المصير) المرجع وهو وعد للمتزكي بالثواب (وما يستوي الأعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار كالسموم الا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لا لتأكيد معنى النفي والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) يعني أنه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي من يشاء هدايته وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم (ان أنت الا نذير) [illegible] بلغ وينذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محقا أو صفة للمصدر أي ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا) بالوعد (ونذيرا) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمتك (الا خلا) مضى (فيها نذير) [illegible] وحدثه والأمة الجماعة الكثيرة ويقال لأهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام [illegible] تلك الأمم من بعد وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الا خلا) مضى (فيها نذير) [illegible] وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعدما ذكرهما لأن النذارة مشفوعة بالبشارة فدل [illegible] النذارة على ذكر البشارة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم) حال وقد مضمرة (بالبينات) بالمعجزات (وبالزبر) [illegible] (وبالكتاب المنير) أي التوراة والانجيل والزبور [illegible] [illegible]
[illegible]

كأنه من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) يقول وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوبها (لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى) أي ولو كان المدعو ذا قرابة كالأب والأم والابن والأخ قال ابن عباس يتعلق الأب والأم بالابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ما علي (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي يخافون ربهم (بالغيب) أي ولم يروه والمعنى انما ينتفع بالانذار الذين يخشون ربهم بالغيب (وأقاموا الصلاة ومن تزكى) أي أصلح وعمل خيرا (فانما يتزكى لنفسه) أي له ثوابه (والى الله المصير وما يستوي الأعمى والبصير) أي الجاهل والعالم وقيل الأعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويجيب (وما أنت بمسمع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور لأنهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أي ما أنت الا منذر تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) أي من جماعة كثيرة فيما مضى (الا خلا) أي سلف (فيها نذير) أي نبي منذر فان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى أن تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لأنه لا نبي بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف (وبالكتاب المنير) أي الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وانما ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعني أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني الألوان الأبيض والأحمر والأصفر [illegible]

وهو معطوف على ما قبله (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) جمع غربيب وهو تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع إلا أنه أضمر المؤكد قبله والذي بعده تفسير للمضمر وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف في قوله ومن الجبال جدد أي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن (٩٩٤) ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وبينهما تغاير ففي الأول بيان أن الخاشعين هم العلماء وفي الثاني بيان أن المخشي منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم إنما يخشى الله من عباده العلماء والخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يعظم الله من عباده العلماء (إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي مسرين النفل ومعلنين الفرض يعني لا يقتصرون على تلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) خبر إن (تجارة) هي طلب الثواب بالطاعة (لن تبور) لن تكسد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي ليوفيهم بنفاقها عند الله (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم يتعلق بيتلون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض وخبر إن (إنه غفور) لفرطاتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لأعمالهم أي يعطي الجزيل على العمل القليل (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (إن الله بعباده لخبير بصير) فعلمك وأبصر أحوالك ورآك أهلا لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا)

ولا يبس (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعني منها الأبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) أي شديدة السواد كما يقال أسود غربيب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه (كذلك) يعني كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية قولها فرخص فيه أي لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه أقوام أي تباعدوا عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (إن الله عزيز) أي في ملكه (غفور) أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لأنه المثيب المعاقب وإذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى ﴿قوله عز وجل﴾ (إن الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلاة) أي ويقيمون الصلاة في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أي في سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) أي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم تر عين ولم تسمع أذن (إنه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب (إن الله بعباده لخبير بصير) ﴿قوله تعالى﴾ (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا إليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم واختصهم بكرامته بأن جعلهم أتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم

قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) (ق) عن أسامة بن زيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة
أحد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت أن رجلا
دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق إلي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت
صادقا لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل
الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم
يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان
سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في
الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن
عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة
بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق
هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من
استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه
والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم
يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر
والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين إخبارا بأنه
لا يتقرب إليه إلا بكرمه وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم
بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال العباد
ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين
فإذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظالمين ثم
المقتصد قليل بالإضافة إلى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أي بالأعمال
الصالحة إلى الجنة أو إلى رحمة الله (بإذن الله) أي بأمر الله وإرادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني
إيراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعني الأصناف الثلاثة

يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن أنه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصري الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع إلى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور وإنما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء إنما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل إنما قدمه ليعرف أن ذنبه لا يبعده من [illegible]
ربه وقيل إن أول الأحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذي اشتغل
بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي
يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كان أو حراما والمقتصد من يجتهد أن لا
يأخذها إلا حلالا والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (بإذن الله) أي
بأمره أو بتوفيقه (ذلك) أي إيراث الكتاب (هو الفضل الكبير) [illegible]

النصب والهمزة وبالياء وتخفيف الهمزة على نقل من أساور أى حليات أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من اللذة والزينة
(وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) همهم من خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (ان ربنا لغفور) للمذنبين وان كثرت (شكور)
للطاعات وان قلت (الذى أحلنا دار المقامة) أى الاقامة لا نبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه
وافضاله لا باستحقاقنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب وفترة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى لغوب بفتح
وهو شئ يلغب منه أى لا نتكلف عملا يلغبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) جواب النفى ونصبه باضمار أن أى
لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (٥٠١) (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى كل

كفور) نجزى كل كفور أبو عمرو (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى أخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطيع بعد المعصية فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) توبيخ وما نكرة موصوفة أى تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر يمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم ثم قيل هو ثمانى عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو الشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لأن لفظه

ذهب ومن أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا
الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم
لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة
وقيل هم الخبز والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد روى البغوى بسنده
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم
وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور
شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى أحلنا) أى أنزلنا (دار المقامة) أى
الاقامة (من فضله) أى لا بأعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها لغوب)
أى اعياء من التعب ❁ قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أى فيستريحوا مما
هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى من عذاب النار (كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون) أى
يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل)
أى فى الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخا لهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر)
قيل هو البلوغ وقيل ثمانى عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن على
وهو العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى
كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى
ما بين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن قاله ابن عباس وقيل هو
الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها
استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أى ما لهم من مانع
يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) يعنى انه اذا علم ذلك وهو أخفى
ما يكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم ❁ قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى يخلف بعضكم
بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبغى أن تعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه
وملككم منافعها ومرافقها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) أى جحد هذه النعمة
وغمطها (فعليه كفره) أى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) أى غضبا وقيل المقت
أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أى فى الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله) يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم (أرونى ماذا خلقوا من الارض) يعنى أى جزء

لفظ استخبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب
السموات والارض) ما غاب فيهما عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب
فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية أى ما فى بطنها من الحبل لان الحبل
يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى الصحبة (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يقال للمستخلف خليفة ويجمع
على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاءه فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد
والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة (فعليه كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال
(ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) هلاكا وخسرانا (قل أرأيتم شركاءكم
آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة (الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) أرونى بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم

في السموات) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات (أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه) أم معهم كتاب من الله ينطق بأنهم شركاء لله فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) أي لا يعد (إلا غروراً) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) كراهة أن تزولا لأن الإمساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (إن أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي من بعد إمساكه ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء (إنه كان حليماً غفوراً) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هداً لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي إقساماً بليغاً أو على الحال أي جاهدين في أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) بلغ قريشاً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أي من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هي إحدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زادهم إلا نفوراً) أي ما زادهم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تباعداً عن الحق وهو إسناد مجازي (استكباراً في الأرض) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى وما زادهم إلا النفور والاستكبار ومكر السيئ أو حال من مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيئ وأن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم ومكراً السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط أو ينزل (المكر السيئ إلا بأهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) وهو إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم والمعنى فهل ينتظرون بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) بين أن سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لا محالة (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) فلما أهلكوا فكيف هؤلاء (وما كان الله ليعجزه) ليسبقه ويفوته (من شيء) أي شيء (في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً) بهم (قديراً) قادراً عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض في قوله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) أي لم يخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمه فيهم والله الموفق للصواب

استبدوا بخلقه من الأرض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات والأرض (أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه) أي على حجة وبرهان من ذلك (بل إن يعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضاً إلا غروراً) يعني قولهم هؤلاء الأصنام شفعاؤنا عند الله ﴿ قوله عز وجل (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أي لكي لا تزولا يمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بأن تزولا وتهدا هداً لعظم كلمة الشرك (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) أي ليس يمسكهما أحد سواه (إنه كان حليماً غفوراً) أي غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى ديناً منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأنزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (إلا نفوراً) أي تباعداً عن الهدى (استكباراً في الأرض) يعني عتواً وتكبراً عن الإيمان به (ومكر السيئ) يعني العمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) أي لا يحل ولا يحيط إلا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (إلا سنة الأولين) يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنة الله تبديلاً) أي تغييراً (ولن تجد لسنة الله تحويلاً) أي تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه أنهم يمرون على ديار من مضى ويرون آثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) أي ليفوته (من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي ظهر الأرض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان إلا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيراً بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه الصلاة والسلام)